عُلُومُ البَلاغَة

البيان والمعانى والبديع

تأليف المرحوم

أحمد مصطفى المراغى

أستاذ اللغة العربية بكلية دار العلوم

راجعه وأشرف على تصحيحه

أبو الوفا مصطفى المراغى

مدير مكتبة الأزهر

(الطبعة الرابعة)

ملتزم الطبع والنشر

المكتبة المحمودية التجارية

بميدان الجامع الأزهر - بمصر

تليفون ٥٣٠٦٧ - ص. ب ٥٠٥

علوم البلاغة

البيان والمعانى والبديع

تأليف المرحوم

أحمد مصطفى المراغى

أستاذ اللغة العربية بكلية دار العلوم

[illegible]

راجعه وأشرف على تصحيحه

أبو الوفا مصطفى المراغى

مدير مكتبة الأزهر

(الطبعة الرابعة)

ملتزم الطبع والنشر

المكتبة المحمودية التجارية

ميدان الأزهر الشريف بمصر

ص . ب ٥٥٥

المطبعة العربية
١١ شارع البودية (درب الجاميز)
تليفون ٢٥٦٣٨

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لك اللهم ، بك المعونةُ والتوفيق ، ومنك الهداية لأقوم طريق ، إذا أظلت الشبهات ، فى دجنة الخطوب المدْلهمات ، وبفضلك نطلب يقيناً يملأ الصدر ، ويستولى على زمام القلب ، ويكبت سورة النفس ، فيردها عن غيها ، ويكبح جماح شهواتها ، فانك الملجأ والنصير والمعين ، وصلاة وسلاما على محمد عبدك ورسولك الذى آتيته الحكمة وفصل الخطاب ، وعصمته من الخطأ وألهمته الصواب ، ومننت عليه بفضيلة البيان ، ففند بقاطع حجته قول من عارضه من أهل الزور والبهتان .

وبعد — فان موضع علوم البيان من علوم العربية ، موضع الرأس من الانسان ، أو اليتيمة من قلائد العقيان ، فهى مستودع سرها ، ومظهر جلالها ، فلا فضيلة لكلام على كلام ، إلا بما يحويه من لطائفها ، ويودع فيه من مزاياها وخصائصها ، ولا تبريز لمتكلم على آخر ، إلا بما يحوكه من وَشْيها ، ويلفظه من درها ، وينفثه من سحرها ، ويجنيه من يانع ثمرها .

إلى أن بها نعرف وجه إعجاز القرآن ، وندرك ما فيه من خصائص البيان ، ونفهم براعة أسلوبه ، وانسجام تأليفه ، وسهولة نظمه وسلاسته ، وعذوبته وجزالته ، إلى أمثال تلك المحاسن التى أسالت على العرب الوادى عجزاً ، حتى حارت عقولهم ، وقصرت عن بلوغ شأوه جهابذتهم وفحولهم ، حتى اضطر ذلكم المتكبر الجاحد ، والصلف المعاند ، الوليد بن المغيرة ، أن يقول فيه مقالته المأثورة ، (والله إن لكلامه لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفله لمغدق ، وإن أعلاه لمورق ،

وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه ، وما هو بقول البشر) فالجاهل بأسرارها ، والمحروم من اقتطاف جنى ثمارها ، لا يعرف وجه الإعجاز إلا بالتقليد ، ولا يعلم ذلك إلا بالسماع ، فسواء فى قضية النظر ، هو والزنجى والبربرى ، والفارسى والنبطى ، إذ كل أولئك يتلقونه سماعا ، ويصل إليهم علمه مشافهة .

مما تقدم تعلم جليل خطرها ، وعظيم منزلتها ، وأنها لا تدانيها منزلة علم آخر من علوم العربية ، فلا غرو إذا اتجهت همم العلماء والباحثين فى مختلف العصور إلى التأليف فيها ، وبسط القول فى بيان مغازيها ومراميها ، وقد رأينا أن ندلى دلونا بين الدلاء ، ونضرب بسهم فى هذا الميدان ، والله ولى التوفيق ، والهادى لأقوم طريق .

احمد مصطفى المراغى

* * *

نبـذة فى تاريخ

علوم البيان أو علوم النقد أو علوم البلاغة

١ — الحاجة إلى وضع قواعدها

(ا) اشتعلت نار الجدل صدر الدولة العباسية حتى اندلع لهيبها وتطاير شررها إلى جميع أنحاء البلاد الإسلامية رَدَحاً من الزمن غير قليل بين أئمة الأدب وأرباب المقالات من علماء الكلام فى بيان وجه إعجاز القرآن ، واختلفوا فى ذلك طرائق قددا وتفرقوا أيدى سبا ، وتعددت نزعاتهم ، وتضاربت مذاهبهم وآراؤهم كما هو مسطور فى زُبُر المتكلمين كالمواقف لعضد الدين والمقاصد لسعد الدين التفتازانى .

وكان الرأى الآفن من بين هـذه الآراء وأبعدها عن الصواب ، رأى ابراهيم النظام صاحب المذهب الذى ينسب اليه (مذهب الصَّرفة) إذ قال ان القرآن ليس معجزاً بفصاحته وبلاغته ، وان العرب كانوا قادرين على أن يأتوا بمثله ، لكن الله صرفهم عن ذلك تصديقاً لنبيه ، وتأييداً لرسوله حتى يؤدي رسالات ربه ، فانبرى للرد عليه جمٌ غفير من العلمـاء من بينهم الجاحظ والباقلانى وامام الحرمين والفخر الرازى ، وناضلوا نضالهم المحمود الذى خُلـد لهم فى بطون الأسفار ، فكتبوا الفصول الممتعة مبينين خطل رأيه وفساد مذهبه ، بما أملته عليهم قرائحهم الوقادة ، وأفكارهم النقادة ، حتى لم يبق فى القوس منزع ، ولا زيادة لمستزيد .

(ب) كذلك قامت سوق نافقة للحجَاج والمناظرة ، بين أئمة اللغـة والنحو أنصار الشعر الجاهلى ، الذين رأوا أن الخير كل الخير فى المحافظة على أساليب العرب وأوضاعها ، والأدباء والشعراء أنصار الشعر المحدَث الذين لم يحفلوا بما درج عليه أسلافهم من العرب ، ورأوا أنهم فى حل من كل قديم ، لا يشاكل بيئة الحضارة

التي غُذوا بلبانها وربوا في أحضانها ، ولم يكن العرب ليحلُموا بها من قبل ، ولو أن القدر أتاح لهم أن يروا زخارف تلك المدينة ، وطرائف لطائفها ، لكان لهم شأن في آدابهم ، ومهيع في أساليبهم غير شأنهم هذا .

(ح) أضف إلى تلك الضوضاء وذلك اللَّجَب ، ما شجر من الخلاف بين أئمة الأدب وأساطينه ، في بيان وجوه تحسين الكلام حتى يرقى في سلم البلاغة ، وينال قسطه من الفصاحة ، وتناقضت آراؤهم في ذلك أيما تناقض ، ففريق مال إلى رصين الكلام الجامع بين العذوبة والجزالة ، وفريق أولع بالمنطق الموشى المشتمل على صنعة البديع ، يرشد إلى ذلك ما تراه في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينَوَري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ حين حكم على تلك الأبيات المشهورة لكُثَيِّر عزّة بأنها مونقة خلابة في لفظها لكنك إذا فتشتها وبحثت عن ذات نفسها لم تحْلَ منها بطائل، وهي:

ولما قضَيْنا من منىً كلَّ حاجة ومسَّح بالأركان من هو ماسح
وشُدَّت على حُدْبِ المهارَى رحالُنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطيّ الأباطح

ثم ما تجده في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري من استحسان هذه الأبيات ونقد حكم ابن قُتيبة واتهام ذوقه ، ووافقه على نقده أبو الفتح بن جنيّ المتوفى سنة ٣٩٢ هـ في كتاب الخصائص ، والإمام عبد القاهر في أسرار البلاغة وأطال الإطراء لثالثها إلى غير ذلك من مختلف الآراء مما لسنا بصدد سرده الآن .

كل أولئك لفت أنظار أئمة البلاغة إلى أن يضعوا قوانين وضوابط يتحاكمون إليها عند الاختلاف ، وتكون دستوراً للناظرين في آداب العرب منثورها ومنظومها ونشأ من ذلك البحث في علوم البيان أو علوم البلاغة .

٢ — أول من دونها

لانعلم أحد سبق أبا عُبيدة مَعمَر بن المثنّى الرّاوية تلميذ الخليل بن أحمد المتوفى سنة ٢١١ هـ . فقد وضع كتابا فى علم البيان سماه (مجاز القرآن) لكنه لم يرد بالمجاز الوصف الذى ينطبق على ما وضع من القواعد بعدُ ، بل هو أشبه بكتاب فى اللغة توخى فيه جمع الألفاظ التى أريد بها غير معانيها الوضعية ، ألا تراه وقد سئل مرة عن قول الله عز وعلا (طلعها كأنه رءوس الشياطين) فقال هو مجاز كقول امرىء القيس (ومسنونة زرق كأنياب أغوال) .

كما لا نعرف بالضبط أول من ألف فى علم المعانى ، وإنما أثر فيه نبذ عن بعض البلغاء كأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الكنانى المتوفى سنة ٢٥٥ هـ إمام الأدباء وسلطان المنشئين فى عصره والقدرة فى أساليبه التى اختص بها وتحداه فيها الأئمة من بعده .

فقد أشار إلى مسائل منه فى كتابه (إعجاز القرآن) وعنى فى كتابه (البيان والتبيين) بدرس بعض القواعد التى كثر ولوع القوم بها فى عصره كبيان معنى الفصاحة والبلاغة ، وحسن البيان والتخلص من الخصم ، وحسن الاسجاع ، ثم قفاه ابن قتيبة فى كتابه (الشعر والشعراء) ، والمبرد فى كتابه الكامل فتعرضا لبعض نتف من هذه العلوم .

وغنى عن البيان أن المتكلمين بُداءة ذى بدء فى أى فن من الفنون ، لايحيطون بأطرافه ، ولا يتغلغلون فى استقصاء مباحثه .

لكنا نعلم أن أول من دون البديع الخليفة عبد الله بن المعتز بن المتوكل العباسى المتوفى سنة ٢٩٦ هـ فقد استقصى ما فى الشعر من المحسنات وألف كتاباً سماه (البديع) ذكر فيه سبعة عشر نوعاً منها الاستعارة والكناية والتورية والتجنيس والسجع

إلى غير ذلك ، وقال ما جمع قبلى فنون البديع أحد ولا سبقنى إلى تأليفه مؤلف ». ومن رأى أن يقتصر على ما اخترنا فليفعل ، ومن رأى إضافة شيء من المحاسن إليه فله اختياره .

ومن البين أن اسم البديع بهذا الإطلاق يتناول ما سماه المتأخرون بعلم البيان ثم ألف معاصره قدامة بن جعفر الكاتب البغدادى المتوفى سنة ٣١٠ كتاباً فى نقد الشعر سماه (نقد قدامة) ذكر فيه ثلاثة عشر نوعا من البديع زيادة على ما أملاه ابن المعتز فتممها ثلاثين نوعاً .

تلا هذين العالمين أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥ هـ وألف كتابه (الصناعتين) صناعتى النثر والنظم ، جمع فيه خمسة وثلاثين نوعاً من البديع ، وبحث فيه عن عدة مسائل أخرى كالفصاحة والبلاغة والإيجاز والإطناب والحشو والتطويل وعدة أبواب فى نقد الشعر إلى غير ذلك من جليل المباحث .

وكتابه يعتبر أول مصنف أشير فيه إلى مسائل علوم البيان الثلاثة (المعانى والبيان والبديع)

٣ — رقى هذه العلوم بتأليف الإمام عبد القاهر

تمخض القرن الخامس فولد نادرة البطون ، ونابغة البلغاء ، وإمام حاشية الفصحاء أبا بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى المتوفى سنة ٤٧١ هـ الذى نظر يمنة ويسرة فلم يجد من مسائل هذه الفنون إلا نتفا مبعثرة لاتسمن ولا تغنى من جوع ، فشمر عن ساعد الجد ، وجمع متفرقاتها ، وأقام بناءها على أسس متينة ، وركز دعائمها على أرض جدد لا تنهار ، وأملى من القواعد ما شاء الله أن يملى فى كتابيه (أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز) وأحكم بنيانها بضرب الأمثلة والشواهد ، حتى أناف بها على اليفاع ، وقرن فيهما بين العلم والعمل إذ رأى أن مسائل الفنون لا يستقر لها قرار إلا بكثرة الأمثلة والنماذج ، فالصور الإجمالية التى تؤخذ من

القواعد، إن لم تؤيدها الصور التفصيلية التي تستفاد من النماذج ، لا تتمثل في الأذهان حق التمثل ، ولا تنجلي حقيقتها تمام الإنجلاء .

وقد ساعده على ذلك ما آتاه الله من عذوبة البيان ، وما تجلى به قلمه من الطلاوة الخلابة ، والبلاغة الساحرة للألباب .

٤ — الامام جار الله الزمخشري

نبغ إثر عبد القاهر أستاذ المفسرين ، جارُ الله الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ وألف تفسيره (الكشاف) نحا فيه نحو الغرض المقصود من تفسير التنزيل ،وهو إظهار أسراره ، وشرح وجه إعجازه ، ببيان وفاء دلالته على المراد ، وكشف خصائصه ومزاياه التي استأثر بها ، حتى بلغ هذه المرتبة ، وحتى تحدى البشر بأنهم ان يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

وغني عن البيان أنه لن يصل إلى تلك المنزلة إلا من آتاه الله فطرة سليمة ، ورأياً حصيفا ، وفكراً ثاقبا ، وبرهاناً ساطعا ، وقلماً أطوع له من بنانه حتى يتاح له بواضح البرهان ، وبديع البيان ، أن يوضح خصائص التراكيب ، ولطائف الأساليب التي هي من أسرار التنزيل ، وبذا أبان في عُرْض كلامه كثيراً من قواعد هذه الفنون التي إتخذها من جاء بعده دستوراً للكلام في كثير من مسائلها .

٥ — أبو يعقوب يوسف السكاكي

جاء بعد من تقدم ذكرهم العلامة أبو يعقوب ، يوسف السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ وألف كتابه (مفتاح العلوم) وجمع في القسم الثالث منه زُبْدة ماكتبه الأئمة قبله في هذه الفنون ونظم لآلئها المتفرقة في تضاعيف كتبهم ، وأحاط بكثير من قواعدها المبعثرة في الأمهات ، ورتبها أحسن ترتيب ، وبوّبها خير تبويب ، وفصّل فنون البيان الثلاثة بعضها من بعض ، لما كان له من واسع الإطلاع ، على علوم المنطق والفلسفة .

ولولا أن المؤلف أولع بتطبيق أساليب العرب، على علوم اليونان واصطلاحاتهم مع ما بينهما من بعد الدار، وشط المزار واختلاف البيئات، وتباين المعتقدات، لكان خير كتاب أخرج للناس في هذه الفنون، بجمعه شتاتها، وضمه ما تفرق من قواعدها.

وقد اختصره مؤلفه في كتاب آخر سماه (التبيان) ولخصه بعض المتأخرين في أمهات مشهورة، كما فعل ابن مالك في كتابه (المصباح) والخطيب جلال الدين محمد ابن عبد الرحمن القزويني المتوفى سنة ٧٣٩ هـ، في كتابيه (تلخيص المفتاح) و (شرح الإيضاح) والأخير مؤلف جليل، جمع فيه مؤلفه خلاصة المفتاح ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي.

٦ — الوزير ضياء الدين ابن الأثير

بينا السكاكي يؤلف كتابه (مفتاح العلوم) إذا بالوزير ضياء الدين أبي الفتح نصر بن محمد الموصلي الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٣٧ هـ وزير الملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي، يصنف كتابه (المثل السائر، في أدب الكاتب والشاعر) وهو كتاب فريد في بابه يفوق أنداده وأترابه، جمع فيه فأوعى، ولم يترك شاردة ولا واردة، لها مساس بالكتابة والقريض، إلا ذكرها بشرح واف، يدل على طول باع، وسعة إطلاع، مع قدرة على النقد، وبديهة حاضرة في إدراك خصائص البلاغة، ومن ثمة إشتمل كتابه على كثير من أبواب تلك الفنون، وطبق عليها كثيراً من آي الكتاب والسنة النبوية، وتلك منقبة امتاز بها من بين هاتيك المؤلفات في تلك العلوم.

وكان يحاكي في أسلوبه أسلوب القاضي الفاضل المتوفى سنة ٥٩٦ هـ وزير صلاح الدين الأيوبي (على ما بينهما من شاسع البون) وطريقة القاضي معروفة بين المتأدبين وهي من النوع الذي يغلب عليه السجع والجناس وغيرهما من المحسنات اللفظية — وكانت براعة الكتاب في هذا العصر وما بعده تظهر في استعمال تلك الطلاوة اللفظية وبها يفوق كاتب كاتبا، و يبذ الأقران في هذا الميدان.

٧ — عصور الاختصار ووضع الشروح والحواشي

طفق المؤلفون من القرن الثامن وما بعده يوسعون الشروح والحواشي على المفتاح وتلخيصه للقزويني ، وصرفوا جل همتهم في تفسير ما أشكل من عبارات المؤلفين ، والجمع بين ما تناقض من آرائهما .

ومن أجل تلك الشروح شروح مسعود سعد الدين التفتازاني المتوفى سنة ٧٩١ هـ وشروح السيد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ ، ثم تتابعت التقارير والحواشي توضح ما انبهم من تلك التراكيب المجملة ، والعبارات الغامضة ، وليس علينا من غضاضة في التصريح بأن أساليب التأليف في تلك العصور قد ملكت عليها العجمة أمرها ، وجلبت عليها أنواع التعقيد بخيلها ورجلها ، فلم تكن هي الأساليب التي يجدر أن تكتب بها علوم البلاغة ، أو بالأحرى علوم خصائص اللسان العربي المبين .

ومن ثمة لم يكن القارىء ليجعلها قدوة في أساليبها ، أو نماذج في تراكيبها ، فهي أحرى أن تكون أساليب اصطلاحية علمية ، لا لغوية أدبية ، تشرح خصائص كلام العرب ، وتبين مزايا أساليبه ، وما زالت تتدلى وتتدهور حتى وصلت إلى ما نراه اليوم ، تتضاءل في أطمارها البالية ، وتنزوي أمام أهل الجيل الحاضر .

٨ — تآليف معاصرينا في هذه الفنون

أنشئت المدارس العالية والثانوية بمصر في نهاية القرن الغابر ، وسلكت في التربية والتعليم طريقا سويا ، لا مشاكلة بينه وبين ما تقدمه في معاهد العرفان ، وكان في مقدمة تلك المدارس التي شيدت ، مدرسة دار العلوم من نحو أربعين سنة ونيف ، فألف أساتذتها مختصرات تناسب تلك البرامج المدرسية ، ويسهل على الطلبة أن يحصلوا على بغيتهم منها ، فحمد لهم الناس جميل صنعهم ، وأوفوهم حقهم في الثناء والتقريظ مقدار ما كان لمؤلفاتهم من الميزة إبان ظهورها .

وفي الحق أن تلك الرسائل وإن اختلف ترتيبها وتنوع تبويبها ، تنحو على

الجملة فى أسلوبها ، منحى ما كتبه صاحب التلخيص وشراحه ، وتسير على خطتهم وتحذو حذوهم (وقد عرفت حال هذه التآليف) فضلا عن خلوها من الأمثلة المنوعة التى تتضح بها مجلات تلك القواعد .

وأفضل تلك المختصرات كتاب (دروس البلاغة) فهو على إيجازه الذى لوحظ فيه حال النشء وهم فى بدء تحصيل مختلف العلوم ، كفيل بتصوير القواعد فى أذهانهم جهد المستطاع .

٩ — طريقنا فى التأليف

رأينا أن نضع كتابا يجمع بين طريق المتقدمين ، من سعة الشرح والبيان ، والاعتماد على الأمثلة والشواهد ، حتى تستبين للقارىء خصائص البلاغة مرموقة محسوسة ، ولطائف الكلام مجسمة ملموسة ، ويسهل تطبيق العلم على العمل ، والاجمال على التفصيل ، وذلك أمثل الطرق ، لبنائه على قواعد علم النفس ، من تعويد الناظر الركون إلى الوجدان والحس ، وطريق المتأخرين من حسن الترتيب والتبويب . وجمع ما تفرق من قواعد هذه الفنون ، ليكون أنجع فى الدرس وأقرب إلى التناول .

فاذا كنا قد وفقنا إلى ماقصدنا . وهدينا إلى الغرض الذى توخينا ، فذلك من فضل الله علينا ، وإن كنا تنكبنا عن جادة الحق ، وأخطأنا شاكلة الصواب ، فليغض القارىء الطرف عما يراه من الهفوات ، ويعثر عليه من الزلات ، فإن الطريق وعر ، والمركب غير ذلول ، وقديما قال الأول (كفى المرء نبلا أن تعد معايبه) .

وليعلم أنا لم ندخر وسعاً فى تمحيص ما كتبنا وتهذيبه ، وتنقيح ما رتبنا وتجويده ، بعد أن قضينا زمنا طويلا فى البحث والتنقيب ، فى الأمهات المؤلفة فى هذه الفنون وغيرها للمتقدمين والمتأخرين ، واطلعنا على الرسائل التى صنفها معاصرونا ومن تقدمهم ، جزى الله الجميع خيرا ، وعليه التكلان وبه المستعان .

أحمد مصطفى المراغى

المقدمة

فى حقيقة الفصاحة والبلاغة لغة واصطلاحا

للفصاحة لغة معان متعددة كلها تشف عن الظهور والإبانة فيقال :

١ — فصُح اللبنُ وأفصح إذا أخذت عنه الرغوة قال نَضْلة السُلمى :

وتحت الرغوة اللبن الفصيح [١]

٢ — أفصح الصبح بدا ضوءه ومنه المثل : (أفصح الصبح لذى عَيْنَين [٢])

٣ — يوم مفصح وفصْح لا غيم فيه ولا قُرّ .

٤ — أفصح الأعجمى بالعربية ، وفصُح لسانه بها إذا خلصت لغته من اللكْنة وفى التنزيل (وأخى هرونُ هو أفصح منّى لسانا) أى أبين منى قولا .

والبلاغة لغة تنبئ عن الوصول والانتهاء .

يقال بلغتُ الغاية إذا انتهيت إليها ، ومبلغ الشىء منتهاه ، ورجل بليغ وبلْغ وبلَغ حسن الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كنه مافى قلبه ، وبَلُغ بالضم بلاغة صار بليغا ، وتبالغ فى كلامه تعاطى البلاغة وما هو ببليغ ، وتبالغ به الفرح والحزن تناهى .

أما البلاغة اصطلاحا فالبلغاء فى ذلك فريقان :

١ — المتقدمون كالإمام عبد القاهر الجرجانى ومن لف لفه ، وهؤلاء يرون أن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ألفاظ مترادفة لا تتصف بها المفردات وإنما يوصف بها الكلام بعد توخى [٣] معانى النحو فيما بين الكلم بحسب الأغراض

(١) يضرب مثلا للأمر ظاهره غير باطنه (٢) يقال للمعنى ينكشف بعد استتاره (٣) الطلب والتحرى

التى يصاغ لها ، وإلى ذلك أشار فى دلائل الإعجاز فى مواضع عدة منها قوله :
فصل فى تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة وكل ما شاكل ذلك مما يعبر عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد ـ ومن المعلوم أنه لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجرى مجراها مما يفرد فيه اللفظ بالنعت والصفة وينسب فيه الفضل والمزية إليه ، غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة ، ثم قال ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن يؤتى المعنى من الجهة التى هى أصح لتأديته ويختار له اللفظ الذى هو أخص به وأكشف عنه وأتم له وأحرى بأن يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية .

وقال قبله أبو هلال العسكرى فى الصناعتين ، الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وإن اختلف أصلاهما ، لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له .

وقال الفخر الرازى فى نهاية الإيجاز ، وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونهما استعمال الشيئين المترادفين على معنى واحد فى تسوية الحكم بينهما .

ويشهد لذلك قول الجوهرى فى الصحاح : الفصاحة : البلاغة .

وعلى هذا الرأى فمرجعهما هما وما شاكلهما النظم والكلام دون الألفاظ المجردة والكلمات المفردة .

٢ — المتأخرون كأبى يعقوب يوسف السكاكى وابن الأثير ، ومن شايعهما ، وأولئك يرون إخراج الفصاحة من كنف [١] البلاغة ، ويجعلونها اسماً لما كان بنجوة [٢] من تنافر الحروف وغرابة الألفاظ ومخالفة القياس ، إلى آخر ما سيذكر بعد ويجعلون البلاغة اسما لما طابق مقتضى الحال مع الفصاحة ، وعلى هذا الرأى

---

(١) الناحية والجانب (٢) يقال هو بنجوة من كذا إذا كان بعيدا .

فالبلاغة كلٌّ والفصاحة جزؤه ، وعليه أيضا فالفصاحة من صفات المفرد كما هى من صفات المركب بحسب الاعتبارات الآتية :

وإلى هذا أشار صاحب الصناعتين حيث قال — وقيل الفصاحة تمام آلة البيان فهى مقصورة على اللفظ لأن الآلة تتعلق باللفظ ، والبلاغة إنما هى إنهاء المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى اهـ .

وهانحن أولاء نشرحهما لك على الرأى الأخير فقد استقر عليه البحث ، وبالله التوفيق ، ومنه الهداية لأقوم طريق .

الفصاحة

تقع الفصاحة وصفا للمفرد والكلام والمتكلم .

فصاحة المفرد

فصاحة المفرد تتحقق بسلامته من أربعة عيوب [1] :

١ — تنافر الحروف   ٣ — مخالفة القياس

٢ — غـرابة اللفظ   ٤ — الكراهة فى السمع

تنافر الحروف

صفة فى الكلمة ينجم عنها ثقلها على اللسان وصعوبة النطق بها — ولا ضابط لذلك غير الذوق السليم ، والشعور الذى ينشأ من مزاولة أساليب البلغاء ، وليس منشؤه قرب مخارج الحروف كما قيل ألا ترى أنك تجد الحسن فى لفظ الجيش مع تقارب مخارج حروفه ونحوه ، الفم والشجر ، وتجد لفظ ملع بمعنى أسرع متباعد المخارج وهو متنافر — ولا طول الكلمات لأنه إن صح ذلك فى نحو صَهْصَلِق [2] وخَنْشَليل [3] وما جرى مجراهما ، فليس يصح فى نحو ليستخلفنّهم فى الأرض ، فسيكفيكهمُ اللهُ .

---

(١) لتسلم من الخلل مادته وصيغته ومعناه (٢) الشديد من الأصوات (٣) السيف

ولكن يمكن وضع ضابط إجمالى أساسه المشاهدة، وهو أن أصول الأبنية لا تحسن إلا فى الثلاثى وفى بعض الرباعى نحو عذب وعسجد. أما الخماسى الأصول نحو ضَهْصَلق وَجَحْمرش وما جرى مجراهما فانه قبيح، ومن ثمة لم يوجد شيء من هذا الضرب فى القرآن الكريم إلا ما كان معرّبا من أسماء الأنبياء كإبراهيم وإسماعيل.

والتنافر ضربان:

١ — شديد متناه فى الثقل كالصَّمَعْمَع [١] والطَّسَاسيج [٢] والظَّشّ [٣].

٢ — خفيف كالنُّقَاخ [٤] والنَّقنَقة [٥] والمُثْعَنجر [٦] ومستشزرات فى قول امرىء القيس:

غدائره مستشزراتٌ إلى العلا ... تضل المدارى فى مثنًّى ومرسل [٧]

والضمير فى غدائره يرجع إلى فرع فى قوله قبله:

وفرع يزين المتن أسود فاحم ... أثيث كقنو النخلة المتعثكل [٨]

الغـــرابة

هى كون الكلمة غير ظاهرة المعنى ولا مألوفة الاستعمال عند خُلَّص العرب (لا عند المولدين لأن كثيرا مما فى المعاجم غريب عندهم).

ولذلك سببان [٩]:

---

(١) الصغير الرأس (٢) جمع طسوج القرية ونحوها (٣) الموضع الخشن (٤) الماء العذب (٥) صوت الضفادع (٦) السائل من ماء أو دمع (٧) غدائره أى ذوائبه جمع غديرة وهى الشعر المشدود بخيوط على الرأس ومستشزرات أى مرتفعات وتضل تغيب والمدارى جمع مدارة آلة تعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط أو أطول منه يسرح بها الشعر المتلبد والمثنى المفتول وضده المرسل (٨) الفرع الشعر والاثيث الكثير والقنو الكباسة والمتعثكل كثير الشاكيل أى العيدان التى عليها البسر ومراده من كل ذلك الدلالة على وفرة شعرها وكان من عادة نساء العرب أن تشد قسما من الشعر كالرمانة ثم ترسل فوقه المثنى والمرسل (٩) لأن الغرابة إما فى الجوامد والمصادر والمشتقات باعتبار مبادئها أى أصولها وهو القسم الأول، وإما فى المشتقات باعتبار هيئاتها وهو القسم الثانى.

احتياجها إلى بحث وتفتيش فى كتب اللغـــة ، ثم يعثر على معناها بعد كُنـحنفِرة (١) وبُعاق (٢) وجرْدَحلْ (٣) وجحَيش بمعنى فريد مستبد برأيه فى قول تأبط شرا يصف ابن عم له بكثرة الترحال :

يَظلُّ بموْماة ويُمسى بغيرها   جُحَيْشا ويعروري ظهور المسالك (٤)

وهمرْجلة وزَيزَم فى قول ابن جحدَر :

حلفتُ بما أرْقلتْ حولهَ   همَرْجلةٌ خَلْقُها شيْظَمُ
وما شبْرقتْ من تنُوفيّة   بها من وَحى الجن زيْزَمُ (٥)

وربما لايعثر على معناها كجَحْلَنْجَع قال فى اللسان قال أبو تراب : كنت سمعت من أبى الهَمَيْسع حرفا وهو جحلنجع فذكرته لشمر بن حَمدَويه وتبرأت إليه من معرفتـــه وكان أبو الهميسع من أعراب مَدْين لانفهم كلامه وأنشدته ما كان أنشدنى :

إن تمنعى صوْبَك صوْبَ المدْمَع   يجرى على الخدّ كضئْب الثعْثَع
وطمحة صبيرُها جحْلَنْجع   لم يحضُها الجدْولُ بالتَّنَوُّع (٦)

قال فى المثل السائر ومن الغريب مايعاب استعماله فى النـــثر دون النظم كلفظ مشمخرّ فى أبيات بشر فى وصف الأسد :

وأطلقت المهنّد من يمينى   فقدّ له من الاضلاع عشْرا
فخرّ مضرّجا بدم كأنى   هدَمتُ به بناء مُشْمَخرّا (٧)

---

(١) أى متسعة (٢) المطر (٣) الوادى (٤) الوماة المفـازة ويقال للمستبد برأيه جحيش وحده بالتصغير عند إرادة الذم واعرورى الفرس ركبه عريانا (٥) الارقال ضرب من السير والهمرجلة الناقة السريعة والشيظم الشديد الطويل من الابل والخيل وشبرقت قطعت والتنوفية المفـازة والوحى الصوت الخفى وزيزم حكاية صوت الجن إذا قالت زى زى على زعمهم، يريد أنه حلف بما سارت حوله الناقة الشديدة السير العظيمة الخلق وبما قطعت من مفازة لايسمع فيها إلا صوت الجن (٦) الصوب المطر المنصب والضئب حب اللؤلؤ والثعثع اللؤلؤ والطمحة النظرة والصبير السحابة البيضاء وحضا النار حركها والجـدول النهر والتنوع تحريك الريح الغصن والتذبذب وصيرورة الشيء أنواعا (٧) قد قطع والمضرج الملطخ بالدم والمشمخر العالى

ولفظ الشدنية وهي ضرب من النوق في قول أبي تمام :

يا مُوضع الشَّدَنِيَّة الوَجْناء　　　ومُصَارع الادْلاجِ والاسْرَاء(١)

ثم قال : واعلم أن كل ما يسوغ استعماله في الكلام المنثور يسوغ استعماله في المنظوم دون العكس وذلك شيء استنبطته ودلني عليه الذوق .

وقال الجاحظ في البيان والتبيين : ورأيت الناس يديرون في كتبهم ، أن امرأة خاصمت زوجها إلى يحي بن يعْمَر فانتهرها مراراً فقال له يحي أ أنْ سألتك ثمن شَكْرها وَشبْرك أنشأت تَطُلُّها وتضْهَلُها (٢) ، فان كانوا قد رووا هذا الكلام لكي يدل على فصاحة وبلاغة فقد باعده الله من صفة البلاغة ، وإن كانوا فعلوا ذلك لأنه غريب فأبيات من شعر العجّاج والطِّرمّاح تأتي لهم مع الوصف الحسن على أكثر من ذلك .

٢ — احتياجها إلى التخريج على وجه بعيد حتى يفهم منها المعنى المقصود نحو مسَرجاً وصفا للأنف في قول رؤبة بن العجّاج (شاعر إسلامي) :

أيَّام أبْدتْ واضحا مُفَلَّجاً　　　أغرَّ برَّاقاً وطرفا أبْرَجا

ومُقْلَةً وحاجباً مُزَجَّجاً　　　وفاحماً ومَرْسِنا مُسرَّجاً (٣)

فالمرسن الأنف ولا يُدرى ماذا أراد بوصفه بمسرّج ، ومن ثم اختلف أئمة اللغة في تفسيره فابن دُرَيْد قال هو من قولهم للسيوف سُرَيْجيَّة أي منسوبة إلى حداد يسمى سُرَيجا فهو يريد تشبيهه بالسيف السريجي في الدقة والاستواء ، وابن سيدَه صاحب المحكم قال هو من السراج فهو يقصد أنه شبيه به في البريق

(١) الايضاع نوع من السير والوجناء عظيمة الوجنتين والادلاء والاسراء من سرى الليل
(٢) الشكر بفتح الشين وكسرها عضو التناسل والشبر النكاح وضهل فلان حقه نقصه وطله مطله (٣) الضمير في أبدت يعود إلى محبوبته ليلى في الأبيات قبله وواضحا أي فما فيه أسنان واضحة والفلج تباعد ما بين الأسنان والأغر الأبيض والبريق اللمعان والبرج بالتحريك عظم العين وحسنها والتزجيج التدقيق مع تقويس وفاحما أي شعراً أسود كالفحم

واللمعان ، وهـذا قريب من قولهم سرج وجهه بالكسر أى حسن ، وسرّج الله وجهه بهّجه وحسّنه .

وعلى كلا الحـالين فهو غـير ظـاهر الدلالة على ذلك المعنى ، لأن مادة فعّـل بالتشديد إنما تدل على مجرد نسبة شيء إلى آخر لا على التشبيه ، فدلالتهـا عليه بعيدة ، وقريب من هـذا امتناع استعمال اللفظ المشترك بين معنيين فأكثر بدون قرينة لما فيـه من دخول الحيرة على السامع كاستعمال اللفظ المشترك بين المعنى وضده إلا إذا وجدت قرينة تخصصه بالمراد نحو عزّر فانه لفظ مشترك بين التعظيم والإهانة فلا تقول لقيت فلانا فعزّرته إلا بقرينة ومن ثم لم يستعمله القرآن الكريم إلا مع القرينة فقال (والذين آمنوا معـه وعزروه ونصروه) فذكر النصر قرينة على إرادة التعظيم .

مخالفـة القياس

كون الكلمة غير جارية على القـانون الصرفى المستنبط من كلام العرب كجمع ناكس على نواكس بمعنى مطأطئ الرءوس فى قول الفرزدق :

وإذا الرجالُ رأوا يزيد رأيتهم ‌ ‌ ‌ خُضـعَ الرقاب نواكسَ الأبصار

« مع أن فواعل إنمـا تنقاس فى وصف لمؤنث عاقل لا لمذكر كما هنا » وكفك الادغام فى أجلل من قول أبى النجم بن قدامة من رجّاز الإسلام :

الحمـد لله العـلىّ الأجلل ‌ ‌ ‌ أنت مليك النـاس ربّـا فاقبل

واستعمال همزة القطع بدل همزة الوصل فى قول جميل :

ألا لا أرى إثنين أحسن شيمةً ‌ ‌ ‌ على حدثان الدهر منى ومن جُمْـل (١)

وعكسه فى قوله — إن لم أقاتل فألبسونى بُرْقـعاً .

---

(١) الشيمة الخلق ! والحدثان نوائب الدهر وجمل فرسه أو جمله

فهذا وأمثاله قبيح يشين الكلام ويذهب بمائه (١).

قال فى الصناعتين وإنما استعمل ذلك القدماء لأنهم كانوا أصحاب بداية، والبداية مزلة، مع أن أشعارهم لم تكن تُنتقد عليهم، ولو نُقدت كما تنقد على شعراء هذه الأزمنة ويُبَهْرَجَ (٢) من كلامهم ماكان فيه أدنى عيب لتجنبوه.

وقال القاضى عبد العزيز الجرجانى صاحب الوساطة بين المتنبي وخصومه، ولولا أن أهل الجاهلية جدوا بالتقدم واعتقد الناس فيهم أنهم القدوة والاعلام الحجة — لوجدت كثيراً من أشعارهم معيباً مترذلا ومردوداً منفياً، لكن هذا الظن الجليل ستر عليهم ونفى الظنّة عنهم فذهبت الخواطر فى الذّب عنهم كل مذهب وقامت فى الاحتجاج لهم كل مقام اهـ.

ويستثنى من ذلك ماثبت عن العرب من الشواذ نحو أبى يأبى (٣) وعور (٤) واستحوذ (٥) وقطط (٦) شعره.

الكراهة فى السمع

هى أن تمج الكلمة الأسماع، وتأنف منها الطباع لوحشيتها وغلظتها كالجرشّى بمعنى النفس فى قول أبى الطيب يمدح سيف الدولة:

مبارك الاسم أغرّ اللقبْ كريم الجرشّى شريف النسبْ (٧)

وكالنُّقاخ فيما أنشده شمر:

وأحق ممن يأْعقُ الماءَ قال لى دَع الخمر واشرب من نقاخ مبرّد (٨)

لكن البصير بصنعة الكلام يعلم أن استثقال الطبع لما يسمع، إنما يتصور من جهة غرابة الكلمة ووحشيتها، ففى ذكر الغرابة غُنْية عن ذكرها.

---

(١) حسنه ورونقه (٢) البهرج الردىء (٣) قياس مضارعه الكسر لأن المفتوح العين لايكون إلا إذا كانت عين ماضيه أولامه حرف حلق كسأل ونفع (٤) القياس فيه عار لتحرك الواو وانفتاح ماقبلها (٥) القياس استحاذ (٦) تجعد (٧) مبارك الاسم لأن اسمه على من العلو وأغر اللقب أى مشهوره لأنه سيف الدولة (٨) يلعق يلحس والنقاخ العذب من الماء

تدريب أول

بين ما أخل بفصاحة الكلمات التي وضعت بين قوسين .

قال المتنبي يمدح سيف الدولة :

١ — وما أرضى لمُقْلته بِحُلْمٍ   إذا انتبهت توهمه « ابتشاكا » (١)

٢ — لم يلقها إلا بشكّة باسل   يخشى الحوادث حازم « مستعْدد » (٢)

٣ — يانفس صبراً كل حيٍّ لاق   وكل « اثنـين » إلى افـتراق

٤ — فلا يبرم الأمرُ الذى هو « حالل »   ولا « يحلل » الأمر الذى هو يُبْرم

٥ — انَّ بنى للئامٌ زهَدَهْ   مالى فى صدورهم من « موْددَهْ »

٦ — كتب بعض أمراء بغداد رقعة طرحها فى المسجد الجامع حين مرضت أمه فقال صين امرؤ ورعى دعا لامرأة « إنْقَحلة » ، « مقسئنة » قد مُنيت بأكل الطرموق فأصابها من أجله « الاستمصال » أن يمن الله عليها « بالاطرغشاش » و « الابرغشاش » (٣) .

---

(١) الابتشاك الكذب والحلم والرؤيا التى يراها النائم

(٢) الضمير يعود إلى الحرب والشكة الخصلة والباسل الشجاع .

(٣) انقحلة يابسة ومقسئنة مسنة عجوز ومنيت ابتليت والطرموق الخفاش والاستمصال الاسهال والاطرغشاش والابرغشاش البرء من المرض .

الاجابة

الكلمة	الحكم	السبب
الابتشاك	غريبة	لقلة استعمالها ومن ثم قال الصاحب بن عبّاد لم يسمع هذا اللفظ فى شعر قديم ولا محدث
مستعدد	مخالف للقياس	إذ الواجب فى هذه الحالة الادغام
إثنين	» »	إذ جعل همزة الوصل همزة قطع وأثبتها
حالل	» »	إذ الواجب الادغام فى مثل هذا
يحلل	» »	» » » » » »
موددة	» »	» » » » » »
إنقحلة	غريبة متنافرة	لقلة الاستعمال وثقل النطق
مقسئنة	غريبة	» »
الاستمصال	غريبة متنافرة	» » » »
الاطرغشاش	» »	» » » »
الابرغشاش	» »	» » » »

تدريب ثان

بين ما أخل بفصاحة الكلمات التى وضعت بين قوسين .

١ — قال بن نُباته فى خطبة له يذكر أهوال يوم القيامة

(أقْطَرَ) وبالها ، و (اشمخرّ) نكالها ، فما ساغت ولاطابت (١)

٢ — يوم (عَصَبْصبُ) و (هاتُوف) ملا السجسج طلاً (٢)

---

(١) اقطر اشتد والوبال الثقل والوخامة واشمخر طال ٢) والعصبصب الشديد الحر والهلوف الذى يستر غمامه شمسه والسجسج الأرض السهلة والطل المطر الندى أو المطر القليل .

٣ ــ قدقلت لما (اطلخمّ) الأمر وانبعثت   عشواء تالية غبْسا « دهاريسا »[1]
٤ ــ نعم متاعُ الدنيا حباك به   أروع لا « جَيْدَرٌ » ولاجبسُ[2]
٥ ــ تقيٌّ نقيٌّ لم يكثّر غنيمة   بنْهكة ذى قربى ولا (بحقّلّد)[3]
٦ ــ قال امرؤ القيس حين أدركته المنية وكان قد ذهب إلى ملك الروم يستنجده على قتلة أبيه ، رب جفنة (مثعَنْجرهْ) ، وطعنة (مسحنْفرهْ) ، وخطبة مستحضَرهْ ، وقصيدة محبَّرهْ ، تبقى غداً بأنْقره[4]

الاجابة

السبب	الحكم	الكلمة
لثقل النطق بها	متنافرة	اقْطرّ
لقلة الاستعمال	غريبة	اشمخر
» »	»	عصبصب
» »	»	هاتّوف
لقلة استعمالها ووحشيتها	غريبة غليظة فى السمع	اطلخمّ
لقلة استعمالها ووحشيتها	» » » »	دهاريس
» » »	غريبة	جيدر
» » »	»	حقلد
» » وثقل النطق بها	» متنافرة	مثعنجرة
» » » » »	» »	مسحنفرة

(١) اطلخم اشتد وعظم والدهاريس الدواهي والعشواء الناقة الضعيفة البصر والغبس جمع أغبس وغبساء وهي الشديدة الظلمة وهو لأبى تمام وبعده :

لى حرمة بك أضحى حق نازلها   وقفا عليك فدتك النفس محبوبا

(٢) حباك أعطاك والاروع المعجب والجيدر القصير والجبس الثقيل .

(٣) النهكة الغلب والحقلد الاثم

(٤) المثعنجرة الملأى والمسحنفرة المتسعة وأنقرة بلد بآسيا الصغرى

تمرين (١)

بين ما أخل بفصاحة الكلمات التي وضعت بين قوسين :

١ ــ تشكو الوجى من (أظلل وأظلل) من طول إملال وظهر مملل [١]

٢ ــ فأرحام شعر تتصلن (لدنه) وأرحام مال ما تني تتقطع [٢]

٣ ــ رواق العز حولك (مسبطر) وملك على ابنك في كمال [٣]

٤ ــ لانسب اليوم ولا خلة (اتسع) الفتق على الراقع [٤]

٥ ــ فأيقنت أني عند ذلك ثائر غداتئذ أوهالك في (الهوالك) [٥]

٦ ــ قال أبو علقمة يوما لحاجمه ، أرهف ظبات المشارط ، وأمر المسح ، (واستنجل) الرشح ، وخفف الوطء ، وعجل النزع ، ولا تكرهن أبيا ، ولا تردن أتيا ، فقال له الحجام ليس لي علم بالحروف [٦]

تمرين (٢)

بين ما أخل بفصاحة الكلمات التي وضعت بين قوسين .

١ ــ جرت سحا فقلت لها (اخبريني) نوى مشمولة فمتى اللقاء [٧]

٢ ــ أعاذل قد جربت من خلقي أني أجود لأقوام وإن (ضننوا).

---

(١) الوجي الحفا والاظل باطن خف البعير وبعير مملل أكثر ركوبه حتى دبر ظهره

(٢) تني تتأخر ، وتتقطع تتمزق

(٣) مسبطر ممتد

(٤) الخلة الصداقة والفتق الشق والراقع مصلح الفتق

(٥) الثائر الذي لايبقي على شيء حتى يدرك ثأره

(٦) أرهف رقق والظبات جمع ظبة وهي السيف والموسى والمشارط جمع مشرط وهو مبضع الحجام الذي يشرط به الجلد واستنجل استخرج والرشح النز والأبي الممتنع والأتي الجائي والحروف هنا اللغات .

(٧) السح الشديدة والنوى البعد وهو خبر لمبتدأ محذوف أي هذه والمشمولة العامة

٣ — من كلام أم الهيثم الأعرابية لأبي عُبيدة الراوية وقد عادها في علة أصابتها، كنتُ وحمى (سدكَة)، وشهدت مأدُبة، فأكلت (جُبْجُبة)، من صفيف (هلَّعة) فاعترتني (زُلَّخة)، فقيل لها أي شيء تقولين، فقالت أو للناس كلامان، والله ما كلمتكم إلا بالعربي الفصيح [1]

٤ — يانرجس الدّنيا أقمْ أبدا (للاقتراح) ودائم النُّخَب [2]

٥ — قال بعض الأدباء لكاتبه يوصيه بحسن الجلسة للكتابة والاستماع لما يملى عليه، ألصق روانفك (بالجبُوب)، وخذ المسْطر (بشَناترك)، واجعل (حُنْدُورتيك) إلى (قَيْهَلي)، حتى لاأنغَى نغْيةً، إلاأودعتها (حَماطة جُلجلانك) [3]

فصاحة الكلام

يراد بالكلام هنا مايشمل المركب التام والناقص [4]

وفصاحته تكون بسلامته من كل ماينغلق به معناه وينبهم مغزاه، وإلا كان مردوداً خارجا عن حدود البلاغة، ورسوم الفصاحة، ولو احتوى على أجل المعاني وأشرفها وإنما يتم له ذلك إذا عرى عن الأشياء الآتية:

١ — تنافر الكلمات مجتمعة، ويدخل فيه كثرة التكرار وتتابع الاضافات

٢ — ضعف التأليف

٣ — التعقيد اللفظي

٤ — التعقيد المعنوي

---

(١) سدكة مشتهية للطعام والجبجبة كرش يحشى باللحم المقطع والصفيف الشواء والهلعة أنثى المعز والزلخة وجع في الظهر (٢) الاقتراح الابتداع والاختيار والنخب الشربة العظيمة من الخمر وغيرها (٣) الروانف جمع رانفة الألية والجبوب الأرض والقلم والشناتر الأصابع والحندورتان حدقتا العين والقيهل الوجه والحماطة حبة القلب والجلجلان الصدر (٤) كالمركب الاضافي والمركب التقييدي . وهومجاز من إطلاق الخاص على العام

تنافر الكلمات — المعاظلة [1] اللفظية

هو وصف يعرض للكلمات مجتمعة فيوجب ثقلها واضطراب اللسان عند النطق بها، وقد علم بالاستقراء أن منشأه إما :

١ — تكرير حرف أو حرفين من كلمة فى المنثور أو المنظوم، وهو قسمان

(ا) ما اشتد ثقله وتناهى كالذى أنشده الجاحظ :

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قفرُ   وليس قرْبَ قبرِ حَربٍ قبرُ [2]

فأنت ترى أن قافاته وراءاته قلقة نابية، وكأنها سلسلة تتبرأ بعض حلقاتها من بعض .

(ب) ما كان فيه بعض الثقل كقول أبى تمام :

كريمٌ متى أمدحهُ أمدحهُ والورى   معى وإذا مالمته لمتُه وحدى [3]

وقول المتنبي :

كيف ترْثى التى ترى كلَّ جفْنٍ   راءها غير جفنها غير راقى [4]

فتكرار الحاء والهاء المتقاربتى المخرج فى بيت أبى تمام، والجيم والراء فى أكثر كلمات بيت المتنبي، أوجب الثقل فيهما .

وقال بعض الوعاظ فى كلام أورده (حتى جنأتُ وَجَنات جَنات الحبيب) فلما سمعه بعض الحاضرين صاح وقال، سمعت جيما فى جيم فى جيم فصحت .

٢ — إيراد أفعال يتبع بعضها بعضا بدون عطف، سواء اختلفت بين المضى والاستقبال نحو قول القاضى الأرجانى يحدث عن الشمع :

---

(١) عاظل الكلام عقده ووالى بعضه فوق بعض (٢) حرب هو حرب بن أمية بن عبد شمس ولشدة الثقل فيه زعموا أنه من شعر الجن قالوه لما قتلوه بثأر حية منهم ودفنوه بناحية بعيدة وقفر نعت مقطوع للضرورة أو هو خبر والباء بمعنى فى أى مكان (٣) وفيه عيب آخر وهو مقابلة المدح باللوم وإنما يقابل بالذم وكأنه أراد أن ينفى الذم عنه بنفيه اللوم بالطريق الأولى (٤) راءها رآها فحصل فيه إعلال بالقلب بتقديم الألف وتأخير الهمزة ورقا الدمع والدم انقطع، يريد أنها لاترحم باكيا لأنها تحسب الدمع فى أجفان العشاق خلقيا .

بالنـار فرّقت الحوادث بيننا وبها نذرت أعود أقتل روحى[1]

أم لم تختلف كقول المتنبي يمدح سيف الدولة :

أقلْ أنلْ أقطع احملْ علّ سلّ أعدْ زدْ هشّ بشّ تفضّلْ أدنْ سُرّ صلِ[2]

فورود نذرت أعود أقتل متتابعة على تلك الشاكلة فى البيت الأول جاء ثقيلا متعاظلا ، كما أن مجىء أفعال الأمر متكررة فى البيت الثانى جعل للثقل فيها حظا عظيما — فإن جاءت الأفعال مع حرف العطف لم تكن فى الثقل كالأول نحو قول عبد السلام بن رُغبان المعروف بديك الجن .

أحلُ وامررْ وضرْ وانفعْ ولنْ واخشُنْ وأبرِر ثم انتدبْ للمعالى[3]

٣ — إيراد صفات متعددة على طريق واحدة كقول المتنبي فى المديح وقد أولع كثيراً بهذا النوع .

دان بعيد مُحب مُبغض بهج أغرّ حُلو مُمرّ لّين شرس
ند أبىّ غر واف أخى ثقة جعْد سرىّ نَه نَدب رضىّ ندس[4]

ولا يخفى مافيه من الثقل فما أشبهه بسلسلة طويلة متصلة الحلقات .

٤ — تعاقب الأدوات ومجىء بعضها إثر بعض كمن وإلى وفى وعن وعلى كقول أبى تمام :

كأنّه فى إجتماع الرّوح فيه له فى كل جارحة من جسمه روح[5]

---

(١) يقول بلسان الشمع أنه الف العسل وهو أخوه الذى ربي معه ، لكن النار فرقت بينه وبينه وأنه نذر أن يقتل نفسه بها أيضاً من ألم الفراق .

(٢) أقل من الاقالة وأقطع من الأقطاع لأرض ونحوها وعل من العلو وصل أى بالعطية .

(٣) أبرر من قولهم أبرالبمين أمضاها على الصدق وانتدب لكذا ساسها .

(٤) الشرس الصلب هنا والعرى المغرى يفعل الجميل وجعد الماضى فى الأمور والسرى الشريف والنهى العاقل والندب السريع فى أموره والندس العارف البحاثة ، يريد أنه محب لأهل الفضل مبغض لأهل النقص يبهج بالقصاد ويحلو لاوليائه ويمر على أعدائه .

(٥) الجارحة العضو يريد أنه يقظ نشيط .

وقول المتنبي يصف فرساً :

وتسعدني في غمرة بعد غمرة   سبوحٌ لها منها عليها شواهد (١)

فجيء في بعد له في البيت الأول ، ولها منها عليها في البيت الثاني ، أورث فيهما ثقلا جعل اللسان يتعثر عند النطق بهما ، قال صاحب الصناعتين ، وسبيل تلافي ذلك أن تفصل بين الحرفين كأن تقول أقمت به شهيداً عليه .

٥ — تتابع الإضافات كأن تقول سرج فرس تابع الأمير ، وعليه ورد قول ابن بابك .

حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي   فأنت بمرأى من سعاد ومسمع (٢)

قال في دلائل الاعجاز ، ومن شأن هذا الضرب أن يدخله الإستكراه ، قال الصاحب بن عباد ، إياك والإضافات المتداخلة ، وذكر أنه يستعمل في الهجاء كقوله :

ياعليُّ بن حمزة بن عماره   أنت والله ثلجةٌ في خياره (٣)

(تنبيه) لا يقبح القسمان الأخيران إلا إذا أوجبا ثقلا على اللسان ، وإلا فلا يخلان بالفصاحة ، فقد تكررت الأدوات وكانت حسنة مليحة في قول قطري بن الفجاءة :

ولقد أراني للرماح دريئةً   من عن يميني مرةً وأمامي (٤)

كما تكررت الإضافات ولطفت في قوله تعالى (ذكر رحمة ربك عبده زكريا)

وقول ابن المعتز :

وظلت تدير الراح أيدى جآذر   عتاق دنانير الوجوه ملاح (٥)

---

(١) الغمرة الشدة والسبوح الفرس الحسن العدو الذى لا يتعب راكبه كأنه يسبح في الماء يريد أنه يعينه على الشدائد وله شواهد دالة على كرم خصاله (٢) الجرعى تأنيث الأجرع وهى الرملة لا تنبت شيئا والحومة معظم الشيء والجندل الحجارة والسجع هديل الحمام ، المعنى اطربي لأن الحبيبة تراك وتسمعك (٣) قوله ثلجة في خباره أى خبارة في ثلجة ، وفي هذا اشتباه من عبد القاهر لأنه ليس فيه تتابع إضافات (٤) الدريئة الحلقة التي يتعلم عليها الطعن والرمي [النشان] (٥) الراح الخمر والجآذر جمع جؤذر ولد البقر الوحشية تشبه به الحسان لجمال عينيه ، والعتاق النجائب ودنانير الوجوه أى وجوههم متلألئة كالدنانير .

ومن ذلك تعلم أنه لا وجه لعد هذين القسمين بعيدين عن التنافر .

ضعف التأليف

هو أن يكون تأليف الكلام مخالفاً لما اشتهر من قوانين النحو المشهورة كوصل الضميرين وتقديم غير الأعرف (مع وجوب الفصل فى نحو هذا) كقول المتنبي :

خلت البلاد من الغزالة ليلها فأعاضهاك الله كى لا تحزنا [1]

وكنصب المضارع بلا ناصب نحو :

أنظرا قبـــل تلومانى إلى طلل بين النقا والمنحنى [2]

وكحذف نون يكن فى الجزم حين يليها ساكن نحو :

لم يكُ الحق سوى أن هاجه رسمُ دار قد تعفّت بالمرر [3]

وكالاضمار قبل الذكر لفظاً ومعنى وحكما [4] فى قول حسان بن ثابت :

ولو أن مجداً أخلد الدهرَ واحداً من الناس أبقى مجدُه الدهرَ مُطعما [5]

التعقيد

هو ألا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد ، ولذلك سببان ، أحدهما يرجع إلى خلل فى النظم والتركيب وهو التعقيد اللفظى ، وثانيهما يرجع إلى المعنى وهو التعقيد المعنوى .

التعقيد اللفظى [6]

حقيقته أن تكون الألفاظ مرتبة لا على وفق ترتيب المعانى ، فيفسد نظام

(١) الغزالة الشمس ، يريد أن البلاد إذا خلت من الشمس ليلا جعلك الله عوضاً منها .
(٢) الطلل ما بقى من آثار الديار والنقا والمنحنى موضعان (٣) هاج ثار ورسم الدار أثرها وتعفت درست واضمحلت والمرر موضع (٤) فان تقدم الضمير لفظاً وتأخر معنى جاز نحو ضرب غلامه محمد وكذا إن تقدم لفظاً وتأخر حكما نحو نعم رجلا على (٥) يرثى مطعم بن عدى أحد رؤساء المشركين وكان يدافع عن النبي عليه الصلاة والسلام (٦) قد يحصل التعقيد باجتماع عدة أمور موجبة لصعوبة فهم المعنى وان كان كل منها جاريا على قانون النحو فلا يغنى ذكر ضعف التأليف عنه

الـكلام وتأليفه بسبب ما يحصل فيه من تقديم وتأخير ونحو ذلك كتقديم الصفة على الموصوف ، والصلة على الموصول .

وهو مذموم مرفوض عند أهل البيان لأنه يوجب اختلال المعنى واضطرابه ، وذلك ضد الفصاحة التى هى ظهور وإبانة ، ومن ثم قال العتابى : الالفاظ أجساد والمعانى أرواح ، وإنما تراها بعين القلوب ، فاذا قدمت منها مؤخراً أو أخرت منها مقدماً ، أفسدت الصورة وغيرت المعنى ، كما لو حول رأس إلى موضع يد أو يد إلى موضع رجل فان الخلقة تتحول والحلية تتغير .

وأكثر من استعمله الفرزدق وكأنه كان يقصده لأن مثله لا يجىء إلا متكلفاً ، إذ لو خلى الانسان ونفسه تجرى على سجيتها فى الاسترسال لم يعرض لها شىء من هذا النوع فمن ذلك قوله يمدح الوليد بن عبد الملك :

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره (١)

يريد ، إلى ملك أبوه ليست أمه من محارب ، فقدم وأخر حتى أبهم المعنى .

وقوله فى البيت المشهور الذى جرى مجرى المثـــل فى التعقيد يمدح به إبراهيم ابن هشام بن إسماعيل المخزومى خال هشام بن عبد الملك :

وما مثله فى الناس إلا مملـكا أبو أمه حى أبوه يقاربه (٢)

مراده وما مثل هذا الممدوح فى الناس حى يقاربه ويشبهه فى الفضائل إلا مملـكا أبو أم ذلك المملك أبو الممدوح ، فيكون الممدوح خال الملك . وخلاصة ذلك أنه لا يماثله إلا ابن أخته .

فانظر رعاك الله كيف عقد المعنى وصار به إلى التعمية دون الإفصاح ، ولهذا قال الرمانى ، قد اجتمع فى البيت أسباب الإشكال الثلاثة ، سوء الترتيب وبه تغير نظام الـكلام ، وسلوك الطريق الا بعد فى قوله أبو أمه أبوه وكان يجزئه أن يقول خاله

(١) محارب وكليب قبيلتان (٢) فصل فيه بين المبتدأ والخبر وهو أبو أمه أبوه بالأجنبى الذى هو حى ، وبين الموصول والصفة أعنى حى يقاربه بالأجنبى الذى هو أبوه وتقديم المستثنى أعنى مملـكا على المستثنى منـه وهو حى وفصل كثير بين البدل وهو حى والمبدل منه وهو مثله .

وإيقاع مشترك الألفاظ فى قوله حى يقاربه ، لأنها لفظة تشترك فيها القبيلة والحى من سائر الحيوان بالحياة .

قال فى المثل السائر ومن أقبح هذا النوع قول الآخر :

فأصبحت بعد خَطّ بَهْجَتِها كأن قفرا رُسُومَها قلما (١)

يريد فأصبحت بعد بهجتها قفرا كأن قلما خــط رسومها ، ففصل بين الفعل الناقص وخبره ، وبين كأن واسمها ، وبين المضاف والمضاف إليه ، وقدم خبر كأن عليها وعلى اسمها .

التعقيد المعنوى

هو خفاء دلالة الكلام على المعنى المراد من أجل ما عاقها من اللوازم البعيدة والكنايات المفتقرة إلى وسائط ، أو اللوازم القريبة الخفية العلاقة ، مع عدم ظهور القرائن الداله على المقصود فيعجز الكلام عن أداء المعنى ، كقول العباس ابن الأحنف :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

يريد أنه يتحمل الفراق وآلامه ، ويوطن النفس على الحزن والأسى ، علّه يحظى بوصل يدوم ، وسرور لا ينقطع ، فطالما نال الصابرون أمانيهم ، وفرجت كروبهم ، وهــذا المعنى مطروق لهجت به ألسن الشعراء والكتاب ، قال عُروة ابن الورد :

تقول سُليمى لو أقمتَ بأرضنا ولم تدر أنى للمقام أطوّف

وقال أبو تمام :

آلفة النحيب كم افتراق أظل فكان داعيةَ اجتماع (٢)

وقيل للربيع بن خيثم وقد صلى ليلة حتى أصبح — أتعبت نفسك فقال راحتها أطلب .

(١) الظاهر أنه يصف ديارا درست وعفت آثارها (٢) ألم نزل ، والنحيب البكا .

إلا أن ابن الاحنف لم يتم له ماأراد على سنن قويم ، فانه كنى عما قصد بكنايتين أصاب فى أولاهما المحزّ وطبّق المفصل ، وأخطأ فى أخراهما وجه الحقيقة ، ولم يسلك المهيع الواضح فى الرمز والإيماء إلى ما أرد — بيان هذا أنه دلّ بديئاً بسكب الدمع على ما يلزم فرقة الأحباب من الحزن والكمد والتعب والنصب ، فأصاب شاكلة الصواب ، فان البكاء عنوان الحزن والامارة الدالة عليه ، فيرمز به اليه حتى قالوا (أبكانى وأضحكنى) على معنى ساءنى وسرنى ، كما قال الحماسى :

أبكانىَ الدهرُ ويا رُبّما أضحكنى الدهرُ بما يرضى (١)

ثم تلا ذلك فدل بجمود العين على مايوجبه دوام التلاقى من الفرح والسرور، لكن التوفيق لم يكن حليفه فى هذا ، إذ الجود إنما هو خلو العين من البكاء عند الداعية اليه ، فهو كناية عن البخل بالدموع حين الحاجة اليها كما قال أبو عطاء يرثى ابن هُبَيرة :

ألا إنّ عينا لم تجُد يوم واسط عليك بجارى دمعها لَجَمُودُ

لا كناية عن السرور لأنه لوصح ذلك لجاز أن يدعى به فيقال لا زالت عينك جامدة ، كما يقال لا أبكى الله عينك ، ولا خفاء فى بطلان ذلك كما يرشد اليه قول أهل اللغة سنة جماد لا مطر فيها وناقة جماد لا لبن فيها ، على معنى أن السنة بخيلة بالقطر والناقة لا تسخو بالدّر .

وهكذا حال الكنايات التى استعملها العرب لأغراض إذا غيرها المتكلم وأراد بها أغراضا أخرى كما إذا استعمل قولهم بيته كثير الجرذان ، كناية عن وسخ المنزل وسوء نظامه ، وقولهم أبيض سربال الطباخ كناية عن نظافة الطاهى وحسن هندامه — كان ذلك خروجا من سنن العرب واستعمالاتهم وعد ذلك تعقيداً إذ هذا غير ما يتبادر إلى الفهم لأن العرب كنت بالأولى عن كثرة الطعام وبالثانية عن البخل .

---

(١) قبله : أنزلنى الدهر على حكمه * من شامخ عال إلى خفض .

تدريب أول

اذكر ما أخل بفصاحة الكلام فيما يلى :

١ — تعال فإنْ عاهدتنى لا تخوننى ‏ ‏ نكنْ مثل من ياذئب يصطحبان

٢ — لما رأى طالبوه مُصعباً ذُعروا ‏ ‏ وكاد لو ساعد المقدورُ ينتصر

٣ — لو كنت كنت كتمت السر كنت كما ‏ ‏ كنا وكنتَ ولكن ذاك لم يكُن

٤ — لما عصى أصحابُه مُصعباً ‏ ‏ أدّوا اليه الكيل كيلا بصاع

٥ — ولم أر مثل جيرانى ومثلى ‏ ‏ لمثلى عند مثلهمُ مُقام

الإجابة

١ — فى البيت تعقيد لفظى . إذ تقديره نكن يا ذئب مثل من يصطحبان .

٢ — فيه ضعف التأليف . لأن الضمير فى طالبوه يعود إلى مصعب وهو متأخر لفظا ومرتبة .

٣ — فيه تنافر فى الكلمات . أوجبه تكرار لفظ كنت عدة مرات .

٤ — فيه ضعف التأليف . لأن الضمير فى أصحابه يعود إلى مصعب المتأخر لفظاً ومرتبة .

٥ — فيه تنافر فى الكلمات . سببه تكرار لفظ مثل :

تدريب ثان

اذكر ما أخل بفصاحة الكلام فيما يلى :

١ — ولذا اسم أغطية العيون جفونُها ‏ ‏ من أنها عملَ السيوف عواملَ

٢ — تجمّعت فى فؤاده هممٌ ‏ ‏ ملْء فؤاد الزمان إحداها

٣ — ألا ليت شعرى هل يلومَنّ قومُهُ ‏ ‏ زُهيراً على ما جرّ من كل جانب

٤ — لولم تكن من ذا الورى اللذ منك هُوْ عقمتْ بمولد نسلها حَوّاءُ
٥ — قبيلٌ أنتَ أنتَ وأنت منهمْ وجدُّك بشرٌ الملك الهمامُ
٦ — جواب مُسَائلى اله نظيرٌ ولا لك فى سؤالك لا ألالا

الإجابة

١ — فيه تعقيد لفظى . لأن تقديره من أجل أن العيون عوامل عمل السيوف . سميت أغطيتها جفونا .

٢ — فيه تنافر . أوجبه ثقل النطق بالهاء والميم مجتمعتين فى كلمتين .

٣ — « ضعف التأليف . لأن الضمير فى قومه يعود إلى متأخر لفظاً ورتبة .

٤ — « تنافر . لثقل تأليف البيت وركة صوغه .

٥ — فيه تعقيد وتنافر . لأن تقديره قبيل أنت على شرف قدرك ، أنت منهم ، وأنت أنت ، وإذا كنت أنت منهم وجدك بشر فكفاهم بذلك فخراً .

٦ — فيه تنافر . أوجبه تكرار لا عدة مرات ، حتى قال الصاحب بن عبَّاد ما قدرت أن مثل هذا البيت يلج سمعا وقد سمعت المأماء ولم أسمع باللألاء حتى رأيت هذا المتكلف المتعسف الذى لا يقف حيث يعرف .

تمرين (١)

اذكر سبب خروج ما يأتى من الأساليب الفصيحة :

١ — وازورّ من كان له زائراً وعاف عافى العُرْف عرفانُه [١]
٢ — لم تر من نادمتُ إلا كا لا لسوى ودّك لى ذاكا
٣ — وبه يضنّ على البريّة لا بها وعليه منها لا عليها يُوسى [٢]

(١) ازور عدل وعاف كره والعافى طالب المعروف والعرف النوال والعطاء .
(٢) الضن البخل والبرية : الخلق يوسى : يحزن ، يريد أنه يبخل بالممدوح على الناس كلهم لابهم يبخل عليه .

٤ — هو السيف الذى نصرن أروى به عثمان مروان المصابا
٥ — وتنهنهت نفسى بعدما كدت أفعله[1] :
٦ — الطيب أنت إذا أصابك طيبه والماء أنت إذا اغتسلت الغاسل[2]

تمرين (٢)

(١) وقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا قلاقل عيس كلهن قلاقل[3]
(٢) ليس إلاك يا على همام سيفه دون عرضه مسلول
(٣) ومن جاهل بى وهو يجهل جهله ويجهل علمى أنه بى جاهل
(٤) صان اللئيم وصنت وجهى ماله وونى فلم يبذل ولم أتبذل[4]
(٥) فما من فتى كنا من الناس واحدا به نبتغى منهم عديلا نبادله[5]
(٦) فتنتنى فجننتنى تجنى بتجن يفتن غب تجنى[6]
(٧) زار داود دار أروى وأروى ذات دل إذا رأت داودا[7]

فصاحة المتكلم

هى صفة راسخة فى نفس المتكلم يقتدر بها على التعبير عما يجول فى خاطره من الأغراض والمقاصد .

وبتلك الصفة يتمكن من صياغة ضروب الكلام من مديح وهجاء وتهان ومراث ،

(١) نهنه كف وزجر (٢) يريد أنك أطيب من الطيب وأطهر من الماء إذا اغتسلت به (٣) قلقل حرك والحشا داخل الجوف وقلاقل الأولى جمع قلقلة وهى الناقة السريعة والثانية جمع قلقلة وهى الحركة ، وضمير كلهن للعيس لا للقلاقل ، والمعنى حركت بسبب الهم الذى حرك نفسى نوقا خفافا فى السير سريعات الحركة (٤) الأصل صان اللئيم ماله ووبى فلم يبذل وصنت وجهى ولم أتبذل (٥) تقديره فما فتى واحدا من الناس كنا نبتغى به عديلا نبادله منهم أى أنه لا نظير له يكون عوضاً منه (٦) تجنى آخر المصراع الأول اسم امرأة وبتجن أى بدعوى ذنب ويفتن تنوع وغب عقب (٧) أروى اسم امرأة والدل الدلال .

وخطب محبرة ورسائل منمقة فى الوعظ والإرشاد والمفاخرات والمنافرات .

ولن يبلغ شاعر أو ناثر هذه المنزلة إلا إذا كان ملماً باللغة كثير الاطلاع على كتب الأدب ، محيطاً بأسرار أساليب العرب ، حافظا لعيون كلامهم من شعر جيد ونثر مختار ، عالما بأحوال الشعراء والخطباء ، ومجالس الملوك والأمراء ، محيطاً بعادات العرب وأخبار أيامهم .

البلاغة

تقع البلاغة وصفا للكلام ، والمتكلم ، ولم يسمع وصف الكلمة بها .

بلاغة الكلام

بلاغة الكلام مطابقته لمقتضى الحال التى يورد فيها مع فصاحته (١) .

ولن يطابق الحال إلا إذا كان وفق عقول المخاطبين واعتبار طبقاتهم فى البيان وقوة المنطق ، فللسوقة كلام لا يصلح غيره فى موضعه والغرض الذى يبنى له ، ولسراة القوم والأمراء فن آخر لا يسد مسده سواه ، ولقد أفصح عن ذلك الحطيئة حين خاطب عمر بن الخطاب فقال :

تحنَّن علىّ هداك المليك فان لكل مقام مقالا

قال صاحب الصناعتين ، وربما غلب سوء الرأى وقلة العقل على بعض علماء العربية فيخاطبون السوقى والمملوك والأعجمى بألفاظ أهل نجد والسَّراة كأبى علقمة إذ قال للطبيب (أجد رسيسا فى أسناخى وأرى وجعاً فيما بين الوابلة الى الأطرة من دأيات العنق (٢)) فقال له الطبيب (متهكما) هى من وجع القرشى ، قال له

---

(١) فاذا قلت فلان مستعدد للأمر لم يكن بليغاً (٢) الرسيس ابتداء الحمى إذا فتر الجسم والأسناخ منابت الاسنان والوابلة طرف الكتف والاطرة كل ما أحاط بشىء ودأيات العنق فقارها .

وما يعدنا منهم يا عديّ نفسه ، نحن من أرومة واحدة ونجل واحد ، قال الطبيب كذبت ركلما خرج هذا الكلام من جوفك كان أهون لك ، قال بل لك الهوان والخسارة والسباب .

ومما سبق تعلم أن .

(١) الحال (المقام) هو الأمر الذى يدعو المتكلم إلى إيراد خصوصية فى التركيب .

(٢) المقتضى (الاعتبار المناسب) هو الصورة المخصوصة التى تورد عليها العبارة .

(٣) مقتضى الحال هو إيراد الكلام على تلك الصورة .

فمثلا الوعظ حال ومقام يقتضى البسط والأطناب ، وذلك البسط مقتضى ، وإيراد الكلام على صورة الاطناب مطابقة للمقتضى .

وكذا كون المخاطب منكرا يوم البعث حال يقتضى التأكيد ، والتأكيد مقتضىً ، وكونك تخاطبه بقولك (إن يوم الساعة لا شك فيه) مطابقة لمقتضى الحال ، وهكذا مقام الذكى يخالف فى الخطاب مقام الغبي ، ومقام الذكر يباين مقام الحذف لأن لكل منهما من الاعتبارات واللطائف ما يخالف ضده .

مراتب البلاغة

بلاغة الكلام متفاوتة لأن الالفاظ إذا ركبت لإفادة المعانى المرادة منها حصل لها بالتركيب صور مختلفة لا يحصرها العد ، ألا ترى أن طلبة الفرقة إذا كتبوا فى موضوع واحد فى منشآتهم تناولوا معانى متقاربة أو متشابهة ، لكنهم يتفاوتون فى الاشياء الآتية :

(١) العبارة التى ينشئونها .
(٢) ترتيب المعانى .
(٣) بسط الالفاظ أو إيجازها .

وكلما كان المتكلم أكثر مراعاة للمقتضيات والاعتبارات ازداد الكلام حسناً، وكلما كان أوفى بها كان أبلغ ، وبالعكس إذا قل وفاؤه بتلك الخصوصيات المعتبرة عند البلغاء كان أقل مرتبة في البلاغة ، ولايزال ينزل حتى يصل إلى المرتبة السفلى فيلتحق عند البلغاء بأصوات الحيوان وإن كان صحيح الاعراب .

والمرتبة العليا ومايقرب منها هى مرتبة المعجز وهو كلام الله تعالى الذى عجز البشر قاطبة أن يأتوا بأقصر سورة من مثله ، وقد نزل فى أرقى العصور فصاحة وأكثرها بلاغة ، ومع ذلك وجم العرب وخرست شقاشقهم مع طول التحدى وشد النكير عليهم وحقت له الكلمة العليا .

ثم يليه فى الرتبة كلام رسوله عليه السلام فقد أوتى من جوامع الكلم ماحارت فى أمره جهابذة الفصاحة وأساطين البلاغة ، ثم كلام البلغاء من العرب جاهليين وإسلاميين .

شواهد

من فصيح الكلام تشرح أسرار الفصاحة وتبين مراتب البلاغة .

القرآن الكريم هو الينبوع الذى لايغيض ماؤه ، والشجرة التى لاينقطع ثمرها والجديد الذى لاتبلى جدته ، فقد ضرب الأمثال . وتفجرت منه ضروب الحكمة ، وقص علينا من أخبار الماضين وسير الغابرين ما فيه العبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وبسط ذلك برائع الأساليب ، وبديع التراكيب ، انظر إلى ماجاء فيه عند ذكر الحساب والصراط والميزان تجد اللفظ الجزل والقول الفصل نحو (ونُفخَ فى الصُّور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نُفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون . وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء وقُضى بينهم بالحق وهم لايظلمون) كما تجد السهل المهلهل خطاباً

لنبيـــه عليه السلام نحو (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلا) إلى آخرها .

وقد اغترفت السنة النبوية من ذلك البحر وقطفت من تلك الرياض ، فأوتيت من موجز الحكم وجامع الكلم مالا يزال نجعة الرائد ، وكعبة القاصد ، فمن جزلها قوله عليه السلام (يابن آدم تؤتى كل يوم برزقك وأنت تحزن ، وينقص كلُّ يوم من عمرك وأنت تفرح ، أنت فيما يكفيك ، وتطلب مايطغيك ، لابقليل تقنع ، ولا بكثير تشبع) ومن موامها وسهلها قوله عليه السلام (كن فى الدنيا كأنك غريب أوعابر سبيل ، واعدد نفسك فى الموتى ، فإذا أمسيتَ فلا تحدّثها بالصباح ، وإذا أصبحت فلا تحدثها بالمساء ، وخذ من صحتك لسقمك ، ومن شبابك لهرَمك ، ومن فراغك لشغلك) .

وإن شئت إيضاحا وبيانا ، وعلما وعرفانا ، فوازن بين قول النمر بن توْلب يذم الحياة :

يودّ الفتى طول الســـلامة والغنى	فكيف ترى طول السلامة يفعلُ
يكاد الفتى بعد اعتـــدال وصحة	ينوء إذا رام القيـــام ويُحمل

وقول الفنْد الزّمانى :

أيا تَمْلك يا تَمْلى	وذاتَ الطوق والحجْل
ذرينى وذرى عـذلى	فإنّ العذلَ كالقتْل

تجد المدى واسعا والهوْة بينهما سحيقة والتفاوت لاحد لغايتـه .

أو اقرن بين قول مَعْن بن أوس فى الفخر :

لعمْرك ما أهويْتُ كفى لريبة	ولاحملتْنى نحو فاحشة رجْلى
ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها	ولا دلّنى رأيى عليها ولا عقلى
وأعلم أنىّ لم تصبنى مصيبـة	من الدهر إلاقد أصابت فتى قبلى

وقول بشار بن برد:

ربابة ربة البيت ... تصب الخل فى الزيت
لها عشر دجاجات ... وديك حسن الصوت

ترى عجبا عاجبا وتفاوتا فى الصنعة لا يحتاج إلى مراء أو جدل .

وإن شائك أن تعرف فاخر الكلام ورصينه ، ومايسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، ومالا يكون لفظه أسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك ، وما قالوا فى مثله إنه يدخل فى الآذان بلا استئذان ، فانظر قول الرقاشى فى العظة والاعتبار (سل الأرض من شق أنهارك ، وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك ، فان لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا) وقول بعض الكتاب .

مثلك أوجب حقا لايجب عليه ، وسمح بحق وجب له ، وقبل واضح العذر ، واستكثر قليل الشكر ، لازالت أياديك فوق شكر أوليائك ، ونعمة الله عليك فوق آمالهم فيك .

بلاغة (١) المتكلم

هى ملكة يقتدر بها على التصرف فى فنون الكلام وأغراضه المختلفة ، ببديع القول وساحر البيان ، ليبلغ من المخاطب غاية مايريد ، ويقع لديه الكلام موقع الماء من ذى الغلة الصادى ، وتلك الملكة لايصل إليها إلا من أحاط بأساليب العرب خبرا ، وعرف سنن تخاطبهم فى منافراتهم ومفاخراتهم ؛ ومديحهم وهجوهم، واعتذارهم وشكرهم ، ليلبس لكل حال لبوسها ، ويراعى الخصائص والمقتضيات التى تناسبها .

---

(١) قال صاحب الصناعتين وصف المتكلم بالبلاغة من قبل التوسع والمجاز وحقيقته مبلغ الكلام كما تقول رجل محكم وتعنى إحكام أفعاله كما قال تعالى حكمة بالغة فوصف الحكمة بالبلاغة ولم يصف بها الحكيم .

أنظر إلى النبي عليه السلام تجده راعى حال من يخاطبه فكتب إلى أهل فارس بما يسهل ترجمته فقال (من محمد رسول الله إلى كسرى أَبْرَوَيْزَ عظيم فارسَ . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ؛ فأدعوك بداعية الاسلام فانى أنا رسول الله إلى الخلق كافة ، ليُنْذِر من كان حيًّا ويحق القول على الكافرين ، فأسلم تسلم ، فإن أبيت فإثم المجوس عليكَ) .

وكتب بعد هذا إلى وائل بن حُجْر الحضرمى وقومه ففخّم لهم اللفظ لما عرف من فضل قوتهم على فهمه ؛ وعادتهم سماع مثله فقال (من محمد رسول الله إلى الأقيال العباهلة من أهل حضرموت باقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، على التيعة الشاةُ والتيمةُ لصاحبها ، وفى السيوب الخمسُ ، لاخلاط ولاوراط ؛ ولاشناق ولاشغار ؛ ومن أجبى فقد أربى ؛ وكل مسكر حرامٌ)(١) .

متممات

أولا : علمت مما سبق فى بيان تعريف الفصاحة والبلاغة مايعتور الكلام من العيوب ، ويزرى بقيمته ويحط من قدره ، فوجب أن تعرف بم تداوى هذه العيوب فنقول :

(ا) مخالفة القياس — يمكن تجنبها بالاطلاع على علم التصريف فهو الكفيل بمعرفة سنن المفردات العربية ونهج استعمالها ، ألا ترى أن نافع بن أبى نعيم وهو من

---

(١) الاقيال واحدة قيل بفتح القاف وهو الملك والعباهلة الذين أقروا على ملكهم والتيعة الأربعون من الغنم والتيمة الزائدة على الأربعين حتى تبلغ الفريضة الأخرى والسيوب المعادن ولاخلاط أى لايخلط رجل أبله بإبل غيره أوبقره لمنع الصدقة والوراط الخديعة والغش والشناق مابين الفريضتين حتى تتم والشغار أن يزوج كل واحد صاحبه امرأة على أن يزوجه أخرى بلا مهر والاجباء بيع الزرع قبل أن يبدو صلاحه .

أكابر القراء السبعة قدراً وأفخمهم شأناً قال فى معايش، معائش بالهمز مع أن الياء (١) فيها ليست زائدة لأنها من العيش، فعيب عليه ذلك حتى إن أبا عثمان المازنى قال إن نافعاً لم يدر ما العربية .

(ب) ضعف التأليف والتعقيد اللفظى — يتباعد عنهما بملاحظة قواعد النحو إذ هو الباحث عن كيفية استعمال المركبات على وجه الصواب .

وقد يتعدى عن قانونه الخاصة بأشباه العامة فينزل كلامهم إلى الدرك الأسفل ويكون عرضة للمادح ، أنظر إلى ماوقع فيه أبو نواس حيث يقول فى مدح الأمين :

ياخير من كان ومن يكونُ　　الا النبيُّ الطاهرُ الميمونُ

فرفع المستثنى فى موجب الكلام ، ومعرفة هذا من ظواهر النحو لا من خوافيه .

(ح) الغرابة ـ يسهل التباعد عنها بالاطلاع على متن اللغة ، فإذا تتبع المتكلم مشهور الكتب وأحاط بمعانى المفردات المأنوسة ؛ عرف أن ما سواه مما يفتقر إلى بحث وتنقير ، أو تخريج على وجه بعيد فغريب .

(د) الأحوال ومقتضياتها ـ تعلم من دراسة علم المعانى .

(ه) التعقيد المعنوى ـ يمكن التجافى عنه بدراسة علم البيان .

(و) وجوه تحسين الكلام التى تكسوه طلاوة وتكسبه رقة ، بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة ـ تعرف من علم البديع .

(ز) التنافر ـ وملاك معرفته الذوق السليم والشعور النفسى .

ثانياً علم البيان فى اصطلاح المتقدمين اسم جامع للعلوم الثلاثة (المعانى والبيان والبديع) وعليه قول الجاحظ البيان اسم جامع لكل ما كشف لك المعنى ، وقول ابن المعتز : البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول.

---

(١) على أن مفردها فعيلة فجمعها على فعائل وليس كذلك بل هى مفعلة بكسر العين فأصلها معيشة بكسر الياء فياؤها ليست كياء صحيفة فلاتنقلب فى الجمع همزة .

بعض الأئمة يسمى الثلاثة علم البديع لما فيها من بديع الصنعة ، كما يسمى بعضهم الأول علم المعانى والأخيرين علم البيان .

ثالثاً . للمتقدمين فى حدود البلاغة ورسومها ، كلمات مجملة تقرب لك بعضاً مما فصلناه ، منها قول محمد بن الحنفية ـ البلاغة قول تضطر العقول إلى فهمه بأيسر العبارة ، وقول ابن المعتز البلاغة البلوغ إلى المعنى ولما يطل سفر الكلام ، وقول ابن الأعرابى البلاغة التقرب من البنية ودلالة قليل على كثير ، وقول بعضهم هى قلة اللفظ وسهولة المعنى وحسن البديهة .

* * *

علم المعاني

هو قواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام مقتضى الحال حتى يكون وفق الغرض الذى سيق له ، فبه نحترز عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد ، فنعرف السبب الذى يدعو إلى التقديم والتأخير ؛ والحذف والذكر ، والايجاز حينا والاطناب آخر ، والفصل والوصل إلى غير ذلك مما سنذكر بعد .

فنه نعرف مثلا :

(١) أن العرب توجز إذ شكرت أو اعتذرت .

(٢) أن العرب تطنب إذا مدحت .

(٣) أن الجملة الاسمية تأتى لإفادة الثبات بمقتضى المقام .

فنى وضع المتكلم تلك القواعد نصب عينيه لم يزغ عن أساليبهم ونهج تراكيبهم ، وجاء كلامه مطابقا لمقتضى الحال التى يورد فيها ، فالشكر حال يقتضى الايجاز ، وإيراد الكلام على هذه الصورة مطابقة لمقتضى الحال .

(واضعه) أول من بسط قواعده الإمام عبد القاهر الجرجانى المتوفى سنة ٤٧١ هـ فهو الذى هذب مسائله . وأوضح قواعده — وقد وضع فيه الأئمة قبله نتفا كالجاحظ وأبى هلال العسكرى إلا أنهم لم يوفقوا إلى مثل ما وفق اليه ذلكم الحبر الجليل .

فوائده

(١) الوقوف على أسرار البلاغة فى منثور الكلام ومنظومه . فنحتذى حذوهما ونسج على منوالها ونعرف السر فى افتخار النبي عليه السلام بقوله « أنا أفصح

من نطق بالضاد ، وقوله « أوتيت جوامع الكلم واختصر لى الكلام اختصاراً » .
ونفهم وجه تعجب الصحابة من فصاحته عليه السلام فقد روى أن أبا بكر رضى الله عنه قال له ما بالك يا رسول الله أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا .

(٢) معرفة وجه إعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف . وبراعة التركيب . وما اشتمل عليه من عذوبة وجزالة . وسهولة وسلاسة فنستمتع ببلاغته وندرك السر فى فصاحته ، وكيف كان معجزة خالدة على وجه الدهر لا يبليها كر الجديدين ولا مرور الملوين .

وقد رتبنا الكلام فى هذا الفن على اثنى عشر باباً .

الباب الأول

الخبر : وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول فى تعريف الخبر

الخبر ما احتمل الصدق والكذب لذاته ، قولنا ليدخل فيه الأخبار الواجبة الصدق كأخبار الله وأخبار رسله ، والواجبة الكذب كأخبار المتنبئين فى دعوى النبوة ، والبديهيات المقطوع بصدقها أو كذبها — فكل هذه إذا نظر إليها لذاتها دون اعتبارات أخرى احتملت أحد الأمرين ، أما إذا نظر فيها إلى خصوصية فى المخبر أو فى الخبر تكون متعينة لأحدهما . وإن شئت قلت الخبر مالا لا يتوقف تحقق مدلوله على النطق به نحو الصدق فضيلة . وإنفاق المال فى سبيل الخير محمود .

وبضد هذين التعريفين الإنشاء .

صدق الخبر

لكل خبر تتلفظ به نسبتان :

(١) نسبة تفهم من الخبر ويدل عليها الكلام وتسمى النسبة الكلامية .

(٢) نسبة أخرى تعرف من الخارج والواقع بقطع النظر عن الخبر وتسمى بالنسبة الخارجية — فان طابقت النسبة الكلامية النسبة الخارجية فى الايجاب أو فى النفى كان الكلام صدقاً وإلا كان كذبا . مثلا إذا قلنا (الشمس طالعة) وكانت هى فى الواقع والخارج كذلك سمى الكلام صدقاً , وإن لم تكن طالعة سمى الكلام كذباً — فصدق الخبر إذاً مطابقته الواقع والخارج . وكذبه عدمها .

تنبيه

ما تقدم من انحصار الخبر فى الصادق والكاذب ، ومن تعريف الصدق والكذب بما ذكر هو مذهب الجمهور الذى عليه المعول .

ويرى إبراهيم النظام ومن تابعه أن صدق الخبر مطابقته لاعتقاد المخبر به ولو كان خطأ غير مطابق للواقع ، وكذبه عدمها فاذا قال قائل : الشمس أصغر حجما من الأرض معتقداً ذلك كان صدقاً ، وإذا قال الشمس أكبر من الأرض وكان غير معتقد ذلك كان كذباً .

واحتج لذلك بوجهين :

(١) أن من اعتقد أمراً فأخبر به ثم ظهر خبره مخالفاً للواقع ، فانه يقال ما كذب ولكنه أخطأ كما روى أن عائشة قالت فيمن شأنه كذلك ما كذب ولكنه وهم ، ورد بأن المنفى تعمد الكذب لا الكذب ، بدليل تكذيبنا اليهودى إذا قال الإسلام باطل وتصديقنا إياه إذا قال الإسلام حق .

(٢) قوله تعالى « والله يشهد إن المنافقين لكاذبون » ، فقد كذبهم فى قولهم

إنك لرسول الله وإن كان مطابقاً للواقع لأنهم لم يعتقدوه .

وأجيب عن ذلك بوجوه .

(أ) أن المعنى نشهد شهادة وافقت فيها قلوبنا ألسنتنا كما يرشد إلى ذلك التأكيد بان واللام والجملة الاسمية فى قولهم إنك لرسول الله ، فالتكذيب راجع إلى الشهادة باعتبار تضمنها خبراً كاذباً وهو أنها من صميم القلب وخلوص الاعتقاد .

(ب) أن التكذيب متجه إلى تسمية إخبارهم شهادة ، لأن الاخبار إذا خلا عن المواطأة للاعتقاد لم يكن شهادة فى الحقيقة .

(حـ) أن المراد لكاذبون فى قولهم إنك لرسول الله لا فى الواقع بل فى زعمهم واعتقادهم لأنهم يعتقدون أنه غير مطابق للواقع ، فيكون كذباً باعتبار اعتقادهم وإن كان صادقاً فى الواقع والحقيقة ، فكأنه قيل إنهم يزعمون أنهم كاذبون فى هذا الخبر الصادق .

ويرى تلميذه الجاحظ أن الخبر غير منحصر فى القسمين الصادق والكاذب بل الأقسام ثلاثة صادق وكاذب وواسطة بينهما ، لأن الحكم إن طابق الواقع مع اعتقاد المخبر أنه مطابق فهو صدق ، وإن لم يطابق الواقع مع اعتقاده أنه غير مطابق فهو كذب ، وغير هذين (١) ليس بصدق ولا كذب .

واحتج لذلك بقوله تعالى : « افترى على الله كذبا أم به جنة » ، فقد حصر المشركون إخبار النبي بالحشر والنشر فى الافتراء والاخبار حال الجنون على طريق منع الخلو والاجتماع معاً — ولاشك أن أخباره حال الجنون ليس كذباً لجعلهم الافتراء (٢) فى مقابلته ، ولا صدقاً لأنهم اعتقدوا عدم صدقه .

وقد رد هذا بأن معنى قولهم « أم به جنة » ، أم لم يفتر فيكون مرادهم أن أخباره عليه السلام إما مختلقة قصداً أو مختلقة بلا قصد ، فعبروا عن الأول بالافتراء ، وعن الثانى بوجود الجنة لاستلزامه (٣) عدم الافتراء ، وعلى هذا يكون

---

(١) وهو أربعة أقسام المطابقة مع اعتقاد عدم المطابقة أو بدون الاعتقاد أصلا ، وعدم المطابقة مع اعتقاد المطابقة أو بدون الاعتقاد أصلا (٢) وهو الكذب (٣) على طريق المجاز المرسل فقد أطلق اسم الملزوم وأراد اللازم .

حصر الأخبار فى الافتراء وعدمه من قبيل حصر الكذب فى نوعيه العمد وغيره لاحصر الخبر مطلقاً .

المبحث الثانى فى تأليف الجمل

لكل جملة ركنان أساسيان لابد منهما فى تكوينها (وهما المسند إليه) وهو المبتدأ ونحوه (والمسند) الخبر ونحوه ، وما زاد عليهما من مفعول وحال وتمييز فهو قيد زائد إلا صلة الموصول والمضاف إليه .

فالمسند إليه هو	المسند
(١) فاعل الفعل التام نحو جاء على	(١) المبتدأ المستغنى عن الخبر
(٢) المبتدأ الذى له خبر نحو الصدق نافع	(٢) خبر المبتدأ
(٣) أسماء الأدوات الناسخة نحو إن الصادق محبوب	(٣) أخبار النواسخ كإن وكان وظن
(٤) فاعل الوصف نحو أمسافر أخوك	(٤) الفعل التام
(٥) المفعول الأول لظن وأخواتها نحو أظن خدمة الوطن فضيلة	(٥) المفعول الثانى لظن وأخواتها
(٦) المفعول الثانى لأرى وأخواتها نحو أريت عليا الصدق نافعاً	(٦) المفعول الثالث لأرى وأخواتها
	(٧) اسم الفعل نحو وى بمعنى أعجب

المبحث الثالث فى الغرض من إلقاء الخبر

الأصل فى الخبر أن يلقى لأحد غرضين .

(١) إفادة المخاطب الحكم الذى تضمنته الجملة ويسمى ذلك فائدة الخبر نحو حروب المستقبل جوّية .

(٢) إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بهذا الحكم ويسمى ذلك لازم الفائدة ، كما تقول لشخص أخفى عليك سفره فعلمته من طريق آخر أنت سافرت أمس .

وربما لايقصد من القاء الخبر أحد ذينك الغرضين بل يلقى لأغراض أخرى تستفاد من سياق الكلام — أهمها :

(١) اظهار الأسف والحسرة على فائت نحو :

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم وبقيت فى خلف كجلد الأجرب

(ب) اظهار الضعف نحو :

قد كنت عدتى التى أسطو بها ويدى إذا اشتد الزمان وساعدى

(حـ) الاسترحام والاستعطاف نحو :

ربّ إنى لا أستطيع اصطباراً فاعفُ عنّى يامن يُقبل العثارا

(د) التوبيخ كما تقول للطالب المهمل الذى رسب فى الامتحان (أنت رسبت فى الامتحان).

(هـ) اظهار الفرح كما يقول من نجح فى الامتحان لمن يعرف ذلك (فزتُ فى الامتحان).

(و) التنشيط وتحريك الهمة لنيل مايلزم تحصيله نحو الناس يشكرون المحسن

(ز) التذكير بما بين المراتب من التفاوت نحو لايستوى كسلان ونشيط

(ح) الوعظ والارشاد نحو « كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ » .

نموذج أول

اذكر مايستفاد من هذه الأخبار :

(١) هناءٌ محا ذاك العزاء المُقَدَّما فما عبّس المحزونُ حتى تبسّما

(٢) أصبتُ بسادة كانوا عيوناً بهم نُسقى إذا انقطع الغمام (١)

(٣) إلهى عبدُك العاصى أتاكا مقرًّا بالذنوب وقد دعاكا

---

(١) كانوا يطلبون الماء إذا انقطع الغيث بالاشادة بذكر العظماء والأشراف .

(٤) أنا القائد الحامى الذمار وإنما يدافعُ عن أحسابهم أنا أو مثلى
(٥) تقول للعاثر المصباحُ فى يدك
(٦) الحياة كطيف الخيال .

الاجابة

(١) الفرح بالمقبل ونسيان الأحزان المدبرة .
(٢) الأسف والحزن على فقدان أولئك السادة الأمجاد .
(٣) الخشوع والضعف .
(٤) الفخر والشجاعة والحميّة .
(٥) التوبيخ والتأنيب لوجود حال تقتضى ضد ما حصل .
(٦) العظة والاعتبار .

نموذج ثان

(١) أهبتُ بالحظ لو ناديت مُستمعاً والحظُّ عنّى بالجهال فى شُغُل
(٢) ذهب الشباب فما له من عوْدة وأتى المشيب فأين منه المهْربُ
(٣) ما أنت بالذى يعوّل عليه .
(٤) قيمة كل امرئ ما يحسنه .
(٥) كل امرىء بما كسب رهين .
(٦) تقول لضيف زارنا الغيث .

الاجابة

(١) الأسف والحسرة على فوات ما كان مرجوا
(٢) الأسف والحسرة على ما فات .

(٣) التوبيخ وإغاظة المخاطب .

(٤) تنشيط السامع وحثه على صالح العمل .

(٥) الحث والتنشيط على العمل .

(٦) الفرح والسرور بمقدمه .

تمرين (١)

ماذا يراد من هذه الأخبار :

(١) وما ربّك بظلام للعبيد .

(٢) وأنت الذى ربيت ذا الملك مُرضعاً
وليس له أم سواك ولا أب

(٣) ذل من يغبط الذليل بعيش
رُبّ عيش أخفُّ منه الحمام

(٤) تقول لمن يحث على الحروب : الحرب مُتلفة للعباد . ذهّابة بالطارف والتلاد

(٥) يقول الطالب لأهله نلت الجائزة الأولى .

(٦) يقول التاجر الذى خسر : ضاعت أتعابى سُدى .

(٧) أودى الشباب فما له متقفَّر وفقدتُ أترابى فأين المَنْفرَ (١)

تمرين (٢)

(١) كل نفس ذائقة الموت .

(٢) ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما وأسيراً .

(٣) الظلم ظلمات يوم القيامة .

---

(١) المتقفر المتتبع والأتراب جمع ترب وهو من فى سنك والمنفر المهرب .

(٤) من حفر حفرة لأخيه المؤمن وقع فيها .

(٥) مررت على أبيات آل محمد   فلم أرها أمثالها يوم حلّت

(٦) رُزئنا أبا عمرو ولا حيّ مثله   فلله ريبُ الحادثات بمن وقع

(٧) دفعنا بك الأيام حتى إذا أتت   تريدك لم نسطع لها عنك مَدفعا (١)

المبحث الرابع فى طريق إلقاء الخبر

من مزايا اللغة العربية دقةُ التعبير واختلاف الأساليب بتنوع الأغراض والمقاصد . فمن الخطل عند ذوى المعرفة البسط والاطناب إذا لم تكن الحاجة ماسة اليه : والايجاز حيث تطلب الزيادة — وقد خفيت هذه الدقائق على الخاصة بَلهَ العامة . ويرشد الى ذلك ما رواه الثقات من أن المتفلسف الكندى ركب الى أبى العباس ، المبرّد ، وقال له : إنى لأجد فى كلام العرب حشوا فقال أبو العباس فى أى موضع وجدت ذلك ؟ فقال أجد العرب يقولون عبد الله قائم ، يقولون ان عبد الله قائم ، ثم يقولون ان عبد الله لقائم — فالالفاظ متكررة والمعنى واحد . فقال أبو العباس بل المعانى مختلفة لاختلاف الألفاظ ، فالأول إخبار عن قيامه والثانى جواب عن سؤال سائل والثالث جواب عن إنكار منكر قيامه ، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعانى فما أحار المتفلسف جوابا

ومن هذا تعلم أن العرب لاحظت أن يكون الكلام بمقدار الحاجة لا زائدا عليها والا كان عبثا ولا ناقصاً وإلا أخل بالغرض وهو الإفصاح والبيان ، وتعلم أيضاً أن المخاطب لا يخلو من أن يكون واحداً من ثلاثة .

(١) خالى الذهن من الحكم ومن التردد فيه فيلقى إليه الكلام ساذجاً مُغفلا من أدوات التوكيد التى سترد عليك . ويسمى هذا الضرب ابتدائيا نحو محمد مسافر .

---

(١) مدفعا أى دفعا .

(٢) المتردد فى ثبوت الحكم وعدمه بألا يترجح عنده هذا على ذلك، وحينئذ يحسن تقوية الحكم بمؤكد ليزيل ذلك التردد، ويسمى هذا الضرب طلبيا.

ويرى عبد القاهر أنه إنما يحسن التوكيد إذا كان للمخاطب ظن على خلاف حكمك، وله تشوف إلى الوقوف على الحقيقة، فيحسن تقوية الحكم له بان ونحوها ليتمكن المعنى المراد فى نفسه ويطرح الخلاف وراء ظهره.

ثم قال ومن ثمّ يحسن موقع إن اذا كان الخبر بأمر يبعد فى الظن مثله لأن العادة جرت بخلافه كقول أبى نواس:

عليك باليأس من الناس   انّ غنى نفسك فى اليأس

لما كان فى مجرى العرف والعادة ألا يدع الناس الطمع والرجاء ويحملوا أنفسهم على اليأس ويجعلوا فيه الغنى كما ادعى أكده بانّ.

(٣) المنكر للحكم وهذا يجب أن يؤكد له الكلام بقدر انكاره قوة وضعفا، ذاك أن المتكلم أحوج ما يكون الى الزيادة فى تثبيت خبره اذا كان هناك من ينكره ويدفع صحته فهو حينئذ يبالغ فى تأكيده حتى يزيل انكاره، يدل على ذلك ما قصه الله تعالى علينا حكاية عن رسل عيسى عليه السلام حين بعثهم الى أهل أنطاكية فكذبوهم فقالوا لهم فى المرة الأولى انا اليكم مُرْسَلُون، وفى الثانية رُبنا يعلم أنا اليكم لمرسلُون فاكدوا لهم أولا بان واسمية الجملة، وثانيا بالقسم (اذ ربنا يعلم فى حكم، علم الله وشهد الله) وان واللام والجملة الاسمية لما رأوا من شديد انكارهم ويسمى هذا الضرب انكاريا (١)

والجرى على هذا المنهج والسير على تلك الطريق فى الاضرب الثلاثة يسمى إخراج الكلام على مقتضى الظاهر.

وقد يلاحظ المتكلم اعتبارات أخرى خفية فيخرج كلامه على اعتبارها

---

(١) واعتبارات النفى كاعتبارات الاثبات فيجرد عن المؤكدات فى الابتدائى ويقوى بمؤكد استحسانا فى الطلبى ويجب التوكيد فى الانكارى.

ويسمى ذلك اخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ولذلك صور كثيرة منها :

(١) أن ينزل غير السائل منزلة السائل فيؤكد له الكلام اذا تقدم ما يشير إلى حكم الخبر فتستشرف نفسه وتتطلع اليه استشراف الطالب المتردد ، وذلك كثير فى القرآن الكريم وكلام العرب نحو قوله تعالى (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون) فحين تقدم قوله واصنع الفلك باعيننا وقوله ولا تخاطبنى صار المقام مقام تردد بان القوم هل حكم عليهم بالاغراق ، فقيل انهم مغرقون ، وقوله تعالى يأيها الناس اتقو ربكم انّ زلزلة الساعة شيء عظيم (١) وقوله وصَلِّ عليهم ان صلاتك سكنٌ لهم.

وقول بعض العرب : فغنّها وهي لك الفداء   إن غناء الابل الحداء

وقول بشار : بكّرا صاحبيّ قبل الهجير   إن ذاك النجاح فى التبكير

(٢) أن ينزل من لا ينكر الخبر منزلة من ينكره تهكما به اذا لاح عليه شيء من أمارات الانكار كقول حجل بن نضْلة القيسى وهو من أولاد عم شقيق :

جاء شقيق عارضا رمحهُ   ان بنى عمك فيهم رماحْ

فجيء شقيق هكذا مدلاً بنفسه معجبا بشجاعته واضعا رمحه عرضا (٢) ، دليل على صلفه وزهوه ببسالته واعتقاده أنه لن يجد مقاوما من بنى عمه حتى كأنهم عزل ليس معهم ما يدافعون به ، ومن ثم نزله منزلة المنكر وخاطبه بالشطر الثانى خطاب التفات بعد غيبة تهكما به ورميا له بالنزق وخرْق الرأى .

(٣) أن يجعل المنكر كأنه غيرمنكر فلا يعتد بانكاره ، لان أمامه من الدلائل الساطعة ، والبراهين القاطعة ، ما فيه مقنع له لو أزال تلك الغشاوة عن عينيه

---

(١) فان أمرهم بالتقوى يشير إلى جنس الخبر الآتي بعده وأن هناك أهوالا تؤمن التقوى من فزعها فى ذلك اليوم فكان المقام مقام تردد فى أنه هل هناك أمامهم أمر مهم يقع لهم ان لم يتقوا فقيل ان زلزلة الخ وهكذا يقال فيما بعده .

(٢) بأن يجعل الرمح على فخذيه وهو راكب بحيث يكون عرضه جهة العدو .

والتفت إلى ما يحيط به ، وعليه قوله تعالى خطابا لمنكرى الوحدانية (وإلهكم إله واحد) اذ العقل قاض بأن تعدد الآلهة يقتضى تخالف أفعالهم لاختلاف علومهم وإراداتهم ، وكل منهم له التصرف فى السموات والأرض والقدرة على إيجاد الممكنات فتتضارب أفعالهم ويفسد نظام الكون ، والمشاهد أنه على أتم نظام فهو الواحد لاشريك له .

(٤) أن ينزل العالم بالفائدة ولازمها منزلة الجاهل لعدم جريه على موجَب العلم (وهو العمل به) كما تقول لمن يسىء إلى أبيه ويقسو عليه هذا أبوك فأحسن اليه — فكأنك تقول له إن هذه المعامله اتدل على أنك تجهل أبوته لك .

وهذا كله اعتبارات الإثبات وقس عليه اعتبارات النفى كقولك ليس زيد منطلقا وبمنطلق ، ووالله ليس على المنطلق وهكذا .

تنبيهـــات

(١) التوكيد تمكين الشىء فى النفس وتقويته ، لإزالة الشكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدد الإخبار عنه ، والمراد به فى هذا الباب تأكيد الحكم لا تأكيد المسند اليه ولا تأكيد المسند فلو قلت على نفسه قائم ، أو جاء علىّ لايكون مما نحن فيه .

(٢) التوكيد فى الجمل الاسمية يكون بأنّ أو بأن واللام أو بأن واللام والقسم كما قد عرفت ، وفى الجمل الفعلية يكون بقد أو بقد والقسم كقول العبّاس بن مرْداس :

لقد عـُظم البعير بغير لـُبٍّ فلم يستَغْن بالعظم البعيرُ

(٣) المؤكدات المشهورة هى إنّ . أنّ . لام الإبتداء نونا . التوكيد . القسم . أمّا الشرطية . أحرف التنبيه . أحرف الزيادة . ضمير الفصل . تقديم الفاعل فى المعنى نحو محمد يقوم . السين وسوف الداخلتان على فعل دال على وعد أو

وعيد نحو سأمنح المجتهد جائزة . وسأعاقب المسيء . قد التي للتحقيق . بتكرير النفي . إنما .

(٤) الخطاب بالجملة الاسمية وحدها آكد من الخطاب بالجملة الفعلية ، فإذا أريد مجرد الأخبار فقط أتى بالفعلية ، وإن أريد التأكيد فبالاسمية وحدها أو بها مع إن أو بهما وباللام ثم بالثلاثة والقسم .

هذا والتأكيد كما يأتي في الخبر يأتي في الإنشاء كقول الشاعر :

هلاّ تُمنّنْ بوعد غير مخلفة كما عهدتُك في أيام ذي سَلَم

ولكنه لا يكون فيه لدفع التردد أو الانكار ، لكن لدلالته على استبعاد الحكم من المخبر كما في قوله تعالى « ربّ ان قومى كذبون »

(٥) من فوائد إن غير التوكيد :

(ا) ربط الجملة بما قبلها كما تقدم في قوله إنّ غناء الإبل الحداء ، فلو أسقطتْ إنّ لم يقل الا بالفاء فيقال فغناء الإبل الحداء .

(ب) تهيئة النكرة وصلاحيتها لأن تكون مسندا اليه كقوله :

إنّ دهرا يلفّ شملي بسعدى لزمان يهُم بالاحسان

(جـ) غناؤها عن الخبر في بعض المواضع كقولهم إن مالا وإن ولدا وإن عددا يريدون إن لهم مالا وإن لهم ولدا وإن لهم عددا وعليه قول الأعشى :

إنّ محلا وإنّ مُرْتحلا وإن في السّفر إذ مضوا مهلا[1]

(د) الدلالة على أن الظن كان من المتكلم في الذى كان أنه لا يكون كقولك للشيء هو بمرأى ومسمع من المخاطب : إنه كان من الأمر ما ترى ، وأحسنت إلى فلان ثم إنه جعل جزائي ما ترى ، وعليه قوله تعالى رب إنى وضعتها أنثى . رب إن قومى كذبون ، قاله عبد القاهر في دلائل الاعجاز .

---

(١) تقدير المحذوف إن لنا في الدنيا محلا ولنا عنها إلى الآخرة مرتحلا .

(٥) ان لضمير الشأن معها حسنا لا يكون بدونها نحو انه من يتق ويصبر . انه من يعمل سوءا يجز به . أنه لا يفلح الكافرون .

تدريب أول

اذكر أضرب الخبر فيما يلى ؛ وبين المؤكدات التى فى كل جملة :

(١) ما أن ندمت على سكوتى مرةً ولقد ندمت على الكلام مرارا
(٢) وإنى لصبَّار على ما ينوبنى وحسبُك أن الله أثنى على الصبر
(٣) فما الحداثة عن حلم بمانعة قد يوجد الحلم فى الشبان والشيب
(٤) ولقد نصحتك ان قبلت نصيحتى والنصح أغلى ما يبَاع ويوهب
(٥) فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر
(٦) وانى لحلو تعترينى مرارةٌ وانى لتَّراكٌ لما لم أعوَّد

الإجابة

الرقم	الجملة	المؤكدات	الضرب
(١)	ما ان ندمت	إنْ الزائدة	طلبى
	ولقد ندمت	لام القسم وقد	إنكارى
(٢)	انى لصبَّار	إن ولام الابتداء	»
	وحسبك أن الله الخ	أن	طلبى
(٣)	فما الحداثة الخ	الباء الزائدة	»
	قد يوجد الخ	قد	»
(٤)	ولقد نصحتك الخ	القسم وقد	إنكارى
(٥)	فيوم الخ	التكرير	طلبى
	والنصح أغلى الخ		ابتدائى
(٦)	وانى لحلو الخ	إن ولا الابتداء	إنكارى
	وانى لتراك الخ	» » »	»

تدريب ثان

(١) إن الحياة لثوب سوف نخلعه وكل ثوب إذا مارث ينخلع

(٢) أتتك الخلافة منقادة إليك تجرر أذيالها

(٣) إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكمة .

(٤) قد يدرك الشرفَ الفتى ورداؤه خلق .

(٥) ألا إن أخلاق الفتى كزمانه فمنهن بيض في العيون وسود

الإجابة

الجملة	المؤكدات	الضرب
ان الحياه لثوب الخ	إن ولام الابتداء	إنكارى
وكل ثوب الخ		إبتدائى
أتتك الخلافة الخ		»
ان من البيان لسحرا	إن ولام الابتداء	إنكارى
ان من الشعر لحكمة	» » »	»
قد يدرك الشرف الفتى الخ	قد	طلبى
ألا ان أخلاق الفتى كزمانه	حرف التنبيه وان	إنكارى
منهن بيض في العيون وسود		ابتدائى

تمرين (١)

من أى الأضرب الجمل الآتية وأيها جرى على خلاف مقتضى الظاهر .

(١) إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم .

(٢) ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون .

(٣) قال أبو بكر رضى الله عنه ان البلاء موكل بالمنطق .

(٤) آلم ذلك الكتاب لاريب فيه .
(٥) الاسلام حق .
(٦) ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون .

تمرين (٢)

(١) ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها   إنّ السفينة لاتجرى على اليَبس
(٢) ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .
(٣) إن على سائلنا أن نسألهْ   والعبءُ لا تعرفه أو تحملهْ
(٤) ولقد علمت لتأتينّ منيّتى   إن المنايا لاتطيش سهامها
(٥) إن السلاح جميع الناس تحمله   وليس كل ذوات المخلب السَّبُع
(٦) هى الأمور كما شاهدتها دول   من سره زمن ساءته أزمان

المبحث الخامس فى الجملة الاسمية والفعلية

مما تمس الحاجة إلى معرفته ، الفرق بين الجملة الاسمية والفعلية فى الاستعمال ، لوعورة المسلك ودقة الصنع ، إذ قلما يفطن له إلا الفصحاء ذوو الدراية فى المنطق ، وبيان ذلك أن الجملة قسمان .

(١) اسمية وتفيد بأصل وضعها ثبوت الحكم فحسب بلا نظر إلى تجدد ولا استمرار ، فلا يستفاد من قولنا على مسافر سوى ثبوت السفر فعلا لعلى دون نظر إلى تجدد ولا حدوث ، فالمعنى فيه شبيه بالمعنى فى قولنا محمد طويل ومحمود قصير ، فكما لا يقصدها هنا إلى أن يجعل الطول والقصر يتجدد ويحدث بل يقصد إيجابهما وثبوتهما فقط ، كذلك لايتعرض فى قولنا على مسافر لأ كثر من إثبات السفر فعلا لعلى .

ولكن قد تحف بها قرائن أخرى تستفاد من سياق الكلام كأن يكون فى

معرض مدح أو ذم أوحكمة أونحو ذلك فتفيد الدوام والاستمرار حينئذ ، وعليه قول النضر بن جُؤيّة يتمدح بالغنى والكرم :

لايألف الدرهمُ المضروب صرّتنا   لكن يمرّ عليها وهو منطلق (١)

فهو يريد أن دراهمهم دائمة الانطلاق تمرق من الكيس مروق السهام من قسيها لتوزع على المعوزين وأرباب الحاجات ، كما يرشد إلى ذلك ماقبله :

إنا اذا اجتمعت يوما دراهمنا   ظلّت إلى طرُق المعروف تستبق

ونظيره قوله تعالى (وإنّك لعلى خلُق عظيم) فسياق الحديث فى معرض المدح دال على إفادة الاستمرار والدوام .

(٢) فعلية ، وتدل بأصل وضعها على التجدد فى زمن معين مع الاختصار فلا يستفاد من نحو طلعت الشمس ، إلا إثبات الطلوع فعلا للشمس فى زمن مضى .

تفسير هذا أن الفعل يدل على أحد الأزمنة الثلاثة بذاته لابقرينة (٢) خارجة عنه ، وهذا الزمن الذى هو أحد مدلوليه (مدلوله الثانى الحدث) لا تجتمع أجزاؤه فى الخارج بل تتصرم وتتقضى شيئا فشيئا — ومن ثم كان الفعل مع إفادته الزمن يفيد أيضاً تجدد الحدث وحصوله بعد أن لم يكن — بخلاف الاسم فانه إنما يدل على الزمن المعين بقرينة أخرى كأن يقال أمس أو الآن أو غدا .

وقد تفيد الاستمرار التجددى شيئا فشيئا بمعونة القرائن إذا كان الفعل مضارعا ، ومن البين فى ذلك قوله تعالى (إنا سخّرنا الجبال معه يُسبِّحن بالعشىِّ والاشراق) فالقصد الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال آناً إثر آن وحالا بعد حال ، ونحوه قول طريف بن تميم العنبرى يتمدح بجراءته وشجاعته :

---

(١) الصرة كيس الدراهم (٢) أما احتياج الفعل المضارع إلى قرينة فى تعيين الحال أو الاستقبال فهو تعيين للمراد لاتعيين للزمن لأنه دال عليه بالوضع .

أوَ كلّما وردت عُكاظ قبيلة   بعثوا إلى عرِيفهم يتوسم (١)

إذ يريد أن كل قبيلة ترد سوق عكاظ تبعث عريفها ليتفرس فى وجوه القوم مرة بعد أخرى ويتوسمها وقتا بعد وقت لعله يهتدى إلى معرفتى ، وقول المتنبي :

تدبّر شرق الأرض والغرب كفُّه   وليس لها يوما عن الجود شاغل

فقرينة المدح تدل على أن تدبير الملك ديدنه وحاله المستمرة التى لا يحيد عنها

تنبيهـــات

(١) الجملة الاسمية إنما تفيد الدوام والثبات بقرينة المقام إذا كان خبرها مفردا أو جملة اسمية ، نحو محمد كريم ، على أبوه جواد ، أما إذا كان خبرها جملة فعلية فإنها تفيد التجدد .

(٢) المسند تارة يكون مفردا فعلا كان أو اسما ، وطورا يكون ظرفا للاختصار نحو البركة فى البكور ، وحينا يكون جملة للأسباب الآتية :

(ا) إذا قصد تقوية الحكم بتكرير الإسناد نحو قول المتنبي :

والله يُسعد كل يوم جدَّه   ويزيد من أعدائه فى آله

(ب) إذا قصد قصر الحكم وتخصيصه بالمسند نحو أنا سعيتُ فى حاجتك أى لاغيرى .

(ج) إذا كان سببيا أى جملة معلقة على مبتدإ بعائد لا يكون مسندا إليه فى تلك الجملة نحو محمد أخوه نبيه — ابراهيم نجح ابنه .

تدريب أول

بين فائدة التعبير بالجملة الاسمية أو الفعلية فى التراكيب الآتية :

(١) قال تعالى (يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) .

---

(١) عكاظ أكبر الأسواق العربية التى كانت من أسباب تهذيب اللغة وفيها كانوا يجتمعون للتفاخر والتنافر ليلا ولتصريف المتاجر نهارا .

(٢) نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لاتنقضى
(٣) وعلى إثرهم تساقط نفسى حسرات وذكرهم لى سقام
(٤) الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة (١).
(٥) يأتى على الناس زمان لا يبالى المرء ما أخذ منه ، أمن الحلال أم من الحرام.
(٦) وتحي له المال الصوارم والقنا ويقتل ماتحيي التبسم والجدا (١)

الاجابة

الجملة	نوعها	ما تفيده	الايضاح
يمحو الله	مضارعية	الاستمرار التجددى	إذ محو بعض الخلائق وإثبات البعض مستمر متجدد
وعنده أم الكتاب	اسمية	الدوام	أم الكتاب اللوح المحفوظ
نروح ونغدو	مضارعية	الاستمرار التجددى	والقرينة قوله وحاجة من عاش لاتنقضى
وحاجة من عاش الخ	اسمية	تفيد التجدد	لأن خبرها فعل
على أثرهم تساقط	مضارعية	الاستمرار التجددى	القرينة حالية وهى الحزن والأسى
وذكرهم لى سقام	اسمية	الاستمرار والدوام	القرينة حالية وهى الحزن
الحلف منفقة	اسمية	الدوام	القرينة حالية وهى الذم
يأتى على الناس الخ	مضارعية	التجدد	
وتحي له المال	مضارعية	الاستمرار التجددى	بقرينة المدح

(١) نفقت السلعة راجت فى السوق والمحق الزوال (٢) الصوارم السيوف والقنا الرماح والجدا العطاء .

تدريب ثان

(١) سلام على القبر الذى لا يجيبنا ونحن نحيي تُربه ونخاطبه

(٢) لا خير فى ود امرىء متملق حلو اللسان وقلبه يتلهب

(٣) ان ربك لبالمرصاد .

(٤) ثمرة القناعة الراحة ، وثمرة التواضع المحبة .

(٥) لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار باليفاع تحرقُ

(٦) الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

الإجابة

الجملة	نوعها	ما تفيده	الايضاح
سلام على القبر	اسمية	الدوام	بقرينة الحزن والأسى
ونحن نحيي	»	التجدد	لأن خبرها فعل
لا خير فى ود امرىء	»	الدوام	لأن المقام للذم
ان ربك الخ	»	»	بقرينة الأسناد إلى الله تعالى
ثمرة القناعة الخ	اسمية	الدوام	بقرينة أنها حكمة
لعمرى لقد لاحت الخ	ماضوية	التجدد والحدوث	
تحرق	مضارعية	الاستمرار التجددى	بقرينة المدح
الأرض مظلمة	اسمية	الدوام	فى معرض الحكمة

تمرين (١)

بين ما يستفاد من الجمل فيما يلى واذكر أضرب الخبر :

(١) فدعوت ربى بالسلامة جاهدا ليصحنى فاذا السلامة داء

(٢) ويوم تشقق السماءَ بالغمام ونُزِّل الملائكة تنزيلا ، الملك يومئذ الحق للرحمن .

(٣) يهوى الثناء مبرز ومقصر حب الثناء طبيعة الإنسان

(٤) بك اجتمع الملك المبددُ شمْله وضُمت قواص منه بعد قواصى

(٥) انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون .

(٦) العين ترى كل شيء ، ولا ترى نفسها الا بمرآة .

تمرين (٢)

(١) يكفكف غيلة احدى يديه ويبسط للوثوب على أخرى

(٢) المجدُ عوفى اذ عوفيت والكرم وزال عنك الى أعدائك السَّقم

(٣) السيف أصدق أنباء من الكتب فى حده الحدُّ بين الجد واللعب

(٤) ليس الزمان وان حرصت مُسالما خلق الزمان عداوة الأحرار

(٥) والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يُتوارى فى ثرى رمسه

(٦) هناء محا ذاك العزاء المقدَّما فما عبس المحزون حتى تبسما

الباب الثانى فى الإنشاء

وفيه ستة مباحث

المبحث الأول فى تعريف الإنشاء

الإنشاء فى اللغة الإيجاد والاختراع وفى الاصطلاح يطلق بأحد إطلاقين .

(١) المعنى المصدرى وهو إلقاء الكلام الذى ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه .

(٢) المعنى الاسمى وهو نفس الكلام الملقى الذى له الصفة المتقدمة .

وينقسم بالاعتبار الأول إلى:

(١) طلبى وهو خمسة [١] أنواع الأمر والنهى والتمنى والاستفهام والنداء ، ويعرّف بأنه ما يستدعي مطلوبا غير حاصل فى اعتقاد المتكلم وقت الطلب .

(٢) غير طلبى وهو ما يستدعى مطلوبا حاصلا .

وأنواعه كثيرة منها صيغ المدح والذم نحو نعم الخليفة عمر ، وبئس الظالم الحجاج ، والعقود كبعت واشتريت ووهبت والقسم نحو تالله لاصدُقنك ، والتعجب نحو ما أجمل الصدق ، والرجاء بعسى ولعل ونحوهما نحو لعل الله يأتى بالفرج ، وربّ وكم الخبرية .

والذى يهتم البليغ بالبحث عنه هو القسم الأول [١] لأن فيه من المزايا واللطائف ما ليس فى القسم الثانى .

المبحث الثانى فى التمنى

هو طلب حصول شىء محبوب لا يرجى حصوله ، إما لكونه مستحيلا كقول المتنبي:

فليت وقارك فرّقتهُ وحملت أرضك ما تحملُ

وأما لكونه بعيد التحقق والحصول نحو ياليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم ، فان كان منتظر الحصول قريب الوجود كان ترجيا ويعبر فيه بعسى ولعل .

كقوله : عسى الله أن يجرى المودة بيننا ويوصل حبلا منكمو بحباليا

---

(١) لأن المطلوب إن كان غير متوقع الحصول فهو التمنى وإن كان متوقعا فإما حصول صورة شىء فى الذهن فهو الاستفهام وإما حصول صورة شىء فى الخارج فان كان انتفاء فهو النهى وان كان ثبوتا فاما بأحرف النداء فهو المنادى وإما بغيرها فهو الأمر .

(٢) ولان كثيرا من الإنشاءات غير الطلبية أخبار فى الاصل نقلت إلى الإنشاء .

وقوله : تأنَّ ولا تعجل بلومك صاحبا لعلَّ له عذرا وأنت تلوم

وقد يعبر فيه بليت كقول قُريط من بَلْعنبر يهجو قومه :

فليت لى بهمُ قوما إذا ركبوا شدّوا الإغارة فرسانا وركبانا

وألفاظ التمنى أربعة واحدة أصلية وهى ليت وثلاثة نائبة عنها وهى :

(١) هل - نحو (فهل (١) لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) ويبرز بها المتمنى فى شكل المستفهم عنه الذى لا يجزم بانتفائه ، إظهاراً لكمال العناية به حتى لا يستطاع الاتيان به إلا فى صورة الممكن المطموع فى وقوعه .

(٢) لو - نحو (لو (٢) أن لنا كرَّةً فنكون من المؤمنين) ويتمنى بها إشعاراً بعزة المتمنى حيث أبرز فى صورة مالا يوجد (٣) .

(٣) لعل ويتمنى بها إذا كان المرجو بعيدا ميئوسا من حصوله ، فصار شبيها بالمحالات والممكنات التى لا طماعية فى حصولها - نحو :

أسرب القطا هل من يعير جناحه لعلى الى من قد هويت أطير

(تنبيه) يتمنى بهلاَّ وألاَّ ولو لا ولوما، وهى ألفاظ مركبة من هل ولو مع لا وما، وأصل ألاَّ هلا قلبت الهاء همزة ، لتبين دلالتها على التمنى ويزول احتمال الاستفهام والشرط ويتولد من التمنى معنى التنديم فى الماضى نحو هلا (٤) سافرت ، ومعنى التحضيض فى المستقبل نحو هلا تخلص فى عملك (٥).

ولاستعمال هذه الأدوات فى التمنى ينصب المضارع فى جوابها .

تمرين

بين الأدوات التى تفيد التمنى والتى تفيد الترجى فى التراكيب الآتية :

(١) دليل أنها للتمنى أنهم يعلمون عدم الشفيع (٢) دليل أنها للتمنى نصب الجواب والكرة الرجعة (٣) لان لو بحسب أصلها حرف امتناع (٤) فالمعنى ليتك سافرت

(٥) تقصد حثه على الاخلاص .

أو غيرهما فتقول أمحمد مسافر أم محمود ؛ اذا كنت تعتقد أن أحدهما مسافر ولا تعلم عينه فتطلب تعيينه فتجاب بأنه محمود مثلا ، وتقول أمسافر محمود أم مقيم فتجاب بأنه مقيم مثلا .

وهذه الهمزة لا يليها إلا المسئول عنه سواء أكان :

(١) مسندا كما تقول أبنيتَ الدار التى كنت أزمعت أن تبنيها ، أفرغت من الكتاب الذى كنت تكتبه ـ تبدأ فى مثل هذا بالفعل لأنك متردد بين وجوده وانتفائه .

(٢) أم مسند اليه نحو أأنت ابتكرت هذه الخطبة ، أأنت بنيت هذه الدار ، تبدأ فى هذا بالفاعل لأنك لم تشك فى الفعل أنه كان ، وكيف يجول الشك بخاطرك وأنت ترى داراً مبنية وتشير إلى خطبة مكتوبة ، وإنما أنت تشك فى الفاعل من هو ، فلو قلت أأنت أنشأت الخطبة التى كان فى نفسك أن تكتبها — خرجت عن سنن التخاطب ، وكذا لو قلت أبنيت هذه الدار ، أقلت هذا الشعر ، تكون قد قلت مالا يصح أن يقال لفساد أن تقول فى شىء مشاهد نُصْب عينيك أموجود أم لا .

(٣) أم مفعولا نحو — أإياى تريد

(٤) أم حالا نحو — أمستبشرا جاء على

(٥) أم ظرفا نحو —

أبَعْدَ بنى عمْرو أسرُّ بمقبل من العيش أو آسى على إثْر مُدْبِر

وهكذا قياس سائر المتعلقات .

(تنبيه) يجوز أن يذكر مع همزة التصور معادل بعد لفظ أم كما تقدم ، ويجوز حذفه نحو أراغب أنت فى إنجاز حاجتى — إذ تقديره أم راغب عنها وكاره إنجازها .

(٢) أن يطلب بها التصديق أى إدراك نسبة يتردد العقل بين ثبوتها ونفيها ،

أو غيرهما فتقول أمحمد مسافر أم محمود ؛ اذا كنت تعتقد أن أحدهما مسافر ولا تعلم عينه فتطلب تعيينه فتجاب بأنه محمود مثلا ، وتقول أمسافر محمود أم مقيم فتجاب بأنه مقيم مثلا .

وهذه الهمزة لايليها إلا المسئول عنه سواء أكان :

(١) مسندا كما تقول أبنيتَ الدار التي كنت أزمعت أن تبنيها ، أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه ـ تبدأ في مثلِ هذا بالفعل لأنك متردد بين وجوده وانتفائه .

(٢) أم مسند اليه نحو أأنت ابتكرت هذه الخطبة ، أأنت بنيت هذه الدار ، تبدأ في هذا بالفاعل لأنك لم تشك في الفعل أنه كان ، وكيف يجول الشك بخاطرك وأنت ترى داراً مبنية وتشير إلى خطبة مكتوبة ، وإنما أنت تشك في الفاعل من هو ، فلو قلت أأنت أنشأت الخطبة التي كان في نفسك أن تكتبها — خرجت عن سنن التخاطب ، وكذا لو قلت أبنيت هذه الدار ، أقلت هذا الشعر ، تكون قد قلت مالا يصح أن يقال لفســـاد أن تقول في شيء مشاهد نُصب عينيك أموجود أم لا .

(٣) أم مفعولا نحو — أإياى تريد

(٤) أم حالا نحو — أمستبشرا جاء علي

(٥) أم ظرفا نحو —

أبعـــدَ بني عمرو أسرُّ بمقبل من العيش أو آسى على إثر مُدْبر

وهكذا قياس سائر المتعلقات .

(تنبيه) يجوز أن يذكر مع همزة التصور معادل بعد لفظ أم كما تقدم ، ويجوز حذفه نحو أراغب أنت في إنجاز حاجتي — إذ تقديره أم راغب عنها وكاره إنجازها .

(٢) أن يطلب بها التصديق أى إدراك نسبة يتردد العقل بين ثبوتها ونفيها ،

والكثير أن يكون ذلك بجملة فعلية نحو أقدم صديقك (١) ويقل أن يكون بجملة اسمية نحو أقادم صديقك — ويجاب فى هذين بلا أو بنعم.

ويمتنع أن يذكر مع هذه معادل ، فان جاءت أم بعدها قدرت منقطعة بمعنى بل (٢)

الكلام فى هل

هل حرف لطلب التصديق فحسب أى معرفة وقوع النسبة أم عدم وقوعها فتقول هل قدم أخوك من السفر — فتجاب بنعم أو بلا .

ولأجل اختصاصها بالتصديق لأصل الوضع .

(١) امتنع أن يذكر معها معادل بعد أم لأن ذلك يؤدى إلى التناقض ، فان هل تفيد أن السائل جاهل بالحكم لأنها لطلبه ، وأم المتصلة تفيد أن السامع عالم به وإنما يطلب تعيين أحد الأمرين — فان جاءت بعدها أم كانت منقطعة بمعنى بل التى تفيد الاضراب كقول قتيلة ترثى أباها النضر :

هل يسمعنّ النضرُ إنْ ناديته أم كيف يسمع ميت لا ينطق

(٢) وقبح استعمالها فى التراكيب التى هى مظنة العلم بمضمون الحكم نحو هل محمداً كلمت ، إذ تقديم المعمول على الفعل يكون للتخصيص غالبا (٣) وهذا يفيد علم المتكلم بالحكم ، وإنما يطلب المخصص فحسب — وحينئذ تكون هل لطلب تحصيل ما هو حاصل وهو عبث .

تنبيهات

(١) هل كالسين وسوف تخلص المضارع للاستقبال ، فلا تستعمل فيما هو للحال فلا يقال هل تنهر هذا وهو أبوك ، بل يقال أتنهر هذا وهو أبوك .

(١) فقد تصورت القدوم والصديق والنسبة بينهما وسألت عن وقوع النسبة بينهما هل هو محقق خارجا فاذا قيل قدم حصل التصديق فالسائل فى مثل هذا يطلب تعيين النسبة .

(٢) لم نر شاهدا عربيا يؤيد استعمال أم بعد همزة التصديق بل سمع ذلك بعد هل فقط .

(٣) ومن غير الغالب يكون التقديم للاهتمام بالمقدم وحينئذ فلا يفيد التقديم العلم بالحكم .

(٢) الراجح أن توصل هل بفعل لفظا أو تقديراً نحو هل يقدُم هاشم من السفر وهل هاشم يقدم من السفر، وذلك لاختصاصها بالتصديق وتخليصها المضارع للاستقبال، فإن عدل عنها إلى الإسمية كان ذلك لنكتة تلاحظ لدى البلغاء (وهي جعل ما سيحصل كأنه حاصل موجود اهتماما بشأنه) ومن ثم كان قوله تعالى فهل أنتم شاكرون أدل على طلب شكر العباد من (أفأنتم شاكرون (١) — فهل تشكرون — فهل أنتم تشكرون (٢)) .

(٣) هل نوعان:

(أ) بسيطة (١) وهي ما يستفهم بها عن وجود الشيء أو عدم وجوده نحو هل الخلُّ الوفيُّ موجود .

(ب) مركبة وهي ما يستفهم بها عن وجود شيء لشيء نحو هل المريخ مسكون .

(٤) علم مما سبق أن همزة التصور يليها المسئول عنه ، وليس كذلك همزة التصديق وهل ، لأن السؤال بهما إنما يكون عن النسبة .

(٥) بين الهمزة وهل الفروق الآتية :

لا تدخل هل على

(ا) النفي	فيمتنع	هل لم يسافر علي
(ب) المضارع الذي للحال	«	هل تحتقر عليا وهو مؤدب
(جـ) الشرط	«	هل إن نجحت أ كافأ
(د) إنّ	«	هل إنك مسافر

---

(١) لأن الجملة وإن كانت اسمية تفيد الثبوت لكن هل أدعى للفعل من الهمزة فتركه معها أدل على كما العناية بحصول ما سيتجدد (٢) إذ هي داخلة على الفعل تقديرا لأن أنتم فاعل فعل محذوف يفسره المذكور (٣) إذا اعتبر في هذا وجود الخل فقط بخلاف الذي بعده فإنه يلاحظ فيه وجود المريخ وسكناه ولهذا ساغ أن تسمى الأولى بسيطة والثانية مركبة .

(هـ) حرف العطف فيمتنع هل فيتقدم بعد ذلك

وتدخل الهمزة على جميع ما ذكر.

من وما

(من) يطلب بها تعيين أحد العقلاء نحو من شيد الهرم الأكبر.

(ما) للاستفهام عن غير العقلاء وهى أقسام:

(ا) مايطلب بها إيضاح الاسم وشرحه نحو ما اللُّجَين فيُجاب بأنه الفضة

(ب) ما يطلب بها بيان حقيقة(١) المسمى نحو ما الحسد فيُجاب بأنه تمنى زوال نعمة المحسود.

(جـ) ما يطلب بها بيان حال الشيء نحو قولك لقادم عليك وأنت لاتعرفه، ما أنت، وقول المتنبي:

ليت المدائح تستوفى مناقبه فما كليبٌ وأهل الأعصُر الأول

متى وأيان وأين وأنى

(متى) يطلب بها تعيين الزمان ماضياً كان أومستقبلا نحو متى قدمت، ومتى تسافر.

(أيان) يطلب بها تعيين الزمان المستقبل خاصة وتكون فى مقام التفخيم، والتهويل نحو (يسأل أيان يوم القيامة).

(أين) يطلب بها تعيين المكان نحو أين تسافر.

(أنى) تكون.

(ا) بمعنى كيف نحو أنى تتقدم الصناعة ولم تُعرها الأمة عناية.

---

(١) تقع هل البسيطة فى الترتيب بين الأولى والثانية لأن الترتيب الطبيعى يقتضى أن يطلب أولا شرح الاسم ثم وجود الشيء ثم معرفة ماهيته وحقيقته.

(ب) بمعنى من أين نحو أنى لك هذا المال وقد عهدتك مُعدماً .

(ﺟ) بمعنى متى نحو أنى يفيض نهر النيل .

كيف وكم وأيّ

(كيف) يطلب بها تعيين الحال نحو كيف التعليم بمصر .

(كم) يطلب بها تعيين عدد مبهم نحو كم مملكة اشتركت فى الحرب العظمى .

(أيّ) يطلب بها تعيين أحد المتشاركين فى شىء يعمهما نحو أى البلدين أدفأ جو القاهرة أم الإسكندرية — وهى بحسب ما تضاف إليه فيسأل بها عن الزمان والمكان والحال والعدد إلى غير ذلك نحو فى أى يوم تسافر . فى أى مكان تقيم ، أى صاحبيك أحسن خلقاً أحمد أم على ، بأى ذنب قتلت .

(تنبيه) قد تخرج ألفاظ الاستفهام عن أصل وضعها فيستفهم بها عن الشىء مع العلم به لأغراض تستفاد من سياق الحديث ودلالة الكلام . أهمها :

(١) الاستبطاء نحو قوله تعالى (وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) وقول أبى العلاء :

إلامَ وفيم تنقلنا ركاب   وتأملُ أن يكون لنا أوان (١)

(٢) التعجب نحو (وما لنا لا نؤمن بالله وقد هدانا سبلنا) وقول الآخر :

أنشا يمزق أثوابى يؤدبنى   أبعد شيبى يبغى عندى الأدباء

(٣) التنبيه على ضلال المخاطب نحو فأين تذهبون (٢) .

(٤) الوعيد والتخويف نحو قوله تعالى (ألم نهلك الأولين) .

(٥) الأمر نحو (فهل من مدكر) ونحو أتصون يديك عن الأذى .

---

(١) إلى متى تسير هذه المطايا وترجو أن يكون لنا وقت نجزيها فيه على إحسانها بنا .

(٢) فليس القصد الاستفهام عن مذهبهم بل التنبيه على ضلالهم وأنه لا مذهب لهم ينجون به .

(٦) النهى نحو: (أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه).

(٧) التقرير بحمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه وإلجائه إليه.

وحكم الهمزة فيه حكمها فى همزة الاستفهام من إيلاء المقرَّر به الهمزة فإذا قلت أفعلت هـذا كان غرضك أن تقرره بأن الفعل كان منه ، وإذا قلت أأنت فعلت هذا كان غرضك أن تقرره بأنه هو الفاعل وعليه قوله تعالى حكاية عن قوم نمروذ (أأنْتَ فعلْتَ هَذَا بآلهتنَا يا إبْرَاهيمُ) إذ غرضهم أن يقر لهم بأنه قد كسر أصنامهم لا أن يقر لهم بأنه هل حصل كسر ، يدل على ذلك جواب إبراهيم بقوله (بَلْ فَعَلَهُ كبيرُهُمْ هَذَا) — ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب فعلت أو لم أفعل

(٨) الانكار ويشترط فيه أن يلى المنكر الهمزة ، ويكون.

(ا) إما للتوبيخ على الفعل بمعنى ما كان ينبغى أن يكون كقوله تعالى. (أتأمُرُون النَّاس بالبرِّ وَتنْسَوْن أنفُسَكُمْ) وأما بمعنى لا ينبغى أن يكون كقولك للرجل يضيع الحق : أتنسى قديم إحسان فلان إليك وقولك للرجل يركب الخطر : أتخرج فى هذا الوقت — والغرض فى مثل هذا تنبيه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع عن فعل ما همَّ به.

(ب) وإما للتكذيب فى الماضى بمعنى لم يكن نحو (أفَأصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بالبَنينَ واتَّخَذَ منَ المَلاَئكَة إنَاثاً) : (أصْطَفَى البَنَات عَلَى البَنينَ) — أو فى المستقبل بمعنى لا يكون (نحو أنلزمُكُمُوهَا وأنتُمْ لَهَا كارهُونَ(١)) وقول امرىء القيس :

أيقتلنى والمَشْرفىُّ مُضَاجعى ومسنونةٌ زُرْقٌ كأنياب أغْوَال(٢)

وقول الآخر: أأترك أنْ قلَّت دراهم خالد زيارَته إنّى إذاً لَلَئيمُ

(١) أى أنلزمكم تلك الحجة وتقسركم على قبولها وأنتم كارهون لها (٢) المشرفى منسوب إلى مشارف اليمن وهى بلاد تعمل فيها السيوف وسهام مسنونة حادة النصال وزرق صافية مجلوة كأنياب الأغوال فى الحدة.

ومن مجيء الهمزة للانكار قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ وقول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح(١)

إذ المعنى الله بكاف عبده ، وأنتم خير من ركب المطايا ، لأن نفي النفي إثبات. وهذا مراد من قال إن الهمزة فيه للتقرير أي للتقرير بما دخله النفي لا للتقرير بالانتفاء .

(٩) التهكم نحو أرأيك يرشدك إلى ما تقول، وعليه قوله تعالى . (أصلاتُك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا (٢)) وقوله :

وما أدري ولستُ إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

(١٠) الاستبعاد نحو أني يرى ذلك وهو أكمه ، وعليه قوله تعالى (أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴾

(١١) التهويل نحو (القَارِعَةُ ما القارعةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا القَارِعَةُ (٣)).

(١٢) التحقير نحو أهذا الذي كنت تطنب في مدحه ، أهذا الذي كنت تركن إليه .

(١٣) التعظيم نحو قول أبي نواس :

إذا لم تطأ أرضَ الخصيب ركابُنا فأي فتىً بعد الخصيب تزور (٤)

(١٤) النفي :

هل الدهر إلا ساعة ثم تنقضي بما كان فيها من بلاء ومن خفض

(١٥) التمني نحو :

---

(١) المطايا جمع مطية وأندى من الندى وهو الكرم والراح جمع راحة باطن الكف .

(٢) كان شعيب كثير الصلوات إذا رآه قومه تضاحكوا واستهزءوا به (٣) القارعة النازلة الشديدة تنزل عليهم بأمر عظيم وبه سمي يوم القيامة (٤) الخصيب من ولاة مصر .

هل بالطلول لسائل ردُّ   أم هل لها بتكلّم عَهْدُ

(١٦) التشويق نحو (هل أُدلُّكُمْ على تجَارَة تُنْجيكمْ من عَذَاب أليم) .

(١٧) التكثير نحو قول أبي العلاء المعرّي :

صاح هذي قبورنا تملأ الرّحـ   ب فأين القبور من عهد عاد

(١٨) التسوية نحو (سَوَاءٌ عَلَينا أوَعَظتَ أمْ لمْ تَكُنْ من الوَاعظين) .

تدريب أول

(١) أنلهو وأيامُنا تذهبُ   ونلعبُ والموتُ لا يلعبُ
(٢) متى يبلغ البنيانُ يوما تمامَهُ   إذا كنتَ تبنيه وغيرُك يهدمُ
(٣) فعلام يلتمس العدُو مَساءتى   من بعد ما عرف الخلائقُ شانى
(٤) وكيف أخاف الفقر أو أُحرمَ الغنى   ورأيُ أمير المؤمنين جَميلُ
(٥) وهل نافعي أن تُرْفع الحجْب بيننا   ودون الذى أمّلتُ منك حجاب
(٦) أضاعونى وأىَّ فتى أضاعوا   ليوم كريهة وسداد ثغر
(٧) ومَن مثل كافور إذا الخيلُ أحجَمت   وكان قليلا من يقول لها اقدُمى
(٨) متى يستقيم الظل والعود أعوج   وهل ذهبُ الابريز يحكيه بَهْرج

الإجابة

(١) التوبيخ بمعنى لا ينبغى أن يكون   (٢) النفى أى لا يبلغ التمام مطلقا
(٣) الاستبعاد   (٤) النفى أى لا أخاف الفقر
(٥) النفى   (٦) التعظيم لشأنه
(٧) التعظيم لشأن الممدوح   (٨) النفى

تدريب ثان

(١) أفي الحق أن يعطى ثلاثون شاعرا ... ويُحرم ما دون الرضا شاعرٌ مثلي
(٢) أعندي وقد مارست كل خفيَّة ... يُصدَّق واشٍ أو يُخيِّب سائل
(٣) فدع الوعيد فما وعيدك ضائري ... أطنينُ أجنحة الذباب يضير (١)
(٤) ومن ذا الذي يُدْلي بعذرٍ وحجة ... وسيفُ المنايا بين عينيه مُصْلت(٢)
(٥) ومن ذا الذي تُرْضى سجاياه كلُّها ... كفى المرء نُبلاً أن تُعدَّ معايبه
(٦) ألم تر أن الله أعطاك سَورة ... ترى كل مَلْك دونها يتذبذب

الاجابة

(١) الإنكار وبيان أن ذلك ما كان ينبغي أن يكون .
(٢) التهكم أو الإنكار أي لا ينبغي أن يكون .
(٣) التحقير لشأن المخاطب بضرب المثل .
(٤) التعظيم لشأن ذلك الموقف .
(٥) التعظيم لشأن ذلك الجامع لجميل الخصال .
(٦) التقرير وبيان أنه قد أعطى البطش والقوة .

تدريب ثالث

سل عما يأتي :

(١) حال الزراعة بالسودان .
(٢) مكان اصطياد الحيوان المفترسة .

---

(١) الطنين صوت أجنحة الذباب ويضير يضر (٢) مصلت مسلول

(٣) معنى القَنْـد .

(٤) مخترع البرق الأثيرى (التلغراف اللاسلكى) .

(٥) مُدْخل زراعة القطن بمصر .

(٦) موسم الحج وإقامة شعائره .

(٧) عدد الناجحين فى الامتحان .

(٨) ترددت فى مجىء على فى عربة أو سيارة .

(٩) ترددت فى زرع القطن فى يناير أو فبراير .

(١٠) الفائز فى لعب الكرة الخديوية أو التوفيقية .

الإجابة

(١) كيف الزراعة بالسودان (٢) أين تصطاد الحيوان المفترسة بالسودان

(٣) ما القند (عسل السكر) (٤) من اخترع البرق الأثيرى

(٥) من أدخل زراعة القطن بمصر (٦) متى موسم الحج

(٧) كم الناجحون فى الإمتحان (٨) أفى عربة جاء على أم فى سيارة

(٩) أفى يناير أم فبراير يزرع القطن (١٠) الخديوية فازت أم التوفيقية

تمرين أول

بين المعانى التى تستفاد من الاستفهام فى الجمل الآتية :

(١) قال تعالى: أَلَمْ نُرَبِّكَ فينا وليداً (٢) أَيَحْسَبُ الإنسانُ أنْ يُتْرَكَ سُدَى

(٣) أنى يَكُونُ لى غلامٌ ولَمْ يَمْسَسْنى بَشَرٌ .

(٤) أليسَ لى مُلكُ مصرَ وهذه الأنهارُ تجرى من تحتى .

(٥) هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه (٦) ألا تحبُّون أنْ يَغفرَ اللهُ لكُمْ

(٧) أكذّبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علماً (٨) أهذا الذى بعث الله رسولاً

تمرين ثان

(١) أترانى وقد طويت حياتى ... فى مراس لم أبلغ اليوم رشدى

(٢) من ذا يعيرك عينه تبكى بها ... أرأيت عيناً للبكاء تعار

(٣) كيف ترقى رقيك الأنبياء ... يا سماء ما طاولتها سماء

(٤) شرف العصاميين صنع نفوسهم ... من ذا يقيس بهم بنى الأشراف

(٥) مالى أراكم تنكرون مكانتى ... الشمس لا تخفى مع الاشراق

(٦) أين الذى الهرمان من بنيانه ... ما قومه ما يومه ما المصرع

(٧) أعندكم نبأ عن أهل أندلس ... فقد سرى بحديث القوم ركبان

(٨) ما أنت يا دنيا أرؤيا نائم ... أم ليل عرس أم بساط سلاف

تمرين ثالث

سل عما يأتى:

(١) إقامة مهرجان المولد النبوى
(٢) شككت فى اسم المأمون
(٣) حال المعادن بمصر
(٤) فاكهة على المائدة لا تعرف اسمها
(٥) عن الوقت لتضبط ساعتك
(٦) نزل مطر لا تعلم زمن نزوله
(٧) بدء نزول الأمطار بالسودان
(٨) قدم أحد أخويك ولا تدرى من هو
(٩) عدد صفحات الكتاب
(١٠) وقت دخول المجلس النيابى مصر
(١١) مكان المدرسة
(١٢) مستقبل مصر

المبحث الرابع فى الأمر

هو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء(١) وله صيغ أربع :

(١) فعل الأمر كقوله تعالى : (وَاصْنَعِ الفُلْكَ بأعْيُنِنا وَوَحْيِنَا) .

(٢) المضارع المقترن بلام الأمر نحو (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ) .

(٣) اسم فعل الأمر نحو :

وحذار أن ترضى مودة من يُقلِي المُقلُ ويعشَقُ المُثرِى

(٤) المصدر النائب عن فعله نحو :

فصبراً مُعينَ الملك إن عن حادث فعاقبة الصبر الجميـــل جميـــل

والأصل فى صيغة الأمر أن تفيد الايجاب أى طلب(٢) الفعل على وجه اللزوم وهذا هو المفهوم منها عند الاطلاق نحو قم وسافر — وما عداه يحتاج إلى قرائن أخرى تستفاد من سياق الحديث ، وأهمها ما يأتى :

(١) الدعاء نحو : فأسلم أمير المؤمنين ولا تزل مستعلياً بالنصر والتأييد

(٢) الالتماس : كما تقول لمن هو فى منزلتك أعطنى كتابك .

(٣) الإرشاد نحو: (خُذ العَفْو وأمُرْ بالعرف وأعْرِض عَن الجاهلين(٣)) .

(٤) التعجيز كقول الفرزدق يخاطب جريراً :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهـــم إذا جمعتنا يا جريرُ المجامعُ

(٥) الاهانة والتحقير كقول أبى العلاء المعرى فى الفخر :

أرى العنقاء تكبر أن تصادا فعاند من تطيق له عنادا(٤)

---

(١) وهو عد الآمر نفسه عاليا سواء أكان عاليا فى الواقع أم لا (٢) ويستفاد الفور أو التراخى من القرائن (٣) العفو نقيض الجهد أى خذ ما عفا لك من أفعال الناس ولا تكلفهم ما يشق عليهم العرف الجميل من الأفعال والأعراض عن الجاهلين يكون بالحلم عنهم .

(٤) العنقاء طائر معروف الاسم مجهول الجسم .

(٦) التهديد نحو إذا لم تخش عاقبة الليالى ولم تستحى فاصنع ماتشاء
(٧) الاعتبار نحو : (انظروا إلى ثمره إذا أثمر) :
(٨) التمنى نحو : يادار عَبْلة بالجواء تكلمى وعمى صباحاً دار عبلة واسلمى (١)
(٩) التخيير نحو : عش عزيزاً أومت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود (٢)
(١٠) الاباحة نحو : اختر ما تشاء .
(١١) الدوام نحو : (أهدنا الصراط المستقيم) .
(١٢) التأديب وهو ما يكون لتهذيب الأخلاق والعادات نحو كل مما يليك .
(١٣) التعجب نحو : (انظر كيف ضربوا لك الأمثال) .

نموذج أول

بين ما يراد بصيغ الأمر فى التراكيب الآتية :

(١) قال عليه السلام أفشو السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلُوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام .

(٢) أسيئى بنا أو أحسنى لاملومةٌ لدينا ولا مَقْلِيَّةٌ إن تَقلَّت
(٣) عش ما بد لك سالما فى ظل شاهقة القصور
(٤) وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور .
(٥) قف بتلك القصور فى اليم غَرْقى ممسكا بعضُها من الذُّعْر بعضاً
(٦) انظر إلى القبة الغرّاء مُذْهبة كأنما الشمس أعطتها محياها

(١) عبلة بنت عمه والجواء واد بديار بنى عبس وعمى صباحاً كلمة تحية .
(٢) البنود جمع بند العلم الكبير وخفقها اضطرابها .

الاجابة

صيغة الأمر	الغرض منها	صيغة الأمر	الغرض منها
(١) أفشوا السلام	الارشاد	أسروا قولكم	التخيير
(٢) أسيئى بنا	التسوية	قف بتلك القصور	الاعتبار والعظة
(٣) عش سالما	الدعاء	انظر	التعجب

نموذج ثان

(١) أريني جواداً مات هُزْلا لعلني أرى ما ترَيْن أو بخيلا مخلداً

(٢) قال تعالى : هاتُوا برهانكُمْ إنْ كنتُمْ صادقينَ .

(٣) قد رشحوك لأمر إن فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمَل

(٤) ربِّ اشرحْ لى صدْرى ويَسِّرْ لى أمْرى .

(٥) ليس هذا بعُشّك فادرُجى .

(٦) اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً .

الاجابة

صيغة الأمر	الغرض منها	صغية الأمر	الغرض منها
(١) أريني جوادا	التعجيز	اشرح لى صدرى	الدعاء
(٢) هاتو برهانكم	«	ادرجى	الاهانة
(٣) اربأ بنفسك	الارشاد	اعمل لدنياك	الارشاد

تمرين أول

بين ما يستفاد من صيغ الأمر فيما يلى :

(١) غُفْرانَكَ رَبنَا وإليْكَ المصيرُ (٢) فأْتُوا بسُورَة منْ مثْله

(٣) ادخلوها بسلام آمنين (٤) تمتعوا فإن مصيركم إلى النار

(٥) فاقضِ ما أنتَ قاض (٦) رَبنَا افتَحْ بيننا وبيْن قومنَا بالحَقِّ.

تمرين ثان

(١) فانهض إلى صَهَوات المجد معتلياً فالبـازُ لم يأو إلا عالىَ القُلل

(٢) ألمَّا على مَعْن وقولا لقبره سقتْك الغوادى مَرْبعاً ثم مربعاً

(٣) حاول جسيات الأمور ولا تقل إن المحامد والعلا أرزاق

(٤) فياموتُ زُر إنَّ الحياة كريهة ويانفسُ جدىّ إنّ دهرك هازل

(٥) ليَدّع المدّعون العلم والأدبا فقد تغيّب عبد الله واحتجبا

(٦) أيتُها النفس أجملى جزَعاً إنَّ الذى تحذرين قد وقعا

المبحث الخامس فى النهى

هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء ، وليس له إلا صيغة واحدة ، هى المضارع مع لا الناهية نحو (ولا تُفسدُوا فى الأرْض بعْد إصْلاحها)

ومدلوله طلب الكف عن الفعل فوراً كما يستفاد من تتبع فصيح التراكيب .
وقد يستعمل منه معان أخرى تفهم بالقرائن من سياق الحديث تجوزاً واتساعاً فى الاستعمال وأهمها :

(١) الدعاء نحو : ربنا لا تُحمّلنا مالا طاقةَ لنا به .

(٢) الارشاد نحو : إذا نطق السفيه فلا تجبه   فخيرٌ من إجابته السكوت
(٣) التهديد نحو : لاتنته عن غيّك
(٤) التيئيس نحو : فلايخدعنك لموع السراب   ولاتأت أمراً إذا ما اشتَبهْ
(٥) الالتماس نحو: لاتطويا السرعنى يوم نائبة   فإن ذلك ذنب غير مغتفر
(٦) التمنى نحو : أعينىّ جودا ولا تجمُدا   ألا تبكيان لصخر النّدى
(٧) التوبيخ نحو : لاتنْهَ عن خلق وتأتى مثله   عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيم
(٨) التسلية والتصبر نحو : ولاتجزع فإن الله رحيم بعباده .

نموذج

اذكر مايراد بصيغ النهى الآتية :
(١) ولاتلبسوا الحق بالباطل وتَكتُمُوا الحقَّ وأنتُمْ تَعلمُونَ .
(٢) لاتكن رطباً فتعصر ، ولايابساً فتكسر .
(٣) لاتعتذروا اليوم .
(٤) لاتحسَب المجــد تمراً أنت آكله   لن تبلغ المجد حتى تلعق الصَبرا
(٥) لاتحتجب عن العيون أيها القمر :
(٦) لاتعرضَنْ لجعفر متشبهاً   بنــدى يديه فلستَ من أنداده

الإجابة

الغرض	الغرض
(١) التوبيخ لهم على خلطهم الحق بالباطل	(٤) التوبيخ والتقريع
(٢) الارشاد إلى حسن الخلق	(٥) التمنى
(٣) التيئيس	(٦) التوبيخ والتأنيب

تمرين أول

ماذا يراد بصيغ النهى الآتية :

(١) ولا تمش فى الأرض مرحاً . (٢) ولا يضار كاتب ولا شهيد

(٣) ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك (٤) ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا

(٥) لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم .

(٦) ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا .

تمرين ثان

(١) ولا يغرنك بشر من أخى ملق فرونق الآل لا يشفى من الغلل

(٢) لا تلهينك عن معادك لذة تفنى وتورث دائم الحسرات

(٣) لا تودع السر مشاء به مذلا فما رعى غنما فى الدو سرحان (١)

(٤) لا تلتمس من عيوب الناس ما ستروا .

(٥) لا تحسبن سروراً دائماً أبدا .

(٦) لا تعاد الناس فى أوطانهم .

المبحث السادس فى النداء

هو دعوة المخاطب بحرف نائب مناب فعل كأدعو ونحوه .

وأدواته ثمان يا والهمزة وأى وآى وآ وأيا وهيا ووا .

وهى فى الاستعمال قسمان :

(١) الهمزة وأى للقريب (٢) باقى الأدوات للبعيد

---

(١) المشاء كثير الوشاية والمذل المفسد والدو الفلاة وسرحان الذئب

وقد ينزل البعيد منزلة القريب فينادى بالهمزة أو أى تنبيهاً على أنه لا يغيب عن القلب ، بل هو مالك للفؤاد واللب ، فكأنه حاضر الجثمان ، ليس بناء عن العيان ، كقول الضبيّ فى رثاء ابنه :

أأبيُّ لا تَبْعد وليس بخالد ... حيٌّ ومَنْ تُصب المنونُ بعيد

كما قد يعكس فينزل القريب منزلة البعيد فينادى باحدى أدواته إما .

(ا) للدلالة على أن المنادى رفيع القدر عظيم الشأن فيجعل بُعْد المنزلة كأنه بعد فى المكان كقول أبى بكر بن النطاح فى مدح أبى دُلف العجلى :

أبا دلف بوركتَ فى كل بلدة ... كما بوركتْ فى شهرها ليلةُ القدْر (١)

(ب) للإشارة إلى أنه وضيع منحط الدرجة وعليه قول الفرزدق يهجو جريراً

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم ... إذا جمعتنا يا جريرُ المجامعُ

(ج) للاشعار بأن السامع غافل لاه فتعتبره كأنه غير حاضر فى مجلسك ، وعليه قول البارودى :

يأيها السادر المزْوَرّ من صلف ... مهلا فانك بالأيام مُنْخَدع (٢)

وقد تخرج ألفاظ النداء إلى معان أخرى تستفاد من القرائن ومن ذلك .

(١) التحسر والتوجع كقول حافظ فى الرثاء :

يا دُرّة نزعت من تاج والدها ... فأصبحت حلْية فى تاج رضْوان

وقول من رثى مَعْن بن زائدة :

فيا قبرَ مَعْن كيف وارَيتَ جوده ... وقد كان منه البر والبحرُ مُتْرعا (٣)

(٢) التعجب كقول طرفة :

---

(١) أبو دلف العجلى أحد القواد الشجعان فى عهد المأمون والمعتصم توفى ٢٦٨ هـ .

(٢) السادر الذاهب عن الشىء ترفعا والمزور المنحرف والصلف الكبر (٣) المترع المملوء .

يالكِ من قُبَّرةٍ بمَعْمَرِ خلالكِ الجوُّ فبيضي واصفري (١)

(٣) الاختصاص كقوله :

إنّا بني نَهْشَلٍ لاندّعي لأبٍ عنه ولا هو بالأبناء يَشْرينا

(٤) الندبة كقول أبي العلاء :

فواعجَبا كم يدّعي الفضل ناقصٌ ووا أسفا كم يُظهر النقصَ فاضلُ

(٥) الإغراء كقولك للجندي المتردد في الدفاع ياشجاع تقدم .

(٦) الزجر والملامة نحو :

أفؤادي متى المتابُ ألمّا تصْحُ والشيبُ فوق رأسي ألمّا (٢)

(٧) الاستغاثة نحو :

يا للرجال ذوي الألباب من نَفَرٍ لايبرح السّفَهُ المُرْدي لهم دينَا (٣)

(٨) التحير والتذكر وقد كثر ذلك في نداء الاطلال والمنازل والمطايا كقوله .

أيا منازل سَلْمَى أين سلماك من أجل هذا بكيناها بكيناك (٤)

وقول أبي العلاء :

يا ناقُ جِدّي فقدْ أفنَتْ أناتُكِ بي صبري وعمري وأحلاسي وأنساعي(٥)

تنبيـــه

(١) الأكثر أن يصحب النداء أمر أو نهي نحو يأيُّها النـاسُ اعبدوا ربَّكمْ ،

---

(١) الشطر الثاني يضرب مثلا للحاجة يتمكن منها صاحبها (٢) ألم الثانية بمعنى نزل .

(٣) المردي المهلك والدين العادة (٤) فيه حذف حرف العطف أي وبكيناك يريد أنه بكى على سلمى وبكى على المنازل لعدم وجود سلمى بها (٥) الأناة التأني والتأخر والاحلاس جمع حلس وهو كساء يطرح على ظهر البعير والانساع جمع نسع وهو سير عريض يوضع في صدر البعير

يأيها الذين آمنوا لا تُقدِّموا بين يدَى الله ورسوله (١) — ويقل أن تصحبه الجملة الخبرية نحو ياعباد لاخوفٌ عليكُمْ اليومَ ، أوالاستفهامية نحو يا أبت لِمَ تعْبُدُ مالا يسمعُ ولا يُبْصر .

نموذج

بين المعانى التى تستفاد من النداء :

(١) ياليلُ قدطلت فهل مات السحَرْ ... أم استحالتْ شمسهُ إلى القمَرْ

(٢) يا راحلاً أخلى الديا ... رَ وفضلُه لم يرحَل

(٣) صادح الشرق قد سكتَّ طويلا ... وعزيزٌ عليه ألا تقولا

(٤) أبا الهول طال عليك العصْرُ ... وبُلِّغت فى الأرض أقصى العُمُر

(٥) يا ابن أمى ويا أُحيَيْب نفسى ... أنت خلّفتنى لدهر شديد

(٦) يا أيها القمر المباهى وجهَه ... لا تكذبَن فلستَ من أشكاله

الاجابة

(١) المراد بالنداء التحير والتضجر (٢) يراد به التحسر

(٣) التذكر والتضجر (٤) التعجب

(٥) التحسر والتأسف (٦) الزجر والملامة

تمرين

بين المعانى المستفادة من النداء فيما يلى :

(١) ويكَ ياقبرُ صرتَ للفضل مثوىً ... لا ليسا ىَ ولنبوغ مَقيلا

---

(١) أى لاتقطعوا أمرا إلا بعد مايحكمان به ويأذنان فيه ، فتكونوا إما عاملين بالوحى المنزل وإما مقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) أحتّجاجُ لا يُفلّل سلاحك إنما — المنايا بكفّ الله حيث يراها؛
(٣) أمحمدٌ والجودُ فيك سجيةٌ — يَهنيك طيّبُ ذكرها يهنيكا؛
(٤) فيصاحبيْ رَحْلي دنا الموت فانزلا — برابية إنى مقيمٌ لياليا؛
(٥) ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى — بصبح وما الأصباح منك بأمثل.
(٦) يا موتهُ لو أقالتَ عثرته — يابومَه لو تركته لغَد.

الباب الثالث فى الذكر

لم يتعرض لهذا الباب كثير من أئمة هذا الفن كأبى هلال العسكرى والإمام عبد القاهر، وكأنهم لم يروا فيه من اللطائف والمزايا ما يسيغ البحث عنه فى علوم الفصاحة إذ هو بمباحث علم النحو أشبه.

ولكن المتأخرين كالسكاكى وشيعته ذكروا فيه نكات ومزايا لم يستطيعوا أن يردفوها بآى من التنزيل أو بشواهد من كلام ذوى اللسن والفصاحة، وقصارى ما قالوه إن المسند إليه يذكر وجوباً إذا لم تقم قرينة تدل عليه وإلا كان الكلام معمى لا يستبين المراد منه، ويترجح إذا وجدت القرينة لمزية من المزايا الآتية.

(١) أنه الأصل وليس هناك ما يقتضى العدول عنه كما تقول هذا أخى وذلك صديق.

(٢) زيادة الكشف والإيضاح كما تقول اللبيب من فكر فى العواقب، اللبيب من خالف نفسه الأمارة بالسوء.

وعليه قوله تعالى أولئكَ على هُدىً من ربِّهمْ وأولئك هُمُ المفلحُونَ، ففى تكرير اسم الإشارة تنبيه إلى أنهم كما ثبتت لهم الأثرة بالهدى فهى ثابتة لهم بالفلاح أيضاً. فجعلت كل واحدة منهما فى تمييزهم بها عن غيرهم بالمثابة التى لو انفردت كفت مميزة على حيالها قاله فى الكشاف.

بسط الكلام فى مقام الافتخار كقول سامى البارودى :

أنا مصدرُ الكلم البوادى بين المحاضر والنوادى
إنا فارسٌ أنا شاعرٌ فى كل ملحمة ونادى

(٤) التسجيل على السامع حتى لا يتأتى له الانكار كقول الفرزدق يمدح زين العابدين .

هذا ابن خير عباد الله كلّهمُ هذا التقىُّ النقىّ الطاهرُ العلمُ

(٥) الاستلذاذ بذكر الاسم المحبوب كما يكرر المادحون ذكر ممدوحيهم كقوله -

فعباسٌ يصد الخطب عنا وعباسٌ يُجير من استجارا

(٦) التهويل كما تقول ملك البلاد يأمرك بكذا .

(٧) التعظيم اذا كان اللفظ يفيد ذلك كما يُقال فى جواب أحضر الملك : حضر سيف الدولة .

(٨) التحقير اذا كان اللفظ يشعر بالاهانة نحو حضر المجرم فى جواب هل حضر فلان .

(٩) التعجب اذا كان الحكم غريباً فى مجرى الالف والعادة نحو على يصرع الأسد فى جواب ، هل يصرع على الأسد .

(١٠) ضعف القرينة فتقل الثقة بها فلا يعتمد عليها نحو أول الانسان نطفة مذرة وآخرة جيفة قذرة .

ويذكر المسند للطائف ومزايا تشبه ما ذكر فى المسند اليه أهمها .

(١) كون الذكر هو الأصل ولا داعى للعدول عنه نحو الأدب خير من العلم .

(٢) الرد على المخاطب إذا كان ينكر صحة ما يقال له كقوله تعالى : يحييها الذى أنشأها أول مرة — بعد قوله : من يُحيي العظام وهى رميمٌ .

(٣) الاحتياط لضعف التعويل على القرينة نحو: ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض "ليقولن خلقهن" العزيز العليم.

(٤) التعريض بغباوة المخاطب نحو: "بل فعله كبيرهم هذا" — بعد قوله: أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم.

(٥) إفادة أنه فعل فيفيد التجدد والحدوث مقيداً بأحد الأزمنة على أخصر طريق أو اسم فيفيد الثبوت مطلقاً مثل: يخادعون الله وهو خادعهم؛ فإن يخادعون يفيد التجدد حينا بعد آخر مقيداً بالزمان بدون حاجة الى قرينة تدل عليه، وقوله وهو خادعهم يفيد الثبوت مطلقاً من غير نظر الى زمان مخصوص.

نموذج

بين السر فى ذكر المسند اليه أو المسند فيما يلى:

(١) وقد علم القبائل من مَعَدٍّ اذا قُبَبٌ بأبطحها بُنينا
بأنا المطعمون اذا قدَرْنا وأنا المهلكون اذا ابْتُلينا

(٢) قال عليه السلام: اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً:

(٣) أعينى جوداً ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجواد الجميل ألا تبكيان الفتى السيدا

(٤) قال حافظ فى وصف الشمس:

هى أم الأرض فى نسبتها هى أم الكون والكونُ جنين
هى أم النار والنور معاً هى أم الريح والماء المعين

(٥) أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب

(٦) الرجال المخلصون هم الذين يذودون عن الوطن ، الرجال المخلصون هم الذين يظهرون عند الشدائد .

(٧) مليك البلاد يأمر بالعدل والانصاف .

الإجابة

(١) ذكر المسند إليه لبسط الكلام فى معرض الفخر

(٢) ذكر المسند إليه لزيادة التقرير والإيضاح .

(٣) ذكر المسند لإفادة التجدد بالجملة الفعلية .

(٤) ذكر المسند اليه لأن المقام مقام تعظيم وتفخيم

(٥) ذكر المسند اليه لأن المقام للافتخار .

(٦) ذكر المسند اليه لتعظيم شأن الرجال العاملين .

(٧) ذكر المسند اليه للتهويل

تمرين

بين أسباب ذكر المسند اليه أو المسند فيما يلى :

(١) إن حل فى روم ففيها قيصر أو حل فى عُرْب ففيها تبّع

(٢) ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضينا

(٣) وإنى لحلو تعترينى مرارة وإنى لترّاك لما لم أعوّد

(٤) إلهى نصيرى ، يحفظنى شر الهمازين المشائين بنميم .

(٥) أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين .

(٦) فمهل الكافرين أمهلهم رُوَيدا .

(٧) إذا نزل الحجاج أرضا مريضة تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العضال الذى بها غلامٌ إذا هزّ القناةَ سقاها

الباب الرابع فى الحذف

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول فى مزايا الحذف وشروطه

من دقائق اللغة وعجيب سرها وبديع أساليبها ، أنك قد ترى الجمال والروعة تتجلى فى الكلام إذا أنت حذفت أحد ركنى الجملة أو شيئا من متعلقاتها ، فان أنت قدرت ذلك المحذوف وأبرزته صار الكلام إلى غث سفساف ونازل ركيك لاصلة بينه وبين ماكان عليه أولا .

ومن ثم قال فى دلائل الاعجاز هذا باب دقيق المسلك لطيف المأخذ ، عجيب الأمر شبيه بالسحر ، فانك ترى به ترك الذكر ، والصمت عن الافادة ، أزيد للافادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ماتكون بيانا إذا لم تبين ، وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبرُ ، وتدفعها حتى تنظر ا هـ .

ومن شرط الحذف أن يكون فى الكلام ما يدل على المحذوف وإلا كان تعمية وإلغازا ، ومن شرط حسنه أنه متى أظهر المحذوف زال ما كان فى الكلام من البهجة والطلاوة . وهو على ضربين :

(١) ضرب يظهر فيه المحذوف عند الاعراب كقولهم أهلا وسهلا ، فان نصب الاهل والسهل يدل على ناصب محذوف يقدر بنحو جئت أهلا ونزلت مكانا سهلا، وليس لهذا الحذف من الحسن والاريحية ما تجده فى قسيمه الثانى .

(٢) ضرب لا يظهر بالاعراب وإنما تعلم مكانه إذا أنت تصفحت المعنى ووجدته لا يتم إذا لم يراع ذلك المحذوف كما يقال فلان يحل ويعقد ، ويعطى

ويمنع ، إذ من البين أن المعنى يحل الأمور ويعقدها ، ويعطى مايشاء ويمنع مايشاء، ولكن لاسبيل إلى إظهار ذلك المحذوف ، ولو أظهرته زالت تلك البهجة وضاع ما تشعر به من رُواء وجمال .

المبحث الثانى فى حذف المسند إليه

يحذف المسند اليه لاغراض أهمها :

(١) ظهوره بدلالة القرائن عليه ، فذكره يعد حينئذ عبثاً فى الظاهر(١).

كقوله تعالى : فَصكتْ وجهَها وقالتْ عجوزٌ عقيمٌ أى أنا .

(٢) ضيق المقام عن إطالة الكلام بسبب التوجع والتضجر نحو :

قال لى كيف أنت قلت عليلٌ سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طويلٌ

(٣) إخفاء الأمر عن غير المخاطب كما تقول (أتت) أى المسألة المعهودة بينكما .

(٤) خوف فوات فرصة سانحة ، كقول من رأى طيّاراً مقبلا ، طيّار .

(٥) المحافظة على سجع أو قافية فالأول نحو :

من طابت سريرته ، حُمدت سيرته أى حمد الناس سيرته ، والثانى نحو :

وما المال والأهلون إلا ودَائع ولابد يوماً أن تُردّ الودائع(٢)

(٦) اتباع الاستعمال الوارد بالحذف كقولهم فى المثل : رمية من غير رام (٣) أى هذه رمية ، أو الوارد على ترك نظائره كما فى الرفع على المدح أو الذم أو الترحم

---

(١) وإلا فلا عبث فى ذكره على الحقيقة لانه أحد ركنى الاسناد .

(٢) إذ لو قيل أن يرد الناس الودائع لاختلف القافية .

(٣) يراد رمية مصيبة من رام غير محسن، يضرب مثلا لمن صدر منه فعل حسن ليس أهلا لان يصدر منه قاله الحكم بن عبد يغوث المصرى .

فان المسند إليه لايكاد يذكر فى هذه المواضع فيقولون بعد أن يذكروا (١) الممدوح ، غلام من شأنه كذا وكذا ، وفتى من شأنه كيت وكيت كما قال ابن عنقاء الفزارى يمدح عُميلة وقد شاطره ماله لما رآه مُعوِزا :

رآنى على مابى عُمَيلةُ فاشتكى ... إلى ماله حالى أسركما جهرْ
غلام رماه اللهُ بالخير يافعا ... لهسيمياءُ لاتشق على البصر (٢)

وكما قال عبد الله الاسدى يمدح عمرو بن عثمان بن عفان :

سأشكر عَمْرا إن تراخت منيتى ... أيادى لم تُمنَنْ وإن هى جلّت
فتىً غيرُ محجوب الغنى عن صديقه ... ولامظهرُ الشكوى إذا النعل زلّت
رأى خلّتى من حيث يخفى مكانها ... فكانت قذى عينيه حتى تجلّت (٣)

وبعد أن يذكروا الديار والمنازل ربع كذا وكذا كما قال :

اعتاد قلبك من ليلى عوائدُه ... وهاج أهواءك المكنونةَ الطلل
ربعٌ قواءٌ أذاع المعْصراتُ به ... وكل حيرانَ سار ماؤه خضل (٤)

(٧) تعينه وعدم احتمال غيره إما بحسب الحقيقة والواقع كما تقول خلاّقٌ لما يشاء أى الله تعالى ، وإما بحسب المبالغة والادعاء كما يقول المادح وهّاب الالوف أى الممدوح .

(٨) تكثير الفائدة باحتمال أمرين عند الحذف نحو قوله تعالى فصبرٌ جميل

---

(١) قال الرازى يشبه أن يكون السبب فى ذلك أنه بلغ فى استحقاق الوصف إلى حيث يعلم أنه لايكون إلا للموصوف سواء أكان فى نفسه كذلك أم بحسب دعوى الشاعر على طريق المبالغة (٢) رماه الله وضع فيه واليافع الشاب والسيمياء العلامة والهيئة ولا تشق على البصر أى تفرح به من ينظر إليه (٣) زلت النعل كناية عن الخصاصة والفاقة .

(٤) أذاع المعصرات أزلت ماءها بكثرة والحيران السارى هو المزن يجرى ليلا والخضل الصافى وربع قواء لا أنيس به .

أى فأمرى صبر جميل ، أو فصبر جميل أجمل بى وأولى .

(٩) تأتى الانكار عند الحاجة إلى ذلك كما يقال : همّاز مشّاء بنميم إذا قامت القرينة على أن المراد خالد مثلا .

(١٠) إيهام العدول الى أقوى الدليلين وهو الدليل العقلى دون اللفظى ، فان الاعتماد عند الذكر على دلالة اللفظ ، وعند الحذف على دلالة العقل وهى أقوى ، وإنما قيل لايهام لأن الدال فى الحقيقة عند الحذف هو اللفظ المدلول عليه بالقرينة ويحتمله (قال لى كيف أنت قلت عليل) .

ومن حذف المسند إليه ما إذا أسند الفعل الى نائب الفاعل لاعتبارات منها :

(١) جهل الفاعل كقول المرقّش الأكبر :

ان نُبتدر غايةٌ يوماً لمكرُمة تلق السوابق منا والمصلّينا

(٢) الخوف عليه كقول النابغة يعتذر الى النعمان :

نبئت أن أبا قابوس أوعدنى ولاقرار على زأر من الأسد (١)

(٣) العلم به كقول ليلى الاخيلية تمدح الحجاج :

أحجاج لا يُفلَل سلاحُك إنما الـمنايا بكف الله حيث يراها

(٤) احتقاره كقول النابغة :

لئن كنت قد بُلّغت عنى وشاية لمبلغك الواشى أغش وأكذب

(٥) الخوف منه كما تقول صودرت أموال فلان إذا كان ظالم ذو سطوة قد أخذها .

المبحث الثالث فى حذف المسند

يحذف المسند لأغراض منها :

---

(١) أبو قابوس كنية النعمان بن المنذر والمنبىء له عصام حاجب النعمان وقد أسر له بذلك .

(١) قصد الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر مع ضيق المقام بسبب التحسر والتوجع كقول ضابىء البُرْجُمِى من من أبيات قالها فى الحبس:

ومن يك أمسى بالمدينة رحلُه فإنى وقيّارٌ بها لغريب(١)

تقديره فإنى لغريب وقيار كذلك ، والباعث على تقديم قيار على خبر إن قصد التسوية بينها فى التحسر على الاغتراب حتى كأن قياراً تأثر بما تأثر هو به أيضاً ، وعليه قوله تعالى : (والله ورسوله أحق أن يرضوه) تقديره والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك .

(٢) الثقة بشهادة العقل دون الاعتماد على اللفظ كما تجيب من قال هل لك أحد، إن الناس إلبٌ(٢) عليك (إنّ محمدا وإن عليا) أى إن لى محمدا وإن لى عليا ، وعليه قول الأعشى :

إنّ محلا وإنّ مرْتحلا وإن فى السَّفْر إذ مَضوْا مَهَلا

يريد إن لنا محلا فى الدنيا وإن لنا مرتحلا عنها إلى الآخرة .

(٣) الدلالة على الاختصاص نحو (قُلْ لَوْ أنتُمْ تَمْلكون خَزَائنَ رَحْمَةَ رَبِّى) تقديره لو تملكون تملكون بالتكرار للتوكيد ، ثم حذف الفعل فانفصل الضمير وأفاد الاختصاص ، وأن الناس هم المختصون بالشح المتناهى ونظيره قول حاتم لو ذاتُ سوار لطمتنى(٣) .

ولابد للحذف من قرينة دالة على المحذوف ليفهم المعنى كوقوع الكلام جوابا عن سؤال محقق نحو (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولُنّ الله) أومقدر نحو: يسبح له فيها بالغدو والآصال رجالٌ ، فى قراءة من بنى الفعل للمجهول كأنه قيل من يسبح فقيل يسبحه رجال ، ونحو قول ضرار بن نهشل يرثى يزيد أخاه :

---

(١) فى الأساس الماء فى رحله أى منزله ومأواه وقيار اسم جمل والبيت خبر أريد به إنشاء التحسر والتوجع من الغربة [٢] مجتمعون على عداوتك [٣] يضرب مثلا للشريف يهينه الوضيع والعرب تكنى بذات السوار عن الحرة .

لُبْكَ يزيدُ ضارعٌ لخصومة   ومختبِطٌ مما تُطيح الطوائح (١)

كأنه قيل من يبكيه فقال ضارع ذليل لخصومة إذ هو ملجأ الأذلاء وعون الضعفاء.

المبحث الرابع فى حذف المفعول

للفعل رابطة بكل من الفاعل والمفعول وإن تنوعت جهتها، فارتباطه بالفاعل لإفادة وقوعه منه لا إفادة وجوده فى نفسه فحسب، وارتباطه بالمفعول لبيان وقوعه عليه.

ولاختلاف نوع الارتباط اختلف العمل فعمل الفعل فى الفاعل الرفع وفى المفعول النصب، أما إذا أريد الإخبار بوقوع الفعل فى ذاته من غير إرادة أن يعلم من وقع أو على من وقع فالعبارة التى تدل على ذلك أن يقال كان ضرب أو وقع أو وُجد أو نحو ذلك من الألفاظ التى تدل على الوجود المجرد، إذا علمت ذلك تقول.

الفعل المتعدى إذا أسند إلى فاعله ولم يذكر له مفعول فهو على ضربين :

(١) أن يكون الغرض إثبات المعنى فى نفسه للفاعل من غير اعتبار عمومه وخصوصه ولا اعتبار تعلقه بمن وقع عليه، وحينئذ يكون المتعدى بمنزلة اللازم فلا يذكر له مفعول لئلا يتوهم السامع أن الغرض الإخبار به باعتبار تعلقه بالمفعول، ألا ترى أنك إذا قلت فلان يعطى الدنانير كان المقصد بيان جنس المعطى لا بيان كونه معطيا ويكون كلاماً مع من أثبت له إعطاء ولا يدرى ما معطاه، كما لا يقدر له مفعول أيضاً لأن المقدر فى حكم المذكور — وهذا الضرب نوعان.

---

(١) الضارع الذليل والمختبط هو الذى يطلب منك المعروف من غير وسيلة والاطاحة الاذهاب والطوائح جمع مطيحة على غير قياس ومما متعلق بمختبط وما مصدرية أى يبكى ضارع لاذهاب المنايا يزيد .

(ا) أن يجعل الفعل حال كونه مطلقاً عن اعتبار العموم والخصوص، كناية(١) عنه متعلقاً بمفعول مخصوص بدلالة سبق ذكر أو دليل حال إلا أنك تنسيه نفسك وتوهم أنك لم تذكر الفعل إلا لأن تثبت معناه من غير أن تقصد تعديته إلى مفعول مخصوص، وعليه قول البحتري يمدح المعتز بالله ويعرّض بالمستعين بالله

شجوُ حسّاده وغيظُ عداه أن يرى مبصرٌ ويسمع واع(٢)

فالمعنى المراد أن يرى مبصر آثاره ويسمع واع أخباره، ولكنه أغفل هذين المفعولين وأبعدهما عن وهمه (٣) ليتسنى له أن يبين أن محاسن الممدوح قد ذاع صيتها واشتهر أمرها فلا تخفى على ذى بصر وسمع فيكفى فى معرفة أنها سبب فى استحقاقه الامامة دون غيره أن يقع عليها بصر ويعيها سمع حتى يعلم الرائى والسامع أنه لايليق لمقام الخلافة غيره، ومن ثم ترى الحساد والعدا يتمنون ألا توجد عين تبصر ولا أذن تسمع لتخفى هذه الفضائل فيجدوا إلى منازعته فيها سبيلا.

(ب) ألا يجعل كناية عن مفعول مخصوص بل يقصد إثبات المعنى فى نفسه من غير تعرض لمفعول كقولهم فلان يحلّ ويعقد ويأمر وينهى ويضر وينفع، فالمقصود أن له حلا وعقدا أمرا ونهيا وضرا ونفعا وعليه قوله تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون) فالمعنى هل يستوى من له علم ومن لا علم له، وقوله عز اسمه (وأنّه هو أضحك وأبكى وأنّه هو أمات وأحيا).

---

(١) فالمطلق يجعل كناية عن المقيد فالفعل عند تنزيله منزلة اللازم يكون مدلوله الماهية الكلية ثم بعد ذلك يكون كناية عن شىء مخصوص فيكون مدلوله جزئيا، والمقيد وإن لم يكن لازما للمطلق يدعى فيه اللزوم بالقرينة (٢) شجاه الأمر أحزنه (٣) ونزلهما منزلة اللازمين أى تصدر منه الرؤية والسماع من غير تعلق بمفعول مخصوص ثم جعلهما كنايتين عن الرؤية والسماع المتعلقين بمفعول مخصوص هو محاسنه وأخباره بادعاء الملازمة بين مطلق الرؤية ورؤية محاسنه وبين مطلق السماع وسماع أخباره للدلالة على أن آثاره وأخباره بلغت من الشهرة مبلغا لايستطاع خفاؤها معه فلا يرى الرائى إلا آثاره ولا يسمع إلا أخباره فذكر الملزوم وأراد اللازم على ماهو طريق الكناية.

(٢) أن يكون الغرض إفادة تعلقه بمفعول، ويجب تقديره بحسب القرائن، ويحذف حينئذ لداع من الدواعي الآتية هي :

(١) البيان بعد الابهام ليكون أوقع في النفس كما في فعل المشيئة إذا لم يكن في تعلقه بمفعوله غرابة، فتقول لو شئت جئت ولو شئت لم أجيء، فتقديره لو شئت المجيء أو عدم المجيء — فتى قلت ولو شئت علم السامع أن ها هنا شيئا تعلقت المشيئة بوجوده أو عدمه، فاذا قلت جئت أو لم أجيء عرف ذلك الشيء، ومن هذا الباب قوله تعالى (فلو شاء لهداكم أجمعين) وقول البحترى :

لو شئت لم تُفسد سماحة حاتم كرما ولم تهدم مآثر خالد

فان كان تعلق الفعل به غرابة ذكر المفعول ليتقرر في نفس السامع ويأنس به كما يقول الرجل مخبرا عن عزه لو شئت أن ألقى الخليفة كل يوم لقيته . وعليه قوله تعالى (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق) وقول اسحاق الخزيمى يرثى حفيده :

ولو شئتَ أن أبكي دما لبكيتُه عليه ولكن ساحةُ الصبر أوسع

لأنه لما كان من البدع العجيب أن يقابل أحد الخليفة كل يوم وأن يريد رب العالمين ولدا وأن يشاء الإنسان بكاء الدم صرح فيها بذكر المفعول .

(٢) دفع توهم السامع من أول وهلة إرادة شيء غير ماهو مراد كقول البحترى يذكر ذودْ الممدوح ومساعدته إياه :

وكم ذُدت عني من تحامل حادث وسَورة أيام حززن إلى العظم

إذ لو قال حززن اللحم لجاز أن يدور في خلد السامع قبل ذكر ما بعده أن الحز كان في بعض اللحم ولم يصل إلى العظام، فترك ذكر اللحم لينفي عن فكره ما ربما يختلج في خاطره بادىء ذي بداءة .

(٣) إرادة ذكره ثانيا على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظه لكمال العناية به والاهتمام بوقوعه كقول البحترى :

قد طلبنا فلم نجد لك فى السؤ ... دد والمجد والمكارم مثلا

إذ تقديره طلبنا لك مثلا فلم نجده ، لكنه حذف المثل ليوقع نفى الوجود على لفظ المثل صراحة — وللاحظة مثل هذا الغرض عكس ذو الرمة فى قوله :

ولم أمدح لأرضيه بشعرى ... لئيما أن يكون أصاب مالا

فأعمل الفعل الاول وهو أمدح فى لفظ اللئيم وأعمل أرضى فى ضميره ، لما كان غرضه ايقاع نفى المدح على اللئيم صريحا دون الارضاء ، ولو عكس لأبهم الأمر فيما هو الاصل وأبانه فيما ليس بأصل .

(٤) قصد التعميم مع الاختصار[1] كما تقول قد كان منك ما يؤلم أى ما الشأن فى مثله أن يؤلم كل أحد ، وعليه قوله تعالى « والله يدعو إلى دار السلام » أى جميع عباده

(٥) رعاية السجع وروى الفاصلة كقوله تعالى « والضحى والليل إذا سجى ، ما ودعك ربك وما قلا » أى ما قلاك وأبغضك ، ويرى صاحب الكشاف أن حذف المفعول فى مثل هذا للاختصار اللفظى للعلم به .

(٦) استهجان ذكره كقول عائشة رضى الله عنها ما رأيت منه ولا رأى منى تعنى العورة .

(٧) مجرد الاختصار كقولك أصغيت إليه أى أذنى وأغضيت عليه أى بصرى ومنه قوله تعالى « أهذا الذى بعث الله رسولا » أى بعثه الله .

(٨) تعينه كقوله تعالى « لينذر بأسا شديدا » أى لينذر الذين كفروا .

وكثير من الأغراض السابقة تجرى هنا كإخفائه على غير السامع أو التمكن من إنكاره عند الحاجة أو ادعاء تعينه أو نحو ذلك .

---

(١) أى إن هذا التعميم وإن استفيد من ذكر المفعول بصيغة العموم يفوت الاختصار .

تدريب

بين أسباب حذف المسند إليه أو المسند أو المفعول فيما يلي :

(١) برّدْ حشاى إن استطعتَ بلفظة فلقد تضرّ إذا تشاء وتنفع

(٢) قال تعالى « أ لَمْ يجدك يتيماً فآوَى ، ووجدك ضالاً فهدى(١) » :

(٣) لسنٌ اذا صعد المنابرَ أو نضا قلماً شأى الخطباء والـكتّابا [٢]

(٤) وقيل يا أرضُ ابلعى ماءك ويا سماءُ أقلعى وغيضَ الماءُ :

(٥) حريص على الدنيا مُضيع لدينه وليس لما فى بيته بمُضيع

(٦) ولما ضُرب ابنُ مريم مثلاً اذا قومُك منه يصدّون :

(٧) خليلىّ لا يغيّره صباح عن الخُلُق الجميل ولا مساء

(٨) وإنى رأيت البخل يزرى بأهله فأكرمتُ نفسى أن يقال بخيل

الإجابة

(١) حذف المفعول . أى تضرنى وتنفعنى لتنزيل الفعل منزلة اللازم إذ المراد أنه يحصل منك نفع وضرر .

(٢) حذف المفعول رعاية لحسن الكلام وتجانس الفواصل وتقديره آواك وهداك

(٣) حذف المسند اليه أى هو لسن لا دعاء العلم به فى باب المدح

(٤) حذف المسند اليه وهو الله تعالى للعلم به .

(٥) حذف المسند اليه لا دعاء العلم به فى باب الذم .

(٦) حذف المسند اليه للعلم به وهو الله تعالى .

(٧) حذف المسند اليه للعلم به ادعاء فى باب المدح .

(٨) حذف المسند اليه للجهل به .

---

(١) الضلال هنا الجهل بالشرائع وما طريقة السمع (٢) نضا أمسك وشأى سبق .

تدريب ثان

(١) على أنني راض بأن أحمل الهوى وأخرج منـــه لا علىّ ولا ليا

(٢) وعد بالحضور ليلا (تقصد شخصاً معهوداً) .

(٣) يقول مبصر اللصّ . لصٌّ .

(٤) شرّيرٌ غبيّ مشّاء بنميم .

(٥) أرنى أنظر اليك .

(٦) ولما ورد ماء مَدْيَنَ وجد عليه أُمَّةً من الناس يسْقُون ، ووجد من دونهُم امرأتين تذُودان ، قال ما خطبكما قالتا لا نسْقى حتى يصدر الرّعاءُ وأبو نا شيخٌ كبيرٌ

(٧) فإن يشأ الله يختمْ على قلبك .

(٨) فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم نطقت ولـكن الرماح أجرّت

الإجابة

(١) حذف المسند اليه للمحافظة على الوزن والأصل لا على شىء ولا لى شىء

(٢) حذف المسند اليه لإخفاء الأمر على غير المخاطب .

(٣) حذف المسند اليه لانتهاز الفرصة والأصل هذا لص

(٤) حذف المسند اليه لتأتى الإنـكار عند الحاجة .

(٥) حذف المفعول للاختصار والأصل أرنى ذاتك .

(٦) حذف المفعول هنا فى مواضع لحذف مفاعيل يسقون وتذودان ونسق لتنزيل الفعل منزلته اللازم لأنه انما رحمهما لأنهما كانتا على الذياد وهم على السق ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم ومستقيهم إبل مثلا ، وكذلك قولهما لا نسق المقصود منه السق لا المسق .

(٧) حذف المفعول فى باب المشيئة للبيان بعد الابهام .

(٨) حذف المفعول هنا لجعل الفعل المطلق كناية عن الفعل متعلقاً بمفعول معين ، لأن غرضه أن يثبت أنه كان من الرماح اجرار وحبس للألسن عن مدحهم والافتخار بهم ليتوصل الى مطلوبه وهو أنها أجرته.

تمرين

بين أسباب الحذف فيما يلي :

(١) جزى الله عنا جعفراً حين أزلقت بنا نعلنا فى الواطئين فزلّت[1]
أبوا أن يملّونا ولو أن أمّنا تلاقى الذى لاقوه منّا لملّت
هُمُ خلطونا بالنفوس وألجئوا الى حُجرات أدفأت وأظلّت
(٢) فإن شئتُ لم تُرقل وان شئت أرقلت مخافة ملْوىّ من القدّ مُحْصَد[2]
(٣) قوم اذا أكلوا أخفَوا حديثهم واستوثقوا من رتاج الباب والدار
(٤) وما أدراك ما هيه نار حامية.
(٥) وأنا لا ندرى أشرّ أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم رشدا :
(٦) كل عذر من كل ذنب ولكن أعوزَ العذرُ من بياض العذار[3]
(٧) رمانى بأمر كنت منه ووالدى بريئاً ومن أجل الطّوىّ رمانى[4]
(٨) قد قال عذولى مُناك أتى فأجبتُ وقلتُ كذبتَ متى
فقال حبيبك ذو خَفَر وكبيرُ السن قلتُ فتى[5]

---

(١) زلت النعل كناية عن الفقر (٢) الارقال سرعة السير والقد سير من جلد غير مدبوغ والملوى المفتول والمحصد المحكم الفتل (٣) أعوز ضاق (٤) الطوى البئر المبنية وقد كان خصمه رماه باللصوصية (٥) خفرت الجارية استحيت أشد الحياء .

الباب الخامس فى التقديم

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول فى مزايا التقديم وأقسامه

الألفاظ قوالب المعانى فيجب أن يكون ترتيبها الوضعى ، بحسب ترتيبها الطّبعى. ومن البين أن رتبة المسند اليه التقديم لأنه المحكوم عليه ، ورتبة المسند التأخير. اذ هو المحكوم به ، وما عداهما فتوابع ومتعلقات تأتى تالية لهما فى الرتبة .

ولكن قد يعرض لبعض الكلم من المزايا ما يدعو الى تقديمه وان كان حقه التأخير فيكون من الحسن تغيير هذا النظام ليكون المقدم مشيرا الى الغرض الذى يراد ، ومترجماً عما يقصد منه ، ومن ثم قال فى دلائل الإعجاز ان هذا التقديم كثير الفوائد ، جم المحاسن ، لا يزال يفترّ لك عن بديعة ، ويفضى بك الى لطيفة ، ولا تزال ترى شعرا يروقك سمعه ، ويلطُف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك ، أن قدم فيه شىء وحول اللفظ من مكان الى مكان اه .

والتقدم أحوال أربع

(١) ما يفيد زيادة فى المعنى مع تحسين فى اللفظ ، وذلك هو الغاية القصوى ، واليه المرجع فى فنون البلاغة ، والعمدة فى هذا هو الكتاب الكريم انظر قوله تعالى « وجوهٌ يومئذ ناضرةٌ الى ربها ناظرةٌ » تجد أن تقديم الجار والمجرور فى هذا قد أفاد التخصيص وان النظر لا يكون الا لله ، مع جودة الصياغة وتناسق السجع .

(٢) ما يفيد زيادة فى المعنى فحسبُ نحو « بَل الله فاعبُدْ وكنْ من الشاكرين » فتقديم المفعول فى هذا لتخصيصه بالعبادة دون سواه ، ولو أخر لم يفد الكلام ذلك.

(٣) ما يتكافأ فيه التقديم والتأخير وليس لهذا الضرب شىء من الملاحة نحو

وكانت يدى ملأى به ثم أصبحت (بحمد إلهى) وهى منه سليب (١)

فتقديره ثم أصبحت وهى منه سليبٍ بحمد الله .

(٤) ما يختل به المعنى ويضطرب وذلك هو التعقيد اللفظى أو المعاظلة التى تقدمت كتقديم الصفة على الموصوف والصلة على الموصول ونحو ذلك كقول الفرزدق :

الى ملك ما أمُّه من مُحارب أبوه ولا كانت كليب تصاهرُهْ

اذ تقديره الى ملك أبوه ما أمه من محارب أى ما أم أبيه منهم — ولاشك أن هذا لا يفهم من كلامه للنظرة الأولى بل يحتاج الى تأمل ورفق حتى يفهم المراد منه

المبحث الثانى فى تقديم المسند إليه

يقدم المسند اليه لأغراض منها :

(١) أنه الأصل اذ هو المحكوم عليه ولا مقتضى للعدول عنه نحو : العدل أساس الملك .

(٢) ليتمكن الخبر فى ذهن السامع لأن فى المبتدأ تشويقاً اليه كقوله تعالى : « ان أكرَمَكُمْ عندَ الله أتقاكم » وقول أبى العلاء :

والذى حارت البريّة فيــه حيوانٌ مستحدَثٌ من جماد

يريد أن الخلائق تحيرت فى المعاد الجسمانى ، كما يرشد الى ذلك ما قبله

بان أمرُ الاله واختلف النّـاسُ فداع الى ضلال وهادى

فإتيانه بالمسند اليه على تلك الشاكلة موصوفاً بحيرة البريّة فيه ، يستدعى تشوق السامع الى أن يعرف ما حكم به عليه ، فإذا جاء الخبر تمكن فى النفس لما تقدمه من التوطئة له .

---

(١) سليب بمعنى مسلوب أى منتزع مأخوذ .

(٣) تعجيل المسرة للتفاؤل ، لأن السامع اذا قرع سمعه فى ابتداء الكلام ما يشعر بالسرور هشّ وفرح به نحو الهدى فى قلوب المخلصين .

(٤) تعجيل المساءة ليتطير السامع ويتبادر الى ذهنه حصول الشر بادىء ذى بدىء نحو السجن على جهة التأبيد حكم به عليك اليوم .

(٥) التبرك به نحو اسم الله اهتديت به .

(٦) إيهام أنه لا يزول عن البال لكونه مطلوباً نحو رحمة الله ترجى ، نصر الله قريب .

(٧) إفادة التخصيص اذا كان الخبر فعلا وولى المسند اليه حرف النفى نحو ما أنا قلت هذا أى لم أقله وهو مقول لغيرى — لا تقول ذلك الا فى شىء ثبت أنه مقول ، لكن تريد أن تنفى كونك قائلا له ، ومنه قول المتنبى :

وما أنا أسقمت جسمى به ولا أنا أضرمت فى القلب ناراً

اذ المعنى ما أنا الجالب لهذا السقم الموجود والضرم الثابت ، ولأجل هذا لا تقول ما أنا قلت هذا ولا أحد غيرى للتناقض بين أول الكلام وآخره ، ولا ما أنا رأيت كل أحد ، لأنه يفيد أن غيرك رأى كل أحد ، ولاما أنا كلمت إلا محمداً لانه يقتضى أن يكون انسان غيرك قد كلم كل أحد سوى محمد (١) .

فإن لم يل المسند اليه حرف النفى (٢) فإما أن يكون معرفة أو نكرة ، فإن كان معرفة أفاد تقديمه أحد أمرين :

(ا) تخصيصه بالمسند رداً على من زعم انفراد غيره به أو مشاركته فيه كما تقول أنا سعيت فى حاجة فلان ، وعلى الأول يؤكد بنحو لا غيرى وعلى الثانى

---

(١) لأن المستثنى منه مقدر عام وكل ما نفيته عن المذكور على وجه الحصر يجب ثبوته لغيره تحقيقاً لمعنى الحصر سواء كان على وجه الخصوص أو على وجه العموم (٢) بالا يكون فى الكلام حرف نفى أو يكون حرف النفى متأخرا عن المسند إليه .

بنحو وحدى . ومن الواضح فى ذلك قولهم فى المثل أتعلّمنى بضبّ أنا حرشته (١) وقوله تعالى « ومن أهل المدينة مردوا (٢) على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم » أى لا يعلم أسرارهم ولا يطلع على دخائل ما أبطنوا من الكفر إلا نحن .

(ب) تقوية (٣) الحكم وتقريره لدى السامع بدون تخصيص كقولك هو يعطى الجزيل ، وهو يحب الثناء — ألا ترى أنك لاتريد أن غيره لا يعطى الجزيل ولا يحب الثناء .

يرشد الى ذلك أن هذا الضرب يجىء فيما سبق فيه إنكار منكر نحو أن يقول الرجل ليس لى علم بالذى تقول ، فتقول له : أنت تعلم أن الأمر على ما أقول ولكنك تميل إلى خصمى وعليه قوله تعالى « ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون »

والفعل المنفى كالمثبت فى ذلك فتارة يفيد التخصيص كما تقول أنت ما سعيت فى حاجتى ، وتارة يفيد التقوية نحو أنت لا تكذب وعليه قوله تعالى « والذين هم بربهم لا يشركون » .

وان كان نكرة أخبر عنه بفعل أفاد تخصيص الجنس أو الواحد به نحو رجل جاءنى أى لا امرأة ولا رجلان — ذاك أن أصل النكرة أن تكون لواحد من الجنس فيقع القصد بها تارة الى الجنس فحسب . كما اذا كان المخاطب بهذا الكلام قد عرف أن قد أتاك آت ولم يدر جنسه أرجل هو أم أمرأة ، وتارة إلى الواحدة فقط كما إذا عرف أن قد أتاك من هو من جنس الرجال ولم يدر أرجل هو أم رجلان أو اعتقد أنه رجلان .

(تنبيه) مما رأت العرب تقديمه كاللازم لفظ (مثل) اذا استعمل كناية

---

(١) حرش الضب صاده فهو حارش وهو أن يحرك يده على باب جحره ليظنه حية فيخرج ذنبه ليضربها وبذلك يأخذه ، يضرب مثلا لمن يريد أن يعلم المتعلم (٢) مرنوا واستمروا .

(٣) علة التقوية ما ذكره عبد القاهر من أن الاسم لايؤتى به معرى عن العوامل الا لحديث قد نوى إسناده إليه فاذا جئت بالحديث دخل على القلب دخول المأنوس .

من غير تعريض نحو مثلك لا يبخل ، ومثلك رعى الحق والحرمة ، ونحو قول ابن القبعثرى (١) مجيباً الحجاج على سبيل المغالطة حينما توعده بقوله لأحملنك على الأدهم — مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب ، ونحو قول المتنبي يعزى عضد الدولة بعمته :

مثلك يَثْنى الحُزنَ عن صوبه ويستردّ الدمعَ عن غربه (٢)

فلا يقصد فى كل هذا وأشباهه بمثل الى انسان سوى الذى أضيف اليه ، بل يريدون أن كل من كان هذا شأنه وتلك حاله كان من موجب العرف والعادة أن يفعل أولا يفعل ، ولأجل افادتها ذلك المعنى قال المتنبي فى تلك القصيدة :

ولم أقــل مثلك أعنى به سواك يا فردا بـــلا مشبه

وكثل (غير) اذا سلك بها هذا المسلك تقول غيرى يفعل كذا على معنى أنك لا تفعله لا أن تعرّض بإنسان آخر وعليه قول أبي تمام :

وغيرى يأكل المعروف سُحْتـا وتَشحَب عنده بيض الأيادى (٣)

فهو لم يرد أن يعرّض بشاعر سواه فيزعم أن الذى اتهم به من هجوالممدوح كان من ذلك الشاعر لامنه ، بل أراد أن ينفي عن نفسه كفران النعمة وجحدها لا غير

واستعمال (مثل وغير) على تلك الشاكلة مما ركز فى الطباع وجرى على جميع الألسن ، فمن نحا بهما غير هذا النحو فقد قلب الكلام عن جهته ، وغيره عن صورته ، وما ذاك الا لأنه قد غفل عن سر تقدمهما وهو إفادة تقوية الحكم وتأكيده.

(٨) افادة التعميم والنص على شمول النفى (عموم السلب) ، وذلك حين

---

(١) هو الغضبان بن القبعثرى الشيبانى وكان ممن خرج على الحجاج بن يوسف الثقفى وأراد بالأدهم الأول القيد وبالثاني الفرس الأدهم (٢) الغروب مجارى الدموع والصوب القصد ويثنى يدفع ، يريد أنك قدير على دفع الحزن ورد الدموع إلى مجاريها إذ لا مشبه لك .
(٣) السحت المال الحرام وتشحب تتغير .

تتقدم أداة العموم ككل وجميع ونحوهما على أداة النفى وهى غير معمولة للفعل المنفى فيتوجه النفى إذ ذاك إلى أصل الفعل ويعم كل فرد من أفراد ما أضيف إليه كل نحو كل ظالم لايفلح ، فالمعنى لا يفلح أحد من الظلمة ، وعليه قول أبى النجم .

قد أصبحتْ أم الخيَار تدّعى   علىّ ذنبا كلُّه لم أصنَع

وعلة ذلك أنك إذا بدأت بكل كنت قد بنيت النفى عليه وسلطت الكلية على النفى وأعملتها فيه وذلك يقتضى ألا يشذ عنه شىء .

أما إن قدم النفى على أداة العموم لفظا كقول أبى الطيب :

ما كلُّ ما يتمنى المرء يدْرِكُه   تجرى الرياح بما لاتشتهى السفُن (١)

أو تقديراً بأن قدمت أداة العموم على الفعل المنفى وأعمل فيها كقولك كلّ الدراهم لم آخذ ، توجه النفى إلى الشمول خاصة دون أصل الفعل وأفاد الكلام نفى المجموع (سلب العموم) فيحتمل ثبوت البعض كما يحتمل نفى كل فرد ، يدل على ذلك الذوق والاستعمال — وهذا الحكم أكثرى وليس بكلى بدليل قوله تعالى : « وَالله لا يُحبُّ كُلَّ كفَّار أثيم » ، « والله لا يُحبُّ كُلَّ مختَال (٢) فخُور » ، « و لاتطعْ كُلَّ حلاّف مَهين » إلى غير ذلك .

المبحث الثالث فى تقديم المسند

يقدم المسند لأغراض منها :

(١) تخصيصه بالمسند إليه نحو « لكُمْ دينُكُمْ وَلىَ دين (٣) » ، « لله ملكُ

(١) وفى رواية يشتهى بالياء والسفن بفتح فكسر أى ربان السفينة (٢) يرى أستاذنا الامام الشيخ محمد عبده أن مثل هذا من عموم السلب لا من سلب العموم حيث قال قد يعدل بحسب الظاهر عما يدل على عموم السلب إلى ما يفيد سلب العموم والسلب عام بحسب الحقيقة تعريضا بان المخاطب شر هذا النوع فالمعنى فى هذه الآية أن محبة الله لا تعم المختالين الفخورين حتى تشمل هؤلاء فلو تعلقت محبته بمختال فخور لم تتعلق بأولئك لأن مختالهم وفخورهم شر مختال وفخور وهكذا باقى الآى التى جاءت على هذا النمط (٣) دينكم مقصور على الاتصاف بكم لا يتصف بى ودينى مقصور على الاتصاف بى فهو من قصر الصفة على الموصوف .

السموات والأرض(١) » ، « لا فيها غَوْلٌ (٢)، أى بخلاف خمور الدنيا فإنها تغتال العقول وتوجب دوار الرأس وثقل الأعضاء ، ومن ثم لم يقدم الظرف فى قوله تعالى : « لا رَيْبَ فيه » لأنه لو قدم لاقتضى ثبوت الريْب فى سائر كتب الله تعالى ما عدا القرآن.

(٢) التنبيه ابتداء دون حاجة إلى تأمل فى الكلام على أنه خبر لا نعت كقول تعالى : « وَلكُمْ فى الأرض مُسْتَقَرٌ ومتَاعٌ إلى حين » ، وقو أبى بكر ابن النطاح فى وصف أبى دلف العجلى :

له همٌ لا منتهى لكبارها وهمتُه الصغرى أجلُّ من الدهر
له راحةٌ لو أن معْشار جودها على البر كان البرُّ أندى من البحر

(٣) التفاؤل بسماع ما يسر المخاطب نحو :

سعدت بغُرّة وجهك الأيامُ وتزينتْ بلقائك الأعوامُ

(٤) التشويق (٣) إلى ذكر المسند إليه ويكثر ذلك فى باب المدح كقول محمد ابن وهيب يمدح المعتصم :

ثلاثةٌ تُشرق الدنيا ببهجتها شمسُ الضحى وأبو إسحاق والقمر

وفى باب الوعظ كقول أبى العلاء المعرّى :

وكالنار الحياة فمن رَماد أواخرُها وأوّلها دُخان

---

(١) ملك السموات مقصور على الاتصاف بالله (٢) أى أن عدم الغول مقصور على الاتصاف بفى خمور الجنة لا يتجاوزه إلى الاتصاف بفى خمور الدنيا ، وان اعتبر النفى فى جانب المسند فالمعنى أن الغول مقصور على عدم الحصول فى خمور الجنة لا يتجاوزه إلى عدم الحصول فى خمور الدنيا فهو قصر غير حقيقى (٣) إذا كان فى المسند المتقدم طول يشوق النفس إلى ذكر المسند إليه فيكون ذكره بعدئذ أوقع وأتم .

المبحث الرابع فى تقديم متعلقات الفعل

الاصل فى العامل أن يقدم على المعمول، وقد يعكس ذلك فيقدم المفعول ونحوه من الجار والمجرور والظرف والحال لاغراض أهمها .

(١) رد الخطأ فى التعيين كقولك محمدا كلمتُ، ردا على من اعتقد أنك كلمت إنسانا غير محمد، وتقول لتأكيده محمدا كلمتُ لا غيره — أو فى ظن الاشتراك نحو عليا رأيت أى وحده ردا على من اعتقد أنك رأيت عليا ومحمدا ومن ثم لا يقال ما محمدا كلمت ولا غيره، لتناقض دلالتى الأول والثانى، ولا أن تعقب الفعل المنفى باثبات ضده كقولك ما محمدا ضربت ولكن أكرمته (١) — وقولك بمحمد مررت لمن أعتقد أنك مررت بانسان وأنه غير محمد وكذا سائر المعمولات نحو يوم الجمعة سرت، وفى المسجد صلّيت، وماشياً جئت .

(٢) التخصيص وهو لازم للتقديم غالبا بشهادة الاستقراء وحكم الذوق ومن ثم قال المفسرون فى قوله تعالى إياك نعبد وإياك نستعين، إن المعنى نخصك بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعين به، وفى قوله لإلى الله تحشرون أى لا إلى غيره .

وفى التقديم فائدة أخرى وهى الاهتمام بشأن المقدم، ومن ثم قدر المحذوف فى باسم الله مؤخرا أى باسم الله أفعل كذا بيانا لاهتمام الموحد بالاسم الكريم وردا على المشركين الذين كانوا يبدءون بأسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات أو باسم العُزّى .

ولا يشكل على هذا آية اقرأ باسم ربك، بتقديم الفعل على اسم الله لأن الأمر

---

(١) لأن الكلام لم يبن على الخطأ فى الفعل- وهو الضرب حتى يرد إلى الصواب بأنه الاكرام وإنما بنى على الخطأ فى المضروب حين اعتقد أنه محمد فرده إلى الصواب أن يقال لكن عليا مثلا .

بالقراءة في ذلك الموضع أم إذ بالقراءة حفظ المقروء عادة ، وذلك هو المقصود من الانزال أو بأن باسم الله متعلق باقرأ الثانى ومعنى اقرأ الأول أوجد القراءة كقولك فلان يعطى .

وإنما قلنا لازم غالبا لأن التقديم قد يكون .

(٣) للاهتمام بالمقدم نحو حسنَ الخلق لزمتُ .

(٤) التبرك به نحو محمدا عليه السلام اتّبعتُ .

(٥) الاستلذاذ به نحو ليلى كلمتُ .

(٦) موافقة كلام السامع نحو محمدا أكرمت ، فى جواب من أكرمت .

(٧) ضرورة الشعر نحو :

سريعٌ الى ابنِ العمّ يلطم وجهه   وليس الى داعى الندى بسريع

(٨) رعاية السجع والفاصلة نحو خذُوه فغلُّوه ، ثم الجحيمَ صلُّوهُ ، ثم فى سلسلة ذرعُها سبعون ذراعاً فاسلكوه — فأما اليتيم فلا تقهَرْ ، واما السائلَ فلا تنهرْ ، إلى غير ذلك مما لا يحسن فيه اعتبار التخصيص لأن المقام ينبو عنه كما بينه ابن الأثير فى المثل السائر .

(٩) أن يكون المقدم محط الانكار كما تقول أبعدَ طول عشرة فلان تخْدع بمواعيده ، وعليه قول أبى العلاء :

أعندى وقد مارستُ كل خفيّة   يُصدّق واش أو يخيّب سائل

ويقدم بعض معمولات الفعل على بعض لأسباب منها .

(١) ان التقديم هو الأصل ولا داعى للعدول عنه كتقديم الفاعل على المفعول نحو كلم محمد عليا ، وتقديم المفعول الأول على الثانى نحو أعطيت محمدا درهما .

(٢) ان ذكره اهم والعناية به أتم ، فيقدم المفعول على الفاعل إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل على من وقعَ عليه لا وقوعه ممن وقع منه كما اذا عاث لص فاتك فى البلاد وكثره أذاه فأمسك وأردت أن تخبر بذلك فتقول أمسك اللص فلان ، إذ ليس للناس كبير فائدة فى أن يعرفوا الممسك وإنما الذى يهمهم عله هو من أمسك ليتخلصوا من شره .

ويقدم الفاعل إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل ممن وقع منه كما اذا كان شخص خامل الذكر لا يظن به أن يقوم بعمل جليل فاخترع شيئاً مفيداً وأردت أن تخبر بذلك فتقول اخترع فلان كذا ، لأن الذى يهم الناس من شأن هذا الفعل استبعاد صدوره من ذلك الفاعل .

(٣) ان التأخير يوهم غير المعنى المراد كما فى قوله تعالى (وقال رجلٌ مؤمنٌ من آل فرْعون يكتمُ إيمانهُ) إذ لو أخر من آل فرعون عما بعده لتوهم أنه متعلق بيكتم فلا يفيد أن ذلك الرجل منهم .

(٤) أن التأخير يخل بتناسب الفواصل نحو (فأوْجَسَ فى نفْسه خيفةً مُوسَى) ، بتقديم الجار المجرور والمفعول على الفاعل إذ فواصل الآى على الألف .

(تتمة) من سنن العرب أن يبدءوا فى باب المديح بالصفة الدنيا ثم يُثَنُّوا بما هو أعلى منها وهكذا وعلى ذلك قول البحترى يصف نحول الركاب :

يترقرقْن كالسراب وقد خضن غمارا من السراب الجارى

كالقسِّى المعطفات بل الاسهم مبريةً بل الأوتار

فقد ترق فى تشبيه نحو لها فشبهها بالقسى ثم بالأسهم المبرية ثم بالأوتار وهى أشد الثلاثة نحولا — كما يعكسون فى باب الذم .

تدريب أول

أذكر الأسباب التى دعت إلى تقديم المسند إليه أو المسند أو متعلقات الفعل فيما يلى :

(١) فيالك من ذى حاجة حيل دونها وما كلُّ ما يهوَى امرؤٌ هو نائله
(٢) أنا لا أختـار تقبيل يد قطعها أفضل من تلك القبل
(٣) أبعد أن بات عبد الله مرتهنا تحت الثرى يرتجى صفوٌ ويُنتظر
(٤) عند الصباح يحمد القوم السُّرى وتنجلى عنهم غياهيب الكرى
(٥) جنّات عدْن يدْخلونها .
(٦) النار وعدها الله الذين كفروا .
(٧) خيرُ الصنائع فى الانام صنيعة تنبو بحاملها عن الاذلال
(٨) بيد العفاف أصون عزّ حجابى وبعصمتى أسمو على أترابى

الاجابة

(١) وقع المسند إليه بعد حرف النفى لافادة سلب العموم فى شطره الثانى.
(٢) قدم المسند إليه على حرف النفى لافادة التخصيص .
(٣) قدم الظرف لكونه محط الانكار .
(٤) قدم متعلق الفعل وهو الظرف لافادة التخصيص .
(٥) قدم المفعول لتعجيل المسرة .
(٦) قدم المسند إليه لتعجيل المساءة .
(٧) قدم المسند إليه لتعجيل السرور .
(٨) قدم الجار والمجرور لافادة التخصيص فى شطرى البيت .

تدريب ثان

اذكر أسباب تقديم المسند إليه أو المسند أو متعلقات الفعل فيما يلي :

(١) وما كُلُّ هاو للجميل بفاعل ولا كلُّ فعّال له بمتمِّمٍ

(٢) ثلاثةٌ ليس لها إياب الوقت والجمال والشباب

(٣) نحن فى المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقِر [1]

(٤) قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا .

(٥) وبالآخرة هم يُوقنون .

(٦) قل أغيرَ الله أبغى ربّا وهُو ربُّ كلّ شىء .

(٧) سواى بتحنان الاغاريد يطرب وغــيرى باللذات يلهو ويلعب

(٨) لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا .

الإجابة

(١) وقع المسند إليه بعد حرف النفى ليفيد سلب العموم .

(٢) قدم الخبر للتشويق إلى ما بعده .

(٣) قدم المسند إليه لتقوية الحكم وتوكيده .

(٤) قدم المسند إليه للتخصيص .

(٥) قدم الجار والمجرور لافادة التخصيص .

(٦) قدم المفعول لكونه محط الإنكار .

(٧) قدم المسند إليه لافادة تقوية الحكم وتوكيده .

(٨) أخر الجار والمجرور بعد شهداء فى الأول لأن الغرض إثبات شهادتهم

---

(١) المشتاة مكان الشتاء أو زمانه والجفلى الدعوة العامة إلى الطعام والنقرى الدعوة الخاصة والآدب من يدعو الناس لمأدبة — يفتخر بجودهم وكرمهم .

على الأمم ، وقدم فى الثانى لاختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم .

تمرين أول

بين السبب فى تقديم المسند إليه أو المسند أو متعلقات الفعل فيما يلى :

(١) وإنْ كَذّبوك فقُل لى عَمَلى ولكُم عملكُم .

(٢) بل اللهَ فاعْبُد وكن من الشّاكرين .

(٣) ولم يَكُنْ له كفُوا أحدٌ

(٤) واقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ فإذا هىَ شَاخصةٌ أبصار الذّين كفَرُوا .

(٥) إنّ وليّ الله الّذى نزّل الكتابَ وهُوَ يتولىْ الصّالحين .

(٦) جميع المصريين لا يرغبون فى أذى الضيف .

(٧) فيه رجالٌ يحبُّون أن يتطَهّرُوا .

تمرين ثان

بين السبب فى تقديم المسند إليه أو المسند أو متعلقات الفعل فيما يلى :

(١) إن فى عدلك وكرمك ورأفتك رحمة بالضعفاء .

(٢) بك اقتدت الأيامُ فى حسناتها وشيمتُها لولاك همٌّ وتخريبٌ

(٣) أكفراً بعد رد الموت عنّى وبعد عطائك المائةَ الرّتاعا

(٤) إذا نطق السفيه فلا تجبه فخير من إجابته السكوت

(٥) إذا شئت يوما أن تسود عشيرة فبالحلم سُدْ لا بالتسرع والشتْم

(٦) ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضينا

(٧) ما كلُّ رأى الفتى يدعو إلى رَشَد .

الباب السادس فى التعريف

وفيه ثمانية مباحث

المبحث الأول فى الفرق بين النكرة والمعرفة والداعى إلى التعريف

كل من النكرة والمعرفة يدل على معين والا امتنع الفهم ، الا ان النكرة تدل على معين من حيث ذاته لا من حيث هو معين أى ليس فى لفظ النكرة ما يشير إلى أن السامع يعرفه فليس فى اللفظ دلالة على ملاحظة التعين ، والمعرفة تدل على معين أى إن فى لفظ المعرفة ما يشير إلى أن السامع يعرفه — وإذاً فالنكرة يفهم منها ذات المعين فحسب ولا يفهم منها كونه معلوما للسامع ، والمعرفة يفهم منها ذات المعين وكونه معلوما للسامع .

والتعين فى المعرفة إما أن يكون بنفس اللفظ كما فى الاعلام وإما بقرينة خارجية كما فى غيره من بقية المعارف .

ويعدل عن التنكير إلى التعريف لتزداد الفائدة وتتم ، فان فائدة الخبر أولازمها كلما ازداد متعلقها معرفة زاد غرابة ، واعتبر ذلك بما تراه من عظيم الفرق بين قولنا ثوب نفيس اشترى فى السوق وقولنا ثوب حرير مطرز من صنع بلدة كذا اشتراه فلان أمس بألف دينار .

المبحث الثانى فى تعريف المسند إليه بالاضمار

يعرف المسند إليه بالاضمار لأن المقام مقام تكلم كقوله عليه السلام يوم بدر [أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب] ، وقول بشار :

أنا المُرَعَّثُ لا أخفَى على أحــد ذرّت بى الشمس للقاصى وللدانى (١)

(١) الرعثة القرط يعلق فى شحمة الاذن ولقب بشار بالمرعث لرعثة كانت له فى صغره ، وذرت طلعت

أو مقام خطاب كول الحماسية :

وأنت الذى أخلفتنى ما وعدتَنى   وأشمتَّ بى من كان فيك يلومُ

أو مقام غيبة ، ولا بد من تقدم ذكره إما لفظا نحو (واصْبرْ حتَّى يحْكُمَ الله بيْننا وهُوَ خيرُ الحاكمينَ ، وقول أبى تمام :

بيُمْن ابى إسحاق طالتْ يدُ العلا   وقامت قناة الدين واشتد كاهلُه

هو البحر من أى النواحى أتيته   فلجّته المعروفُ والبحرُ ساحلُهُ

وأما معنى لدلالة اللفظ عليه نحو (وَإنْ قيل لكُمُ ارجِعُوا فارجعُوا هُوَ أزكى لكُمْ) لما فى ارجعوا من معنى الرجوع ، أو لقرينة حال كقوله تعالى (ولأبويْه لكلّ واحد منْهُمَا السُّدُسُ) أى ولأبوى الميت ، واما حكما كما فى باب رُبَّ نحو ربّه فتى ، وباب ضمير الشأن نحو (إنَّهُ مَنْ يتق ويصْبرْ فانَّ الله لا يُضيعُ أجْرَ المُحْسنين) .

والأصل فى الخطاب أن يكون لمشاهد معين نحو أنت استرقفتنى باحسانك ، وقد يخاطب :

(١) غير المشاهد اذا كان مستحضرا فى القلب كأنه نُصْبُ العين كما فى اياك نعبُدُ .

(٢) غير المعين ليعم كل من يمكن خطابه على سبيل البدل لا على طريق التناول دفعة واحدة كما تقول فلان لئيم إن أحسنت إليه أساء إليك ، فلا يراد فى مثله مخاطب معين بل يراد أن سوء معاملته غير مختص بواحد دون آخر ، وعليه قول المتنبي :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته   وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وقوله تعالى (ولو ترَى إذ المجرمُونَ ناكسُو رءوسهم عندَ ربهمْ) أخرج

الكلام في صورة الخطاب مع إرادة العموم تنبيها إلى تفظيع حالهم من تنكيس الرءوس والخجل من أهوال يوم القيامة وبيانا لأنها بلغت الغاية في الظهور بحيث لا تخفى على أحد ولا تختص بها رؤية راء بل كل من يتأتى منه الرؤية يدخل في الخطاب ، ولهذا نظائر كثيرة في القرآن الكريم نحو (وإذا رأيت ثَمّ رأيْتَ نعيماً ومُلْكاً كبيراً) :

المبحث الثالث في تعريف المسند إليه بالعلمية

يؤتى بالمسند إليه علما لأغراض منها .

(١) إحضار معناه في ذهن السامع باسمه الخاص ليمتاز عما عداه كقوله تعالى (وإذ يرفعُ إبراهيمُ القواعد من البيْت وإسْماعيلُ) .

(٢) التعظيم في الاعلام التي تشعر بمدح كسيف الدولة وصلاح الدين .

(٣) الاهانة في الاعلام التي تشعر بذم نحو صنوان [1] وصخر .

(٤) الاستلذاذ بذكره كما يذكر المحبون أسماء من يحبون ، ومن ثم يقول المتنبي مادحا عضد الدولة :

أساميا لم تزده معرفة وإنما لذة ذكرناها

وعليه قول مجنون ليلى :

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاى منكن أم ليلى من البشر

(٥) الكناية عن معنى يصلح العلم له بحسب معناه قبل العلمية كما يقال أبو الفضل وأخو الحرب ؛ فاطلاق ذلك اطلاقا علَميّا يجوّز أن يلاحظ فيه الأصل مع القرينة ، فيلمحُ في الأول أنه ملابس للفضل فهو صاحب المكارم وفي الثاني أنه ملاصق للحرب ، فهو شجاع فاتك .

---

(١) الحجر .

(٦) التفاؤل فى الاعلام التى تشعر بذلك نحو سعد وسعيد .

(٧) التطير والتشاؤم نحو السفاح والجراح .

(٨) التسجيل على السامع حتى لا يتأتى له الانكار كما يقول القاضى لشخص. هل أقر ابرهيم بكذا ، فيقول ابراهيم أقر بكذا فلم يقل هو لتسجيل. الحكم وضبطه لئلا يجد المشهود عليه سبيلا للانكار .

المبحث الرابع فى تعريف المسند اليه باسم الاشارة

يؤتى بالمسند اليه اسم أشارة لأغراض كثيرة يلاحظها البلغاء منها :

(١) تعين اسم الإشارة طريقاً إلى إحضار المشار إليه بعينه فى ذهن السامع. بأن يكون حاضراً محسوساً والمتكلم والسامع لا يعرفان اسمه الخاص. ولا معيناً آخر .

(٢) تمييزه أكمل تمييز لإحضاره فى ذهن السامع بواسطة الإشارة الحسية. كأن يكون المقام للمدح فيكون أعون على كماله ، وعليه قول الحطيئة :

أولئك قومٌ إن بَنوْا احسنوا البنى   وإن عاهدوا أوفوْا وإن عقدوا شدّوا [١]

(٣) التعريض بغباوة السامع حتى كأن الأشياء لا تتميز لديه إلا بالإشارة. الحسية كقول الفرزدق يهجو جريراً ويفخر بآبائه :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم   إذا جمعتنا يا جريرُ المجامعُ [٢]

(٤) قصد تحقيره بالقرب نحو « أهذا الذى يذكُرُ آلهتكم [٣] » ومنه فى غير. المسند إليه « ماذا أراد الله بهذا مثلًا » .

---

(١) البنى جمع بنية كرشوة ورشى (٢) يظهر أن نكتة التعبير باسم الاشارة التعظيم أو. تمييزهم أكمل تمييز (٣) حكاية لقول المشركين حينما كانوا يرونه ويهزءون به .

(٥) قصد تعظيمه بالقرب نحو « إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ » وذلك كثير فى التنزيل .

(٦) قصد تحقيره بالبعد نحو « فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ [1] » .

(٧) قصد تعظيمه بالبعد نحو « فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ » من حيث لم تقل فهذا وهو حاضر رفعاً لمنزلته فى الحسن وتمهيداً لعذر الافتتان به .

(٨) قصد التنبيه على أن المشار إليه المعقب بأوصاف جدير بما يذكر بعد اسم الاشارة نحو « أولئك على هدًى من ربهم وأولئك هم المفلحون » فقد عقب المشار إليه وهم المتقون بأوصاف وهى الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة وما بينهما ثم عرف المسند إليـه بالإشارة تنبيهاً على أن المشار إليهم أحقاء من أجل تلك الخصال بأن يفوزوا بالهداية عاجلا أو آجلا — قال فى الكشاف ونظيره قول حاتم :

ولله صُعلوك يسـاور همّـه ويمضى على الأحداث والدهرُ مقدما
إذا ما رأى يوما مكارم أعرضتْ تيمم كبراهنّ ثمّت صمّمـا
إذا الحرب أبدت ناجذيها وشمّرت وولّى هدانُ القوم أقبل مُعْلما
فذلك إن يهلك فحسنَى ثناؤه وإن عاش لم يقعد ضعيفا مذمّما [2]

فقد قال لله صعلوك ثم عدد له خصالا فاضلة من المضاء على الأحداث مقـدما وتيمم كبرى المكرمات والتأهب للحرب إلى غير ذلك مما ذكره بعد ثم عقبه بقوله فذلك إن يهلك .

(٩) التهكم والسخرية كقول من يهزأ بأعمى هذا الهلال فى السماء .

(١٠) الإشارة إلى فطانته وذكائه حتى كأن غير المحسوس عنده كالمحسوس نحو هذا ما تشير إليه عبارتك .

---

(١) يدع يقهر (٢) صعاليك العرب فقراؤهم ومتلصصوهم والمساورة المواثبة والهم العزيمة والقصد وأعرضت ظهرت والهدان الأحمق الثقيل .

المبحث الخامس فى تعريف المسند اليه بالموصولية

يعرف المسند إليه بالموصولية لدواع منها :

(١) عدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة نحو من دخل هذا الحصن استحق أكبر ألقاب الشرف .

(٢) التفخيم أى التهويل والتعظيم نحو قوله تعالى « فغشيهم من اليم ماغشيهم(١)

(٣) تنبيه المخاطب إلى خطئه كقول عبدة بن الطبيب من قصيدة يعظ فيها ابنه

إن الذين ترونهم إخوانكم ... يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا (٢)

(٤) زيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام كقوله تعالى « وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه » فالغرض الذى سيق له الكلام نزاهة يوسف عليه السلام وبعده عن مظنة الريبة ، وهذا التعبير أوضح فى الدلالة على هذا الغرض مما لو قيل امرأة العزيز أو زليخا أو نحو ذلك ، لأنه إذا امتنع عن الفحشاء ولم ينخدع مع كونه غلامها وفى بيتها مع كمال قدرتها عليه كان ذلك غاية النزاهة ونهاية الطهارة ، وعليه قول أبى العلاء المعرى .

أعباد المسيح يخاف صحبى ... ونحن عبيد من خلق المسيحا (٣)

فقوله عبيد من خلق المسيح أدل على تقرير غرضه وهو نفى خوف أصحابه من قوله عبيد الله .

---

(١) فى هذا الابهام تفخيم شأن ماغشيهم وأنه بلغ الغاية فى كثرته وسرعة غشيانه لأن الماء المجتمع قسرا إذا أرسل كان غاية فى السرعة (٢) أن تصرعوا أى تهلكوا أى فمن تظنونهم إخوانكم يتمنون لكم الهلاك والدمار ، فأنتم مخطئون فى هذا الظن ، ولايفهم ذلك لو قيل إن قوم كذا يشفى إلى آخر ، وترونهم بضم التاء فهو على صورة المبنى للمجهول والواو فاعل والغليل الحقد (٣) المراد أيخاف أصحاب المسلمون من عباد المسيح مع أننا عبيد الاله الذى خلق المسيح.

(٥) الإيماء والإشارة إلى نوع الخبر من مدح أو ذم أو عقاب أو غير ذلك فيتنبه الفطن من فاتحة الكلام إلى خاتمته ويدرك ما تومىء إليه من المقاصد كقوله تعالى « إنَّ الذينَ يَسْتكبِرُونَ عنْ عبادتي سَيدْخلُونَ جهنَّمَ داخرينَ[1] » فني مضمون الصلة وهو الاستكبار عن العبادة تلميح إلى أن الخبر المترتب عليه من جنس الاذلال والعقوبة .

قال السكاكي : ثم يتفرع على هذا اعتبارات لطيفة فربما جعل ذريعة إلى التعريض بالتعظيم لشأن الخبر كقولك الذى يرافقك يستحق الاجلال ، والذى يفارقك يستحق الاذلال ، وعليه قول الفرزدق :

إن الذى سَمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمُه أعزُّ وأطول[2]

فهو مع كونه يشير الى أن الخبر المبنى عليه من جنس الرفعة والبناء يعرض بتعظيم بناء بيته لأنه فعل من رفع السماء .

أو ذريعة إلى تحقيق الخبر نحو:

إن التى ضربت بيتاً مهاجرةً بكوفة الجند غالت ودَّها غولُ[3]

فنى ضربها البيت فى مكان المهاجرة تحقيق للحكم بزوال محبتها وودها

(٦) الحث على التعظيم نحو جاء الذى أدبك ورباك فأحسن تربيتك .

(٧) التهكم نحو « قالوا يأيها الذى نُزّل عليه الذكرُ إنّك لمجنُونٌ » .

(٨) الحث على الترحم نحو الذى سبي أولاده ، ونهب طريفه وتلاده ، يستحق المعونة .

(٩) تعليل الحكم نحو « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانتْ لهم جنَّاتُ الفرْدوس نُزُلا » فنى ذكر الإيمان والعمل الصالح بيان لسبب فوزهم بالجنات ورفع

---

(١) داخرين صاغرين (٢) سمك رفع والبيت بيت العز والشرف قاله يفخر بقبيلته على قبيلة جرير (٣) سميت الكوفة: كوفة الجند لاقامة جند العرب بها عند تمصيرها وغالته غول أزالته وأهلكته .

الدرجات ، وعلى الجملة فلطائف هذا الباب لا تكاد تحصر .

المبحث السادس في تعريف المسند اليه باللام

يؤتى بالمسند إليه معرفاً باللام لإفادة معنى من المعانى التى تفيدها اللام .
ذاك أنها تنقسم قسمين لام العهد الخارجى وهى ثلاثة أنواع : صريحى وكنائى وعلمى. ولام الحقيقة وهى أربعة أقسام : لام الحقيقة أو لام الجنس ، ولام العهد الذهنى ، ولام الاستغراق الحقيقى ، ولام الاستغراق العرفى .

(١) لام العهد الصريحى [1] هى ما يتقدم مدخولها صراحة كما فى قوله تعالى: « اللهُ نورُ السموات والأرض مثلُ نُوره كمشكاة فيها مصباحٌ المصباحُ فى زُجاجة الزجاجةُ كأنها كوكبٌ دُرّى » . فقد ذكر المصباح والزجاج منكرين ثم أعيدا معرفين

(٢) لام العهد الكنائى هى ما يتقدم ذكرها كناية أى مبهما تعينه القرائن كقوله تعالى « وَلَيْسَ الذَّكَرُ كالأنثى » . فالذكر وإن لم يتقدم صريحاً قد استفيد من (ما) فى قولها « ربِّ إنى نذَرْتُ لكَ ما فى بطْنى مُحرَّراً » . إذ التحرير وهو العتق لخدمة بيت المقدس لم يكن إلا للذكور فهو المعنى بـ(ما) فى كلامها .

(٣) لام العهد العلمى هى ما علم مدخولها عند المخاطب سواء أكان حاضراً أم لا نحو « إذ يبَايعونَكَ تَحتَ الشَّجَرَة » ـ « إذ هما فى الغار » أى الشجرة والغار المعهودين لك ، وكما تشير إلى حاضر وتقول هذا الخطيب تكلم فأحسن الكلام .

(٤) لام الحقيقة هى ما يشار بها إلى الحقيقة بقطع النظر عن عمومها وخصوصها وتسمى لام الجنس كقولهم أهلك الناس الدينار والدرهم ، وشربت الماء ، وقول أبى العلاء :

والخلّ كالماء يبدى لى ضمائره   مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

---

(١) ضابطها أن يسد الضمير مسدها مع مصحوبها .

وعليه من غير هذا الباب قوله تعالى « وجَعلْنا من الماء كُلَّ شيْءٍ حَيّ » إذ المراد جعلنا مبدأ كل شى حى هذا الجنس وهو الماء .

(٥) لام الحقيقة فى ضمن فرد مبهم إذا قامت القرينة على ذلك وتسمى لام العهد الذهنى كما فى قوله تعالى « وأخافُ أنْ يأكله الذِّئبُ » ، ومدخولها فى المعنى كالنكرة فيعامل معاملتها فيوصف بالجملة كما توصف النكرة كقول عميرة بن جابر الحنفى :

ولقد أمرّ على اللئيم يسبّنى فمضيْتُ ثمّت قلت لا يعنينى

أما فى اللفظ فتجرى عليه أحكام المعارف من وقوعه مبتدأ وذا حال ووصفا للمعرفة وموصوفاً بها — وإنما لم نقل نكرة لما بينهما من التفاوت إذ النكرة معناها بعض غير معين من جملة أفراد الحقيقة ، وأما المعرف باللام فمعناه نفس الحقيقة وتستفاد البعضية من القرائن كالأكل فى الآية ، وإذاً فالمجرد وذو اللام مع القرينة(١) سواء وبالنظر إلى أنفسهما مختلفان .

(٦) لام الحقيقة فى ضمن جميع الأفراد التى يتناولها اللفظ بحسب اللغة وتسمى لام الاستغراق الحقيقى ، ودليل الشمول والاستغراق ، إما :

(ا) قرينة حالية نحو « عالم الغيب والشهادة » أى كل غيب وشهادة .

(ب) قرينة مقالية نحو « إن الإنسانَ لفى خُسْر » أى كل إنسان بدليل الاستثناء الذى هو علامة إرادة العموم إذ شرطه دخول المستثنى فى المستثنى منه لو لم يذكر .

(٧) لام الحقيقة فى ضمن جميع الأفراد التى يتناولها اللفظ بحسب متفاهم العرف كما تقول جمع الملك الوزراء والتى عليهم نصائح ذهبية ، فإن المقصود وزراء مملكته لا وزراء العالم أجمع .

(تنبيه) من القضايا المشهورة قولهم (استغراق المفرد أشمل) ومعنى ذلك

---

(١) فى أن كلا منهما يفيد بعضا غير معين وضعا فى النكرة وبالقرينة فى ذى اللام .

أن اسم الجنس المفرد إذ دخلت عليه أداة الاستغراق كحرف التعريف أو النفي كان شموله للأفراد وتناوله إياها أكثر من شمول المثنى والجمع الداخلة عليهما تلك الأداة .

بيان ذلك أن المفرد يتناول كل واحد من الأفراد ، والمثنى إنما يتناول كل اثنين اثنين ، والجمع إنما يتناول كل جماعة جماعة ، ودليل ذلك صحة قولك لا رجال فى الدار اذا كان فيها رجل أو رجلان وعدم صحة قولك لارجل اذا كان فيها واحد أو اثنان من هذا الجنس ، وهذه القضية ليست بصحيحة على عمومها ، وإنما تصح فى النكرة المنفية دون الجمع المعرف باللام لأن المعرف بلام الاستغراق يتناول كل واحد من الأفراد بل هو فى المفرد أقوى كما دل عليه الاستقراء وصرح به أئمة اللغة وعلماء التفسير فى كل ماوقع فى القرآن الكريم نحو (أعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ والأرض) (والله يحبُّ المحسنين) (وعلَّمَ آدمَ الأسْمَاء كلها) الى غير ذلك مما لا يحصى .

المبحث السابع فى تعريف المسند إليه بالاضافة

يعرف المسند إليه بالاضافة لمزايا كثيرة منها :

(١) أن تكون أخصر طريق لاحضاره فى ذهن المخاطب والمقام يقتضى ذلك لفرط الضجر والسآمة كقول جعفر بن علبة حين حبس بمكة :

هواى مع الركب اليمانين مُصْعِد جَنيبٌ وجُثمانى بمكةَ مُوثَق(١)

فهواى أى مهوى أخصر من الذى أهواه ونحوه ، مع كون الاختصار مطلوبا لضيق المقام .

(٢) أن تغنى عن تفصيل متعذر نحو أجمع أهل الحق على كذا ، وقول حسان بن ثابت :

---

(١) اليمانين جمع يمان ومصعد من أصعد فى الأرض سار فيها والجنيب المجنوب المستتبع والجثمان الجسم والموثق المقيد .

أولاد جفْنة حول قبر أبيهمُ   قبر ابن مارية الكريم المفْضل (١)

أو متعسر إما باعتبار الكثرة نحو أهل القاهرة فعلوا كذا أو باعتبار لزوم تقديم بعض على بعض بدون مرجح نحو علماء البلد اتفقوا على كذا .

(٣) أن تتضمن تعظيم شأن المضاف أو المضاف إليه أو غيرهما نحو (إنَّ عبادى ليس لك عليهمْ سلطانٌ) ونحو خادمى اليوم عمل كذا . ونحو رسول السلطان زار فلانا وعليه من غير المسند إليه قوله :

لا تدعنى إلا بيـا عبدَها   فانه أشرف أسمائى

(٤) أن تتضمن تحريضا على الاكرام نحو صديقك عندك .

(٥) أن تتضمن تحريضا على الاذلال نحو عدوك ببابك .

(٦) أن تتضمن استهزاء وتهكما نحو (إنَّ رسُولكُمْ الذّى أرْسلَ إليكُمْ لمجنُونٌ) .

المبحث الثامن فى تعريف المسند

يعرف المسند لإفادة السامع حكما على أمر معـلوم باحدى طرق التعريف بآخر (٢) مثله فى كونه معلوما للسامع باحدى طرق التعريف سواء أتحد الطريقان نحو الراكب هو المنطلق . أم اختلفا نحو على هو المنطلق .

بيان ذلك أن الشيء قد يكون له صفتان من صفات التعريف يعلم المخاطب اتصافه باحداهما دون الأخرى فتخبره باتصافه بها فتفيده ما كان يجهله من اتصافه بالأخرى كما إذا كان للمخاطب أخ يسمى عليا وهو يعرفه بعينه واسمه لكن لا يعرف أنه أخوه وأردت أن تعرفه ذلك فتقول على أخوك ، وإن عرف أن له أخا وأردت أن تعينه عنده باسمه قلت أخوك على ، ومن البين فى اختلاف المعنى

(١) أولاد جفنة من الغساسنة الذين مدحهم حسان بالشام (٢) فى هذا إشارة إلى وجوب تغاير المسند اليه والمسند بحسب المفهوم ليكون الكلام مفيدا ، أما نحو (أنا أبو النجم ، وشعرى شعرى) فمؤول أى شعرى الآن مثل شعرى فيما مضى .

بإذا تقدمت إحدى المعرفتين أو تأخرت قولهم (الحبيب أنت) (وأنت الحبيب) فمعنى الجملة الأولى أنه لا فرق بينك وبين من تحب إذا صدقت المحبة فما مثل المتحابين إلا مثل روح حل فى جسمين كما قيل الحبيب أنت إلا أنه غيرك ، ومعنى الثانية أنك أنت الذى اصطفيه من بين الناس بمحبتى وأجتبيه بمودتى كما قال المتنبي :

أنت الحبيب ولكنى أعوذ به   من أن أكون محباً غير محبوب

واعلم أن التعريف بلام الجنس قد يفيد قصر الخبر على المبتدأ وذلك على وجوه (١) :

(١) أن يقصر المبتدأ على الخبر على سبيل الحقيقة نحو محمد الرئيس فى البلد إذا لم يكن هناك رئيس غيره .

(٢) أن يقصر عليه على سبيل المبالغة وعدم الاعتداد بما سواه كما تقول على الشجاع أى الكامل فى الشجاعة ، فقد أخرجت الكلام فى صورة توهم أن الشجاعة لا توجد إلا فيه ، لأنك لا تعتد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال .

(٣) أن يقصر عليه على سبيل الحقيقة لكن لا باعتبار ذاته بل باعتبار القيد بظرف أو حال كما تقول هو الوفى حين لاتظن نفس بنفس خيرا ، فالمقصود هو الوفاء فى هذا الوقت لا مطلقا ، ونحوه هو الشجاع حين يحجم الابطال ، قال الأعشى :

هو الواهبُ المائة المصطفا   ة إمّا مخاضا وإما عشارا (٢)

فقد قصر هبة المائة من الابل فى إحدى الحالين لا هبتها مطلقا ولا الهبة مطلقا ، وفى كل هذه الأحوال يمتنع العطف بالواو ونحوها على ماحكم عليه بالمعرف

---

(١) أما التعريف بلام العهد فيفيد ما هو معهود للمخاطب كقولك محمد هو المسافر .
(٢) المخاض الحوامل من النوق أجمع والعشار جمع عشراء وهى من النوق كالنفساء .

فلا يقال محمد الأمير وعمرو ، ولا إبراهيم الشجاع لخالد .

وربما لا يفيد قصر المعرف على ما حكم عليه به كقول الخنساء ترثى أخاها صخرا :

إذا قَبُح البكاءُ على قتيل   رأيتُ بكاءَك الحسنَ الجميلا

فهى لم ترد أن ما عدا البكاء عليه ليس بحسن ولا جميل ، لكنها أرادت أن تقره فى جنس ما جنسه الحسن الظاهر الذى لا ينكره أحد ، ونحوه قول الآخر :

أسودٌ إذا ما أبدت الحربُ نابها   وفى سائر الدهر الغيوثُ المواطر

تدريب

بين الأغراض التى اقتضت تعريف المسند إليه أو المسند باحدى طرق التعريف:

(١) أبو مالك قاصر فقرُه   على نفسه ومُشيع غناه

(٢) مضى بها مامضى من عقل شاربها   وفى الزجاجة باق يطلب الباقى (١)

(٣) إن الذى الوحشة فى داره   تؤنسه الرحمة فى لحده

(٤) ولا يقيم على ضيم يراد به   إلا الأذلّان عَيْرُ الحى والوتدُ (٢)

هذا على الخسف مربوط برُمَّته   وذا يُشج فلا يَرْثى له أحد

(٥) وما هذه الحياة الدنيا إلا لهوٌ ولعب :

(٦) بنو مطر يوم اللقا كأنهم   أسودٌ لها فى غيل خَفّان أشبُلُ (٣)

(٧) أهذا الذى بعث الله رسولا :

(٨) أخوك الذى إن تدعه لملمة   يجبك وإن تغضب إلى السيف يغضب

---

(١) فى وصف الخمر (٢) العير الحمار والرمة الحبل يربط به والخسف الاهانة .

(٣) الغيل الاجمة وخفان مأسدة مشهورة بضراوة أسدها والأشبل جمع شبل ولد الأسد .

الاجابة

(١) أتى بالمسند إليه علما لاحضاره باسمه المختص به .

(٢) أتى بالمسند إليه اسم موصول للتفخيم وتعظيم شأن ذلك الذاهب من العقل

(٣) أتى بالمسند إليه اسم موصول للايماء إلى وجه بناء الخبر وكونه مدحا للمحدث عنه .

(٤) أتى بالمسند إليه اسم إشارة للتحقير بالقرب .

(٥) » » » » » » » »

(٦) أتى بالمسند إليه مضافا لاغناء الإضافة عن تفصيل متعذر .

(٧) أتى بالمسند إليه اسم إشارة للتحقير .

(٨) أتى بالمسند إليه مضافا لتعظيم شأن المضاف .

تمرين

اذكر الغرض من تعريف المسند إليه أو المسند بإحدى طرق التعريف :

(١) ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضينا

(٢) قل هو الله أحد .

(٣) ماكان محمد أبا أحد من رجالكم .

(٤) هو الكريم حين يبخل كل جواد .

(٥) وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد (١)

(٦) أبو لهب آذى محمدا عليه السلام .

(٧) ان الناس لفى شغل عن عمل الآخرة .

---

(١) قاله حسان يهجو أبا سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وجعل الحرث عبدا لأن أمه ليست قرشية ولم تلدها قبيلة مشهورة .

الباب السابع في التنكير

لم يتعرض لهذا الباب كثير ممن كتب في هذا الفن، وأول من فتق أكمام أزهاره صاحب الكشاف وتبعه من جاء بعده من علماء البيان.

وقصارى ما قالوه ان المسند اليه ينكر لأغراض منها.

(١) ألا يعلم المتكلم جهة من جهات التعريف من علمية أو صلة أو غيرها فتقول جاء هنا رجل يسأل عنك، اذا لم تعرف له اسماً ولا نحوه.

(٢) أن يقصد فرد غير معين مما يصدق عليه اسم الجنس نحو (وجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أقصَى المدينة يَسْعَى) أي فرد من جنس الرجال.

(٣) أن يمنع من التعريف مانع كقوله:

إذا سئمت مهنّدَه يمينٌ لطول الحمْل بدلّه شمالا [1]

لم يقل يمينه تحاشيا من نسبة السآمة إلى يمين الممدوح.

(٤) أن يقصد نوع مخصوص نحو:

لكل داء دواء يستطبُّ به إلا الحماقة أعيت من يداويها

يريد لكل نوع من أنواع الأدواء ما يناسبه من أصناف الأدوية وعليه قوله تعالى (وعَلَى أبْصارِهِمْ غشَاوةٌ ولَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) قال في الكشاف: معنى التنكير ان على أبصارهم نوعا من الأغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله، ويرى السكاكي أن التنكير في هذا للتعظيم أي غشاوة عظيمة تحجب أبصارهم دفعة واحدة وتحول بينهم وبين الادراك وعذاب عظيم لا يقدر قدره.

---

(١) المهند السيف

(٥) أن يقصد التكثير نحو (قالُوا أَئِنَّ لَنا لَأَجْراً) وقولهم ان له لابلا وان له لغنما اذ المقام للمدح .

(٦) أن يقصد التقليل نحو (ورِضْوانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ) أى فشىء ما من رضوانه أكبر من الجنة ونعيمها ، فان العبد اذا علم رضى مولاه عنه عدّ ذلك من أعظم النعم وعاش عيشة راضية .

(٧) التعظيم والتحقير وقد اجتمعا فى البيت الثانى من قول مرْوان بن أبى حفصة :

فتًى لا يبالى المدلجون بنوره الى بابه ألا تضىء الكواكب[1]
له حاجبٌ عن كل أمر يشينه وليس له عن طالب العُرْف حاجب[2]

فمقام المدح يفيد أن له مانعا عظيما عن كل قبيح وشين وليس له أى مانع ولو حقيرا عن طلاب المعروف فهم يحصلون على مقاصدهم بلا كد ولا تعب .

والفرق بين التعظيم والتكثير أن الأول ينظر فيه لارتفاع الشأن وعلو القدر والثانى يلاحظ فيه الكميات والمقادير ، وهكذا الحال فى الفرق بين التحقير والتقليل .

(٨) قصد إخفائه عن المخاطب نحو سمعت رجلا يقول انك حدت عن الصواب ، وينكر المسند لأغراض منها .

(١) عدم الحصر والعهد الدال عليهما التعريف كما تقول محمد كاتب وعلى شاعر .

(٢) قصد التفخيم والتعظيم نحو (هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) أى هدى لا يكتنه كنهه .

(٣) قصد التحقير نحو ما محمد شيئاً .

وينكر غير المسند إليه والمسند للدلالة على .

---

(١) أدلج سار ليلا (٢) حاجب أى مانع ويشينه أى يعيبه .

(١) الافراد نحو (والله خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ) أى خلق كل فرد من أفراد الدواب من نطفة معينة .

(٢) النوعية نحو (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ) أى نوع من الحياة المتطاولة فهم أحرس الناس على أن يزدادوا إلى حياتهم الماضية حياة فى المستقبل .

(٣) التحقير نحو (إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ) .

(٤) التقليل كقول المتنبي :

فيوما بخيل تطرد الرُّومَ عنهمو ... ويوما بجود يطرد الفقر والجدْبا (١)

يريد بعدد يسير من خيولك ونزر من فيض جودك .

(٥) عدم التعين نحو (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً) .

تدريب

بين دواعى تنكير المسند إليه أو المسند أو غيرهما فيما يلى .

(١) قال تعالى فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ .

(٢) وأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَطَراً فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ .

(٣) ولَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ .

(٤) وفى السماء نجومٌ لا عداد لها ... وليس يُكسف إلا الشمسُ والقمرُ

(٥) إذا أنت لم تزرع وأبصرتَ حاصدا ... ندمت على التفريط فى زمن البذر

(٦) ومن طلب العلوم بغير كدّ ... سيدْركها متى شاب الغراب

(٧) وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك .

(٨) ولله منى جانب لا أضيعه ... وللهو منى والخلاعة جانب

---

(١) القحط .

الإجابة

(١) نكر حرب للدلالة على التعظيم .

(٢) نكر المطر للدلالة على النوعية أى مطراً عجيبا من الحجارة .

(٣) نكرت النفحة للدلالة على التحقير .

(٤) نكرت النجوم للدلالة على التكثير .

(٥) نكر الحاصد للدلالة على عدم التعيين أو للدلالة على الافراد .

(٦) نكر كد للدلالة على التعظيم .

(٧) نكرت رسل للدلالة على التعظيم والتكثير أى رسل ذوو عدد كثير وآيات عظام .

(٨) نكر جانب الأول للدلالة على التعظيم وجانب الثانى للدلالة على التحقير .

تمرين

بين دواعى تنكير المسند إليه أو المسند أو غيرهما فيما يلى :

(١) يا أبت انى أخافُ أن يَمَسَّك عذابٌ من الرحمن .

(٢) ولكُمْ فى القصاص حَياةٌ يا أولى الألباب .

(٣) رجلٌ قال انك اغتبتنى :

(٤) دفعنا بك الأيام حتى اذا أتتْ تريدك لم نسطع لها عنك مَدْفعا

(٥) آراؤه وعطاياه ونعمته وعفوه رحمةٌ للناس كلِّهمُ

(٦) وللغزالة شيءٌ من تلفّته ونورُها من ضيا خديه مكتَسَب

(٧) قلتُ ثقّلتُ إذ أتيتُ مرارا قال ثقّلت كاهلى بالأيادى

(٨) لئن صدفَتْ عنا فرُبَّت أنفس صواد الى تلك النفوس الصوادف (١)

---

(١) صدفت أعرضت وصواد جمع صادية أى عطشى .

الباب الثامن فى التقييد

وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول فى فوائد التقييد

اعلم أن التقييد بأحد الأنواع الآتية يكون لزيادة الفائدة وتقويتها لدى السامع لما هو معروف من أن الحكم كلما ازدادت قيوده ازداد ايضاحا وتخصيصا ، فتكون فائدته أتم وأكمل ، لا فرق فى ذلك بين تقييد المسند اليه والمسند ، ولا بين التقييد بتابع ومفعول ونحو ذلك .

وكثير من مسائل هذا البـاب ذكر فى كتب النحـاة على النحو الذى يشاكل بحثهم دون نظر إلى غامض الفروق ولطيف المزايا ، فان تينك الفائدتين من مقاصد علماء البيان الذين قصروا مباحثهم على تعرّف خواص التراكيب ، وأسرار الأساليب ، وما فيها من دقيق الوضع ، وباهر الصنع .

المبحث الثانى فى التقييد بالمفاعيل ونحوها

التقييد بالمفـاعيل ونحوها من الحال والتمييز لزيادة التخصيص المستلزم كثرة الفائدة ، وبالنواسخ للأغراض التى تؤديها معانى ألفاظها كالاستمرار وحكاية الحال الماضية فى كان ، (١) والتوقيت بزمن معين فى ظل وأخواتها ، والمقـاربة فى كاد وكرب والتأكيد فى أن والتشبيه فى كأن إلى نحو ذلك .

المبحث الثالث فى التقييد بالتوابع

سنجمل الكلام فى هـذا المبحث لأنه قد بين فى علم النحو ببسط وأطناب فينعت المسند اليه لنكات منها .

---

(١) فالمقيد فى كان محمد منطلقا هو منطلقا لا كان إذ هو المسند وكان قيد له .

(١) تمييزه بتخصيصه ان كان نكرة وتوضيحه ان كان معرفة .

(٢) الكشف عن حقيقته كما يقال الجسم الطويل العريض العميق يحتاج إلى فراغ يشغله ، ومنه فى غير المسند إليه قول أوس بن حُجْر التميمى فى مرثية فُضالة ابن كلدة :

الألمعىّ الذى يظن بك الظـــنّ كأنْ قد رأى وقد سمعا

فالألمعى هو المتوقد ذكاء وفطنة ومن لوازمه أنه إذا ظن بك ظنـا طابقت فراسته الواقع ، وقد روى أن الأصمعى سئل عن الألمعى فأنشد البيت .

(٣) التأكيد نحو أمس الدابرُ وكان يوما عظيما ، وعليه قوله تعـــالى (تلكَ عَشَرَةٌ كَامِلةٌ) .

(٤) بيان المقصود وتفسيره نحو (ومَا منْ دَابَّة فى الأرْض ولا طَائِر يَطِيرُ بِجَنَاحَيْه) قال فى الكشاف : فان قلت هلا قيل وما من دابة ولا طائر إلا أمم أمثالكم وما معنى هـذه الزيادة ، قلت معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كأنه قيل وما من دابة قط فى جميع الأرضين السبع وما من طائر قط فى جو السماء من جميع مايطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم محفوظة أحوالها غير مهمل أمرها .

(٥) المدح نحو جاءنى محمد الاديب .

(٦) الذم نحو سافر ابراهيم الأحمق .

ويؤكد لاعتبارات منها :

(١) تحقيق المراد بحيث لايحتمل الكلام غيره كما تقول جئت أنا .

(٢) دفع توهم السامع تجوز المتكلم أو سهوه نحو قدم صديقك نفسه .

(٣) دفع توهم عدم الشمول نحو جاء القوم كلهم ، إذ لو قلت جاء القوم وسكت لكان يجوز أن يخطر ببـال السامع أن بعضهم قد تخلف إلا أنك لم تعتد به أو جعلت الواقع من البعض كأنه واقع من الجميع كما يقال للقبيلة صنعتم وفعلتم

ويراد فعل قد كان من البعض يرشد إلى ذلك قوله تعالى (فَعَقَرُوا النَّاقَةَ) والعاقر لها قُدارٌ لكنهم نزلوا منزلته لرضاهم بفعْلته .

ويبين لمزايا منها .

(١) المدح نحو (جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاس) فالبيت الحرام عطف بيان على الكعبة لغرض مدحها بأنها حرم آمن .

(٢) الإيضاح والتفسير بما يختص بالمتبوع ويوضح ذاته نحو قال أبو الحسن على كرم الله وجهه .

ويبدل لأغراض أهمها :

زيادة التقرير إذ البدل كالتفسير بعد الابهام فيزداد به تقرير المقصود فى ذهن السامع ، ومنه فى غير المسند إليه (اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) .

أما فى بدل الكل فللذكر مرتين ، وأما فى بدل البعض فلأن المتكلم لما أتى بالمبدل منه أولا ثم أتى بالبدل ثانيا كان كالمنبه على التجوز والاجمال فى المبدل منه فيؤثر فى النفس تأثيرا لا يوجد عند الاقتصار على الثانى ، وأما فى بدل الاشتمال فلأن البدل تشعر به النفس فى الجملة قبل ذكره وتتشوف لشىء يطلبه الكلام السابق فإذا ذكر صار متكررا .

ويعطف عليه لدواع منها :

(١) تفصيل المسند اليه باختصار نحو جاء محمد وعلى فانه أخصر من جاء محمد وجاء على ، مع إفادة التفصيل بالنسبة لقولك جاءنى رجلان ، ولا يعلم منه تفصيل المسند إذ الواو لمطلق الجمع ولا دلالة فيه لمجىء أحدهما قبل الآخر أو بعده أو معه .

(٢) تفصيل المسند مع الاختصار نحو جاء محمد فعلى أو ثم على ، أو جاء

القوم حتى خالد ، فهذه الثلاثة الحروف وإن اشتركت فى تفصيل المسند فالأول يدل على التعقيب من غير مهلة والثانى مع المهلة والثالث يفيد ترتيب أجزائه من الأضعف إلى الأقوى أو بالعكس نحو :

وكنتُ فتًى من جُنْد إبليسَ فارتَقى ... بى الحال حتى صار إبليسُ من جُنْدى

(٣) الشك من المتكلم إذا كان لايدرى الحقيقة .

(٤) التشكيك أى ايقاع السامع فى الشك .

(٥) التجاهل نحو (وأنَّا أوْ اياَّكم لعلَى هُدًى أوْ فى ضَلاَل مُبين)

(٦) التخيير أو الاباحة نحو ليدخل الدار محمد أو على ، والفرق بينهما أنه يجوز الجمع فى الاباحة دون التخيير .

(٧) رد السامع عن الخطأ فى الحكم إلى الصواب نحو جاءنى على لا خالد لمن اعتقد أن خالدا جاءك دون على أو أنهما جاءاك معا .

المبحث الرابع فى التقييد بضمير الفصل

يؤتى بعد المسند اليه بضمير الفصل لأغراض منها :

(١) التخصيص أى قصر المسند على المسند إليه إذا لم يكن فى الكلام ما يفيد القصر سواء نحو (ألَمْ يعلَمُوا أنَّ الله هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عبَاده) .

(٢) تأكيد التخصيص إذا كان فى التركيب مخصص آخر نحو (انَّ اللهَ هُوَ الرَّزاقُ) ومنه قول أبى الطيب :

اذا كان الشباب السكر والشَّيْبُ همًّا فالحياة هى الحِمَامُ

يريد أنه إذا كان الشخص ابآن الشبابِ كالسكران غافلا عن العواقب وفى الشيب حزينا بسبب ضعفه فلا خير فى الحياة بل هى الموت .

(٣) تمييز الخبر عن الصفة نحو الفصيح هو جيد البيان طلق اللسان .

المبحث الخامس فى التقييد بالشرط

يقيد الفعل بالشرط للأغراض التى تستفاد من معانى الأدوات كالزمان فى متى والمكان فى أين والحال فى كيفما إلى آخر ما استوفى بيانه علم النحو ، لكن نذكر هنا ما بين إن وإذا ولو من الفروق الدقيقة التى تشاكل مباحث هذا الفن .

بيان هذا أن المقصود من الجملة الشرطية عند علماء العربية إنما هو النسبة التى يدل عليها الجزاء سواء أكانت خبرية أم إنشائية ، والشرط قيد لها وسبب فيها لا يغيرها عن حالها الأولى من الخبرية أو الانشائية ، وقد خرج بدخول الأداة عليه عن كونه خبراً يحتمل صدقاً وكذباً فقولك إن نجحت أكافئك ، معناه أكافئك حين نجاحك ، وقولك إن جاء محمد فأكرمه أى أكرمه وقت مجيئه .

(إن وإذا) تشتركان فى الدلالة على تعليق حصول الجزاء على حصول الشرط فى المستقبل ، وتمتاز كل منهما بما يلى .

(ا) تمتاز إن بدلالتها بحسب الوضع اللغوى على عدم جزم المتكلم بوقوع الشرط فى الزمن المستقبل نحو (وإنْ جاءُوك فاحْكُمْ بينَهم أوْ أعرِضْ عنْهم) ومن ثم لاتقع فى كلام الله تعالى إلا على سبيل الحكاية أو التأويل فالأول كقوله تعالى حكاية عن يوسف (وَإنْ لاَتَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إلَيْهِنَّ) والثانى نحو (وإنْ تُصِبْهمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ) فقد جاءت فى التنزيل على نمط أساليبهم وعلى الطريقة التى يعبر بها المتكلم منهم حينما يكون غير جازم بوقوع الشرط .

(ب) تمتاز إذاً باستعمالها لغة فى كل ما يجزم المتكلم بوقوعه فى الزمن المقبل نحو (إذا زلزلت الأرض زلزالها) .

ومن أجل ما بينهما من الفرق كانت الأحكام النادرة الوقوع مع لفظ المضارع مواقع لإن ، والأحوال الكثيرة الوقوع ولفظ الماضى الدال على تحقق الوقوع

قطعاً نظراً إلى نفس لفظه [وإن كان قد نقل بعد دخول الأداة عليه إلى معنى الاستقبال] مواقع الإذا .

وقد اجتمعتا فى قوله تعالى (فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه) أى إذا جاء آل فرعون حسنة كخصب ورخاء وكثرة أولاد قالوا نحن أحقاء بها ، وإن أصابهم جدب وبلاء تشاءموا من موسى ومن آمن معه ، فعبر بإذا فى جانب الحسنة لأن المقصود منها الجنس وهو مقطوع بحصوله لكثرته وبأن فى جانب السيئة لندورها ولهذا نكرت للدلالة على القلة .

قال فى الكشاف وللجهل بمواقع إن وإذا يزيغ كثير من الخاصة عن الصواب فيغلطون ألا ترى إلى عبد الرحمن بن حسان كيف أخطأ بهما الموقع فى قوله يخاطب بعض الولاة وقد سأله حاجة فلم يقضها ثم شُفع له فيها فقضاها :

ذُممتَ ولم تُحمد وأدركتُ حاجتى تولى سواكم أجرها واصطناعها
أبَى لك كسبَ الحمد رأىٌ مقصّر ونفسٌ أضاق الله بالخير باعها
إذا هى حثّته على الخير مرة عصاها وإن همّت بشرّ أطاعها

ولو عكس فى استعمال الاداتين لأصاب الغرض .

(تنبيه) قد تستعمل كل من الأداتين موضع الأخرى فتستعمل إن فى الشرط المجزوم بثبوته لأغراض منها :

(١) التجاهل إذا اقتضاه المقام كما يقول المعتذر إن كنت فعلت هذا فعن غير قصد .

(٢) تنزيل المخاطب منزلة الجاهل لأنه لم يجر على مقتضى علمه كما يقال للابن الذى لا يراعى حقوق الأبوة : إن كان هذا أباك فراع حقوقه عليك .

(٣) التوبيخ على الفعل تنبيهاً على أنه لقيام البراهين المقتضية وقوع خلافه كأنه محال الوقوع فيفرض كما يفرض المحال نحو (أفنضرب عنكم الذكرَ صفحاً إن كنتم

قوماً مُسْرفينَ (١)) فى قراءة الكسر إذ إسرافهم محقق لكنه عبر عنه بان توبيخاً لهم وإشارة إلى أنهم لو تأملوا الآيات الظاهرة لصار الإسراف كأنه محال الحصول إذ هو لا يصدر عن عاقل فى مثل هذه الحال .

(٤) تغليب غير من اتصف بالشرط على من اتصف به نحو (وإنْ كُنْتُمْ فى رَيْبٍ مِمّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فأْتُوا بسُورة من مثْله) فقد غلب من لم يرتب من المخاطبين على من ارتاب وكان يعرف الحق وينكره عناداً .

كما تستعمل أيضاً فى المستحيل المجزوم بنفيه على سبيل المساهلة وإرخاء للعنان لإلزام الخصم وتبكيته نحو (قُلْ إنْ كان للرَّحْمَن وَلَدٌ فأنَا أوَّلُ العَابدِينَ) .

وتستعمل إذا فى مواضع الشك لأغراض أهمها :

(١) الإشارة إلى أن مثل ذلك الشرط لا ينبغى أن يكون مشكوكا فيه نحو قولك لمن قال لا أدرى أيتفضل على الأمير بالنوال ، إذا تفضل عليك فكيف يكون شكرك .

(٢) عدم شك المخاطب .

(٣) تنزيل المخاطب منزلة الجازم الذى لا شك عنده .

(٣) تغليب الجازم على غير الجازم .

ولما كانت الأداتان لتعليق الجزاء بالشرط فى الاستقبال التزم فى جملتيهما الفعلية والاستقبال ، ذاك أن الشرط مفروض الحصول فى المستقبل فيمتنع ثبوته ومضيه والجزاء معلق عليه ، ولا يعدل عن الاستقبال فى اللفظ والمعنى إلى المعنى فقط إلا لنكتة كابراز غير الحاصل فى معرض ما هو حاصل وذلك اما .

(١) للتفاؤل نحو ان عشت نفعت أمتى وبلادى .

---

(١) المعنى أنهملكم ونضرب عنكم القرآن بترك إنزاله لكم وترك ما فيه من وعد أو وعيد لإعراضا عنكم إن كنتم مسرفين .

(٢) لقوة الأسباب وتوافرها كأن تقول حين انعقـــاد الشراء ان اشتريته كان كذا .

(٣) لإظهار الرغبة فى وقوعه فيكثر تصور المتكلم إياه حتى يخيل إليه ما ليس بالحاصل حاصلا كما تقول ان ظفرت بحسن العاقبة فذاك ما أبغى ، وعليه قوله تعالى (ولا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ انْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً (١)) جىء بلفظ الماضى للدلالة على توافر الرغبة فى تحصنهن .

(٤) للتعريض نحو (ولئن اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ انَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِين) قال فى الكشاف : هذا كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير وفيه لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى .

ونظيره فى التعريض (ومَالِىَ لا أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى وإِلَيْهِ تُرْجَعُون) إذ المراد ومالكم لا تعبدون الذى فطركم كما يدل عليه (ترجعون) .

ووجه حسن التعريض وملاحته إسماع المخاطبين الحق على وجه لايورثهم مزيد غضب ، وذلك لأنك تترك التصريح بنسبتهم الى الباطل ، وذلك أنفـــذ فى أعماق القلوب حيث لايريد المتكلم لهم الا مايريده لنفسه ، وهذا النوع كثير جداً فى القرآن الكريم نحو (قُل لا تُسأَلُون عمَّا أَجْرَمْنَا ولا نُسْأَل عمَّا تَجْرِمُونَ) .

(تنبيه) قد تستعمل إن فى غير الاستقبال قياساً مطرداً فى موضعين :

(١) اذا كان الشرط لفظ كان نحو (وإن كُنْتُمْ فى رَيْب مِمَّا نزَّلنا على عَبْدِنَا) الآية

(٢) اذا جىء بها فى مقام التأكيد بعد واو الحال لمجرد الربط دون الشرط نحو على وإن كثر ماله بخيل ، وقليلا فى غير ذلك كقول أبى العلاء :

فياوطنى انـ فاتنى بك سابق من الدهر فلينعم بساكنك البالُ (٢)

---

(١) الفتيات الاماء وكان من عادتهم فى الجاهلية أن يكرهوهن على تلك الفعلة الشنعاء .

(٢) الغرض من ذلك التحسر وجواب إن محذوف أى فلا لوم على لأنى تركتك كرهاً يدل عليه فلينعم .

كما تستعمل اذا إما :

(١) للمضى نحو (حتّى اذا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْن) .

(٢) أو للاستمرار نحو (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) .

(لو) للشرط فى الماضى مع القطع بانتفاء الشرط فيلزم انتفاء الجزاء بمعنى أن الجزاء كان يمكن أن يقع لو وجد الشرط ، فإذا قلت لو جئتنى لأكرمتك فهم منه أن المجيء شرط فى الأكرام وأنه على تقدير وقوعه يقع الاكرام ، ولهذا قيل ان لولا امتناع الثانى لامتناع الأول . وعليه قوله تعالى : (ولوْ شَاءَ لَهداكم أجْمعين) أى إن انتفاء الهداية انما هو بسبب انتفاء المشيئة ، ونحوه قول الحماسى :

ولو طار ذو حافر قبلها لطارت ولكنه لم يطر (١)

فان عدم طيران ذلك الفرس بسبب أنه لم يطر ذو حافر قبلها .

وتجيء قليلا لامتناع الأول لامتناع الثانى فتفيد الدلالة على أن العلم بانتفاء الثانى علة للعلم بانتفاء الأول ضرورة انتفاء الملزوم بانتفاء اللازم من غير التفات الى أن علة انتفاء الجزاء فى الخارج ما هى ، وعلى ذلك جاء قوله تعالى (لوْ كان فيهمَا آلهةٌ الا الله لفسَدَتَا) اذ المعنى أنه علم انتفاء تعدد الالهة بسبب العلم بانتفاء الفساد ، ويكثر هذا فى مقام الأدلة والبراهين ، لكن الاستعمال الأول هو الشائع المستفيض فى القرآن والحديث وأشعار العرب

ويجب كون جملتيها فعليتين ماضويتين ، فان دخلت على مضارع كان ذلك لنكتة إما :

(١) قصد الاستمرار فى الماضى حينا فحينا نحو (لوْ يُطيعكُم فى كَثير منَ الأمْر لعنتُّم) (٢)

قال فى الكشاف انما قيل يطيعكم دون أطاعكم للدلالة على أنه كان فى ارادتهم

(١) ان عدم طيران الفرس معلوم والمقصد بيان السبب وهو أنه لم يطر قبلها ذو حافر .

(٢) العنت الهلاك .

استمرار عمله على ما يستصوبونه وأنه كلما عنّ لهم رأى فى أمر كان معمولا عليه بدليل قوله فى كثير من الأمر كما تقول فلان يقرى الضيف ويحمى الحريم ، تريد أنه مما اعتاده ووجد منه على طريق الاستمرار .

(٢) وإما لتنزيل المضارع منزلة الماضى لصدوره عمن لاخلاف فى وقوع أخباره نحو (ولوترى اذ وُقفُوا علَى النَّار) ، (ولوترَى اذ المجرمُونَ ناكسُورءُوسهمْ) ونظيرهُ (ربّما يودُّ الّذين كفرُوا) قال الزمخشرى : فان قلت لم أدخلت ربما على المضارع وقد أبوا دخولها الا على الماضى ، قلت لأن المترقَّب فى أخبار الله تعالى بمنزلة المقطوع به فى تحققه فكأنه قيل ربما ودّ .

الباب التاسع فى الخروج عن مقتضى الظاهر

ما مضى فى الأبواب السالفة هى الأحوال التى يلاحظ فيها البليغ مقتضى ظاهر الحال ، وقد يعدل عنها لنكتة ، فعلى المخاطب أن يبحث عن سبب العدول مستعينا بالقرائن ويسمى ذلك [الخروج عن مقتضى الظاهر]

وقد سبق ذكر شىء من أحواله نبهناك عليه فى حينه كتنزيل العالم منزلة الجاهل والمعقول منزلة المحسوس ، وقد بقى منه أمور أهمها (١) تجاهل العارف [مزج الشك باليقين] وهو اخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه ليزداد تأكيدا والداعى اليه .

(١) إما المدح كقول ذى الرّمة :

أيا ظبيةَ الوعْساء بين جُلاجل ... وبين النقَى آ أنت أمْ أمُّ سالم (٢)

وقول أبى هلال العسكرى :

أثغر ما أرى أم أقحُوَانُ ... وقدٌّ ما أرى أم خيزُرانُ

---

(١) سماه ابن رشيق فى العمدة التشكيك وفائدته الدلالة على قرب الشبهين حتى لايفرق بينهما ولايخفى ماله من حسن الروعة وجمال الموقع (٢) الوعساء وجلاجل والنقى مواضع .

(٢) وإما الذم كقول زهير :

وما أدرى وسوف إخال أدرى   أقومٌ آلُ حصْنٍ أم نساء

(٣) وإما التعجب كقول تعالى (أفسحرٌ هذَا أمْ أنتُمْ لا تُبْصِرُونَ) .

(٤) وإما التوبيخ كقول ليلى بنت طَريف الخارجية فى أخيها الوليد :

أيا شجر الخابور مالك مورقا   كأنك لم تجزع على ابن طَريف (١)

(ب) الالتفات وهو فن من البلاغة ملاكه الذوق السليم والوجدان الصادق ، ويلقب (بشجاعة العربية) لأن فيه ورود الموارد الصعبة واقتحام مضايق الأساليب .

وحقيقته التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة ، التكلم والخطاب والغيبة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها ، وذلك ست صور .

(١) فمن التكلم الى الخطاب نحو (مالىَ لا اعْبدُ الذى فَطَرَنى واليهْ تُرْجَعُونَ) دون (أرجع) .

(٢) ومن التكلم الى الغيبة نحو (انّا أعْطَيْنَاكَ الكوثَرَ ، فَصَلِّ لربِّك وانْحرْ) دون (لنا) .

(٣) ومن الخطاب الى التكلم نحو قول علقمة بن عبدَة العجلى :

طحا بك قلْبٌ فى الحسان طَروبٌ   بُعَيْدَ الشباب عصْر حان مشيب (٢)

تكلّفنى ليلى وقد شط ولْيُها   وعادت عواد بيننا وخطوب

وكان مقتضى الظاهر يكلفك أى القلب .

(٤) ومن الخطاب الى الغيبة نحو (حتّى اذا كُنْتُمْ فى الفلْك وَجَرَيْنَ بهمْ) دون (بكم) .

---

(١) الخابور نهر بديار بكر يصب فى الفرات (٢) طحا ذهب وبعيد تصغير بعد وحان قرب والولى القرب وفاعل يكلف القلب أى يطالبنى القلب بوصل ليلى .

(٥) ومن الغيبة الى التكلم نحو (واللهُ الّذى أرْسَلَ الرِّيَاحَ فتُثيرُ سَحَاباً فسُقْنَاه) دون (فساقه) ،

(٦) ومن الغيبة الى الخطاب نحو (مالك يوْم الدِّين إيَّاك نعْبُدُ) دون (اياه).

ووجه حسنه ماذكره الزمخشرى وهو أن الكلام اذانقل من أسلوب الى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية وتجديدا لنشاط السامع وأكثر ايقاظا للاصغاء اليه من أجرائه على أسلوب واحد ، ومن ثم قيل لكل جديد لذة — وقد نختص مواقعه بلطائف كما فى سورة الفاتحة فان العبد اذا افتتح حمد مولاه الحقيق بالحمد عن قلب حاضر ونفس ذاكرة لما هو فيه بقوله الحمد لله الدال على اختصاصه بالحمد وأنه حقيق به وجد من نفسه محركا للاقبال عليه ، فاذا انتقل الى قوله رب العالمين الدال على أنه مالك للعالمين لا يخرج منهم شيء عن ملكوته قوى ذلك المحرك ، وهكذا كلما أجرى عليه صفة من تلك الصفات العظام قوى ذلك المحرك الى أن يؤول الأمر الى خاتمتها المفيدة أنه مالك الأمر كله فى يوم الجزاء — حينئذ يجد من نفسه اقبالا عليه وتخصيصا له بالخطاب بغايه الخضوع والاستعانة به فى المهمات .

(ح) الأسلوب الحكيم وسماه الامام عبد القاهر المغالطة ، وهو نوعان :

(١) تلقى المخاطب (١) بغير ما يترقب بحمل كلامه على غير مايريد تنبيها على أنه الأولى بالقصد كقول ابن حجاج البغدادى

قلتُ ثقّلتُ اذ أتيت مرارا   قال ثقّلت كاهلى بالأيادى

قلتُ طوّلتُ قال لابل تطولـ   ـت وأبرمتُ قال حبل ودادى

فلفظ ثقلت وقع فى كلام المتكلم بمعنى حملتك المئونة لحمله المخاطب على تثقيل عاتقه بالمنن والأيادى .

---

(١) التلقى المواجهة والمخاطب بفتح الطاء أى تلقى المتكلم بالكلام الثانى المخاطب به وهو المتكلم بالكلام الأول .

(٢) تلق السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيها على أنه الأهم كقوله تعالى (ويسئلونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) فقد سألوا عن بيان ما ينفقون فأجيبوا ببيان المصارف تنبيها على أن المهم هو السؤال عنها لأن النفقة لا يعتد بها الا أن تقع موقعها .

(د) الاضمار فى مقام الاظهار وذلك فى موضعين .

(١) باب ضمير الشأن والقصة ، ويكون مرفوعا نحو : هى الدولة استعدت ، وهو الحق حصحص ، ومنصوبا نحو (فانها لا تعمى الأبصار) وسر هذا الأسلوب المبالغة وتعظيم تلك القصة وتفخيمها ، من قبل أن الشىء اذا كان مبهما كانت النفوس متشوقة الى فهمه متطلعة الى علمه ، فاذا وضح وفسر حل محلا رفيع القدر لديها ومن ثمة لا يكون الا فى المواضع التى يقصد فيها التهويل .

(٢) باب نعم وبئس نحو نعم رجلا محمد وبئس غلاما سعيد وانتصاب ما بعدهما من النكرات يجىء على جهة التفسير ، والداعى اليه المبالغة فى المدح أو الذم من حيث إنه عند الابهام يكون للأفئدة تطلع الى ايضاح المبهم وشغف الى بيانه .

(ﻫ) الاظهار فى مقام الاضمار فان كان المظهر اسم اشارة كان .

(١) اما لكمال العناية به لأجل اختصاصه بحكم غريب كقول ابن الراوندى (١) :

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الأوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقا (٢)

---

(١) هو أحمد بن يحيى الراوندى المتوفى ٢٩١ ﻫ اتهم بالزندقة ونسب إليه أنه عارض القرآن وأتى بما تضحك منه الثكلى (٢) أعيت أعجزت ، ومذاهبه أى وسائل معيشته والمراد بالأوهام العقول مجازا مرسلا والنحرير العالم الثبت والزنديق من يبطن الكفر ويظهر الاسلام واسم الاشارة يعود إلى الحكم السابق وهو حرمان العاقل ورزق الجاهل .

فأتى باسم الاشارة لأجل الحكم البديع الذى اختص به المشار إليه وهو تركه الأوهام حائرة وتصييره العالم التحرير زنديقا .

(٢) واما للتهكم بالسامع كما اذا كان فاقد البصر فتقول له هذا الهلال بين السحاب .

(٣) واما لاظهار بلاهته كأن غير المحسوس عنده محسوس نحو :

لجنى بمثلهم .

(٤) وإما لكمال فطانته حتى كأن غير المحسوس عنده محسوس نحو :

تعاللت كى أشجى وما بك علة تريدين قتلى قد ظفرت بذلك (١)

أى بقتلى وكان من حقه أن يقول به لكنه ادعى أن قتله قدظهر ظهور المحسوس . وإن كان المظهر غير اسم اشارة فأما .

(١) لزيادة تمكينه فى ذهن السامع نحو (الله الصَّمَدُ) ونحو (الحَاقَّةُ ما الحاقة) وقول الحماسى :

شددْنا شـدّة اللّيث غدا والليثُ غضبانْ

(١) وأما للاستعطاف والخضوع الموجبين للشفقة كقوله :

الهى عبدُك العاصى أتاكا مقرًّا بالذنوب وقد دعاكا

(٢) وأما لادخال الروعة والمهابة فى نفس السامع نحو (فاذا عزمتَ فتوكّل على الله) لاندراج كل كمال تحت لفظ الجلالة فأجْدرْ به أن يكون موضع التُّكلان .

(٤) وإما للتهكم والتعجب نحو (ص والقُرْآن ذى الذّكر بل الّذين كفَرُوا) ثم قال بعد (وقَال الـكَافرُونَ هذا سَاحرٌ كذَّابٌ) فالغرض شد النكير عليهم والتعريض بأنهم حقا أهل التمرد والعناد .

(١) تعاللت ادعيت العلة وأشجى أحزن .

(و) التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى للدلالة على تحقق وقوعه نحو ونادى أصحاب النار ، فقد جعل المتوقع الذى لابد من وقوعه بمنزلة الواقع ، ومثله التعبير عنه باسم الفاعل نحو (وإن الدِّينَ (١) لواقعٌ) بدل يقع ، أو باسم المفعول نحو (ذلك يومٌ مجموعٌ له الناسُ) بدل يجمع .

(ز) القلب وهو جعل جزء من أجزاء الكلام مكان الآخر والآخر مكانه على وجه (٢) يثبت حكم كل منهما للآخر ، وهو قسمان :

(١) ما يكون موجبه تصحيح حكم لفظى فقط والمعنى صحيح بدونه كقول القطامى :

قفى قبل التفرّق يا ضباعا ولايك موقفٌ منك الوداعا (٣)

لما نكر موقفاً وهو فى وضع المبتدأ وعرف الوداع وهو فى موضع الخبر جعل من باب القلب .

(٢) ما يكون موجبه تصحيح المعنى كقولهم عرضت الناقة على الحوض ، وأدخلت القلنسوة فى الرأس ، مكان عرضت الحوض على الناقة وأدخلت الرأس فى القلنسوة إذ الاصل أن يجاء بالمعروض الى المعروض إليه وأن ينقل المظروف الى الظرف لا بالعكس كما هنا .

والصحيح جوازه إذا اشتمل على مغزى شريف ومعنى حسن كقول رؤبة :

ومهمه مغبّرة أرجاؤهُ كأن لون أرضه سماؤه (٤) .

يريد كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه . فعكس التشبيه لقصد المبالغة ، ونحوه قول أبى تمام يصف قلم الممدوح :

---

(١) أى الجزاء حاصل فوقوع الجزاء استقبالى (٢) فان لم يثبت ذلك الحكم نحو فى الدار على ، وكلم محمدا على فان كلا منهما وإن جعل فى مكان الآخر باق على حكمه ، لايسمى ذلك قلبا
(٣) قفى يا ضباعة ساعة حتى أودعك قبل التفرق فلا جعل الله لنا موقف الوداع موقفا .
(٤) المهمة للمفازة والمغبرة الملونة بالغبار والارجاء النواحى .

لمابُ الافاعى القاتلات لعابُه وأرْىَ الجنى اشتارته أيد عواسلُ (١)

وإن لم يشتمل على اعتبار لطيف ردّ كقول عُرْوة بن الورْد :

(فديت بنفسه نفسى ومالى)

(ح) التغلب وهو إعطاء أحد المصطحبين أو المتشاكلين حكم الآخر ، وهو باب ذو شعب كثيرة ، فمن ذلك :

(١) تغليب المذكر على المؤنث نحو وكانت من القانتين ، أدركت مريم فى فى القانتين من الرجال تغليبا لهم على القانتات وقد جروا على خلاف الغالب فى ألفاظ معدودات فغلبوا المؤنث على المذكر .

(٢) تغليب الكثير على القليل نحو فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا إبليس ، غلب الملائكة على إبليس وهو ليس منهم وسمى الجميع ملائكة .

(٣) تغليب المعنى على اللفظ نحو بل أنتم قوم تجهلون ، بدل يجهلون الذى ضميره للقوم ولفظه غائب مرعاة للخطاب بأنتم .

(٤) تغليب المخاطب على الغائب نحو أنت وعلى صنعتما كذا .

(٥) تغليب أحد المتناسبين على الآخر كالأبوين والقمرين للأب والأم والشمس والقمر ، وعليه قوم المتنبي :

واستقبلتْ قمرَ السماء بوجهها . فأرتْنى القمرين فى وقت معاً

(٦) تغليب العقلاء على غيرهم نحو (الحمدُ لله ربِّ العالمين) .

(ط) يوضع الخبر موضع الانشاء لأغراض منها :

(١) التفاؤل فى الجمل الدعائية نحو وفقك الله الى ما فيه الخير ،وقول النابغة :

أتانى (أبيت اللعن) أنك لمتَنى وتلك التى أهتمّ منها وأنصَبُ (٢)

---

(١) الارى العسل واشارته جنته والعواسل جمع عاسلة وهى جانية العسل (٢) أبيت اللعن أى أبيت أن تفعل شيئا تلعن به وكانت هذه تحية الملوك وأهتمّ أصيرلا جلها ذاهم والنصب التعب .

(٢) التباعد عن صيغة الأمر تأدباً واحتراماً للسامع كما تقول لعظيم (ينظر مولاى فى شأنى ويقضى طلبتى) مكان انظر واقض .

(٣) التنبيه على تيسر المطلوب وسهولته لوفرة الأسباب واستكمال العُدة كما يقول القائد حاثاً جنده (تفتكون بالأعداء وتنزلونهم من حصونهم وتذيقونهم الردى) مكان افتكوا وأنزلوهم وأذيقوهم .

(٤) اظهار الرغبة فى حصول المطلوب كما تقول فى الكتاب لغائب (جمع الله الشمل وقرّب أيام اللقاء) .

(٥) التنبيـــه على سرعة الامتثال ولو ادعاء نحو (واذ أخذْنا ميثاقَكمْ لا تسفكونَ دماءَكم) مكان لا تسفكوا مبالغة فى النهى بادعاء أنهم نُهوا فامْتثلوا ثم أخبروا .

(٧) حمل المخاطب على الفعل بألطف أسلوب كقولك لرجل لاتحب أن يكذبك، تجىء غداً مكان قولك جى لتحمله على المجىء لأنه ان لم يأت غداً صرت كاذباً من حيث الظاهر (١) لكون كلامك فى صورة الخبر .

(ى) يوضع الانشاء موضع الخبر لاعتبارات منها :

(١) اظهار العناية بالشىء والاهتمام به نحو (قُلْ أمَرَ رَبِّى بالقسْط وأقيمُوا وُجوهكُمْ عند كل مسجد) لم يقل واقامة وجوهكم اشعار بالعناية بالصلاة لعظيم خطرها وجليل قدرها فى الدين .

(٢) التباعد عن مساواة اللاحق بالسابق نحو (قُلْ انى أُشْهِدُ اللهَ واشْهدُوا أنّى برِىءٌ مما تُشْركُونَ منْ دُونه) لم يقل وأشهدكم تحاشيا عن مساواة شهادتهم بشهادة الله تعالى .

(٣) الرضا بما هو حاصل كأنه مطلوب فى قوله عليه السلام « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ، مكان يتبوأ .

---

(١) أما فى الحقيقه فلا كذب لأنه كلام فى معنى الانشاء .

(ك) الانتقال من الماضي الى المضارع أو بالعكس .

(١) فالأول نحو (والله الذي أرسلَ الرِّياحَ فتثيرُ سحاباً فسقْناهُ الى بلدٍ ميّت) جاء تثير بدل أثارت لتستحضر تلك الصورة الماضية حتى كأن الإنسان يشاهد اثارة الريح لسحاب فيستدل من ذلك على عجيب قدرته وباهر حكمته .

(٢) والثاني كقوله تعالى (ويومَ يُنفَخُ في الصُّور ففزع مَنْ في السموات ومن في الأرض) عطف ففزع على ينفخ تأكيداً للثبوت ومبالغة في الحصول ودلالة على أن ذلك كائن لا محالة .

تدريب

بين السر في خروج التراكيب الآتية عن مقتضى الظاهر :

(١) كل خليــــل كنتُ خاللتُهُ (لا ترك الله له واضحهْ (١))
كلهم أروغُ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحهْ (٢))

(٢) (يا عبادى الذين أسرفُوا على أنفسهم لا تقنطُوا (٣) من رحمةَ الله) .

(٣) (واستغفرُوا ربكم ثمّ توبُوا إليه إنّ ربي رحيمٌ ودودٌ) :

(٤) أأذكر حاجتى أم قد كفانى حياؤكَ إنّ شيمتك الحياءُ
كريمٌ لا يغيّره صبــاحٌ عن الخلق الجميل ولا مساءٌ

(٥) ألمُع برق سرى أم ضوء مصباح أم ابتسامتها بالمنظر الضاحى (٤)

(٦) وقالوا قد صفت منا قلوب نعم صدقوا ولكن عن ودادى

(٧) يقول العبد للولى إذا حول وجهه عنه ، ينظر مولاى إلى هُنيهة .

(٧) يكون مزاجَها عسلٌ وماء .

---

(١) الخليل الصديق والواضحة الاسنان تبدو عند الضحك (٢) مثل يضرب لتشابه الأمور .
(٣) القنوط اليأس (٤) الضاحى البارز .

الاجابة

(١) وضع الخبر موضع الانشاء للدعاء عليه فى قوله لا ترك الله له واضحة .
(٢) فيه التفات بالانتقال من الخطاب إلى الغيبة فى رحمة الله .
(٣) فيه التفات بالانتقال من الخطاب إلى التكلم .
(٤) فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة .
(٥) فيه تجاهل العارف .
(٦) فيه الأسلوب الحكيم فقد حمل صفاء القلوب على خلوها من الود .
(٧) وضع الخبرُ موضع الإنشاء تأدباً فى قوله ينظر بدل انظر .
(٨) فيه قلب والأصل يكون مزاجها عسلا وماء .

تمرين

(١) تطاول ليلك بالأثمُدِ ونام الخلى ولم ترقد [١]
وبات وباتت له ليلة كليلة ذى العائر الأرمد
وذلك من نبأ جاءنى وخبرته عن أبى الأسود
(٢) وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولَ
(٣) يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ .
(٤) وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً
(٥) فلما أن جرى سِمَن عليها كما طيَّنْت بالفدن السِّياعا [٢]
(٦) وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً .

---

(١) قاله امرؤ القيس والأثمد موضع والعائر مريض العين (٢) الفدن القصر والسياع الطين المخلوط بالتبن وجوارب لما فى البيت بعده .

(٧) ثمَّ دنا فتدلّى :

(٨) بكّرا صاحبيّ قبل الهجير إن ذاك النجاح فى التبكير

الباب العاشر فى القصر

وفيه ستة مباحث

المبحث الأول فى تعريفه لغة واصطلاحا

القصر فى اللغة الحبس وفى التنزيل (حُورٌ مقصُورات فى الخيام، وعندهم قاصرَاتُ الطّرْف أتْرَابٌ) قال الفراء قد قصرن أنفسهم على أزواجهن فلم يطمحن إلى غيرهم.

وفى الاصطلاح إثبات الحكم للمذكور فى الكلام ونفيه عما عداه — أو هو تخصيص أمر بأمر بإحدى الطرق الآتية، والتعريف الثانى أصح لشمول الأول لقولك محمد مقصور على القيام، وذلك لا يسمى قصراً اصطلاحاً.

فإذا قلنا ما سافر إلا على استفيد من ذلك تخصيص السفر بعلى ونفيه عن غيره ممن يظن فيه ذلك، فما قبل إلا مقصور وما بعدها مقصور عليه (ما وإلا) طريق القصر.

المبحث الثانى فى طرقه

طرق القصر والاختصاص كثيرة أوصلها السيوطى فى كتابه الاتقان الى أربعة عشر طريقاً (١)، أشهرها ستة تقدم الكلام على اثنين منها وهما توسط ضمير الفصل نحو كليم الله هو موسى وتعريف المسند بأل نحو خير الزاد التقوى وسنتكلم هنا على الأربعة الباقية وهى :

---

(١) منها التصريح بلفظ وحده أو لا غير أو فقط، أو بمادة الاختصاص. أو بمادة القصر وكل هذه ليست من الطرق الاصطلاحية.

المقصور عليه	المقصور	المثال	طريق القصر
ما بعد الا	الشجاعة	ما شجاع الا على	النفى والاستثناء
الأخير	»	انما الشجاع على	انما
المقابل لما بعد لا	»	على شجاع لا خالد	العطف (ا) بلا
ما بعد بل	»	ما خالد شجاع بل على	(ب) ببل
ما بعد لكن	»	ما خالد شجاع لكن على	(حـ) بلكن
المتقدم	»	بالشجاعة يفوز على	تقديم ما حقه التأخير

(١) ووجه إفادة النفى والاستثناء القصر أنه إذا قيل ما محمد توجه النفى الى صفته لا إلى ذاته لأن الذوات لا تنفى ، ومن حيث إنه لا نزاع فى طوله وقصره وما شاكل ذلك وإنما النزاع فى كونه شاعرا أو كاتبا تناولهما النفى ، فاذا قيل إلا شاعر جاء القصر ، هذا فى قصر الموصوف على الصفة ، أما فى قصر الصفة على الموصوف فانه متى قيل ما شاعر فأدخل النفى على الوصف المسلم ثبوته وهو الشعر لغير الشخصين اللذين الكلام فيهما كمحمد وعلى مثلا ، توجه النفى إليهما فاذا قيل إلا محمد حصل القصر .

(٢) ووجه إفادة إنما القصر تضمنها معنى ما والا دليل ذلك البراهين الآتية :

(ا) ما قاله النحاة من كون إنما لإثبات ما يذكر بعدها ونفى ما سواه .

(ب) ما قاله المفسرون فى قوله تعالى إنما حرّم عليكم الميتةَ ، بنصب الميتة من أن المعنى ما حرم عليكم إلا الميتة وهذا المعنى هو المطابق لقراءة رفع الميتة لانحصار التحريم فيها اذ ما فى قراءة الرفع اسم موصول فتقدير الكلام حينئذ إنّ المحرم الميتة والخبر معرف بلام الجنس فيفيد الحصر كما تقدم .

(حـ) صحة انفصال الضمير معها فتقول إنما يسافر أنا كما تقول ما يسافر الا أنا كما قال الفرزدق :

أنا الذائد الحامى الذّمَار وانما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى (١)

اذ لو كان المراد الايجاب لم يستقم لأنك لا تقول يدفع أنا وانما تقول أدافع، ولكن لما كان المعنى ما يدافع الا أنا فصل الضمير كما يفصل مع النفى والاستثناء ليتأتى له ما قصد وهو تخصيص المدافع لا المدافع عنه اذ لو قال وانما أدافع عن أحسابهم لصار المعنى أنه يدافع عن أحسابهم لا عن أحساب غيرهم وليس ذلك بمقصود لما فيه من قصور المدح والمقام مقام مبالغة اذ هو فى معرض التفاخر وعد المآثر.

قال السكاكى ويذكر لذلك وجه لطيف يسند الى على بن عيسى الربعى وهو أنه لما كانت كلمة إن لتأكيد اثبات المسند للمسند اليه ثم اتصلت بها ما المؤكدة لا النافية كما يظنه من لا وقوف له على علم النحو، ناسب أن يضمن معنى القصر لأن القصر ليس الا تأكيد على تأكيد.

(٣) يراد بالتقديم تقديم ما كان حقه أن يؤخر كتقديم الخبر على المبتدأ وتقديم بعض معمولات الفعل عليه نحو أنا أنجزت مسألتك أى وحدى لمن اعتقد أنك وغيرك أنجزتماها أو بمعنى لا غيرى لمن اعتقد أن غيرك أنجزها دونك.

وهذه الطرق تفترق من وجوه.

(١) أن التقديم يدل على القصر بمفهوم الكلام فان ذا الذوق السليم اذا تأمل فى كلام فيه التقديم، فهم منه القصر والاختصاص وان لم يعرف اصطلاح البلغاء فى ذلك، والثلاثة الباقية بالوضع اللغوى لأن الواضع وضعها لتفيد ذلك.

(٢) أن الاصل أن ينص فى العطف على المثبت والمنفى معا فلا يترك ذلك إلا

---

(١) الذود الطرد والذمار العهد وفى الأساس هو الحامى الذمار إذا حمى ما لو لم يحمه ليم وعنف والحسب ما يعده المرء من مفاخر نفسه وآبائه.

خوف التطويل كما اذا قيل محمد يعلم الكيمياء والطب والهندسة والجبر والفلك ، أو محمد يعلم الكيمياء ، وابراهيم وخالد إلى آخره — فتقول فيهما محمد يعرف الكيمياء لا غير أى لا الطب ولا الهندسة الى آخره فى الأول ، ولا ابراهيم ولا خالد فى الثانى — وينص فى الثلاثة الباقية على المثبت فقط .

(٣) أن النفى بلا العاطفة لا يجتمع مع النفى والاستثناء فلا تقول ما محمد الا مجتهد لا كسل ، لأن شرط جواز النفى بلا أن يكون ما قبلها منفيا بغيرها ، ولذا عيب على صاحب الكشاف حيث قال فى تفسير قوله تعالى فاذا عزمت فتوكل على الله أى لأن الأصلح لك لا يعلمه إلا الله لا أنت ، وعلى الحريرى فى قوله :

لعمرك ما الإنسانُ الا ابنُ يومه ... على ما تجلّى يومه لا ابنُ أمسه

ويجتمع مع انما والتقديم فتقول انما محمد مجتهد لا كسلان ، وهو مجتهد لا على — لأن النفى فيهما غير مصرح به بل المصرح به هو الاثبات فلا يقبح تأكيد ما تضمناه والنفى بلا ، بخلاف ما وإلا فإنه قد صرح فيهما بالنفى والنفى الصريح ليس كالضمنى .

(تنبيه) لا يحسن العطف بعد انما اذا كان الوصف مختصاً بالموصوف كالتذكر الذى يعلم أنه لا يكون الا من أولى الألباب فى قوله تعالى : « إنما يتذكر أولو الألباب » فلا يحسن أن تقول إنما يتذكر أو لو الألباب لا الجهال ، كما يحسن أن تقول انما يجيء محمد لا على .

(٤) أن الأصل فى (النفى والاستثناء) أن يكون لأمر ينكره المخاطب أو يشك فيه أو لما هو منزل هذه المنزلة — بيان ذلك أنك لا تقول ما هو إلا مخطئ إلا لمن ينكر أن يكون الأمر على ما قلت ، وإذا رأيت شبحاً من بعد فقلت ما هو الا على ، لم تقله الا والمخاطب يتوهم أنه ليس بعلى .

وأما ماهو منزل هذه المنزلة فكقوله تعالى (وما محمد إلا رسول) أى مقصور

على الرسالة لا يتعداها الى التبرى والتباعد عن الملاك ، نزل استفظاعهم هلاكه وشدة حرصهم على بقائه منزلة انكارهم ذلك .

ونظير ذلك قوله تعالى « ان إنتم الا بشر مثلنا » لأن الكفار جعلوا الرسل كأنهم بادعائهم النبوة قد أخرجوا أنفسهم عن أن يكونوا بشراً مثلهم .

وأما قوله تعالى حكاية عن الرسل « ان نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمنّ على من يشاء من عباده » فمن باب مجاراة الخصم وتسليم بعض مقدماته لتنقطع حجته كما هي العادة فيمن ادعى على خصمه الخلاف فى أمر هو لا يخالفه فيه أن يعيد كلامه على وجه كما اذا قال لك من يحاجك فى مسألة أنت من دأبك كيت وكيت فتقول نعم أنا من دأبى كيت وكيت لكن لا ضير على ولا يلزمنى من أجل ذلك ما ظننت — فالرسل صلوات الله عليهم كأنهم قالوا ان ما قلتم هو كما قلتم لكن ذلك لا يمنع الرسل وفضل الله علينا .

(ه) أن الأصل فى انما أن تجىء لأمر من شأنه ألا يجهله المخاطب ولا ينكره وإنما يراد تنبيهه فقط ، أو لما هو منزل هذه المنزلة .

تفسير هذا أنك تقول للرجل : انما هو صاحبك القديم ، وإنما هو أخوك ، لمن يعلم ذلك ويعترف به لكنك تريد أن تنبهه لما يجب عليه من حرمة الصاحب وحق الأخوه لترققه وتستعطف قلبه ألا ترى الى أبى الطيب حين يقول :

انما أنت والدٌ والأب القا طع أحنى من واصل الأولاد

لم يرد أن يعلم كافوراً أنه لا بن الأخشيد مولاه بمنزلة الوالد ولا كافور فى حاجة إلى أن يُعلم بذلك ، لكنه أراد أن يذكره بالأمر المعلوم ليجعله ذريعة إلى استدعاء ما يستوجبه من العطف والحنان ، ونظير ذلك قولهم إنما يعجل من يخشى الفوت ، وقوله تعالى (إنَّما يستَجيبُ الّذين يسمَعُون) .

وأما ما هو منزل هذه المنزلة فكقوله تعالى حكاية عن اليهود (إنّما نَحنُ مُصلحُون) فهم قد ادعوا أن اصلاحهم أمر جلى ظاهر ولذا جاء الرد عليهم

مؤكداً بأن واسمية الجملة وتعريف الخبر باللام وضمير الفصل وتصدير حرف التنبيه حيث قال : « ألا إنهم هم المفسدون » .

ونحو ذلك قول ابن قيس الرّقيّات فى مُصعَب بن الزبير:

إنما مُصعب شهاب من الله تجلّتْ عن وجهه الظلماءُ

حيث ادعى أن ثبوت هذه الصفة لممدوحه أمر ظاهر لا يخفى على أحد كما هو دأب الشعراء إذا مدحو أن يدعوا الشهرة فيما يصفون به ممدوحهم ألاَ ترى إلى البحترى حين يقول :

لا أدعى لأبى العـــلاء فضيلة حتى يُسلمها إليـــه عـــداه

هذا وقد علم بالاستقراء أن أحسن موقع تستعمل فيه إنما إذا كان الغرض منها التعريض بأمر هو مقتضى معنى الـكلام بعدها نحو إنما يتذكر أو لو الألباب فإنه تعريض بذم الـكافرين من حيث أنهم من فرط العناد وغلبة الهوى عليهم فى حـكم من ليس بذى عقل فأنتم فى طمعكم منهم أن ينظروا ويتذكروا كمن طمع فى ذلك من غير أولى الألباب ، ونظيره (إنما أنت مُنْذر من يخشاها) إذ المراد أن من لم تكن له من هذه الخشيه فكأنه ليس له أذن تسمع ولا قاب يعقل ، فالانذار وعدمه سيان ، وعلى ذلك جاء قوله :

أنا لم أُرزق محبّتهـا إنمـا للعبد ما رُزقا

فهذا تعريض بأنه لا مطمع له فى وصالها فهو يائس منه .

(٦) لأنما مزية على العطف وهى أن يعقل منها إثبات الفعل للشىء ونفيه عن غيره دفعة واحدة بخلاف العطف فإنه يفهم منه أولا الاثبات ثم النفى نحو محمد قائم لا قاعد ، أو بالعـكس نحو ما محمد قائما بل قاعد .

* * *

المبحث الثالث فى تقسيمه باعتبار الواقع والحقيقة (١)

ينقسم القصر باعتبار الواقع والحقيقة إلى قسمين حقيقى وإضافى .

إضافى	حقيقى
هو ما كان التخصيص فيه بحسب الاضافة الى شيء آخر معين بالنسبة الى جميع ما عداه نحو ما على الا شجاع أى أنه مقصور على صفة الشجاعة لا يتجاوزها الى الجبن ولا الى التهور مثلا ونحو لا صادق الا على لمن يعتقد أن الصادق هو محمود أو هو ومحمود أو يتردد فيهما . فيكون المراد نفى الصدق عن غير على ممن يعتقد المخاطب أو يتردد فيه لا نفيه عن جميع الناس	هو ما كان التخصيص فيه بحسب الحقيقة والواقع نحو لامعبود بحق الا الله ، اذلا معبود بحق فى الواقع غير الله تعالى وهو قسمان (١) حقيقى تحقيقا وهو ما كان التخصيص فيه بالنسبة للحقيقة بحيث لا يتجاوز المقصور المقصور عليه أصلا نحو انما الله كامل اذلا صفة لله جامعة الا الكمال فى الواقع (٢) حقيقى بحسب الادعاء والمبالغة بفرض أن ما عدا المقصور عليه فى حكم المعدوم نحو لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا على (٢)

المبحث الرابع فى تقسيمه باعتبار حال المقصور

ينقسم كل من الحقيقى والإضافى باعتبار حال المقصور إلى قسمين .

(١) قصر موصوف على صفة بألا يتجاوز الموصوف تلك الصفة الى صفة أخرى أصلا (فى القصر الحقيقى) نحو ما الله إلا كامل ، وهذا التقسيم التقسيم متعذر لا يكاد يوجد أو هو محال لتعذر (٣) الاحاطة بصفات الشيء فلا يمكن اثبات شيء

---

(١) لم يذكر هذا التقسيم صاحب المفتاح لقلة جدواه (٢) ذو الفقار لقب سيف الامام على وسيف العاص بن منبه (٣) لأنك إذ قلت ما محمد إلا كاتب وأردت القصر الحقيقى لزم إلا يتصف بالقيام والقعود مع أنه لا بد أن يتصف بواحد منهما ضرورة أن النقيضين لا يجتمعان وأيضا يبعد أن يكون الذات صفة واحدة ليس له غيرها .

منها ونفى ما عداه ولذا لم يقع فى التنزيل ، أو بألا يتجاوز الموصوف تلك الصفة إلى صفة أخرى مخصوصة وإن أمكن أن يتجاوزها إلى صفات أخرى غير تلك الصفة الأخرى المخصوصة (فى القصر الاضافى) نحو (وما محمد إلا رسولٌ) فالمقصود قصره على الرسالة بألا يتعداها إلى التباعد عن الموت الذى استعظموه ، وهذا لاينافى أنه متصف بالصحة واليقظة ونحوهما .

(٢) قصر صفة على موصوف بألا تتجاوز الصفة ذلك الموصوف إلى موصوف آخر أصلا (فى القصر الحقيقى) نحو لا يعلم الغيب إلا الله ، أو بألا تتجاوز الصفة ذلك الموصوف إلى موصوف آخر مخصوص وإن أمكن أن تتجاوزه إلى موصوف غير ذلك الموصوف الآخر (فى القصر الاضافى) نحو لا يحترم إلا الصادق فالمقصود قصر الاحترام على الصادق دون الكاذب فلا يمنع هذا من احترام الأمين والمخلص لوطنه ونحو ذلك .

والمراد بالصفة [1] مايقوم بغيره لا النعت المصطلح عليه فى النحو فيشمل الفعل ونحوه .

المبحث الخامس فى تقسيمه باعتبار حال المخاطب

ينقسم القصر الاضافى (٢) باعتبار حال المخاطب إلى ثلاثة أقسام :

(١) قصر أفراد إذا اعتقد المخاطب [3] الشركة بين شيئين فأكثر نحو إنما

---

(١) وأما نحو ماهو إلا محمد وما محمد إلا أخوك وما الباب إلا ساج ونحو ذلك مما وقع الخبر فيه جامدا فمن قصر الموصوف على الصفة أى أنه مقصور على الكون محمدا وأخاك أو ساجا ، ونحو مافى الدار إلا محمد المعنى الكون فى الدار مقصور على محمد فهو من قصر الصفة على الموصوف (٢) دون الحقيقى بنوعيه لأن العاقل لايعتقد انصاف أمر بجميع الصفات ولا اتصافه بجميعها إلاواحدة أويتردد فى هذا ، وكيف يكون ذلك وفيها صفات متقابلة فلايصح أن يقصر الحكم على بعضها وينفى عن الباقى أفرادا أو قلبا أو تعيينا ، وعلى هذا المنوال قصر الصفة على الموصوف (٣) شرطا فى قصر الموصوف على عدم تنافى الوصفين ليصح اعتقاد المخاطب اجتماعهما .

الله إلهٌ واحد خوطب به من يعتقد أن الله ثالث ثلاثة بدليل قوله قبلها ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم .

(٢) قصر قلب إذا كان المخاطب يعتقد عكس الحكم فتقلب عليه اعتقاده نحو ما شاعر إلا شوقى رداً على من زعم أن غيره أشعر منه .

(٣) قصر تعيين إذا كان المخاطب متردداً فى الحكم نحو ما شاعر إلا شوقى رداً على من تردد فى إثبات الشعر له ولبعض الشعراء الآخرين .

المبحث السادس فى مواقع القصر

كما يكون القصر بين المبتدأ والخبر كما رأيت ، يكون أيضاً بين الفعل والفاعل ، وبين الفاعل والمفاعيل بأنواعها إلا المفعول معه ، وكذا بين جميع المعمولات نحو ما جاء إلا على ، وما نال علياً إلا التعبُ وما أعطيت محمداً إلا ديناراً ، وما جاء على إلا راكباً .

فإذا كان القصر بما وإلا وجب تقديم المقصور وتأخير المقصور عليه مع إلا ونحوها من أدوات الاستثناء نحو : (ما قلتُ لهم إلاّ ما أمرتَنى به أن اعبدوا الله ربّى وربَّكُمْ) وهو قصر قلب لا افراد إذ المعنى أنى لم أترك ما أمرتنى أن أقوله لهم إلى خلافه بدليل أأنتَ قلت للناس اتخذونى وأمّى إلهين من دون الله ، وليس المراد أنى لم أزد على ما أمرتنى به شيئاً إذ ليس الكلام فى زيادة أو نقصان فى التبليغ .

ويجوز قليلا تقديم المقصور عليه وأداة الاستثناء وهما بحالهما [1] على المقصور نحو ما كلم إلا محمد خالداً ، وما كلم إلا محمداً خالد وعليه قوله :

فيارب هل الا بك النصر يُرتجى عليهم وهل الا عليك المعوّلُ

ووجه إفادة النفى والاستثناء القصر فى كل ما تقدم أن النفى فى الاستثناء المفرغ يتوجه إلى مقدر هو مستثنى منه إذ إلا للاخراج وهو يطلب مخرجا منه وذلك

(١) فالاختصاص فى الذى يلى إلا فالمقصود عليه هو الفاعل فى الأول والمفعول فى الثانى .

المقدر عام مناسب للمستثنى منه في جنسه وصفته ليتحقق الاخراج ففي نحو مافهم إلا محمد يقدر ما فهم أحد، وفي نحو ماكسوته إلا عباءة ماكسوته لباسا — فإذا أخرج منه شيء جاء القصر ضرورة بقاء ماعدا ذلك الشيء على جهة الانتفاء.

وإذا كان القصر بإنما أخر المقصور عليه فيكون القيد الأخير بمنزلة الواقع بعد إلا فيكون هو المقصور عليه نحو إنما محمد قائم، وإنما أنبته زجرا له.

ولا يجوز تقديم المقصور عليه على غيره لئلا يؤدى إلى إلا لبس إذ قولك إنما كلم محمد عليا، يفهم منه عكس قولك إنما كلم محمدا علي — ولا إلباس في النفي والاستثناء.

قال السكاكي ومما ذكر تعثر على الفرق بين قوله تعالى « إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ »، وقولنا إنما يخشى العلماءُ من عباد الله اللهَ، فإن الأول يقتضى قصر خشية الله على العلماء والثاني يقتضى قصر خشية العلماء على الله.

وغير كالا في إفادة قصر الموصوف على الصفة وعكسه وفي امتناع مجامعة لا العاطفة.

تدريب أول

بين نوع القصر وطريقه فيما يأتي:

(١) لا يألف العلم إلا ذكيّ ولا يجفوه إلا غبيّ:

(٢) قد علمت سلمى وجاراتها ما قطّر الفارسَ إلا أنا [1]

(٣) إنما الدنيا هبات وعوار مستردّة
شدة بعد رخاء ورخاء بعد شدّة

(٤) إن الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس

---

(١) قطر الفارس: ألقاه على قطريه أي جانبيه.

(٥) بك اجتمع الملك المبدَّدُ شمله   وضُمت قواص منه بعد قواصى[1]
(٦) ليس اليتيم الذى قد مات والده   بل اليتيم يتيم العلم والأدب
(٧) محاسن أوصاف المغنين جمّةٌ   وما قصبات السبق إلا لمعبد[2]
(٨) عند الامتحان يُكرَم المرء أو يهان .

الإجابة

الجملة	نوعه باعتبار المقصور	باعتبار الواقع	باعتبار المخاطب	طريقه
لا يألف العلم إلا الذكى	قصر صفة على موصوف	حقيق		لا والا
ماقطر الفارس إلا أنا	« « « «	اضافى	تعيين	ما والا
إنما الدنيا هبات	قصر موصوف على صفة	«	قلب	إنما
ان الجدين الى آخره	« صفة على موصوف	«	«	العطف بلكن
بك احتمع الملك	« « « «	«	إفراد	التقديم
ليس اليتيم الخ	« « « «	«	قلب	العطف ببل
ماقصبات السبق الخ	« « « «	«	إفراد «	ما وإلا
عند الامتحان الخ	« « « «	«	«	التقديم

تدريب ثان

(١) هات جملة تفيد نجاح محمد وعدم نجاح خالد بواسطة إنما .
(٢) رد بطريق القصر بإنما على ظن أن المطر يكثر شتاء فى السودان
(٣) اجعل الجملة الآتية دالة على قصر الصفة على الموصوف بطرق القصر الاربع وهى (اكرم المؤدب) .

(١) المبدد المفرق والقواصى جمع قاصية الناحية البعيـدة (٢) مغن مشهور أيام بنى أميـة وبنى العباس .

(٤) ـ ا ـ من تخاطب بالجملة الآتية فيكون القصر قصر قلب
ـ ب ـ « « « « « « « افراد
ـ حـ ـ « « « « « « « تعيين .

وهى ما كتبتُ إلا ماطلبتَه منّى .

(٥) غير الجملة الآتية بحيث تفيد القصر بالعطف (بك اجتمع الملك المبدد شمله) .

(٦) اجعل الجملة الآتية مفيدة للقصر بواسطة النفى والاستثناء (إن الطيور على أشكالها تقع) .

(٧) اجعل الجملة الآتية مفيدة للقصر بواسطة إنما (يحمد الناس الصادق) .

(٧) اجعل الجملة الآتية مفيدة للقصر بواسطة العطف (ينال المجدَ المجتهد) .

الاجابة

(١) انما نجح محمد لاخالد .

(٢) انما يكثر المطر فى السودان ربيعا لاشتاء .

(٣) ـ ا ـ لا أكرم الا المؤدب .
ـ ب ـ انما أكرم المؤدب .
ـ حـ ـ أكرم المؤدب لاسيء الخلق .
ـ د ـ المؤدَب أكرم .

(٤) ـ ا ـ اذا كان المخاطب يعتقد أنك كتبت غير ماطلب .
ـ ب ـ اذا كان المخاطب يعتقد أنك كتبت ما طلب وغيره .
ـ حـ ـ اذا كان المخاطب مترددا فى كتابتك ما طلب وغيره .

(٥) اجتمع الملك المبدد شمله بك لابغيرك .

(٦) لاتقع الطيور الا على أشكالها .

(٧) انما يحمد الناس الصادق .
(٨) ينال المجد المجتهد لا الكسلان .

تمرين أول

بين طريق القصر ونوعه باعتبار المقصود عليه وباعتبار الواقع وباعتبار المخاطب :

(١) وما الخوف الا ما تخوّفه الفتى ولا الأمن الا ما رآه الفتى أمنا
(٢) وانما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى
(٣) وللفتى من ماله ما قدمت يداه قبل موته لا ما اقتنى
(٤) ما افترينا فى مدحه بل وصفنا بعض أخلاقه وذلك يكفى
(٥) ليس عار بأن يقال فقير انما العار أن يقال بخيلُ
(٦) وانما الأمم الأخلاق مابقيت فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا
(٧) سيذكرنى قومى اذا جد جدهم وفى الليلة الظلماء يُفتقد البدر
(٨) وما بلد الإنسان غير الموافق ولا أهلهُ الأدنَوْن غير الاصادق
(٩) عمر الفتى ذكره لاطول مدته وموته خزيه لا يومه الدانى
(١٠) بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم لا يبن ملك على جهل واقلال

تمرين ثان

(١) رد بطريق القصر على من زعم تأخر فن الطب بمصر .
(٢) ضع الجملة الآتية بإحدى طرق القصر المتقدمة . يحب الناس المخلص لوطنه .
(٣) من تخاطب بهذه الجملة على طريق قصر القلب . لاينال العلا الا مُجدّ .
(٤) حول القصر فى هذه الجملة الى قصر بانما . وما قصبات السبق الا لمعبد .

(٥) حول طريق القصر الآتى إلى نفى واستثناء . وفى الليلة الظلماء يفتقـــد البدر .

(٦) رد بطريق القصر على من زعم قلة الحر فى الصعيد .

(٧) غير الجملة التالية بحيث تفيد القصر بالعطف ، بك وثقت .

(٨) ضع الجملة الآتية بحيث تفيد القصر بانما (يُجلّ الناس الجواد) .

الباب الحادى عشر فى الفصل والوصل

وفيه تمهيد وخمسة مباحث

تمهيد فى دقة مسلكه وعظيم خطره

الفصل والوصل هو العـــلم بمواضع العطف أو الاستئناف والتهدى إلى كيفية ايقاع حروف العطف فى مواقعها أو تركها عند عدم الحاجة اليها .

وذلك صعب المسلك لطيف المغزى كثير الفائدة غامض السر لايوفق للصواب فيه إلا من أوتى حظا من حسن الذوق وطبع على البلاغة ورزق بصيرة نقـادة فى إدراك محاسنها ــ ولصعوبة ذلك جعل حدا للبلاغة ألا ترى الى بعض البلغـاء وقد سئل عن البـلاغة فقال (هى معرفة الفصل والوصل) فجعل ما سواه تبعاً ومفتقراً اليه وليس بالخفى أنه لم يرد بذلك الا التنبيه على غموضه وجليل خطره وأن أحداً لا يكمل فى معرفته إلا كمل فى سائر فنونها ، فإن سبك الـكلام وقوة أسره وشدة تلاحم أجزائه تحتاج إلى صانع صنع وحاذق ماهر يبين بين أقسام الجمل التى تفصل والتى توصل فيرى الفرق واضحاً بين جملتين تمتزجان جد الامتزاج حتى كأن إحداهما الأخرى وجملتين لاتناسب بينهما(١) فإحداهما مشئمة(٢) والأخرى

---

(١) المراد بذلك شدة التباين بينهما (٢) أى فى ناحية الشام

معرفة وجملتين هما وسط بين الأمرين فيحكم بوجوب الفصل فى النوعين الأولين والوصل فى النوع الثالث ، واعتبر ذلك بما تراهم قد أجمعوا عليه من النعى على أبى تمام وهو ماهو فى قرض الشعر ورفيع المنزلة فى صياغة الكلام فى قوله يمدح أبا الحسين محمد الهيثم :

زعمت هواك عفا الغداة كما عفت منها طلول باللوى ورسوم
لا والذى هو عالم أن النوى صبر وأن أبا الحسين كريم (١)

إذ قد وصل (وأن أبا الحسين كريم) بما قبله ولا مناسبة بين كرم أبى الحسين ومرارة النوى ولا تعلق لأحدهما بالآخر ، إذ لا يقتضى الحديث بهذا الحديث بذاك .

المبحث الأول فى وصل المفردات وفصلها

البحث فى وصل الجمل وفصلها لايتضح إلا إذا سبقه الكلام على وصل المفردات وفصلها ، وبيان هذا أن عطف مفرد على آخر يستفاد منه مشاركة الثانى للأول فى إعرابه مع رفع ونصب وجر ، ولكن الأكثر فى الصفات ألا يعطف بعضها على بعض نحو جاء محمد العاقل الفاضل الكريم ، وسر هذا أن الصفة جارية مجرى موصوفها فهى تدل على ذات لها تلك الصفة ومن ثم يمتنع عطفها على موصوفها فلا يجوز جاءنى محمد والكريم على أن الكريم هو محمد لأنه لايصح عطف الشيء على نفسه ، وجاء قليلا عطف بعضها على بعض باعتبار المعانى الدالة عليها فتقول نظرت الى على الفاضل والمؤدب والكريم كأنك قلت نظرت الى من اتصف بالفضل والأدب والكرم وعلى ذلك جاء قوله :

---

(١) زعمت أى محبوبته وعفا درس وزالت معالمه ، والطلول جمع طلل آثار الديار التى هجرها أهلها ، والرسوم جمع رسم وهى الآثار والصبر ثمر شجر مر ، والخطاب فى هواك للنفس وجواب القسم ماذكره فى البيت بعده :

مازلت عن سنن الوداد ولا غدت نفسى على إلف سواك تحوم

إلى الملك القَرْم وابن الهمام ... وليث الكتيبة فى المُزدَحَمْ

المبحث الثانى فى وصل الجمل

وصل الجمل عطف بعضها على بعض بالواو أو إحدى أخواتها ، وفائدته تشريك المعطوف والمعطوف عليه فى الحكم — ومن حروف العطف ما يفيد العطف فحسب وهو الواو ولذا قد تخفى الحاجة إليها فلا يدركها إلا من أوتى حظاً من حسن الذوق ، ومنها ما يفيد مع التشريك معانى أخرى كالترتيب من غير تراخ فى الفاء وهو مع التراخى فى ثم وهكذا ، ومن أجل ذلك لايقع اشتباه فى استعمال ماعدا الواو ولذا لايبحث هنا إلا عنها .

والجمل المعطوف بعضها على بعض ضربان :

(١) أن يكون للجملة المعطوف عليها موضع من الأعراب وحكم هذه حكم المفرد لأنها لا تكون كذلك حتى تكون واقعة موقعه وحينئذ يكون وجه الحاجة فيها إلى الواو ظاهراً والاشراك بها فى الحكم موجوداً فإذا قلت نظرت إلى رجل خلقه حسن وخلقه قبيح ، كنت قد أشركت الثانية فى حكم الأولى وهو كونها فى موضع جر صفة للنكرة ونظائر ذلك كثيرة وخطبها يسير .

(٢) ألا يكون لها موضع من الأعراب وتحت هذه نوعان :

(ا) أن تتفق (١) الجملتان خبرا وإنشاء وتكون بينهما مناسبة وجامع يصحح العطف مع عدم المانع نحو (ان الأبرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم) ونحو (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً) ويسمى ذلك توسطاً بين الكمالين .

(ب) أن تختلف الجملتان خبراً وانشاء لكن لو ترك العطف لأوهم خلاف المقصود كما تقول لا وشفاه الله جواباً لمن سألك هل أبَلَّ محمد من مرضه .

---

(١) المدار فى ذلك على اتفاقهما خبرا وانشاء فى المعنى سواء كانتا خبريتين لفظا ومعنى أو خبريتين معنى لا لفظا أو الأولى خبرية معنى لا لفظا أو بالعكس أو إنشائيتين لفظا ومعنى أو معنى لا لفظا أو الأولى خبرية لفظا والثانية إنشائية أو بالعكس .

فترك الولو حينئذ يوهم الدعاء عليه مع أن المقصود الدعاء له ، وقد روى أن هارون الرشيد سأل وزيره عن شيء فقال لا وأيد الله الخليفة فلما بلغ ذلك الصاحب ابن عباد قال هذه الواو أحسن من الواوات فى خدود الملاح ، وقد ذكر صاحب المغرب أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه مر برجل فى يده ثوب فقال له الصديق أتبيع هذا فقال لا يرحمك الله فقال له لاتقل هكذا وقل لا ويرحمك الله ، ويسمى ذلك كال الانقطاع مع ايهام خلاف المراد .

المبحث الثالث فى الجامع

لابد فى الضرب الأول والنوع الأول من الضرب الثانى من صور الوصل من وجود جامع بين الجملتين به تتجاذبان وعليه تعتمدان .

بيان هذا أنه لايقع العطف موقعه ولا يحل المحل اللائق به الا اذا وجد بين الجملة الأولى والثانية جهة جامعة نحو محمد يعطى ويمنع ، ويكتب ويشعر ، ويقبح أن تقول خرجت من دارى وأحسن ماقيل من الشعر كذا اذ لا صلة بين الثانية والأول ولا تعلق لها بها :

والجامع (١) اما عقلى أو وهمى أو خيالى .

فالعقلى أن يكون بين الجملتين اما .

(١) اتحاد فى المسند إليه أو فى المسند أو فى قيد من قيودهما نحو محمد يكتب ويشعر ، وقوله :

يشقى أناس ويشقى آخرون بهم ويسعد الله أقواماً بأقوام

وخالد الكاتب أديب ومحمد الكاتب فقيه .

---

(١) لابد من وجود الجامع بين المسند إليه فى الجملتين وكذا بين المسند فيهما فلو وجدت مناسبة بين المسند إليه فيهما فقط أو بين المسند فيهما كذلك لم يكن ذلك كافيا ولم يصح العطف فقد صرح السكاكى بامتناع عطف قول القائل خفى ضيق على قوله خاتمى ضيق مع اتحاد المسند فيهما .

(٣) وإما تماثل واشتراك فيهما أو فى قيد من قيودهما ولا يكفى مطلق تماثل بل التماثل والمراد أن يكون فى وصف له نوع اختصاص بالمسند اليه أو المسند أو القيد فنحو محمد شاعر وعمرو كاتب انما يحسن اذا كان محمد وعمرو أخوين أو نظيرين أو مشتبكى الأحوال على الجملة .

(٣) وإما تضايف بينهما بحيث لا يتعقل أحدهما إلا بالقياس الى الآخر كالأبوة مع البنوة والعلو مع السفل والأقل مع الأكثر ونحو ذلك .

والوهمى أن يكون بين الجملتين إما :

(١) شبه تماثل كلونى بياض وصفرة فان الوهم يبرزهما فى معرض المثلين لكن العقل يعرف أنهما نوعان متباينان داخلان تحت جنس واحد وهو اللون ، ومن أجل هذا حسن الجمع بين الثلاثة فى قوله :

ثلاثة تشرق الدنيـــــا ببهجتها شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر (١)

(٢) أو تضاد وهو التقابل بين أمرين وجوديين بينهما غاية الخلاف ويتعاقبان على محل واحد كالسواد والبياض والايمان والكفر والقيام والقعود .

(٣) أو شبه تضاد كالسماء والأرض فإنهما وان كان بينهما غاية الخلاف من جهة الارتفاع والانحطاط لا يتعقبان على محل واحد كما فى التضاد .

والخيالى أمر بسببه يقتضى الخيال اجتماع الأمرين فى الفكر لأسباب مختلفة باختلاف المتكلمين كصناعة خاصة أو عرف عام كالسيف والرمح فى خيال الفارس والقلم والقرطاس فى خيال الكاتب والدرس والسبورة فى خيال الطالب وهكذا.

وللقرآن الكريم فى هذا البـاب القِدْح المُعَلَّى نحو (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً) فبين المسندين فيهما تضاد وبين المسند إليه فيهما اتحاد وبين القيدين تضايف ، وقوله عزّ شأنه (أفلا ينظرون الى الإبل كيف خُلقت وإلى السماء كيف

---

(١) فالوهم يتبادر إليه أن هذه الثلاثة من نوع واحد كأن كلا منها شمس لكنها اختلفت بالعوارض المشخصة .

رفعت والى الجبال كيف نُصبت والى الأرض كيف سُطحت) ، فإنه وان لم تكن مناسبة بين الإبل والسماء وبينهما وبين الجبال والأرض بحسب الظاهر لكن لما كان الخطاب مع العرب والإبل شاغلة لأخيلتهم لكونها أعز أموالهم وكانت الأرض لرعيها والسماء لسقيها والجبال لالتجائهم اليها عند إلمام الملمات ، ناسب إيراد الكلام طبق تخيلاتهم .

وهاك أمثلة تشرح لك ما مضى فإذا قلت العدل نور الظلم ظلام كان هناك تقابل وتضاد بين كل من المسند اليه والمسند فى الجملتين ، واذا قلت الأمير يصل ويقطع فيهما اتحاد فى المسند اليه فيهما وتقابل بين المسند ، واذا قلت أقبل على وأدبر أخوه كان فيهما تماثل بين المسند اليه فيهما وتقابل بين المسند وهلم جرا .

المبحث الرابع فى محسنات الوصل

مما يزيد الوصل حسنا بعد وجود المصحح المجوز للعطف ، اتحاد الجملتين فى الكيفية كأن تكونا اسميتين أو فعليتين أو شرطيتين أو ظرفيتين ، ثم فى الاسميتين اتفاقهما فى كون الخبر اسما أو فعلا ماضيا أو مضارعا ، وفى الفعليتين اتفاقهما فى كونها ماضويتين أو مضارعيتين إلا لداع يدعو الى التخالف وذلك :

(١) بأن يقصد التجدد فى إحداهما والثبات فى الأخرى كقوله تعالى حكاية عن قوم إبراهيم (أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين) فهم كانوا يزعمون أن اللعب حال إبراهيم المستمرة فاستفهموا عن تجدد مجيئه لهم بالحق .

(٢) بأن يقصد المضى فى إحداهما والاستقبال فى الأخرى كقوله تعالى (ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) فقد عبر بالمضارع فى الثانية وإن كان القتل فى الماضى لاستحضاره فى النفوس وتصويره فى القلوب بيانا لفظاعته .

(٣) بأن يقصد الاطلاق فى إحداهما والتقييد فى الأخرى كقوله تعالى (وقالوا

لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر [1] ، فقد أطلقت الجملة الأولى وقيدت الثانية بالانزال اذ الشرط قيد فى الجواب .

المبحث الخامس فى الفصل

من حق الجمل اذا ترادفت ووقع بعضها فى إثر بعض أن تربط بالواو لتكون متسقة منتظمة ، وقد يعرض لها ما يوجب ترك الواو ويسمى ذلك فصلا ويكون فى خمس أحوال :

(١) كمال الاتصال وهو أن يكون بين الجملتين اتحاد تام امتزاج معنوى حتى كأنهما أفرغا فى قالب واحد ، وهذا يكون فى :

(ا) باب التوكيد لزيادة التقرير أو لدفع توهم تجوز أو غلط سواء أكان تأكيدا لفظيا نحو فمهل الكافرين أمهلهم رويدا) أم تأكيدا معنويا نحو (ما هذا بشرا إن هذا الا ملك كريم) فانه إذا كان ملكا لم يكن بشرا فاثبات كونه ملكا تأكيد وتحقيق لنفى كونه بشرا ، وعليه قول الشاعر :

إنما الدنيا فناء ليس للدنيا ثبوت

(١) باب البدل والمقتضى له كون الثانية أوفى بالمطلوب من الأولى والمقام يستدعى عناية بشأن المراد سواء أكان بدل كل نحو (بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أئذا متنا) أم بدل بعض نحو (أمدكم بما تعلمون أمدكم بانعام وبنين وجنات وعيون) أبدلت الثانية من الأولى تنبيها إلى نعم الله على عباده وهى أوفى مما قبلها لدلالتها على المراد مع التفصيل من غير إحالة على علم المخاطبين لعنادهم واستكبارهم .

أم بدل اشتمال نحو (اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون)

---

(١) أى هلا أنزل عليه ملك فنؤمن به ولكنه لو حصل ذلك لقضى الأمر بهلاكهم لعدم إيمانهم به .

أبدلت الثانية من الأولى بدل اشتمال لأنها أبين فى المراد وهو حمل المخاطبين على اتباع الرسل (١) وعليه قول الشاعر:

أقول له ارحل لا تقيمن عندنا   وإلا فكن فى السر والجهر مسلما (٢)

فسياق الحديث فى إظهار كراهته إقامته ، لأنه يسر غير مايعلن ، وجملة لا تقيمن أدل هذا الغرض ولا سيما مع التأكيد بالنون .

(حـ) باب عطف البيان (٣) والداعى إليه خفاء الأولى والمقام يستدعى ازالة هذا الخفاء نحو (فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) وقوله تعالى (يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم) وعليه قول الشاعر :

كفى زاجرا للمرء أيامُ دهره   تروح له بالواعظات وتغتدى

(٢) كمال الانقطاع وهو أن يكون بين الجملتين تباين تام دون إيهام خلاف المراد ، وتحت هذا نوعان :

(١) أن تختلفا خبرا وإنشاء لفظا ومعنى نحو قوله تعالى (وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) وقوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم) ، وقول الشاعر :

لا تسأل المرء عن خلائقه   فى وجهه شاهد من الخبر

أو تختلفا معنى فقط نحو قولك نجح فلان وفقه الله ، وقول الشاعر :

جزى الله الشدائد كل خير   عرفت بها عدوى من صديقى

---

(١) إذ مفادها أنكم لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم وينتظم لكم خيرا الدنيا والآخرة (٢) يطلب منه الرحلة لأن باطنه ليس كظاهره لأنه يتناول أعراضهم

(٣) إذا اشتملت الجملة الثانية على معنى أوضح كانت بيانا وإلا كانت توكيدا ولم يذكروا النعت لأنه لا يتميز من عطف البيان إلا بأنه يدل على بعض أحوال المتنوع لا على المتبوع كما هو شأن عطف البيان وهذا لا يتحقق فى الجمل .

(ب) ألا تكون بينهما مناسبة فى المعنى (١) ولا ارتباط بين المسند اليه فيهما، ولا بين المسند نحو قوله :

انما المرء بأصغريه كل امرىء رهن بما لديه

(٣) شبه كمال الاتصال وهو أن تكون الجملة السابقة كالمورد للسؤال أو المنشأ له، فتفصل الثانية عنهـا كما يفصل الجواب عن السؤال ، ويسمى الفصل لذلك استئنافا وهو على ثلاثة (٢) أضرب لأن السؤال الذى تضمنته الجملة اما :

(١) عن سبب عام[٣] للحكم نحو :

قال لى كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل

كأن المخاطب لما سمع قوله عليل قال ما سبب علتك فقال سهر دائم وحزن طويل

(ب) وأما عن سبب خاص كقوله تعالى (وما أبرىء نفسى (٤) ان النفس لأمارة بالسوء) كأنه قيل هل النفس أمارة بالسوء فقيل نعم ان النفس لأمارة

---

(١) أو لفقد الربط سياقا مع وجود الجامع نحو ما قاله فى الكشاف فى قوله تعالى [إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون لم يعطف قصة الكافرين على قصة المؤمنين مع وجود الجامع وهو التضاد لأن هذا الكلام مسوق لبيان حال الكفار قصدا والأول مسوق لبيان حال الكتاب قصدا وذكر حال المؤمنين ليس مقصودا على سبيل الاصالة

(٢) لأن السامع إما أن يجهل السبب من من أصله فيسأل عنه وأما أن يتصور نفى جميع الأسباب إلا سببا خاصا يتردد فى حصوله أو نفيه فيسأل عنه وأما عن غير السبب بأن ينبهم عليه شىء مما يتعلق بالجملة الأولى (٣) إنما كان السؤال عن السبب المطلق لا الخاص لأن العادة جرت بأنه إذا قيل فلان مريض ألا يتصور السامع إلا مجرد المرض ويبقى السبب مجهولا فيسأل عنه لجهله به لا أنه يعلم الأسباب بخصوصها ويتردد فى تعيين أحدها حتى يكون سؤالا عن السبب الخاص (٤) لأن الذى دلت عليه الجملة الأولى عدم تبرئة النفس وهذا ظاهر فى اعتقاد المتكلم أنها أمارة بالسوء ولكنه ليس صريحا إذ ربما تشكك السامع فى وقوع هذه النسبة فلذلك راجع المتكلم وقال هل النفس أمارة بالسوء .

بالسوء ، وهذا يقتضى تأكيد الحكم الذى فى جملة الجواب كما سبق لك فى أضرب الخبر ، وعليه قول الشاعر :

يرى البخيل سبيل المال واحدة　　ان الكريم يرى فى ماله سبلا

كأنه قيل فماذا يرى الكريم فى ماله فقيل ان الكريم الخ .

(ح) واما عن غيرهما كقوله تعالى (قالوا سلاما قال سلامٌ) كأنه قيل فماذا قال ابراهيم عليه السلام فقيل (قال سلام) ، وعليه قوله :

زعم العواذل أننى فى غمرةٍ　　صدقوا ولكن غمرتى لاتنجلى(١)

اذ مساق الكلام فى اظهار الشكوى من العذال وذلك مما يدعو السامع لأن يسأل أصدقوا أم كذبوا فقيل صدقوا .

وقد يحذف صدر الجواب اسما كان أو فعلا نحو (يسبِّح له فيها بالغدو والآصال رجال) فيمن قرأه بالبناء للمفعول كما قد يحذف الجواب كله ويقام مايدل عليه مقامه كقول مساور بن هند يهجو بنى أسد :

زعمتم أن إخوتكم قريش　　لهم إلفٌ وليس لكم الاف (٢)

فحذف الجواب وهو كذبتم فى زعمكم وأقام مقامه قوله لهم الف الخ لدلالته عليه .

قال عبد القاهر واعلم أن الذى تراه فى التنزيل من لفظ قال مفصولا غير معطوف هذا هو التقدير فيه والله أعلم أعنى مثل قوله (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف) فقد جاء على ما يقع فى أنفس المخاطبين اذا قيل دخل قوم على فلان فقالوا كذا

---

(١) العواذل جمع عاذلة يراد هنا جماعة عاذلة بدليل قوله صدقوا والغمرة الشدة وتنجلى تنكشف (٢) إيلاف فى الرحلتين المعروفتين لهم فى التجارة رحلة فى الشتاء إلى اليمن ورحلة فى الصيف إلى الشام وبعده :

أولئك أومنوا جوعا وخوفا　　وقد جاعت بنو أسد وخافوا

أن يقولوا فما قال هو ويقول المجيب قال كذا أخرج الكلام ذلك المخرج لأن الناس خوطبوا بما يتعارفون .

وقال السكاكى : وتنزيل السؤال المفهوم من الكلام السابق منزلة الواقع لا يصار إليه إلا لاعتبارات لطيفة كاغناء السامع عن أن يسأل ، أو ألا يسمع منه شيء تحقيراً له ، أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه ، أو للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ بترك السؤال وترك العاطف إلى غير ذلك مما ينخرط فى هذا السلك ا هـ

(٤) شبه (١) كال الانقطاع ، وهو أن تسبق جملة بجملتين يصح عطفها على إحداهما ولا يصح عطفها على الأخرى لفساد المعنى فيترك العطف دفعا لهذا الوهم ويسمى الفصل حينئذ قطعا كقوله :

وتظن سلمى أننى أبغى بها بدلا أُراها فى الضلال تهيم

فبين الجملتين مناسبة ظاهرة لاتحاد المسندين لأن معنى أراها أظنها وكون المسند إليه فى الأولى محبوبا والثانية محبًّا ، لكن ترك العطف لئلا يتوهم أنه عطف على أبغى فيكون من مظنونات سلمى كالمعطوف عليه وهو خلاف المراد (٢) .

(٥) التوسط بين الكمالين (٣) وهو أن تكون الجملتان متناسبتين ولكن يمنع من العطف مانع وهو عدم قصد التشريك فى الحكم كقوله تعالى (وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزىء بهم) فجملة الله يستهزىء

---

(١) الفرق بينه وبين الانقطاع إن المانع هنا خارجى يمكن إزالته وهناك مانع ذاتى .

(٢) لأنه إنما يريد الحكم على سلمى بخطئها فى الظن حين ظنت أنه يبغى بها بدلا يدل على ذلك قوله قبله :

زعمت هواك عفا الغداة كما عفا عنها طلال باللوى ورسوم

(٣) الفرق بين هذه الحالة وحالة الوصل أنه هناك لايوجد مانع من العطف بخلافه هنا والفرق بين هذه الحالة وشبه كمال الانقطاع أن الفصل هنا للوجوب وهو أن يكون قبل الجملة كلام مشتمل على مانع لا يوجد مالا يشتمل على المانع فتقطع الجملة عما قبلها وجوبا والفصل هناك للاحتياط وهو أن يكون قبل الجملة كلام مشتمل على مانع من العطف وكلام لامانع فيه فتفصل الجملة حتى لا يتوهم عطفها على ما هو مشتمل على ذلك المانع .

بهم لا يصح عطفها على إنا معكم لاقتضائه أنها من مقول المنافقين وليس ذلك كذلك ، ولا على جملة قالوا لأنه يكون المعنى فإذا قالوا ذلك استهزأ الله بهم وهذا لايستقيم ، لأن استهزاء الله بهم بأن خذلهم وخلاهم وما سولت لهم أنفسهم مستدرجا إياهم من حيث لا يشعرون ، إنما هو على نفس الاستهزاء وفعلهم له وإرادتهم إياه فى قولهم آمنا ، لاعلى أنهم حدثوا عن أنفسهم بأنهم مستهزئون إذ المؤاخذة على اعتقاد الاستهزاء والخديعة فى إظهار الإيمان لا فى قولهم إنا استهزأنا من غير أن يقترن بذلك القول اعتقاد ونية [1].

تتمة

لما كانت الجملة الحالية تارة تجىء بالواو وأخرى بغيرها ناسب أن تذكر عقب الوصل والفصل ، وذلك أن الحال نوعان لازمة [2] ومنتقلة [3] ويفترقان فى أن الأولى لا تقترن بواو البتة وتكون وصفا ثابتا نحو هذا أبوك عطوفا بخلاف الثانية فانها قد تقترن بالواو وتكون وصفا غير ثابت كاسم الفاعل والمفعول نحو جاء على ضاحكا ويمتنع جاء على طويلا أو أبيض .

ويشتركان فى شيئين :

(١) أنهما يأتيان عاريين على حرف النفى تقول هو الحق بينا ، وجاء على مستبشرا ، ولايجوز أن تقول لا خفيا فى الأول ولا عبوسا فى الثانى .

---

(١) قد جارينا المتأخرين فى هذا التقسيم المتشعب الأطراف ولكن عند إنعام النظر نجد أن أقسام الفصل ثلاثة لأن موجبه إما الامتزاج التام وذلك هو الصورة الأولى وإما التباين التام وهى الصورة الثانية وأما قوة الرابطة بالأولى لكونها كالجواب عن سؤال يفهم منها فاشبهت حال اتحاد الجملتين وتلك هى الصورة الثالثة وأما الحالتان الرابعة والخامسة فتندرجان فى الثالثة وظاهر فيهما أنهما جواب سؤال مقدر وقد صرح بذلك السكاكى فى الرابعة بقوله فى البيت ويحتمل الاستئناف وصرح عبد القاهر بذلك فى الخامسة (٢) سواء وردت بعد جملة فعلية نحو خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها أم اسمية نحو هذا أبوك عطوفا .

(٣) أى غير لازمة لصاحبها بل تفيد معنى حال نسبة العامل إلى صاحب الحال .

(٢) أنهما يكونان بغير واو لأسباب ذكرها فى الايضاح وهى :

(ا) أن إعراب الحال أصلى ليس تبعا لغيره ولا مجال للواو فى المعرب أصالة إذ الاعراب دال على التعلق المعنوى المغنى عن الاحتياج إلى تعلق آخر .

(ب) أن حكم الحال مع صاحبها كحكم الخبر مع المخبر عنه (١) ، إلا أن الفرق بينه وبينها أن الحكم يحصل به أصالة لا فى ضمن شىء آخر ، والحكم بها إنما يحصل ضمن غيرها فان الركوب فى قولك جاء خالد راكبا محكوم به على خالد لكن بالتبعية للمجىء وجعله قيدا له .

(جـ) أن الحال وصف لذى الحال فلا تدخل عليها الواو كالنعت (٢) .

لكن خولف هذا الأصل وجاءت الحال مقترنة بالواو إذا كانت جملة لأنها من حيث هى جملة (٣) مستقلة بالإفادة لابد لها من ربطها بما جعلت حالا عنه .

والصالح للربط شيئان الواو والضمير والثانى هو الأصل بدليل أنه يقتصر عليه فى الحال المفردة والنعت والخبر .

والجمل التى تقع حالا ضربان :

(١) خالية عن ضمير ما تقع حالا عنه وهذه يجب أن تقترن بالواو حتى لاتنقطع عما قبلها ويستثنى منها المضارع المثبت على ما سيجىء .

(٢) غير خالية عن ضمير ما تقع حالا عنه ، وهذه تارة تجب فيها الواو وطورا تمتنع فيها وحينا يجوز الأمران .

(ا) فان كانت فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع فيها الواو كقوله تعالى

---

(١) ماجاء من الأخبار مقترنا بالواو كخبر باب كان فى قول الحماسى :

فلما صرح الشر   ر فأمسى وهو عريان

وقولهم ما أحد إلا وله نفس أمارة بالسوء ، فحمول على الحال لشبهها به (٢) ماجاء من الجمله الوصفية مصدرا بالواو نحو أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها فمحمول ومشبه بالحال (٣) أما من حيث هى حال فهى متوقفة على التعليق بكلام سابق قصد تقييده بها.

(وجاءوا أباهم عشاء يبكون) وقول الشاعر:

ولقد أغتدى يدافع ركنى   أحوذىٌّ ذو ميْعة إضْريج (١)

وسر هذا أن الحال المتنقلة تدل على حصول صفة غير ثابتة مع مقارنة حصولها لما جعلت قيدا له وهو عاملها ، والمضارع المثبت يفيد الأمرين فيدل على الحصول غير الثابت من قبل كونه فعلا يدل على التجدد ، ويدل على المقارنة من جهة كونه مضارعا وهو حقيقة فى الحال ، وقد ورد قليلا قرنها بالواو كقولهم قمت وأصك وجهه ، وقول عبدالله بن همّام السلولى:

فلما خشيتُ أظافيرهم   نجوتُ وأرهُنهم مالكا (٢)

فاختلف الأئمة فى تأويله فقيل إنه على حذف المبدإ أى وأنا أصك وأنا أرهنهم فهى جملة اسمية ، وقال عبد القاهر ليست الواو فيهما للحال بل هى للعطف لأن أصك وأرهن بمعنى صككت ورهنت ، عبر فيهما بلفظ المضارع حكاية للحال الماضية (٣) كما فى قوله :

ولقد أمر على اللئيم يسبّنى   فمضيت ثمّت قلت لايعنينى

يدل لذلك أن الفاء (٤) قد تجىء مكان الواو فى مثل هذا .

(ب) وإن كانت فعلية ذات مضارع منفى بلا أو ما استوى فيها الأمران ، فمن مجيئها بالواو قراءة بن ذكوان فاستقيما ولا تتبعان (٥) بالتخفيف . وقول

---

(١) أغتدى أذهب غدوة مبكرا والاحوذى السريع الحاذق والميعة أول الشىء وهنا أول الجرى وأنشطه والاضريج الفرس السريع العدو (٢) الأظافير هنا الشوكة والقوة والمعنى لما خفت منهم هربت وجعلت مالكا رهنا لديهم (٣) هى أن يفرض ما كان فى الماضى واقعا الآن لغرابته أو الاعجاب به (٤) أى كما فى خبر عبد الله بن عتيك فانه ذكر دخوله على أبى رافع اليهودى حصنه ثم قال فانتهيت إليه فاذا هو فى بيت مظلم لا أدرى أين هو من البيت ، قلت أبا رافع قال من هذا فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف وأنا دهش ، فان قوله فأضربه مضارع عطف بالفاء على ماض من أجل أنه ماض فى المعنى (٥) وإنما لم تكن للعطف لامتناع عطف الخبر على الانشاء وعلى قراءة تشديد النون فالواو للعطف ولا ناهية .

بعض العرب كنت ولا أخشى الذئب [1] وقول مسكين الدارمى :

أكسبته الورق البيض أبا ولقد كان ولا يُدعى لأب [2]

ومن ترك الواو قوله تعالى (وما لنا لا نؤمن بالله) وقول خالد بن يزيد ابن معاوية :

لو أن قوما لارتفاع قبيلة دخلوا السماء دخلتها لا أحْجبُ

وسبب ذلك دلالته على المقارنة لكونه مضارعا ويناسب ذلك ترك الواو وعدم الحصول ويناسبه ذكرها .

(ج) وإن كانت فعلية ذات ماض لفظا ومعنى فكذلك يجوز فيها الأمران ، فمن مجيئها بالواو قوله تعالى (أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر) وقول امرىء القيس :

فجئت وقد نضّت لنوم ثيابها لدى الستر إلا لبْسة المتفضل [3]

ومن ترك الواو قوله عز وجل (أوجاءوكم حصرت صدورهم) وقول عمرو ابن كلثوم :

فآبوا بالرماح مكسّرات وأبنا بالسيوف قد انحنينْا

وشرط ذلك ألا تقع بعد إلا أو (أو العاطفة) وإلا امتنع الاقتران بها نحو (وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون) وقوله :

كن للخليل نصيرا جار أو عدلا ولا تَشح عليه جاد أو بخلا

(د) وكذا الماضوية معنى فقط (هى المضارع المنفى بلم أو لما) فمن مجيئها بالواو قول كعب بن زُهير :

لا تأخذنّى بأقوال الوشاة ولم أذنب وإن كثرت فى الأقاويل

---

(1) أخشى أخوف (2) الورق الفضة (3) نضى الثوب ونضاه خلعه ولبسة المتفضل كساء رقيق يلبس عند النوم .

وقوله عز اسمه (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) ومن تركها قوله تعالى (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا) وقوله :

فقالت له العينان سمعا وطاعة وحدّرتا كالدرّ لما يثقب

وسبب جواز الأمرين أنه إذا كان الماضى مثبتا دل على حصول صفة غير ثابتة لكونه فعلا وهذا مما يناسبه ترك الواو لمشابهته المفرد ، ودل على عدم المقارنة لكونه ماضيا ، ولأجل هذا اشترط فيه أن يكون بقد إما ظاهرة أو مقدرة حتى يقرب من الحال ، وهذا مما يناسبه ذكر الواو لبعده عن تلك المشابهة .

وإن كان الماضى منفيا دل على المقارنة دون الحصول ، ذاك أن لما لاستغراق النفى من حين الانتفاء إلى زمن التكلم ، وغيرها لانتفاء متقدم والأصل فيه أن يستمر فيحصل بهذا الاستمرار الدلالة على المقارنه عند الانطلاق وترك التقييد بما يدل على انقطاع ذلك الانتفاء .

(ه) وإذا كانت جملة اسمية فالمشهور جواز الأمرين ، لكن مجىء الواو أولى ، فمن وجودها قوله تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) وقول امرىء القيس :

أيقتلنى والمَشرفىّ مضاجعى ومسنونةٌ زُرْق كأنياب أغوال

ومن تركها ما رواه سيبويه : كلمته فوه إلى فىّ ، وما أنشده الجوهرى من قول بلال :

ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلة بمكة حولى إذْ خرٌ وجليل (١)

وإنما جاز الأمران لأن الجملة الاسمية تدل على المقارنة لكونها مستمرة وهذه يناسبها سقوط الواو ، لا على حصول صفة غير ثابتة لدلالتها على الدوام والثبات فهى بعكس الماضى المثبت ، وهذا مما يستدعى وصلها بها .

---

(١) الأذخر نبات طيب الرائحة الواحد إذخرة والجليل النخلة العظيمه الكثيرة الحمل .

وإنما كان المجيء أولى لأنها ليس فيها دلالة على عدم ثبوت الصفة بل هي تدل على الثبوت مع ظهور الاستئناف فيها إذ هي مستقلة بالفائدة فيحسن زيادة رابط يؤكد الربط ويقويه .

وقال عبد القاهر إن (١) كان المبتدأ ضمير ذى الحال وجبت الواو نحو جاء زيد وهو يسرع أو وهو مسرع ، وعلة ذلك أن الفائدة كانت حاصلة بقوله يسرع من غير ذكر الضمير فالاتيان به يشعر بقصد الاستئناف المنافى للاتصال فلا يكفى الضمير حينئذ فى الربط بل لابد من الواو .

وقال أيضا ان كان الخبر فى الجملة الاسمية ظرفا قد قدم على المبتدإ كقولنا جاء زيد على كتفه سيف وفى يده سوط كثر فيها أن تجيء بغير واو كقول بشار :

إذا أنكرتنى بلدة أو نكرتها ... خرجت من البازى علىّ سواد (٢)

وقول أبى وائلة فى عبد الملك بن المهلب :

لقد صبرتْ للذل أعواد منبر ... تقوم عليها فى يديك قضيب

والوجه أن يقدر الاسم فى هذه الأمثلة مرتفعا على الفاعلية بالظرف فإنه جائز باتفاق صاحب الكتاب والاخفش لاعتماده على ما قبله ويقدر متعلقه على ما اختاره عبد القاهر اسم فاعل لا فعلا إلا إذا قدر ماضيا مع قد .

وقال أيضاً ومما ينبغى أن يراعى فى هذا الباب أنك ترى الجملة جاءت حالا بغير واو ويحسن ذلك من أجل حرف دخل عليها كقول الفرزدق :

فقلت عسى أن تبصرينى كأنما ... بنىّ حوالىّ الأسود الحوارد (٣)

لأنه لولا دخول كأن عليها لم تحسن إلا بالواو كأن يقال وبنى حوالى — وشبيه بهذا أنك ترى الجملة قد جاءت حالا بعقب مفرد فلطف مكانها كقول ابن الرومى :

---

(١) فهو يخالف المشهور فى أنه حكم على غير المبدوءة بالظرف وغير مادخل عليها حرف على المبتدإ وغير المعطوفة على مفرد بوجوب الواو فيها إذا بدئت بضمير ذى الحال وبجواز الأمرين فيما عدا ذلك مع أرجحية الذكر (٢) على سواد أى بقية من الليل .

(٣) الحوارد الغضاب قاله يخاطب زوجته وقد عيرته لأنه لا يولد له .

والله يبقيك لنا سالما ... بُرْداك تبجيلٌ وتعظيم (١)

فبرداك تبجيل فى موضع حال ثانية لو لم يتقدمها قوله سالما لم يحسن فيها ترك الواو .

تدريب أول

بين سبب الفصل والوصل فيما يأتى :

(١) اخط مع الدهر إذا ما خطا ... واجر مع الدهر كما يجرى

(٢) حكم المنية فى البرية جارى ... ما هذه الدنيا بدار قرار

(٣) لاتدعه إن كنت تنصف نائبا ... هو فى الحقيقة نائم لا نائب

(٤) من للمحافل والجحافل والسرى ... فقدت بفقدك نيرا لا يطلع (٢)

(٥) قالت بليت فما نراك كعهدنا ... ليت العهود تجددت بعد البلى

(٦) وترى الجبال تحسبها جامدة .

(٧) وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا .

(٨) قال فرعون وما رب العالمين ، قال رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين .

الإجابة

(١) وصل بين الجملتين للتوسط بين الكمالين مع عدم المانع من العطف لاتفاقهما إنشاء مع وجود المناسبة .

(٢) فصل الشطر الثانى عن الأول لأنه توكيد معنوى له إذ يفهم من جريان حكم الموت على الخلق أن الدنيا ليست دار بقاء فأكد ذلك بالشطر الثانى . فبينهما كمال الاتصال .

---

(١) البردان تثنية برد وهو الثوب (٢) الجحافل الجيوش والسرى سير عامة الليل .

(٣) فصل الشطر الثانى عن الأول لاختلافهما خبرا وإنشاء فبينهما كمال الانقطاع .

(٤) فصل بين الشطرين لاختلافهما خبرا وإنشاء فبينهما كمال الانقطاع .

(٥) بين الشطرين كمال الانقطاع لاختلافهما خبرا وإنشاء ولذا فصل بينهما .

(٦) بين جملتى ترى وتحسب كمال الاتصال لأن الثانية بدل اشتمال من الأولى .

(٧) فصل الجملة الثانية والجملة الثالثة عن الأولى لأن كلا منهما توكيد معنوى للأولى .

(٨) فصل جملة قال الثانية لوقوعها جوابا عن سؤال مقدر نشأ من الأولى فبينهما شبه كمال الاتصال .

تدريب ثان

بين سبب الفصل والوصل واذكر الجمل الحالية فيما يلى :

(١) نفسى له نفسى الفداء لنفسه   لكن بعض المالكين عفيف

(٢) وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحى يوحى .

(٣) يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون .

(٤) فما الحداثة عن حلم بمانعة   قد يوجد الحلم فى الشبان والشيب

(٥) يهوى الثناء مبرّز ومقصر   حبّ الثناء طبيعة الانسان

(٦) إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة   ولا تك بالترداد للرأى مُفسدا

(٧) فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا   فى رأس غُمدان دار منك محلالا (١)

(٨) مضوا لا يريدون الرواح وغالهم   من الدهر أسباب جرين على قدْر

الإجابة

(١) بين نفسى له ونفسى الفداء لنفسه كمال الاتصال لأن الثانية توكيد لفظى للأولى .

---

(١) المرتفق المتكىء وغمدان حصن بصنعاء وروضة محلال يكثر حلول الناس فيها .

(٢) بين الجملتين كمال الاتصال لأن الثانيـة توكيـد معنوى للأولى لأن تقرير كونه وحيا نفى لأن يكون عن هوى .

(٣) بين يدبر ويفصل كمال الاتصال لأن الثانية بدل بعض من كل .

(٤) بين الشطرين شبه كمال الاتصال إذ الجملة الثانية جواب عن سؤال مقدر .

(٥) بين الشطرين كمال الاتصال إذ الجملة الثانية مؤكدة للأولى تأكيدا معنويا .

(٦) وصل الجملتين لتوسطهما بين الكمالين لاتحادهما إنشاء مع وجود المناسبة وعدم المانع مع العطف .

(٧) جملة عليك التاج فى موضع الحال ويكثر فيها ترك الواو لتقدم الظرف .

(٨) جملة لا يريدون الرواح حال وهى مضـــارع منفى فيجوز فيهـا ذكر الواو وتركها وإن كان الأكثر فى النفى بلا ترك الواو .

تمرين أول

بين أسباب الفصل والوصل واستخرج الجمل الحالية فيما يلى .

(١) واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم .

(٢) يقولون إنى أحمل الضيم عندهم أعوذ بربى أن يضام نظيرى

(٣) لست مستسقيا لقبرك غيثـا كيف يظما وقد تضمن بحرا

(٤) سبحانك لا علم لنـا إلا ما علمتنا إنك أنت العزيز الحكيم .

(٥) ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين .

(٦) الأرواح جنود مجندة ماتعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .

(٧) ولست بهياب لمن لا يهابنى ولست أرى للمرء مالا يرى ليا

(٨) متى أرى الصبح قد لاحت مخايله والليل قد مزقت عنه السرابيل

(٩) لا تأمنن عدوا لان جانبه خشونة الصل عقبى ذلك اللين

تمرين ثان

(١) أتيناكم قد عمكم حذر العدا ... فنلتم بنا أمنا ولم تعدموا نصرا
(٢) إن تلقنى لا ترى غيرى بناظرة ... تنس السلاح وتعرف جبهة الأسد
(٣) ولولا جنان الليل ما آب عامر ... إلى جعفر سرباله لم يمزق (١)
(٤) يزعم صديق أنى أحسده على نعمته أراه مخطئاً فيما زعم .
(٥) والغدر بالعهد قبيح جدا ... شر الورى من ليس يرى العهدا
(٦) يا من يقتل من أراد بسيفه ... أصبحت من قتلاك بالاحسان
(٧) بانت قطام ولما يحظ ذو مقة ... منها بوصل ولا إنجاز معياد
(٨) كأن فتات العهن فى كل منزل ... نزلن به حب الفنا لم يحطم (٢)
(٩) من أغفل الشعر لم تعرف مناقبه ... لا يجتنى ثمر من غير أغصان

الباب الثانى عشر فى الايجاز والاطناب والمساواة

وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول فى دقة مسلكها واختلاف الأئمة فى تعريفها

هذا الباب أساس فى بنيان الفصاحة ، ركن ركين فى تكوين ملكة البلاغة حتى نقل صاحب (سر الفصاحة) عن بعضهم أنه قال البلاغة هى الايجاز والاطناب

واعلم أن علماء البيان افترقوا فرقتين فرقة منهم تثبت واسطة بين الايجاز والاطناب هى المساواة وعليها درج السكاكى ومن تبعه وقالوا إنها ليست محمودة ولا مذمومة ، وفرقة منها ابن الأثير فى جماعة ذهبوا إلى نفى الواسطه ومن ثم

---

(١) جنان الليل ظلمته الحالكة والسربال السروابل (٢) الفنا الصوف الأحمر واحدته فناة عنب الثعلب وحبه أحمر ما لم يكسر .

قسموا إيجاز غير الحذف قسمين إيجاز تقدير وهو ما ساوى لفظه معناه من غير زيادة وهـــذه هي المساواة على الرأي الأول، وإيجاز قصر وهو ما يزيد معناه على لفظه .

ومن هذا تعلم أن الخلاف بينهم في الإسم لا في المسمى، والطريقة الأولى أشهر بين أئمة الفن ولذا قد جرينا عليها .

المبحث الثاني في الإيجاز

الإيجاز لغة التقصير يقال أوجز في كلامه إذا قصره، وكلام وجيز أي قصير .

وفي الإصطلاح اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل، أو هو التعبير عن المقصود بلفظ أقل من المتعارف (١) واف بالمراد لفائدة (٢) .

فإذا لم يف كان إخلالا وحذفا رديئا كقول الحارث بن حلزة اليشكري .

والعيش خير في ظلا ل النُّوك ممن عاش كدا (٣)

لاشك أنه يريد — والعيش الناعم الرغد خير في ظلام النوك والحمق من العيش الشاق في ظلال العقل لكن كلامه لا يدل على هذا إلا بعد التأمل وإنعام النظر .

وقول عروة بن الورْد :

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أعذرا

فإنه يريد أن يقتلون نفوسهم في السلم .

وقول بعضهم نثرا فإن المعروف إذا زجا (٤) كان أفضل منه إذا توفر وأبطأ — لا شك أنه يريد إذا قل وزجا .

---

(١) أي متعارف أوساط الناس على ما سيأتي في المساواة (٢) والفائدة كون المأتي به هو المطابق للحال ولا مقتضي للعدول عنه (٣) النوك بضم النون وفتحها الحمق وقبله :

عش بجــد لا يضر ك النوك ما أوليت جدا

(٤) زجا الخراج تيسرت جبايته . فهو يريد السهولة والتيسير

(وهو ضربان إيجاز حذف وإيجاز قصر) لأن الكلام القليل إن كان بعضاً من كلام أطول منه فهو الأول ، وإن كان كلاما يفيد معنى كلام آخر أطول منه فهو الثاني .

إيجاز الحذف

الحذف إما حذف مفرد أو حذف جملة أو حذف جمل .

(١) حذف المفرد أوسع مجالا من حذف الجملة إذ هو أكثر استعمالا ، وذلك على صور .

(ا) حذف المسند إليه	}	
(ب) حذف المسند	}	قد مضى الكلام عليها
(جـ) حذف المفعول	}	

(د) حذف المضاف وهو كثير الدوران فى الكلام كقوله تعالى (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج) أى سدهما وقوله (لمن كان يرجو الله) أى رحمته ، وقوله (يخافون ربهم) أى عذاب ربهم .

(هـ) حذف المضاف اليه وهو قليل كقوله تعالى (لله الأمر من قبل ومن بعد) أى من قبل ذلك ومن بعده .

(و) حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه وهو فاش كثير الاستعمال نحو (وعندهم قاصرات الطرف أتراب) أى حور قاصرات الطرف ، وأكثر مايكون ذلك فى باب النداء نحو يا أيها الظريف تقديره يأيها الرجل الظريف ، وفى باب المصدر نحو (ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا) تقديره وعمل عملا صالحا.

(ز) حذف الصفة وإقامة الموصوف مقامها وهو نادر (١) من ذلك ما حكاه سيبويه من نحو قولهم سير عليه ليل يريدون ليل طويل ، وقول الحماسي :

---

(١) وإنما قل حذف الصفة وكثر حذف الموصوف لأن الصفة ماجاءت إلا للايضاح والبيان فيكثر أن تقوم مقام الموصوف بخلافه هو فانه يكثر إبهامه فلا جرم كان قيامه مقامها نادرا.

كل امرىء ستئيم منـــه العرس أو منها يئيم

تقديره كل امرىء متزوج لأن المعنى لا يصح إلا به ، ومنه أن يتقدم مدح إنسان والثناء عليه فتقول كان والله رجلا ، فأنت تعنى أنه كان رجلا فاضلا جواداً كريماً

(ح) حذف القسم كقولك لأخرجنّ أى والله لأخرجن .

(ط) حذف جواب القسم وهو كثير فى القرآن الكريم نحو (والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر هل فى ذلك قسمٌ لذى حجر) تقديره لتعذبُنّ يا كفار مكة .

(ى) حذف الشرط نحو (ياعباد الذين آمنوا إن أرضى واسعة فاياى فاعبدون)، تقديره فان لم يتسن لكم اخلاص العبادة لى فى أرض فاياى فاعبدون فى غيرها .

(ك) حذف جواب الشرط وهو نوعان .

(ا) أن يحذف لمجرد الاختصار كقوله تعالى (وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون) أى أعرضوا بدليل قوله بعده (إلا كانوا عنها معرضين) .

(ب) أن يحذف للدلالة على أنه شىء لا يحيط به الوصف أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن فلا يتصور شيئاً إلا والأمر أعظم منه نحو (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زُمرا حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) .

(ل) حذف حروف المعانى وقد توسعوا فى ذلك لكثرة دورانها وفشو استعمالها وكثر ذلك فى .

(لا) كقول عاصم المنقرى :

رأيت الخمر جامحةً وفيها … خصال تُفسد الرجل الحليما
فلا والله أشربها حياتى … ولا أسقى بها أبدا نديما

(لو) نحو (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق) تقديره : إذ لو كان معه آلهة لذهب كل إله بما خلق .

(الواو) ولحذفها فائدة لا توجد عند إثباتها لأن وجودها يؤذن بالتغاير بين الجملتين وحذفها يصيّر الجملتين كأنهما جملة واحدة ، وهذا من بديع الإيجاز وحسنه كحديث أنس بن مالك كان أصحاب رسول الله ينامون ثم يصلون لا يتوضئون ، وفى رواية ولا يتوضئون فالحذف دل على اتصال الجملتين حتى كأن الثانية إحدى متعلقات الأولى فهو فى حكم ينامون ثم يصلون غير متوضئين ، وبذا تم المبالغة المرادة وهى أنهم لايذوقون النوم إلا غرارا .

(٢) حذف الجملة [١] وهذا يكون إما .

(ا) بحذف مسبب ذكر سببه نحو ليحق الحق ويبطل الباطل أى فعل مافعل، ومنه قول أبى الطيب :

أتى الزمان بنوه فى شبيبته فسرهم وأتيناه على الهرم : أى فساءنا

(ب) عكسه نحو (فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت) أى فضربه بها فانفجرت .

(ﺟ) بحذف الأسئلة المقدرة ويلقب بالإستئناف وذلك على نوعين :

(١) استئناف باعادة اسم ما استؤنف عنه كقولك أحسنت [٢] إلى علىّ ، على حقيق بالإحسان فتقدير المحذوف وهو السؤال المقدر لماذا أحسن إليه أو نحو ذلك .

(٢) استئناف باعادة صفته كقولك أكرمتَ محمدا — صديقك القديم أهل لذلك منك ، تقدير السؤال المحذوف هل هو حقيق بالإكرام ، والنوع الثانى أبلغ لاشتماله على بيان السبب الموجب للحكم كالصداقه فى هذا المثال.

---

(١) المراد بالجملة هنا الكلام المستقل بالافادة الذى لا يكون جزءا من كلام آخر والادخل الشرط والجزاء وقد تقدم عد حذفهما من حذف المفرد (٢) المقصود من الأخبار اعلام المخاطب بأنه وقع الاحسان منه إلى على لتقرير الاحسان السابق واستجلاب الاحسان اللاحق .

(٣) حذف الجمل وأكثر ما يرد فى كلام رب العزة فهناك تتجلى مراتب الإعجاز ويظهر مقدار التفاوت فى صنعة الكلام وذلك كقوله تعالى (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى) أى فضربوه بها فحيي فقلنا كذلك يحي الله الموتى ، وقوله (أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسفُ) أى فأرسلونى الى يوسف لأستعبره الرؤيا فأرسلوه اليه فأتاه وقال يايوسف ، وقوله (فقلنا اذهبا) الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا) أى فأتياهم فأبلغاهم الرسالة فكذبوهما فدمرناهم تدميرا .

والحذف على وجهين (١) ألا يقام شىء مقامه المحذوف كما تقدم (٢) أن يقام مقامه ما يدل عليه كقوله تعالى (فإن تولّوا فقد أبلغتكم ما أرسلتُ به اليكم) أى فلا لوم على لأنى قد أبلغتكم .

وأدلة الحذف كثيرة منها .

(١) العقل الدال على المحذوف ، والمقصود الأظهر الدال على تعيينه كقوله تعالى (حرمت عليكم الميتة) الآية ، فالعقل يدل على أن الحرمة انما تتعلق بالأفعال لا بالذوات والذى يتبادر قصده من مثل هذه الأشياء انما هو التناول الذى يعم الأكل والشرب .

(ب) العقل الدال عليهما معا كقوله تعالى (وجاء ربك) أى أمره أو عذابه ، ويرى صاحب الكشاف أن هذا ليس من باب الحذف وانما هو تمثيل لظهور قدرته وتبيين لسلطانه وقهره فثلت حاله فى ذلك بحال الملك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة مالا يظهر بحضور عساكره ووزرائه وخواصه على بكرة أبيهم .

(ج) العقل الدال على المحذوف والعادة الدالة على تعيينه كقوله تعالى (فذلكن الذى لمتننى فيه) فقد دل العقل على الحذف لأنه لا معنى للوم على ذات الشخص وأما تعيين المحذوف فإنه يحتمل أن يقدر فى حبه لقوله شغفها حبا ،

أو فى مراودته لقوله تراود فتاها عن نفسه ، أو فى شأنه حتى يشملها معـا ، ولـكن العادة تقضى بأن الحب المفرط لايلام عليه صاحبه لأنه ليس من كسبه واختياره وإنما يلام على المراودة التى يقدر أن يدفعها عن نفسه .

(د) العقل الدال على المحذوف والشروع فى الفعل الدال على تعيينه كما فى باسم الله فإنك تقدر المتعلق ما جعلت التسمية مبدأ له من نحو آكل أو أشرب أو أسافر .

(هـ) العقل الدال على المحذوف واقتران الـكلام بالفعل الدال على تعيينه كما تقول للمعرس بالرفاء والبنين أى أعرست .

إيجاز القِصَر

هو ما تزيد فيه المعـانى على الألفاظ الدالة عليها بلا حذف ، وللقرآن الـكريم فيه المنزلة التى لا تسـامى والغاية التى لا تدرك نحو (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) فتلك آية جمعت مكارم الأخلاق وانطوى تحتها كل دقيق وجليل إذ فى العفو الصفح عمن أساء والرفق فى سائر الأمور بالمسامحة والأغضاء ، وفى الأمر بالمعروف صلة الأرحام ومنع اللسان عن الـكذب والغيبة وغض الطرف عن المحارم ، وفى الأعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وكظم الغيظ .

وقوله عز اسمه (والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع النـاس) فقد استوعبت تلك الـكلمات القليلة أنواع المتاجر وصنوف المرافق التى لا يبلغها العدّ ، وقوله (ألا له الخلق والأمر) فهاتان كلمتان أحاطتا بجميع الأشياء على غاية الإستقصاء ولذا روى أن ابن عمر قرأها فقال من بقى له شىء فليطلبه .

وقوله تعالى (ولـكم فى القصاص حياةٌ) فتلك جملة تضمنت سرا من أسرار التشريع الجليلة التى عليها مدار سعادة المجتمع البشرى فى دنيـاه وأخراه ــ بيان ذلك أن الإنسان إذا هم بقتل آخر لشىء غاظه منه فذكر أنه إن قتله قتل ارتدع عن القتل فسلم المهموم بقتله وصار كأنه استفاد حياة جديدة فيما يستقبل بالقصاص

مضافة إلى الحيـاة الأصلية ، وأين هذا مما أثر عن العرب من قولهم القتل أنفى للقتل ، فإن الآية تمتاز بوجوه [1] .

(١) أنها كلمتان وما أثر عنهم أربع .

(٢) لا تكرار فيها وفيما قالوه تكرار .

(٣) ليس كل قتل يكون نافيا للقتل وإنما يكون ذلك إذا كان على جهة القصاص

(٤) حسن التأليف وشدة التلاؤم المدركان بالحس فيها لا فى ما قالوه .

(٥) أن فيها الطباق للجمع بين القصاص والحياة وهما كالضدين كما ستعرف ذلك فى البديع .

(٦) أن فيها التصريح بالمطلوب وهو الحياة بالنص عليها فيكون أزجر عن القتل بغير حق وأدعى إلى الاقتصاص .

(٧) أن القصاص جعل فيها كالمنبع للحياة والمعدن لها بادخال فى عليه ، فكأن أحد الضدين وهو الفناء صار محلا لضـــده الآخر وهو الحياة ، وفى ذلك ما لا يخفى من المبالغة ، وقد نظم أبو تمام معنى ما ورد عن العرب فى شطر بيت فقال:

وأخافكم كى تغمدوا أسيافكم [إن الدّم المُغبّر يحرُسه الدم]

كما للسنة النبوية من ذلك الحظ الأوفر يرشد إلى ذلك قوله عليه الســـلام « أوتيتُ جوامع الكلم واختصر لى الكلام اختصارا » .

فمن ذلك قوله : المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وعـوّدوا كل جسم ما اعتاد فهو قد جمع من الأسرار الطبية الشىء الكثير ، وقوله الطمع فقر واليأس غنى .

وقول على كرم الله وجهه ثمرة التفريط الندامة ـــ لكل مقبل إدبار وما أدبر كان كأن لم يكن ـــ لا يعدَمنّ الصبورُ الظفر وإن طال به الزمان ـــ من استقبل وجوه الآراء عرف وجوه الخطأ ـــ من أحدّ سنان الغضب لله قوى على قتل أسد الباطل .

---

(١) فاضل بينهما السيوطى فى الاتقان بأكثر من عشرين وجها أهمها ماذكرنا .

وقول بعض الأعراب : اللهم هب لى حقك وأرض عنى خلقك ! فلما سمعه على عليه السلام قال هذا هو البلاغة ، وقول السموءل بن عاديا الغسّانى :

وإنْ هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيلُ

فقد اشتمل على مكارم الأخلاق من سماحة وشجاعة وتواضع وحلم وصبر وتكلف واحتمال مكاره إذ كل هذه مما تضيم النفس لما يحصل فى تحملها من المشقة والعناء

المبحث الثالث فى المساواة (١) — إيجاز التقدير

هى التعبير عن المعنى المقصود بلفظ مساو له لفائدة (٢) ، بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر حتى لو نقص اللفظ تطرق الخرم إلى المعنى بمقدار ذلك النقصان.

وهى المذهب المتوسط بين الإيجاز والأطناب وإليها يشير القائل كأن ألفاظه قوالب معانيه ، كقوله تعالى (من كفر فعليه كفره — كل امرىء بما كسب رهين ، ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره) .

وقوله عليه السلام « الحلال بيّن والحرام بيّن وبين ذلك مشتبهات — إنما الأعمال بالنيّات وإنما لكل امرىء ما نوى — الضعيف أمير الرّكب » .

وقول على كرم الله وجهه عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته قد بصّرتم إن أبصرتم وهُديتم إن اهتديتم .

---

(١) وهى لا تحمد ولا تذم إذ لا يحتاج فيها إلى اعتبار نكتة بل يكفى فيها عدم المقتضى للعدول عنها إلا إذا اقتضى المقام تأدية أصل المعنى وراعاه البليغ فان ذلك يكون محمودا ومن هذا ماجاء فى القرآن الكريم والحديث الشريف وغيرهما من كلام فصحاء العرب .

(٢) وهو كون المأتى به هو الأصل ولا داعى للعدول عنه .

المبحث الرابع فى الاطناب

هو لغـة مصدر أطنب فى كلامه إذا بالغ فيه وطوّل ذيوله ، وإصطلاحا زيادة اللفظ على المعنى لفـائدة ، فخرج بذكر الفائدة التطويل والحشو والفرق بينهما أن الزائد إن كان غير متعين كان تطويلا ، وإن كان متعينا كان حشوا وكلاهما بمعزل عن مراتب البلاغة فالأول نحو :

ألا حبذا هند وأرض بها هند ... وهند أتى من دونها النأى والبعد

فالنأى والبعد واحد ولا يتعين أحدهما للزيادة .

والثانى ضربان :

(ا) ما يفسد به المعنى كقول أبى الطيب فى رثاء غلام لسيف الدولة :

ولا فضل فيها للشجاعة والندى ... وصبر الفتى لولا لقـاءُ شعوب

يريد أنه لا خير فى الدنيـا للشجاعة والصبر لولا الموت ، وهذا حسن جميل لأنهما إنما عدا من الفضائل لمـا فيهما من الاقـدام على الموت واحتمال المكاره ، ولو علم الانسان أنه خالد فى الدنيا هان عليه اقتحام المخاطر ، كما أنه لو أيقن بزوال المكروه صبر لوثوقه بالخلاص ـــ أما النـدى فعلى العكس من ذلك لأن الموت يجعل البذل سهلا إذ من علم أنه ميت فهو جدير أن يجود بماله كما قال طرفه :

فان كنت لا تستطيع دفع منيَّتى ... فذرنى أبادرها بمـا ملكت يدى

فهو حشو مفسد ، وقد اعتذر له بعض الناس بما فيه تكلف وتعسف .

(ب) ما لا يفسد به كقول أبى العيال الهذُلى :

ذكرتُ أخى فعـــاودنى ... صُداع الرأس والوَصَب (١)

فذكر الرأس مع الصداع حشو لأنه لا يكون فى غيره من الأعضاء ، وقول أبى عدى :

---

(١) الوصب نحول الجسم من تعب أو مرض .

نحن الرءوس وما الرءوس إذا سمت في المجد للأقوام كالأذناب

فان قوله للأقوام حشو لا فائدة فيه مع أنه غير مفسد .

تنبيه : قال بدر الدين بن مالك فى المصباح

يكثر الحشو بلفظ أصبح وأمسى وعدا وألا وقد واليوم ولعمرى وياصاحبي كما قال أبو تمام :

أقروا (لعمرى) بحكم السيوف وكانت أحق بفصل القضـــا

وكما قال البحترى :

ما أحسن الأيام إلا أنها (يا صاحبىّ) إذا مضت لم ترجع

والداعى إليه إما اصلاح وزن الشعر أو تناسب القوافى وحروف الروى أو قصد السجع فى النثر .

ويكون الاطناب بأمور شتى منها :

(١) الإيضاح بعد الابهام ليرى المعنى فى صورتين مختلفتين وليتمكن فى النفس فضل تمكن ، فان الكلام إذا قرع السمع على جهة الابهام ذهب السامع فيه كل مذهب ، فإذا وضح تمكن فى النفس فضل تمكن وكان شعورها به أتم ، ومنه قوله تعالى (وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) فقوله أن دابر هؤلاء تفسير لذلك الأمر تفخيما لشأنه ، ولو قيل وقضينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع لم يكن له من الروعة مثل ما كان له حين الابهام - يرشد إلى ذلك أنك لو قلت هل أدلكم على أكرم النـاس أبا وأفضلهم حسباً وأمضاهم عزيمة وأنفذهم رأيا ثم قلت فلان كان أدخل فى مدحه وأنبل وأفخم مما لوقلت فلان الأكرم الأفضل .

ومن ضروبه باب نعم وبئس على قول من يجعل المخصوص خبر مبتدإ محذوف إذ لو أريد الاختصار لقيل نعم محمد وبئس أبو لهب عوضا من قولك نعم الرجل محمد وبئس الرجل أبو لهب .

ووجه حسنه إبراز الكلام فى معرض الاعتدال نظرا إلى أطنابه من وجه

وإيجازه من وجه آخر ، إلى إيهام الجميع بين المنافقين .

والتوشيع[1] وهو أن يؤتى فى عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين أحدهما معطوف على الآخر نحو قوله عليه السلام « خصلتان لايجتمعان فى مؤمن ، البخل وسوء الخلق » وقول ابن الرومى يمدح عبد الله بن وهب :

إذا أبو قاسم جادت لنا يده ... لم يحمد الاجودان البحر والمطر

وإن أضاءت لنا أنوار غرّته ... تضاءل النيران الشمسُ والقمرَ

(٢) ذكر الخاص بعد العام تنبيها إلى ماله من المزية حتى كأنه ليس من جنس العام وتنزيلا للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الذات كقوله تعالى (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) فذكر جبريل وميكال مع دخولهما فى الملائكة للتنبيه على زيادة فضلهما .

(٣) التكرير وقد جاء فى القرآن الكريم وكلام العرب منه شىء كثير ، ويكون إما :

(ا) للتأكيد كقوله تعالى (كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون) وقوله

كم نعمة كانت لكم كمْ كمْ وكم

(ب) لزيادة التنبيه إلى ماينفى التهمة ليكمل تلقى الكلام بالقبول نحو (وقال الذى آمن ياقوم (٢) اتبعون أهدكم سبيل الرشاد) ياقوم إنما هذه الحياة الدنيامتاع .

(جـ) لتعدد المتعلق كما كرر الله عز وجل فى سورة الرحمن قوله (فبأى آلاء ربكما تكذبان) لأنه تعالى عدد فيها نعماءه وذكر عباده آلاءه ونبههم إلى قدرها وقدرته عليها ولطفه فيها ، وجعلها فاصلة بين كل نعمة ليعرف موضع ما أسداه إليهم منها ، وقد جاء مثل ذلك كثيرا فى كلام العرب ألا ترى إلى مُهلهل وقد كرر

---

(١) لغة لف القطن المندوف (٢) إذ تكرار ياقوم مع إضافته إلى ياء المتكلم يفيد بعد القائل عن التهمة فى النصح ، إذ أنهم قومه فلا يريد لهم إلا مايريده لنفسه .

قوله (على أن ليس عـدلا من كليب [1]) فى أكثر من عشرين بيتا من قصيدته ، وإلى الحرث بن عُباد وقد كرر قوله (قربا مني مربط النعـــامة [2]) أكثر من سابقه — لأنهما رأيا الحاجة ماسة إلى التكرير والضرورة داعية إليه لعظم الخطب وشدة موقع النكبة .

(٤) الايغال (٣) وهو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدون التصريح بها وذلك إما :

(ا) لزيادة المبالغة والتأكيد كقول الخنساء :

وإن صخرا لتـأتم الهُداةُ به   كأنهُ علَم فى رأسه نارُ

فقولها فى رأسه نار من الايغال الحسن إذ لم تكتف بأن تشبهه بالعلم الذى هو الجبل المرتفع المشهور بالهـــداية حتى جعلت فى رأسه نارا لمـا فى ذلك من زيادة الظهور والانكشاف .

(ب) لتحقيق التشبيه كقول امرىء القيس :

كأن عيون الوحش حولَ خبائنا   وأرحلنا الجَزْعُ الذى لم يُثقَّب (٤)

فقد أكد التشبيه وأظهر رونقه بقوله لم يثقب لأن الجزع إذا كان غير مثقوب كان بالعيون أشبه ، وقيل لايختص بالشعر بل يكون فى النثر كقوله تعالى (اتبعوا من لايسألكم أجرا وهم مهتدون) فان الرسل مهتدون لامحالة فالمعنى يتم بدون التصريح بقوله (وهم مهتدون) إلا أن فيه زيادة حث وترغيب على اتباع الرسل .

(٥) التذييل (٥) وهو الاتيان بجملة مستقلة عقب الجملة الأولى التى تشتمل على معناها للتأكيد وهو ضربان .

---

(١) العدل النظير وتكملة البيت الأول منها إذا طرد اليتيم عن الجزور (٢) وتتمه آخر بيت فيها قوله لبجيرفداه عمى وخالى . والنعامة فرسه وبجير ابنه كان قد قتله مهلهل فى حرب البسوس فقال الحرث ذلك حين الأخذ بالثأر (٣) من أوغل فى البلاد إذا أبعد فيها .
(٤) الجزع بفتح الجيم خرز يمانى فيه بياض وسواد تشبه به العيون (٥) هو أعم من الايغال من جهة أن يكون فى الآخر وغيره وأخص من جهة أن الايغال قد يكون بغير الجملة ولغير التوكيد .

(ا) أن يخرج مخرج المثل بأن يقصد بالجملة الثانية حكم كلى منفصل عما قبله جار مجرى الأمثال فى فشو الاستعمال نحو (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) وقول الحطيئة :

تزور فتى يعطى على الحمد ماله ‎ ‎ ‎ ‎ ومن يُعْطِ أثمان المكارم يُحْمَد

(ب) ألا يخرج مخرج المثل بألا يستقل بالأفادة دون ما قبله نحو قول ابن نباتة السعدى :

لم يُبق جودُك لى شيئا اؤمِّله ‎ ‎ ‎ ‎ تركتَنى أصحَبُ الدنيا بلا أمل

وقوله تعالى (ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يُجازَى إلا الكفور) (١).

وينقسم أيضا إلى :

(ا) ما كان تأكيدا لمنطوق الكلام كالآية وقل جاء الحق الخ .

(ب) ما كان تأكيداً لمفهومه كقول النابغة :

ولستَ بمستبق أخا لا تَلُمُّه ‎ ‎ ‎ ‎ على شَعث أىُّ الرجال المهذَّب (٢)

فصدر البيت دل بمفهومه على نفى الكامل من الرجال وقد حقق ذلك بعجزه .

(٦) التكميل ويسمى الاحتراس أيضا ، وهو أن يؤتى فى كلام يوهم خلاف المراد بما يدفعه ، وهو ضربان :

(ا) أن يتوسط الكلام كقوله :

لو أنّ عزّةَ خاصمَت شمسَ الضُّحى ‎ ‎ ‎ ‎ فى الحسن (عند موفَّق) لقضى لها

إذ التقدير عند حاكم موفق فقوله موفق تكميل ، وقول ابن المعتز :

صَبَبْنا عليها (ظالمين) سياطنا ‎ ‎ ‎ ‎ فطارت بها أيد سراعٌ وأرجلُ

---

(١) إذ المراد ذلك الجزاء المخصوص وهو إرسال سيل العرم وتبديل الجنتين على قول. وقيل إن المراد مطلق الجزاء وهى المكافأة خيرا أو شرا وعلى هذا يكون من الجارى مجرى المثل (٢) الشعث التفرق والخصال الذميمة والاستفهام إنكارى وتلمه من لم الشىء جمع بعضه إلى بعض وهو حال من أخا لأن المقصود منه العموم لا الخصوص .

فقوله ظالمين تكميل دفع به توهم أنها بليدة تستحق الضرب .

(ب) أن يقع آخر الكلام كقوله تعالى (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) فانه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين لتوهم أنها ناشئة من ضعفهم فدفع هذا بقوله أعزة على الكافرين.

وقول السموءل بن عادياء :

وما مات منا سيّدٌ فى فراشه ولا طُلّ منّا حيث كان قتيل

فانه لو اقتصر على وصف قومه بشمول القتل إياهم فربما علق بالوهم أن ذلك لضعفهم وقلتهم فأزال هذا الوهم بالانتصار من قاتليهم .

(٧) التتميم وهو أن يؤتى فى كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة كمفعول أو حال أو نحو ذلك ، لقصد المبالغة (١) كقول زهير يمدح هرم بن سنان :

من يلق يوما على علاته هرما يلق السماحة منه والندى خُلقا

فقوله على علاته أى على كل حال أو على ما فيه من الأحوال والشئون ، تتميم وقع فى غاية الحسن والرشاقة .

(٨) الاعتراض وهو أن يؤتى فى أثناء الكلام (٢) أو بين كلامين متصلين معنى (٣) بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب (٤) لنكتة سوى دفع الإيهام (٥) .

وهو من دقائق البلاغة وساحر البيان (٦) ، وفائدته إما :

(ا) التنزيه والتعظيم كقوله تعالى (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون) فسبحانه (٧) مسوق للتنزيه عن اتخاذ البنات .

(ب) أو التقرير فى نفس السامع نحو (وإذ قتلتم نفساً فادارأتم (٨) فيها والله

---

(١) فالمتكلم محاول ألا يدع شيئاً مما به يتم حسن المعنى (٢) خرج الايغال لأنه فى الآخر (٣) بأن يكون الثانى بيانا للأول أو تأكيداً أو بدلا منه (٤) خرج التتميم لوجود الاعراب فيه (٥) خرج التكميل (٦) لما فيه من حسن الافادة مع مجيئه مجىء ما لا معول عليه فى الافادة فهو كالحسنة تأتى من حيث لا ترتقب (٧) هو جملة لأنه مصدر بتقدير الفعل. (٨) تدافعتم واختصمتم .

مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا أضربوه ببعضها) فقوله والله مخرج جاءت معترضة لتقرير أن تدافع بنى إسرائيل فى قتل النفس ليس نافعاً فى إخفائه وكتمانه لأن من لا تخفى عليه خافية مظهره لامحالة .

(ج) أو التصريح بما هو المقصود كقول كثير عزة :

لَو أن الباخلين وأنت منهم رأوك تعلّموا منك المطالا

فقوله وأنت منهم تصريح بما هو المقصود من ذمه وتأكيد لانصراف الذم اليه .

(د) أو الدعاء كقول أبى الطيب :

ويحتقر الدنيا احتقارَ مجرّب يَرى كلّ مافيها وحاشاك فانيا

فقوله وحاشاك اعتراض حسن فى موضعه ، والواو فى مثله اعتراضيه ليست عاطفة ولاحالية (١) .

(ﻫ) أو تنبيه المخاطب على أمر يؤكد الإقبال على ما أُمر به مما فيه مسرته كقوله :

واعلم فعلمُ المرء ينفعـــه أنْ سوف يأتى كل ماقُدرا

(و) أو الاستعطاف كقول المتنبي :

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه ياجنّتى لرأيت فيـــه جهنما

(ز) أو تنبيه المخاطب على أمر غريب كقوله :

فلا هجره يبدو وفى اليأس راحةٌ ولا وصله يبدو لنـا فنكارمه

فإن قوله فلا هجره يبدو يشعر بأن هجر الحبيب أحد مطلوبيه وغريب أن يكون هجر الحبيب مطلوبا للمحب فقال (وفى اليأس راحة) لينبه إلى السبب .

ومما جاء بين كلامين متصلين معنى وهو أكثر من جملة أيضا قوله تعالى

(١) الفرق بين الواو الحالية والاعتراضية بالقصد فان قصد كون الجملة قيدا للعامل فهى حالية وإلا فهى اعتراضية .

(فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم) فان قوله نساؤكم حرث لكم بيان لقوله فأتوهن من حيث أمركم الله لإفادة أن الغرض الأصلي من الإتيان هو طلب النسل لاقضاء الشهوة فقط وما بينهما اعتراض للترغيب فيما أمروا به والتنفير عما نهوا عنه .

(٩) النفي والإثبات بأن يذكر الشيء على جهة النفي ثم يثبت أو بالعكس نحو (وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) نفى عنهم أولا العلم بما خفي عليهم من تحقيق وعده ثم أثبت لهم آخرا العلم بظاهر الحيـــاة الدنيا دون ما كان مؤدياً إلى الجنة .

(١٠) ما كان كقولهم رأيته بعيني ، وقبضته بيدي ، ووطئته بقدمي ، رذقته بلساني — يذكرون الظروف فيما يصعب حصوله دلالة على أن نيله ليس بمتعذر وعلى هذا جاء قول البحتري :

تأمل من خلال السِّجْف وانظر ... بعينك ما شربت ومن سقاني

تجد شمس الضحى تدنو بشمس ... إليَّ من الرحيق الخُسْرُواني [1]

لحضور مثل هذا المجلس نادر ولا سيما إذا كان الساقي فيه على ما وصف من الحسن ومن ثم قال انظر بعينك .

(تنبيه) قد يوصف الكلام بالايجاز والأطناب باعتبار كثرة حروفه وقلتها بالنسبة إلى كلام آخر مساويا له في أصل المعنى كقول الشّماخ يمدح عرابة الأوسي :

إذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين

(١) السجف بالكسر والفتح الستر وجمعه سجوف وأسجاف وهو ستران مقرونان بينهما فرجة أو هو كل باب ستر يستر من مقرونين وكل شق سجف وسجاف وأسجف الستر أرسله ، والخسرواني ضرب من الشراب منسوب إلى خسراوية ببلاد فارس :

مع قول بشر بن أبي حازم يمدحه أيضاً :

إذا ما المكرمات رُفعن يوماً　　وقصّر مبتغوها عن مداها [1]
وضاقت أذرع المثرين عنها　　سما أوسٌ إليها فاحتواها

المبحث الخامس

الإيجاز أفضل أم الأطناب

مواضع كل منهما :

اختلفت آراء الأئمة فى تفضيل الإيجاز على الأطناب أو العكس .

فن مفضِل للإيجاز كشبيب بن شيبة إذ يقول القليل الكافى خير من كثير غير شاف ، ويقول آخر إذا طال الكلام عرضت له أسباب التكلف ولا خير فى شيء يأتى به التكلف .

ومن مرجح للأطناب وحجته أن المنطق إنما هو البيان ، والبيان لا يكون إلا بالإشباع ، والشفاء لا يقع إلا بالإقناع ، وأفضل الكلام أبينه ، وأبينه أشده إحاطة بالمعانى ولا يحاط بالمعانى إحاطة تامة إلا بالاستقصاء — أضف إلى ذلك أن الإيجاز للخواص ، والأطناب مشترك بين الخاصة والعامة والغبي والفطن .

والمختار، ان الحاجه إلى كل ماسة ، وأن لكل موضعاً لا يسد عنه فيه سواه ، فن استعمل أحدهما فى موضع الآخر فقد أخطأ ، قال جعفر بن يحيي متى كان الإيجاز ابلغ كان الاكثار عيا ، ومتى كانت الكفاية فى موضع الإكثار كان الايجاز تقصيراً يرشد إلى ذلك قول القائل يصف خطباء إياد .

يرمون بالخطب الطوال وتارة　　وحى المَلَاحظ خشية الرُّقَباء [2]

---

(١) رفع المكرمات يراد به بروزها للطالبين ومبتغوها طالبوها ، واحتواها أخذها .

(٢) الوحى الاشارة بالكلام الخفى والملاحظ جمع ملحظ كمطلب الحظ ووحى منصوب على المصدر أى تارة يوحون أى يأتون بكلام سريع خفى كحال من ينظر إلى حبيبه بمؤخر عينيه خوفا من الرقباء .

وقد استحبوا الايجاز فى المواضع الآتية :

(١) الكتب الصادرة عن الملوك الى الولاة فى أوقات الحروب والأزمات .

(٢) الأوامر والنواهى السلطانية

(٣) كتب السلطان بطلب الخراج وجباية الأموال وتدبير الأعمال .

(٤) كتب الوعد والوعيد .

(٥) الشكر على النعم التى تسبغ ، والعوارف التى تسدى .

(٦) الاستعطاف وشكوى الحال وسؤال حسن النظر وشمول العناية .

(٧) التنصل من الذنب ، والاعتذار من التقصير بايراد الحجج التى تقنع المخاطب وتزيل موجدته .

واستحسنوا البسط والأطناب فى المواضع التالية .

(١) ما يكتب به عن الملوك فى جسيمات الأمور التى يراد تقريرها فى نفوس العامة كأخبار الفتوح المتجددة ، فهذا موضع يشبع فيه القول حتى تعرف الرعية قدر النعمة فتزيد فى الطاعة ، ولا بأس من تهويل أمر العدو ووصف جمعه وعظيم إقدامه ، لأن فى تصغير أمره تحقيرا للظفر به .

(٢) ما يكتب به عن الملوك الى أهل الثغور فى أوقات التحرش بالمملكة واقدام العدو على الهجوم عليها ليعلموا ذلك فيستعدوا للقاء .

(٣) مايكتب به الولاة ومن فى حكمهم الى الملوك لاخبارهم بأحوال ماينظرون فيه من الأعمال وما يجرى على أيديهم من مهام الأمور .

(٤) الموعظة والارشاد بالترغيب فى الطاعة والنهى عن المعصية ، حتى يرتاح قلب المطيع وينبسط أمله ويرتاع قلب المسىء ويأخذ الخوف منه كل مأخذ .

(٥) الخطب فى الصلح بين العشائر لاصلاح ذات البين .

(٦) المدح والثناء والهجاء .

أسرار البلاغة فى الإيجاز والأطناب

قد عرفت كلا من الايجاز والأطناب ومواضع كل منهما فعليك أن تعرف الدواعى التى لأجلها استعملتهما العرب فى كلامها .

فمن دواعى الايجاز :

(١) سهولة الحفظ فقد روى أن الخليل بن أحمد قال : يختصر الكتاب ليحفظ، ويبسط ليفهم ، وقيل لأبى عمرو بن العلاء : هل كانت العرب تطيل قال نعم كانت تطيل ليسمع منها ، وتوجز ليحفظ عنها .

(٢) إخفاء الأمر عن غير المخاطب

(٣) ضيق المقام خوف فوات الفرصة

(٤) ذكاء المخاطب حيث تكفيه اللمحة والوحى والإشارة .

ومن دواعى الاطناب :

(١) توكيد المعنى وتثبيته فى النفس ، أفلا ترى إلى قوله تعالى فى باب الموعظة (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون ، أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ، أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .)

(٢) دفع اللبس الذى كان يحتمل وجوده مع الايجاز واعتبر ذلك بما تراه فى قوله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) فكلمة القلب تحتمل أحد معنيين البطنة من اللحم والفهم والادراك . لهذا أتى بكلمة فى جوفه ليتعين المعنى الثانى ويزول اللبس ، وقوله تعالى (فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) فأتى بكلمة فى الصدور لدفع اللبس بأن المراد بها العيون الباصرة .

(٣) التعظيم والتهويل ، أنظر إلى قوله تعالى (إذا الشمس كورت ، وإذا النجوم انكدرت ، وإذا الجبال سيرت ، وإذا العشار عطلت ، وإذا الوحوش حشرت ، وإذا البحار سجرت ، وإذا النفوس زوجت ، وإذا الموءودة سئلت

بأى ذنب قتلت ، وإذا الصحف نشرت ، وإذا السماء كشطت ، وإذا الجحيم سعرت ، وإذا الجنة أزلفت ، علمت نفس ما أحضرت) إذ كان يكفى فى الدلالة على وقت علم النفس ما أحضرت قوله (إذا الشمس كورت) أو غيره مما بعده من الاثنى عشر المذكورة ، لكنه عددها لتهويل شأن هذا اليوم .

تدريب أول

بين الايجاز والاطناب والمساواة مع ذكر السبب فيما يلى :

(١) أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون . أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون . أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .

(٢) إن للمتقين مفازا حدائق وأعنابا وكواعب أترابا .

(٣) وقال أعرابى إن شككت فىّ فاسأل قلبك عن قلبى .

(٤) واحرص على حفظ القلوب من الأذى   إنّ الزجاجة كَسرها لا يشْعبُ .

(٥) والشفع والوَتر و لليل إذا يسر هل فى ذلك قَسم لذى حِجْر .

(٦) جزى الله عنّا جعفرا حين أزلقت   بنا نعلنا فى الواطئين فزلّت .

هُم خالطونا بالنفوس وألجئوا   إلى حُجُرات أدفأت وأظلت .

(٧) أخرج منها ماءها ومرعاها .

(٨) وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين .

الاجابة

الرقم	التعبير ونوعه	السبب
(١)	إطناب	بالتكرار للتأكيد والإنذار والتهديد لهم على سوء فعلهم
(٢)	إطناب	بالايضاح بعد الابهام فقد فسر ذلك الفوز بقوله حدائق وأعنابا
(٣)	إيجاز بالقصر	إذ سؤال القلب عن القلب يشمل معانى كثيرة فالقلب موضع الحب والبغض ومستودع السر والشكوى
(٤)	إطناب	بالتذليل الجارى مجرى المثل
(٥)	إيجاز بالحذف	لحذف جواب القسم تقديره وحق هؤلاء لأعذبن أولئك بدليل قوله بعد ألم تر كيف فعل ربك بعاد
(٦)	إيجاز بالحذف	لحذف المفاعيل إذ التقدير ألجئونا وأظلتنا وأدفأتنا
(٧)	إيجاز بالقصر	إذ دل بشيئين على جميع ما أخرجته الأرض قوتا ومتاعا للناس من العشب والشجر والحطب واللباس والنار والماء
(٨)	إيجاز بالقصر	إذا جمعت نعم الجنة مما لا تحصره الافهام ولا يخطر لك على بال

تدريب ثان

(١) علّمتنى نبوتك سلوتك ، وأسلمنى يأسى منك الى الصبر عنك.

(٢) فأنّ مع العسر يُسرا إنّ مع العُسر يسرا

(٣) والسعى فى الرزق والأرزاقُ قد قسمت   بغىٌ ألا إنّ بغى المرء يصرعه

(٤) لا تودع السرّ وشّاء به مذلا   فما رعى غنما فى الدوّ سرحان

(٥) ومن يتوكّل على الله فهو حسبه .

(٦) ألا حبّــذا حبّــذا   حبيب تحمّلت منه الأذى

(٧) قال أبو دعبل الجمحى يمدح النبي عليه السلام :

نزر الكلام من الحياء تخاله ضمنا وليس بجسمه سُقْم

(٨) أفمَنْ شرح اللهُ صدرَه للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله .

الإجابة

الرقم	نوع التعبير	السبب
(١)	مساواة	إذ ألفاظه قدر المعانى التى نحا نحوها من البث والشكوى
(٢)	إطناب	بالتكرير لقصد التوكيد وتثبيت المعنى المراد
(٣)	إطناب	بالاعتراض فى قوله والأرزاق قد قسمت ، وبالتذييل الجارى مجرى المثل فى قوله ألا إن بغى المرء يصرعه
(٤)	إطناب	بالتذييل الجارى مجرى المثل فى الشطر الثانى
(٥)	إيجاز بالقصر	لأن ألفاظه أقل من معانيه فقد دخل تحت قوله فهو حسبه من المعانى مايطول شرحه من إيتاء مايرجى وكفاية مايخشى
(٦)	إطناب	بالتكرير للتأكيد
(٧)	إطناب	بالتكميل بذكر من [الحياء] دفعا لتوهم أن ذلك من عىّ
(٨)	إيجاز بالحذف	إذ التقدير كمن لم يشرح صدره

تمرين أول

بين الإيجاز والإطناب والمساواة وأسبابها فيما يلى :

(١) يهون بالرأى مايجرى القضاء به من أخطأ الرأى لايستذنبُ القدرا (١)

(٢) وقال الذى آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ، ياقوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هى دار القرار .

---

(١) استذنب القدر نسب اليه الذنب .

(٣) تراه كأن الله يجدع أنفه (وعينيه) إنْ مولاه ثاب له وفر
(٤) أسجنا وقيدا واشتياقا وغربة ونأى حبيب ان ذا لعظيم
وإن امرأ دامت مواثيق عهده على مثل هذا إنه لكريم
(٥) ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهوْن عن المنكر.
(٦) ولو أن قرآنا سُيّرت به الجبال أو قُطّعت به الأرض أو كلّم به الموتى بل لله الأمر جميعا.
(٧) فسائل هداك الله أىّ بنى أب من الناس يسعى سعينا ويقارض
(٨) سئل بعض الأدباء ماكان سبب موت أخيك فقال (كونه) فأحسن ما شاء.
(٩) (إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنى سميتها مريم).

تمرين ثان

(١) فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولوقطعوا رأسى لديك وأوصالى
(٢) (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا)
(٣) وقال عليه السلام «حبّك الشيء يُعمى ويُصمّ».
(٤) فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لوتعلمون عظيمٌ إنه لقرآن كريم.
(٥) لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبّون.
(٦) حليم إذا ما الحلم زيّن أهله مع الحلم فى عين العدو مهيب
(٧) فدعوْا نزال فكنت أول نازل وعلام أركبه إذا لم أنزل
(٨) وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا.

(٧) وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت .

نموذج عام على المعانى

تكلم من المعانى على ما يأتى :

يهوى الثناء مبرز ومقصر حب الثناء طبيعة الإنسان

الإجابة

إن تطبيق جملة من النثر أو بيت من الشعر على فن المعانى يستدعى أن نستعرض أبوابه فنرى فى هذا البيت .

(١) جملتان خبريتان أولاهما فعلية مضارعية تقتضى الاستمرار التجددى بدليل أن الغرض الموعظة ، والثانية اسمية تفيد الاستمرار والدوام كما هو شأن الأخلاق والغرائز .

(٢) كل من الجملتين ضرب ابتدائى خال من المؤكدات .

(٣) ذكر المفعول لأن القصد تعلق الفعل به .

(٤) قدم المفعول على المسند إليه فى الجملة الأولى لأنه الأهم فى الكلام .

(٥) نكر المسند إليه لقصد التعميم .

(٦) عرف المفعول بأل لإرادة الجنس .

(٧) فصل بين الشطرين لأن بينهما شبه كمال الاتصال لأن الثانية جواب عن سؤال مقدر .

(٨) فى البيت إطناب بالتذييل الجارى مجرى المثل .

نموذج ثان

أنشأ يمزق أثوابى يؤدبنى أبعد شيبى عندى يبتغى الأدبا

الإجابة

(١) فى الشطر الأول جملتان خبريتان من الضرب الابتدائى ، وفى الشطر الثانى جملة إنشائية .

(٢) الغرض من إلقاء الخبر فيهما التحسر على تلك المعاملة القاسية التى عامله بها ابنه .

(٣) قدم الظرف وهو بعد فى الشطر الثانى لأنه محط الانكار .

(٤) الاستفهام فيه للتوبيخ .

(٥) قيد الجملة الأولى بتابع وهو عطف البيان لغرض الإيضاح والبيان وقيد الجملة الثانية بظرف الزمان لأنه هو المقصود بالإنكار .

(٦) فصل بين جملتى أنشأ ويؤدبنى لأن بينهما كمال الاتصال لأن الثانية بيان للأولى ، وبين جملتى أنشأ وأبعد شيئ لأن بينهما كمال الانقطاع لاختلافهما خبرا وإنشاء .

(٧) فى البيت اطناب بالتذييل غير الجارى مجرى المثل .

علم البيان

البيان لغة الكشف والإيضاح يقال فلان أبين من فلان أى أوضح منه كلاماً واصطلاحا علم يستطاع بمعرفته إبراز المعنى الواحد فى صور مختلفة وتراكيب متفاوتة فى وضوح الدلالة مع مطابقة كل منها مقتضى الحال .

وتقييد الاختلاف بالوضوح لتخرج الألفاظ المترادفة كليث وأسد وغضنفر فإنها وإن كانت طرقا مختلفة لإيراد المعنى الواحد فاختلافها إنما هو فى اللفظ والعبارة لافى الوضوح والخفاء .

واللام فى المعنى الواحد للإستغراق العرفى أى كل معنى يدخل تحت قصد المتكلم وإرادته فلوعرف أحد إيراد معنى واحـــد كقولنا على جواد بطرق مختلفة لم يكن بذلك عارفا بالبيان .

إيضاح هـذا التعريف أن الضليع بهذا الفن إذا حاول التعبير عما يختلج فى صدره من المعانى وجد السبيل ممهدا فيختار ماهو أليق بمقصده وأشبه بمطلبه من فنون القول وأساليب الكلام فإذا حث همة الشجعان على اقتحام غمار الوغى بهرهم بساحر بيانه وعظيم إحسانه ، فإن شاء شبههم بأسود خفان فقال كأنكم أسود لها فى غيل خَفّان (١) أشبل ، وأن شاء استعار وقال إنى أرى هنا أسودا تتحفّز للكر والفر وتثب لاقتناص فرائسها ولها قرم (٢) إلى الأخذ بنواصيها وحز أرؤسها ، وإن أراد كنى عن مقصده وورى عن مراده فقال ، البسوا لعدوكم

(١) مأسدة مشهورة بضراوة أسدها (٢) شهوة الطعام

جلد النمر [1] واقلبوا له ظهر المجن فإنه قد ورم أنفه عليكم وداسكم تحت أقدامه .

هنالك تناديه القلوب وتتسابق إليه الفرسان قائلة لبيك لبيك ها نحن أولاء نحمى الذمار ، ونجير الجار ، ونجدّل الأقران ، ونصرعهم فى الميدان ، ونبيع النفوس رخيصة ونشترى بها المجد والسؤدد .

تبنى كما كانت أو ائلُنا تبنى ونفعل مثل مافعلوا

وإن دعا النفوس لمكرمة وهز العطف لمحمدة أمكنه أن يقول كأنكم البحور يعم فيضها القاصى والدانى وتطم بأنعامها الفقير والغنى ، أو يقول هذه البحور على سواحلها القصاد ، تقذف أمواجها ما يفرج كربة البائس ويدفع الضر عن المعدم ، أو يقول إنى أرى مجدا مد سرادقه وندى ضربت خيامه .

إذ ذاك تسخو كف البخيل ويهتز عطف الكريم وتصبو النفوس لاكتساب المحامد ونيل المجد بالثمن الربيح .

موضوعه اللفظ العربى من حيث التفاوت فى وضوح الدلالة بعد رعاية مطابقته مقتضى الحال .

فائدته — ستعلم عما يلى أن مباحث البيان محصورة فى المجاز على أنحائه أى إنه بمعنى أعم يشمل الكنايه ، وأن التشبيه إنما ذكر فيه لبناء الاستعارة عليه .

والمجاز ثروة كبيرة فى اللغة من جهات عدة منها :

(١) الإكثار من الألفاظ وتعدد الوضع تفننا فى التعبير كتسمية المطر بالسماء والنبات بالغيث على ماسيأتى .

(٢) التذرع إلى الوضع فيما لم يوضع له لفظ من المحسوسات كقولهم ساق الشجرة وإبط الوادى وعنق الابريق وذؤابة الرحل (٢) .

(٢) التذرع إلى الوضع لتمثيل صور المعانى كقولهم نبض [3] البرق. سبح [4] الفرس.

---

(١) كناية عن إظهار العداوة ومثله ما بعده (٢) الجلدة المعلقة على آخر الرحل (٣) لمع خفيفاً أخذوه من نبض العرق (٤) مد يديه فى الجرى كما يفعل السابح .

(٣) الرمز إلى حقائق المعانى كقولهم سافر ولاظهر [١] له وفلان يملك رقبة أى عبدا وهاك مثلا يبين لك اتساع اللغة بالمجاز ذلك أن مادة كف أصلها الكف وهو الجارحة ثم تصرفوا فيها واستعملوها على أنحاء شتى مجازا فقالوا .

كفه عن الأمر إذا منعه كأنه دفعه بكفه من استعمال اللفظ فى لازمه مجازاً مرسلا وكف هو عن الأمر إذا امتنع وهو من وادى سابقه ، واستكف السائل وتكفف إذا طلب بكفه ، واستكف بالصدقة إذا مد يده بها لتعطيه إياها ، وكفة الميزان لشبهها بالكف فى الشكل ، والكفة النقرة المستديرة يجتمع فيها الماء ، واستكفوا حوله إذا أحاطوا به ينظرون إليه ، إلى نحو هذه المعانى التى ترجع كلها إلى معنى الكف .

فالمجاز إذا غذاء اللغة والروح الذى لاتحيا بدونه ولا قوام لها إلا به ، ولولاه ماكنا نرى فيها البهجة والجمال اللذين يتذوقهما كل ناطق بالضاد .

(واضعه) أول من دون مسائل هذا العلم أبو عبيدة مَعْمَر بن المثَّنى فى كتابه (مجاز القرآن) وتبعه الجاحظ وابن المعتز وقُدامة بن جعفر وأبو هلال العسكرى ، ومازال يشدو شيئاً فشيئاً حتى جاء الإمام عبد القاهر فأحكم أساسه وشيد بناءه .

الدلالة

علمت مما سبق أن فائدة هذا العلم إبراز المعنى بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة فناسب تعريف الدلالة وبيان أقسامها فنقول .

الدلالة فهى أمر من أمر والأول المدلول والثانى الدال ، وهى إما لفظية وإما غير لفظية والثانية لاعلاقة لها بمباحث هذا الفن ، والأولى أقسام ثلاثة :

(١) دلالة اللفظ على تمام مسماه وتسمى دلالة المطابقة كدلالة الإنسان والاسد على حقيقتيهما .

---

(١) أى لادابة له يركب ظهرها .

(٢) دلالة اللفظ على بعض مسماه وتسمى دلالة التضمن كدلالة البيت على السقف أو الحائط .

(٣) دلالة اللفظ على لازم معناه كدلالة الانسان على كونه متحركا أو شاغلا لجهـــة أو نحو ذلك . وشرطه اللزوم الذهني (١) (سواء أصاحبه لزوم خارجي أم لا) بحيث يلزم من حصول المعنى الموضوع له في الذهن حصول فيـه اما على الفور أو بعد التأمل في القرائن والامارات ، لكن لايشترط أن يكون اللزوم مما يثبته العقل (٢) بل يكفي أن يكون لعرف عام (٣) أوعرف خاص (٤) كاصطلاحات أرباب الصناعات والاصطلاحات الشرعية واللغوية .

والدلالة الأولى تسمى عند البيانين وضعية ويستحيل تفاوتها وضوحا وخفاء ، لأن السامع لشيء من الألفاظ الموضوعة إما أن يكون عالما بالوضع للمسمى أولا ، فإن كان الأول فانه يعرفه بتمامه بلا زيادة ولا نقصـــان ، وإن كان الثاني فانه لايعرف منه شيئاً أصلا .

والثانية والثالثة تسميـــان عقليتين ، لأن دلالة اللفظ على الجزء واللازم مصدرها العقل الحاكم بأن حصول الكل مستلزم حصول الجزء ووجود الملزوم مستلزم وجود اللازم ، ويتأتى فيهما الاختلاف وضوحا وخفاء ، إذ اللوازم كثيرة بعضها قريب اللزوم يسبق إلى الذهن فهمه بسرعة وبعضها بعيد فيصح اختلاف الطرق فيها ويكون بعضها أكمل من بعض في الافادة ، وكذا يجوز أن

(١) أي أنه لايشترط اللزوم الخارجي أيضاً ألا ترى أن العمى يدل على البصر التزاما إذ هو عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيرا مع التنافي بينهما في الخارج .

(٢) وهو اللزوم البين المعتبر عند المنطقيين وإلا لما تأتي الاختـلاف بالوضوح في دلالة الالتزام ولخرج كثير من المعـاني المجازية والكنائية لأنه ليس بينها وبين ملزوماتها مثل هذا اللزوم .

(٣) كلقاء الحبيب بالنسبة لاختلاج العين إذ كثير من الناس يعتقد أن اختلاج العين يبشر بلقاء الحبيب فاذا قلت لواحد من هؤلاء عيني تختلج فهم من ذلك أنك ستلقى حبيبا .

(٤) كما إذا قلت هذا قدوم على فهم السامع أنه نجار .

يكون المعنى جزءاً من شيء وجزءاً لجزء من شيء آخر فدلالة الشيء الذى ذلك المعنى جزء منه على ذلك المعنى أوضح دلالة من الشيء الذى ذلك المعنى جزء من جزئه على ذلك المعنى ، فدلالة الحيوان على الجسم أوضح (١) من دلالة الإنسان عليه ، ودلالة الجدار على التراب أوضح من دلالة البيت عليه .

وفى هذا مجال لقائل إذ الدلالة الوضعية ربما يعرض لها الوضوح والخفاء - ألا ترى أنا نجد فى أنفسنا ألفاظا محفوظة لدينا معلومة الوضع ومع ذلك يحضرلنا معنى بعضها بنفس الالتفات إليه لكثرة الممارسة أو لقرب العهد باستعماله فى معناه أو لقرب العهد بعلم وضعه ، وبعضها لايحضر معناه إلا بالمراجعة مرة بعد أخرى لطول العهد بعلم وضعه ولعدم تداوله — أضف إلى ذلك أن التركيب الذى فيه تعقيد لفظى لايفهم معناه إلا بعد التأمل مع العلم بوضع جميع ألفاظه — فليس ببعيد إذاً أن تكون قابلة للوضوح والخفاء .

وقد أجيب عن الأول بأن التوقف والمراجعة لطلب تذكر الوضع المنسى لا لخفاء الدلالة بدليل أنا عندما نتذكر الوضع نعلم المعنى من غير توقف ، وعن الثانى بأن الهيئة مختلفة والكلام عند اتفاقها لأن لها دخلا فى الفهم الوضعى .

أبواب الفن

اعلم أن اللفظ إن استعمل فى معناه الموضوع له فحقيقة ، وإن استعمل فى غيره لعلاقة مع قرينه فاما مانعة من إرادة المعنى الأصلى فمجاز ، وإما غير مانعة فكناية .

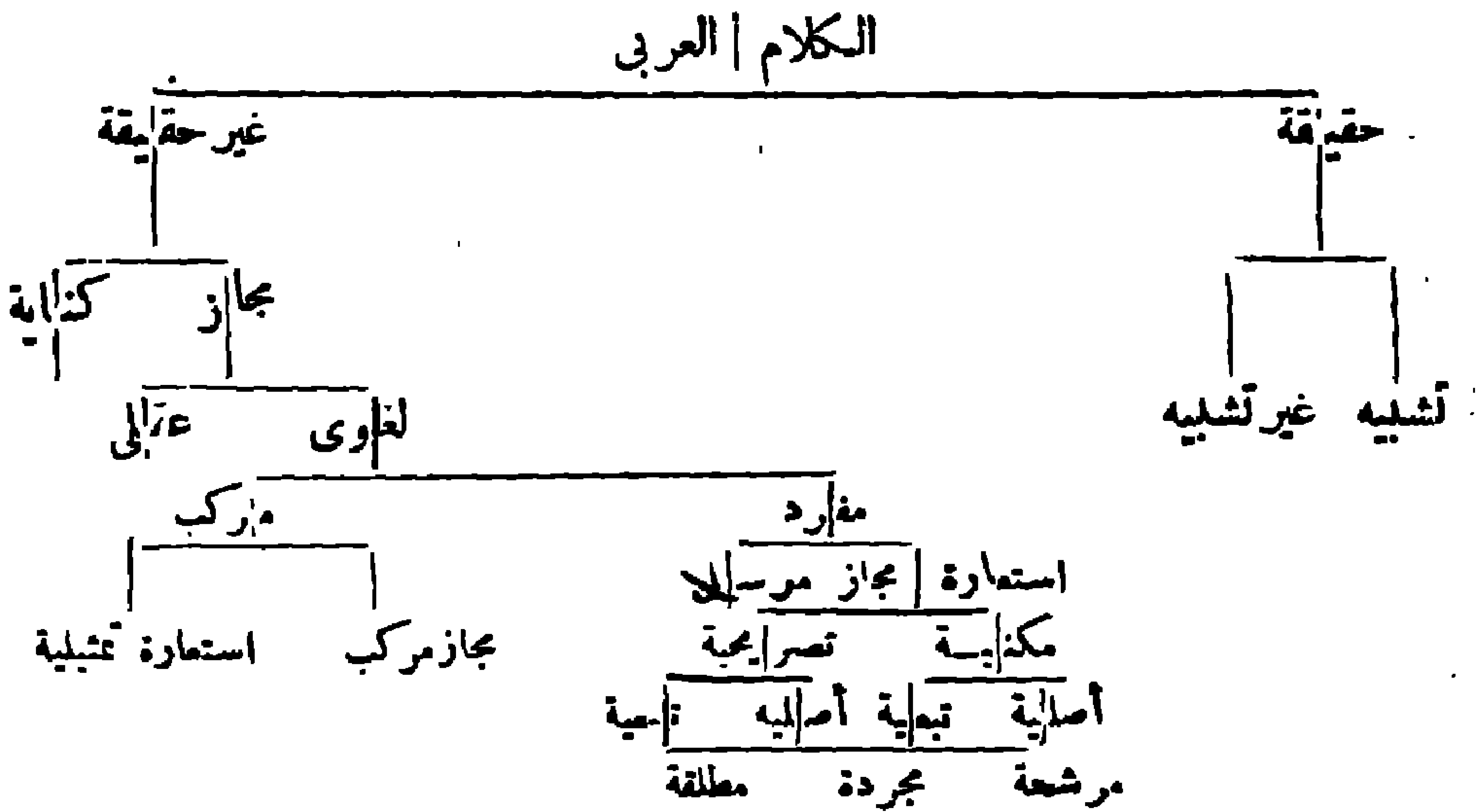
والمجاز إن كان لعلاقة المشابهة فاستعارة مفردا كان أو مركبا ، وإن كان لعلاقة غير المشابهة فإن كان مفردا سمى مجازا مرسلا وإن كان مركبا قيل له مجاز مركب مرسل .

والاستعارة مبنية على التشبيه فوجب التعرض له ، فعلم من هذا ومما تقدم

(١) لأن دلالة الحيوان عليه بلا واسطة بخلاف الثانية .

من أن الدلالة الوضعية لاتتفاوت وضوحا وخفاء على المشهور، أن أبواب هذا الفن أربعة التشبيه . المجاز بقسميه . الكنايه — أما الحقيقة فانما تذكر فيه ليتضح مقابلها وهو المجاز أشد الوضوح (وبضدها تتميز الأشياء) وأيضا فهى أصل المجاز وهو فرع لها فناسب ذكرها فى الفن تبعا .

ويمكن إيضاح ذلك بما تراه فى الرسم الآتى :



الباب الأول

التشبيه : وفيه اثنا عشر مبحثا

المبحث الأول فى شرح حقيقته وبيان جليل فائدته

التشبيه لغة التمثيل يقال هذا شبه هذا ومثيله ، وشبهت الشيء بالشيء أقمته مقامه لما بينهما من الصفة المشتركة .

واصطلاحا إلحاق أمر (المشبه) بأمر (المشبه به) فى معنى مشترك (وجه الشبه) بأداة (الكاف وكأن وما فى معناهما) لغرض (فائدة) (١) .

---

(١) عرفه ابن رشيق فى العمدة — بأنه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة ،

(أركانه) مما سبق تعلم أن أركانه أربعة مشبه ومشبه به ويسميان بالطرفين ووجه شبه وأداة .

(فائدته) إيضاح المعنى المقصود مع الايجاز والاختصار ألا ترى أنك إذا قلت على كالأسد كان الغرض أن تبين حال على وأنه متصف بقوة البطش وشدة المراس وعظيم الشجاعة وما إلى ذلك من أوصاف الأسد البادية للعيون .

ولا شيء أدل على ذلك من تشبيهه بالأسد من أجل أن كانت هذه الصفات خصيصى بالأسد مقصورة عليه ، فصار هذا القول أكشف وأبين للقصد من قولك على شجاع جريء إلى أشباه ذلك .

ومن أسباب ذلك ما يلي :

(١) ما يحصل للنفس من الأنس به باخراجها من الخفى إلى الجلى الواضح ألا ترى أنك إذا وصفت يوما بالقصر فقلت هذا يوم من أقصر ما يتصور ، لم يجد السامع له من الأنس ما يجده لنحو قولك يوم كابهام القطاة ، أو لنحو قوله :

ظللنا عند باب أبي نُعيم بيوم مثل سالفة الذباب [١]

(٢) ما يحصل لها من الانس باخراجها عما لم تألفه إلى ما هى به آلف فاذا كنت أنت وصاحب لك يسعى فى أمر على شاطيء نهر وأردت أن تقرر له أنه لا يحصل من سعيه على فائدة فأدخلت يدك فى الماء ثم قلت له انظر هل حصل فى كفى شيء من الماء ، فكذلك أنت فى أمرك — كان لذلك تأثير فى النفس وتمكين للمعنى فى القلب يزيد على القول المرسل إرسالا .

(٣) ما يحصل لها بالانتقال مما تعلمه إلى ما هى به أعلم فإنك ترى الفرق بيّنا

* لأنه لو ناسبه مناسبة كلية كان إياه . وقيل هو إلحاق أدنى الشيئين بأعلاهما فى صفة اشتركا فى أصلها واختلفا فى كيفيتها قوة وضعفا .

(١) السالفه صفحة العنق وأراد هنا العنق كله .

بين أن تقول الدنيا لا تدوم ثم تسكت وبين أن تذكر عقب ذلك قوله عليه السلام من فى الدنيا ضيف وما فى يده عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة ، أو تنشد قول لبيد

وما المال والأهلون إلا وديعة ولابد يوما أن ترد الودائع

المبحث الثانى فى الطرفين

ينقسم الطرفان إلى حسيين وعقليين ومختلفين ، وإلى مفردين ومركبين ومختلفين فالحسيان مايدركان هما أو مادتهما أى أجزاؤهما باحدى الحواس الخمس الظاهرة ، وبهذا التفسير دخل فى الحسى شيئان :

(ا) ماكان الطرفان فيه مشتركين إما :

(١) فى صفة مبصرة كتشبيه الحور الحسان باليـاقوت والمرجان فى قوله تعالى (كأنهن الياقوت والمرجان) ، وقول عنترة يصف غدرانا :

جادت عليهـا كلُّ عين ثرَّة فتركن كل قرارة كالدّرهم (١)

(٢) أو فى صفة مسموعة كتشبيـه الصوت الحسن بالموسيقى ، والأسلحـة فى وقعها بالصواعق ، والأصوات غير المفهومة بأصوات الفراريج فى قول عيـاش بن سلمة يذم بنى دالان :

كأن بنى دالان إذ جاء جمعهمْ فراريجُ يلقى بينهن سَويق (٢)

(٣) أو فى صفة مذوقة كتشبيه الفواكه الحـلوة بالعسل والبرْقوق بالكَرَز ، والريق بالخمر فى قول امرىء القيس :

كأن المُدام وصَوْب الغمامْ وريح الخُزامَى ونشر القُطُرْ

---

(١) الثرة كالثرثارة الغزيرة الماء والقرارة الحفرة والعين مطر أيام لايقلع .

(٢) الفراريج صغار الدجاج واحدها فروج والسويق النـاعم من دقيق الحنطـة والشعير وشبههم بذلك لدقة أصواتهم وعجلة كلامهم .

يُعَل به بَرْد أنيـــابها إذا طرّب الطائر المستَحرْ (١)

(٤) أو فى الصفة المشمومة كتشبيه رائحة الرياحين المجتمعة بالغالية (٢) والنَّكْهة بريح العنبر.

(٥) أو فى الصفة الملموسة كما يشبه الجسم بالحرير فى النعومة كقول ذى الرُّمّة:

لها بشر مثلُ الحرير ومنطق رخيمُ الحواشى لاهُراء ولا نزرْ

(ب) الخيالى وهو المعدوم الذى يفرض مجتمعا من أمور عدة كل منها مدرك بالحس كقول أبى الغنائم الحمصى:

خـــود كأنـــ بنانها فى خضرة النقش المُزَرَّدْ

سمك مـنـــ البلّوْر فى شبك تكوّن من زَبرْجَد (٣)

فسمك على هـذه الشاكلة وشبك بهذه الصفة لا يوجدان حتى يدركا بالحس، لـكن ما يتألفان منه وهو السمك والبلور والشبك والزبرجد يدرك بالحس.

والعقليان ما لم يدركاهما ولا مادتهما بأحدى الحواس كتشبيهم الضلال عن الحق بالعمى، والعلم بالحياة ــ وبهذا التفسير دخل فى العقلى.

(ا) الوهمى (٤) وهو ما ليس مدركا باحدى الحواس لـكنه لو أدرك لـكان مدركا بها كرءوس الشياطين وأنياب الأغوال فى قوله تعالى (طلعها كأنه رءوس الشياطين، وقول امرىء القيس):

أيقتلنى والمشرفىّ مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

---

(١) الصوب المطر والخزامى نبت طيب الرائحة والنشر الريح الطيبة والقطر طيب والعلل الضرب الثاني وطرب تنفى والمستحر المغرد فى السحر، يصف فاها بهذه الصفة سحرا عند تغير الأفواه بعد النوم فكيف أول الليل (٢) اخلاط من الطيب (٣) الخود الشابة الناعمة والمزرد المنقوش كالزرد (٤) هو ما تخترعه المتخيلة من نفسها وهى قوة من قوى الادراك من شأنها اختراع أشياء لاحقيقة لها كما تصور الغول بصورة السبع وتخترع له أنيابا.

فهاتان لاتدركان بالحس لعدم وجودهما لكن لو أدركتا لم تدكا إلا بحاسة البصر.

(ب) الوجدانى كتشبيههم الجوع بالنار والعطش باللهب وتسعر النار.

والمختلفتان إما بأن يكون المشبه عقلياً والمشبه به حسيا كما يشبه العدل بالقسطاس والرأى بسواد الليل فى قوله:

الرأى كالليل مسْود جوانبه   والليل لا ينجلى إلا باصباح

أو بالعكس بتقدير المعقول كأنه محسوس ويجعل كالأصل لذلك المحسوس مبالغة ويكون حينئذ من التشبيه المقلوب كما فى تشبيه العطر بحسن الخلق فى قول الصاحب بن عبّاد:

أهديتُ عطرا مثل طيب ثنائه   فكأنما أهدى له أخلاقه

والمفردان إما مطلقان كما فى تشبيه الشعر بالليل، والمخاطب بالحالم فى قوله.

تأمل إذا مانلت بالأمس لذة   فأفنيتها هل أنت إلا كحالم

وأما مقيدان بوصف أو إضافة أو ظرف أو حال أو نحو ذلك مما يكون له تعلق بوجه الشبه كقولهم لمن يفخر بما ليس له كالحادى وليس له بعير (١) فهذه الجملة الحالية محتاج إليها فى تحقيق الشبه بينهما، وكقول القاضى الفاضل:

والشمس بين الأرائك قد حكت   سيفا صقيلا فى يد رعشاء

وأما مختلفان والمقيد هو المشبه نحو:

كأن فجاج الأرض وهى عريضةٌ   على الخائف المطلوب كفةُ حابل (٢)

ونحو قول المتنبى:

وإذا الأرض أظلت كان شمسا   وإذا الأرض أمحلتْ كان وبْلا

وإما بالعكس كقول الخنساء:

أغرّ أبلج تأتمُّ الهداة به   كأنّه علم فى رأسه نار

---

(١) يضرب مثلا للرجل يفخر بما ليس له (٢) الفجاج جمع فج الطريق الواسع بين جبلين والكفة ما يصاد به [الشبكة]

وقول السرى الرفاء :

والفجر كالراهب قد مُزِّقت   من طرب عنه الجلابيبُ

وإما مركبان [1] كقول بشار :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا   وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبُه [2]

فالشبه [1] هو مجموع الغبار والسيوف المتألقة فى خلاله ، والمشبه به هو الليل الذى تهافت كواكبه إذ لم يقصد تشبيه النقع بالليل والسيوف بالكواكب بل عمد إلى تشبيه هيئة السيوف وقد سلت من أغمادها وهى تعلو وترسب وتجىء وتذهب وتضطرب اضطرابا شديدا وتتحرك بسرعة إلى جهات مختلفة ، وكذا إلى هيئة الكواكب فى تهاويها وتصادمها وتداخلها واستطالة أشكالها عند السقوط .

وهذا القسم ضربان :

(ا) مالا يصح تشبيه كل جزء من أحد طرفيه بما يقابله من الطرف الثانى كقول القاضى التنوخى :

كأنما المرّيخ والمُشترى   قُدّامَه فى شامخ الرفعه [4]

منصرف بالليل عن دعوة   قد أُسرجت قُدّامه شمعة

فان المريخ فى مقابلة المنصرف عن الدعوة ، ولو قيل كأن المريخ منصرف بالليل عن دعوة كان ضرْبا من الهذيان .

---

(١) ليس الفرق بين المقيد والمركب باعتبار التركيب اللفظى لاستوائه فيهما فالبابل باعتبار قصد المتكلم الهيئة بالذات والأجزاء بالتبع فى المركب ، وباعتبار قصد جزء من الأجزاء والربط بغيره بالتبع فى المفرد المقيد ، والحامل على أحد القصدين وجود الحس فيه دون الآخر والحاكم فى ذلك هو الذوق وصفاء القريحة ومن ثم قيل أن التفرقة بينهما تحتاج إلى التأمل ، ويفرق السامع بينهما باعتبار القرائن الدالة على أن المتكلم البليغ قصد أحد الأمرين (٢) والمثار بضم الميم من أثار الغبار هيجه وحركه النقع الغبار وتهاوى أى تتهاوى وتتساقط وأنشده ابن جنى والخفاجى وابن رشيق فى العمدة فوق رءوسهم وهذا أحسن من جهة المعنى لأن السيوف ساقطة على رءوسهم فلا بد أن يكون النقع كذلك (٣) ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من سقوط أجرام مستطيلة منيرة متناسبة المقدار متفرقة فى جوانب شىء مظلم (٤) واو والمشترى للحال فهو يقصد الهيئة التى تكون للمريخ متى كان المشترى أمامه .

(ب) ما يصح تشبيه كل جزء من أجزاء أحد طرفيه بما يقابله من أجزاء الطرف الآخر، غير أن الحالة تتغير كقول أبي طالب الرّقي:

وكأن أجرام النجوم لوامعا دررٌ نُثرن على بساط أزرق

فلو قيل كأن النجوم درر وكأن السماء بساط أزرق كان تشبيها صحيحا، ولكن أين هذا من ذاك الذى يملأ نفسك عجبا إذ يريك هيئة نجوم طالعة متألقة متفرقة فى أديم سماء صافية الزرقة.

وإما مختلفان وهو ضربان:

(١) أن يكون المشبه مفردا والمشبه به مركبا كقول الصنوبرى.

وكأن محمر الشقيـــق إذا تصوّب أو تصعّدْ

أعلام ياقوت نشرْ ن على رماح من زبرْجد (١)

فالمشبه هو الشقيق عند تصوبه (٢) وتصعده والمشبه به مركب وهو الصورة الحادثة من نشر أجرام حمر مبسوطة على رءوس سيقان خضر مستطيلة.

(ب) أن يكون المشبه مركبا والمشبه به مفرداً كقول أبي تمام يصف الربيع:

يا صاحبيّ تقصّياً نظريكما تريا وجوه الأرض كيف تصوّرُ

تريا نهاراً مشمسا قد شابه زهر الربا فكأنما هو مُقْمِرُ (٣)

يريد أن النبات لشدة خضرته مع كثرته وتكاثفه صار لونه يميل إلى السواد

---

(١) محمر الشقيق من اضافة الصفة للموصوف أى الشقيق المحمر وهو ورد أحمر فى وسطه سواد ينبت فى الجبال ويقال له شقائق النعمان وتصوب مال إلى أسفل وتصعد مال إلى علو وأو بمعنى الواو (٢) فهو مفرد مقيد بالظرف لأن أوراق الشقائق انما تكون على هيئه العلم إذا مالت إلى السفل أو العلو.

(٣) تقصيت الشيء بلغت أقصاه أى اجتهدا فى النظر وتصور أصله تتصور وشابه خالطه والربا جمع ربوة وهى المكان المرتفع وخص زهر الربا لأنها أنضر وأشد خضرة وفى الكلام حذف مضاف أى لون زهر الربا.

فنقص من ضوء الشمس حتى صار كأنه ليل مقمر — فهو قد شبه النهار الذى خالطه زهر الربا (وهذا مركب) بالليل المقمر (وهذا مفرد مقيد بالصفة) .

المبحث الثالث فى تقسيم التشبيه باعتبار الطرفين إلى ملفوف ومفروق

الطرفان إن تعددا كان ذلك على ضربين :

(ا) أن يؤتى بالمشبهات أولا على طريق العطف أو غيرها ثم يؤتى بالمشبهات بها كذلك ويسمى حينئذ تشبيها ملفوفا كقول امرىء القيس يصف عُقابا بكثرة اصطياد الطيور :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العنَّاب والحَشَفُ البالى (١)

فقد شبه الرطب من قلوب الطير بالعناب وشبه اليابس العتيق منها بالحَشَفِ البالى ، وفضيلة هذا الضرب من التشبيه اختصار اللفظ وحسن الترتيب ، لا أن فى الجمع فائدة فى المقصود من التشبيه كما هو الحال فى التشبيه المركب .

(ب) أن يؤتى بمشبه ومشبه به ثم بآخر وآخر ويسمى تشبيها مفروقا كقول ابن سكرة :

الخد ورد والصُّدْغ غاليةٌ والريق خمر والثغر كالدرر (٢)

المبحث الرابع فى تقسيم التشبيه باعتبار الطرفين إلى تشبيه تسوية وتشبيه جمع

إذا تعدد أحد الطرفين كان ذلك على ضربين :

(ا) فان كان المتعدد المشبه سمى تشبيه التسوية كقوله :

صُدغُ الحبيب وحالى كلاهما كالليالى

---

(١) العناب بزنة رمان حب أحمر مائل إلى الكدرة قدر قلوب الطير يثمره السدر البستانى والحشف أردأ التمر (٢) الغالية أخلاط من الطيب مركبة تركيبا خاصا .

وثغره في صفاء وأدمعي كاللآل [١]

فقد شبه في البيت الأول صدغ الحبيب (وهو الشعر البادي من الرأس فيما بين الأذن والعين) وحاله بالليالي ، وشبه في البيت الثاني ثغر الحبيب (وهو مقدم أسنانه) ودموعه باللآلىء في القدر والصفاء والاشراق .

(ب) وإن كان المشبه به سمى تشبيه الجمع كقول البحتري :

بات نديما لي حتى الصباح أغيد مجدول مكان الوشاح
كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح (٢)

المبحث الخامس في وجه الشبه

وجه الشبه هو الوصف الخاص [٣] الذي قصد اشتراك الطرفين فيه فقولك على كالأسد ووجه سعدى كالشمس ، الوجه في الأول الجرأة والاقدام وشدة البطش المشهورة في الأسد ، وفي الثاني الحسن والبهاء الثابتان للشمس .

فمن أراد أن يشبه حركة أو هيئة بغيرها فعليه أن يتطلب أمرا يشترك فيه الطرفان كما فعل ابن المعتز حين يقول :

وكأن البرق مصحف قار فانطباقا مره وانفتاحا (٤)

(١) الصدغ إطلاقان ما بين الاذن والعين والشعر المتدلي وهو المراد هنا والسواد في حاله تخييل . (٢) الاغيد الناعم البدن والمجدول في الاصل المطوى غير المسترخي والمراد هنا لازمه وهو ضامر البطن والخاصرتين والوشاح جلد عريض يرصع بالجواهر وما أشبهها يشد في الوسط أو يحمل على المنكب الايسر معقوداً تحت الابط الايمن لاجل الزينة والمنضد المنظم والبرد حب الغمام والأقاح جمع أقحوان وهو نوع يتفتح كالورد وأوراقه أشبه شيء بالأسنان في اعتدالها ومنه نوع أبيض وهو المراد هنا وهو المسمى بالبابونج وأتى بكلمة أو تلبيها على أن كلا مشبه به على حدته والتشبيه ضمني لأن تشبيه تبسمه بالتبسم عن أحد الثلاثة يستلزم تشبيه الثغر بأحدها (٣) قال ابن رشيق في العمدة التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه ألا ترى أن قولهم فلان كالبحر إنما يريدون كالبحر سماحة وعلما ولا يريدون ملوحة البحر وزعوقته انتهى .
(٤) قار أصله قارىء حذفت منه الهمزة بعد قلبها ياء ثم أعل إعلال قاض .

فهو لم ينظر إلى جميع صفات البرق بل نظر إلى انبساط يعقبه انقباض وانتشار يتلوه انضمام فشبه ذلك بمصحف القارىء يفتحه مرة ويطبقه أخرى .

ومما ذكر تعلم أن قولهم (النحو فى الكلام كالملح فى الطعام) يريدون به أن الكلام لا ينتفع به إلا بمراعاة أحكام النحو فيه كما لا ينتفع بالطعام إما لم يصلح بالملح ، لا أن القليل من النحو مفيد والكثير مفسد كما يفسد الملح الطعام إذا كثر فيه ، إذ لا تتصور زيادة ولا نقصان فى جريان أحكامه فى الكلام لأنه إن استوفى أحكامه من رفع الفاعل ونصب المفعول ونحو ذلك فقد وجد النحو وانتفى الفساد وانتفع به فى فهم المراد وإلا لم يوجد وكان الكلام فاسداً ، فقول أبى بكر الخوارزمى (والبغض عندى كثرة الاعراب) كلام ليس له كبير معنى . وينقسم الوجه إلى عدة أقسام :

(١) تحقيقى وتخييلى .

(ا) فالتحقيقى ما كان متقررا فى الطرفين على وجه التحقيق كقوله تعالى (وله الجوارى المنشئات فى البحر كالأعلام) فوجه الشبه وهو العظم والضخامة موجود فى كل من المراكب والجبال حقيقة .

(ب) والتخييلى مالا يكون وجوده فى أحد الطرفين إلا على ضرب من التأويل فمثاله فى المشبه قوله — صدغ الحبيب وحالى : كلاهما كالليالى — ومثاله فى المشبه به قول التنوخى :

وكأن النجوم بين دجاه ... سنن لاح بينهن ابتداع

فوجه الشبه هو الهيئة الحادثة من حصول أشياء مشرقة بيض فى جوانب شىء مظلم أسود وهى غير موجودة فى المشبه به إلا على طريقة التخييل .

ذاك أنه لما كانت البدع والضلالات تجعل صاحبها كمن يمشى فى الظلمة فلا يهتدى إلى الطريق الذى تقع له به النجاة ! شبهت بالظلمة وشاع ذلك حتى قيل شاهدت سواد الكفر من جبين فلان ، لتخييل أن البدعة نوع له زيادة اختصاص بسواد اللون ، وبطريق العكس شبه الهدى والعلم بالنور واشتهر ذلك كما ورد

« أتيتكم بالحنيفية البيضاء ليلها كنهارها » من حيث تخيل أن السنن ونحوها جنس من الأجناس التي لها إشراق (١) وبياض في العين .

ومن أجل هذا صار تشبيه النجوم بين الدياجى بالسنن بين الابتداع واضحا جليا كتشبيهها ببياض الشيب في سواد الشباب .

(٢) واحد ومركب من متعدد منزل منزلة الواحد ، وكل منهما إما حسى وإما عقلى ، ومتعدد (يقصد فيه اشتراك الطرفين في عدة أمور كل منها وجه شبه على حدته وبهذا يخالف المركب المنزل منزلة الواحد فان وجه الشبه فيه الهيئة المنتزعة من عدة أمور) وهو إما حسى وإما عقـلى وإما مختلف بعضه حسى وبعضه عقلى .

(ا) فالواحد الحسى طرفاه لا يكونان إلا حسيين فان الوجه أمر منتزع من الطرفين موجود فيهما ، وكل ما يؤخذ من العقلى وينتزع منه يجب أن يدرك بالعقل لا بالحس لأن أوصاف العقلى يجب أن تكون عقلية وذلك كتشبيه الخد بالورد بجامع الحمرة والنضاضة .

(ب) والواحد العقلى طرفاه أما عقليان كما يشبه وجود مالا ينتفع به بعدمه بجامع العراء عن الفائدة في قولهم وجوده كالعدم ، وإما حسيان كتشبيه الرجل بالأسد في الجرأة والأقدام والبطش ، وإما المشبه عقلى والمشبه به حسى كما يشبه العلم بالنور بجامع الهداية في كل ، وإما بالعكس كما يشبه العطر بخلق الكريم بجامع ارتياح النفس وانتعاشها .

(ح) والمركب الحسى طرفاه إما مفردان كتشبيه الثريا بعنقود من الكرم لاشتراكهما في الهيئة الحادثة من تقارن الصور البيض المستديرة الصغار في رأى العين على كيفية مخصوصة ومقدار معين في قول كشاجم محمود بن الحسين .

---

(١) فتمام التشبيه يكون بأن يتخيل ما ليس بمتلون متلونا ثم يتخيل كونه أصلا للمتلونات الحقيقية من ذلك الجنس .

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى　　كعنقود ملاحية حين نورا (١)

وإما مركبان كالهيئة الحاصلة من سقوط أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة فى جوانب شىء مظلم فى قول بشار :

كأن مثار النقع فوق رءوسهم　　وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وإما مختلفان كما مر من تشبيه الشقيق بأعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد ، فالمشبه مفرد والمشبه به مركب وإما بالعكس كتشبيه النهار المشمس الذى شابه زهر الربا بليل مقمر .

ومن بديع المركب الحسى ما يجىء فى الهيئات التى تقع عليها الحركة ، وذلك على وجهين .

(١) أن تقترن هيئة الحركة بغيرها من أوصاف الجسم كالشكل واللون كقول جبار بن جزء بن أخى الشماخ :

والشمس كالمرآة فى كف الأشل　　لما رأيتها بدت فوق الجبل

فوجه الشبه الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الاشراق والحركة السريعة المتصلة مع الاشراق حتى يرى الشعاع كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من الوسط إلى جوانب الدائرة ثم يبدو له أن يرجع من الانبساط الذى هم به إلى الانقباض كأنه يرجع من الجوانب إلى الوسط فان الانسان إذا أحد النظر لينظر إلى الشمس ولا سيما أول شروقها ليتبين جرمها وحدها تؤدى هذه الهيئة ، وكذلك المرآة فى كف الاشل .

(٢) أن تجرد هيئة الحركة عن غيرها من الأوصاف فهناك لابد من اختلاط حركات كثيرة للجسم إلى جهات مختلفة كأن يتحرك بعضه إلى اليمين وبعضه إلى

---

(١) الملاحية بضم الميم وتشديد اللام والأكثر تخفيفها عنب أبيض فى حبه طول وحين نور أى تفتح نوره بفتح النون .

الشمال وبعضه إلى العلو وبعضه إلى السفل لحركة الدولاب والرحا والسهم لاتركيب فيها لاتحاد الحركة .

وحركة المصحف فى قول ابن المعتز :

وكأن البرق مصحف قار فانطباقا مرة وانفتاحا

فيها تركيب لأنه يتحرك فى حالتى الانطباق والانفتاح إلى جهتين فى كل حال إلى جهة ، ومن لطيف ذلك قول الأعشى يصف السفينة فى البحر وتقاذف الأمواج بها :

تقص السفين بجانبيه كما ينزو الرباح خلاله كرع (١)

شبه السفينة فى انحدارها وارتفاعها بحركات الفصيل فى نزوه فإنه يكون له حينئذ حركات متفاوتة تصير لها أعضاؤه فى جهات مختلفة ويكون هناك تسفل وتصعد على غير ترتيب وبحيث تكاد تدخل إحدى الحركتين فى الأخرى فلا يتبينه الطرف مرتفعاً حتى يراه متسفلا وذلك أشبه شىء بحال السفينة وهيئة حركاتها حين تتدافعها الأمواج .

وكما يقع التركيب فى هيئة الحركة قد يقع فى هيئة السكون كقول أبى الطيب فى صفة الكلب :

يقعى جلوس البدوىّ المصطلى بأربع مجدولة لم تجدل (٢)

فلم ينل التشبيه حظا من الحسن إلا لما فيه من التفصيل من حيث كان لكل عضو من أعضاء الكلب فى إقعائه موقع خاص وكان مجموع تلك الجهات فى حكم أشكال مختلفة تؤلف منها صورة خاصة . وكذلك صورة جلوس البدوى عند الاصطلاء والمركب العقلى كحرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب فى استصحابه فى

---

(١) تقص تثب والنزو الوثوب والرباح كرمان ويخفف القرد أو الفصيل والكرع ماء السماء وخلا فعل ماض(٢) الاقعاء الجلوس على الأليتين والاصطلاء الاستدفاء بالنار ومجدولة محكمة الخلق لم يجد لها انسان والغرض مدح الكلب بشدة الحرص .

قوله تعالى (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً) ، فالتشبيه منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها إلى بعض ، ذلك أنه روعى من الحمار فعل مخصوص وهو الحمل وأن يكون المحمول أوعية العلوم ومستودع ثمار العقول وأن الحمار جاهل لما فيها فلاحظ له إلا أن يثقل عليه الحمل ويكد جنبيه ، وكذا فى جانب المشبه فقد روعى أنهم فعلوا فعلا مخصوصا هو الحمل المعنوى وكون المحمول أوعية العلوم وكونهم جاهلين لما فيها .

(تنبيه) : قد تقع بعد أداة التشبيه أمور يظن أن المقصود أمر منتزع من بعضها فيقع الخطأ لكونه أمرا منتزعا من جميعها كقوله :

كما أبرقت قوما عطاشا غمامة فلما رأوها أقشعت وتجلت (١)

فانه ربما يظن أن الشطر الأول منه تشبيه مستقل بنفسه لا حاجة به إلى الثانى على أن المراد به ظهور أمر مطمع لمن هو شديد الحاجة إليه ، لكن بعد التأمل يظهر أن مقصد الشاعر أن يثبت ابتداء مطمعا متصلا بانتهاء مؤيس وذلك يتوقف على البيت كله .

وهذا بخلاف التشبيهات المجتمعة فى نحو محمد كالأسد والسيف والبحر ، فإن المقصد فيها التشبيه بكل واحد على حدته حتى لو حذف بعضها لا يتغير الباقى فى إفادة معناه ، بخلاف المركب فإن المقصود يختل باسقاط بعض الأمور ، كما أنه لو قدم بعضها وأخر بعضها الآخر لا يتغير المعنى إذ ليس لهذه التشبيهات نسق مخصوص ولا ترتيب معين (٢) بخلاف المركب .

(د) والمتعدد الحسى كاللون والطعم والرائحة فى تشبيه النبق الكبير بالتفاح

---

(١) أقشعت أضمحلت وذهبت وأبرقت قوما أى لقوم ففى الأساس أبرقت لى فلانة اذ تحسنت لك وتعرضت وعطاش جمع عطشان :

وقبله لقد أطمعتنى بالوصال تبسما وبعد رجائى أعرضت وتولت

(٢) فقد ظهر من هذا أن التشبيهات المجتمعة تفارق التشبيه المركب فى أمرين .
الأول أنه لا يجب فيها ترتيب خاص والثانى أنه إذا حذف بعضها لا يتغير حال الباقى فى إفادة ما كان يفيده الحذف .

فى هذه الأمور الثلاثة ، والمتعدد العقلى كحدة النظر وكمال الحذر وإخفاء السفاد عند تشبيه طائر بالغراب فيما ذكر .

والمتعدد المختلف كحسن الطلعة ونباهة الشأن عند تشبيه إنسان بالشمس .

واعلم أنه قد ينتزع الشبه من نفس التضاد لاشتراك الضدين فيه فينزل التضاد منزلة التناسب فيشبه أحد الضدين بالآخر للتمليح والظرافة أو للتهكم والاستهزاء كما يشبه بخيل بحاتم وعيي بقس فى الفصاحة كما قال الامام المرزوقى فى قول شقيق الأسدى .

أتانى من أبى أنس وعيدٌ　　فسُل لغيظه الضحّاك جسمى(١)

إن قائل هذا البيت قصد به الاستهزاء والتمليح بما يستظرفه السامعون

المبحث السادس فى تقسيم التشبيه باعتبار الوجه إلى تمثيل وغيره

التمثيل تشبيه وجه منتزع من متعدد أمرين أو أمور كقوله:

وكأن النجوم والليل داج　　نقشُ عاج يلوح فى سقف ساج(٢)

فوجه الشبه هيئة مأخوذة من أشياء بيضاء مستديرة لامعة فى وسط شيء أسود ، وكقوله تعالى (مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون) فقد شبهت حال المنافقين بحال من استوقد ناراً إلى آخر هذه الآية بجامع الطمع فى حصول شيء بوشرت أسبابه وهيئت وسائله ثم تلا ذلك الحرمان والخيبة لانقلاب الأسباب وتقويض أركانها رأساً إلى عقب .

وغير التمثيل ما كان بخلاف ذلك نحو فلان كالسيف فى المضاء .

---

(١) الوعيد التخويف وسل ذاب وهو بصيغة المبنى للمجهول والضحاك هو أبو أنس وهو بالجر بدل من الهاء ففيه اظهار فى موضع الاضمار زيادة فى الاستهزاء لذكره باسمه العلم .

(٢) الساج شجر ينبت ببلاد الهند رزين لا تكاد الأرض تبليه .

الفرق بين التشبيه والتمثيل

التشبيه أعم من التمثيل فكل تمثيل تشبيه دون عكس إذ التمثيل مختص بما كان وجه الشبه فيه منتزعا من متعدد .

وللتمثيل موقعان :

(١) أن يكون فى مفتتح الكلام فيكون قياسا موضحاً وبرهانا مصاحبا وهو كثير جدا فى القرآن الكريم نحو (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة) .

(٢) ما يجىء بعد تمام المعانى لا يضاحها وتقريرها فيشبه البرهان الذى تثبت به الدعوى كقول أبى العتاهية :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليبس

تأثير التمثيل فى النفس

إذا وقع التمثيل فى صدر القول بعث المعنى إلى النفس بوضوح وجلاء مؤيد بالبرهان وإذا أتى بعد استيفاء المعانى كان :

(١) إما دليلا على إمكانها كقول المتنبى :

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام

(٢) أو تأييداً للمعنى الثابت كقوله :

ونار لو نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ فى رماد

وهو فى كلتا الحالين يكسب المعانى منقبة ويرفع قدرها ويجعل لها فى القلوب هزة وارتياحاً فإنك إذا تأملت حالك وحال المعنى قبل التمثيل وبعده ترى بوناً شاسعاً ومسافة الخلاف متسعة ، ألا تراك تحس الفرق بين أن تقول أرى قوماً

لهم بهاء ومنظر وليس لهم مخبر، وأن تنشد قول الشاعر :

في شجر السرو منهم مثل   له رواء وماله ثمـــر (١)

فإن جاء في باب المدح كسا المعنى حلة من الفخـامة وقضى للمادح بغر المنائح كقوله :

فتى عيش في معروفه بعد موته   كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

وإن جاء في باب الذم كان وقعه أشد وحده أحد كقوله تعالى (فيمن أوتى الآيات فانسلخ منها (مثله كمثل الـكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث).

وإن جاء في مقام الاحتجاج كان ساطع البرهان باهر البيان كقوله تعالى (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) .

وإن جاء في مقام الوعظ كان أبلغ في التنبيه والزجر كقوله تعالى في وصف نعيم الدنيا (كمثل غيث أعجب الـكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً

وإن جاء في موضع الاعتذار خلب القلب وسحر اللب وسل السخيمة وأزال الموجدة والضغينة كقول المتنبي :

لا تحسبوا أن رقصي بينـكم طربا   فالطير يرقص مذبوحاً من الألم

وهـكذا حاله في كل فنون القول وضروب الـكلام ، ولا سيما باب الوصف كقوله تعالى (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها) وقول الشاعر :

والليل تجرى الدرارى في مجرته   كالروض تطفو على نهر أزاهره

المبحث السابع في تقسيم التشبيه باعتبار الوجه إلى مجمل ومفصل

فالمجمل هو الذى لم يذكر فيه وجه الشبه وهو قسمان :

---

(١) هو فضـلة الصفصاف .

(ا) ظاهر يفهمه كل أحد كأن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة فى وجه والحلقة فى وجه آخر ، وكقوله :

إنما الدنيا كبيت نسجته العنكبوت

(ب) خفى لا يعرف المقصود منه ببديهة السمع بل يحتاج إلى تأول كقول كعب ابن معدان الأشعرى فى وصف بنى المهلب (هم كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفاها) فهذا يحتاج إلى فضل تأمل ورفق ولا يفهمه إلا من ارتفع عن طبقة العامة ودخل فى عداد الخاصة .

ومن المجمل ما ذكر معه وصف المشبه به كقول زياد الأعجم :

وإنا وما تُلقى لنا إن هجوتنا لكا البحر مهما تلق فى البحر يغرق

أو وصفهما معاً كقول أبى تمام يمدح الحسن بن رجاء :

ستُصبح العيس بى والليل عند فتى كثير ذكر الرضا فى ساعة الغضب

صدفتُ عنه ولم تصدف مواهبهُ عنى وعاوده ظنى فلم يخب

كالغيث إن جئته وافاك ريقُهُ وإن ترحلتَ عنه لجّ فى الطلب (١)

فقد وصف المشبه أعنى الممدوح بأن عطاياه فائضة عليه أعرض أو لم يعرض، ووصف المشبه أعنى الغيث بأنه يصيبك جئته أو ترحلت عنه ، والوصفان دالان على وجه الشبه أعنى الإفاضة فى حالى الطلب وعدمه وحالى الإقبال عليه والإعراض عنه

والمفصل ما ذكر (٢) فيه وجه الشبه أو ذكر فيه مكان الوجه أمر يستلزمه فالأول نحو :

يا هلالا يدعى أبوه هلالا جل باريك فى الورى وتعالى

---

(١) العيس ابل بيض والليل أى سيره وصدفت أعرضت والريق من كل شىء أفضله وترحلت تباعدت ولج عادى ، وقد تركنا ما ذكر معه وصف المشبه فقط لعدم الظفر له بمثال عربى مسموع . (٢) على جهه التمييز أو الجرىق .

أنت بدر حسنا وشمس علوا وحسام حزما وبحـــر نوالا

والثانى كقولهم للألفاظ إذا وجدوها لا تثقل على اللسان ولا تبعد دلالتها على معانيها ، هى كالعسل حلاوة وكالماء سلاسة وكالنسيم رقة ، والجامع فى الحقيقة لازم الحلاوة وهو ميل الطبع ولازم السلاسة والرقة وهو نشاط النفس وانتعاشها

المبحث الثامن فى تقسيم التشبيه باعتبار الوجه إلى قريب مبتذل وبعيد غريب

(١) فالقريب المبتذل هو ما ينتقل فيه المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق لظهور وجه الشبه بادىء بدء فيسهل تداوله بين العامة والخاصة كما إذا نظرت إلى السيف الصقيل عند سله وبريق لمعانه لم يتباعد عنك أن تذكر لمعان البرق .

وسبب ظهوره أحد أمرين :

(ا) كونه أمراً جملياً لا تفصيل فيه فإن الجملة أسبق إلى النفس من التفصيل إذا الرؤية تصل إلى الوصف أولا على الجملة ثم يتلوها التفصيل ألا ترى أن السمع يدرك من تفاصيل الصوت والذوق يدرك من تفاصيل المذوق فى المرة الثانية مالا يدركه فى المرة الأولى .

(ب) كونه (١) قليل التفصيل مع غلبة حضور المشبه به فى الذهن إما مطلقا لتكرره على الحس كما تقدم من تشبيه الشمس بالمرآة المجلوة ، وأما عند حضور المشبه لقرب المناسبة كما تشبه العنبة الكبيرة السوداء بالاجاصة فى الشكل والمقدار ، والجرة الصغيرة بالكوز .

(٢) والبعيد الغريب ما يحتاج فى الانتقال من المشبه إلى المشبه به إلى فكر ودقة نظر الخفاء وجهه .

وسبب خفاء الوجه (٢) أحد أمرين :

---

(١) أى ليس جمليا بل فيه تفصيل لكنه قليل (٢) خلاصة ذلك أن الوجه يكون قريباً إذا كان مفردا أو متعددا أو مركباً حسياً ابتذل بكثرة الاستعمال ويكون غريباً إذا كان وهمياً أو خيالياً أو مركباً حسياً يجرى على ألسنة الخاصة أو نادر الحضور فى الذهن عند حضور المشبه .

(ا) كونه كثير التفصيل كما سبق من تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل فان هذه الهيئة لا تقوم فى نفس الرائى لمرآة الدائمة الاضطراب إلا أن يتمهل فى نظره ويستأنف التأمل ملياً حتى يتجلى له وجه الشبه فيهما .

(ب) ندور حضور المشبه به فى الذهن إما عند حضور المشبه لبعد المناسبة بينهما كما فى تشبيه البنفسج بنار الكبريت ، وإما مطلقاً لكونه وهمياً كما سبق من تشبيه نصاب السهام بأنياب الأغوال أو مركباً خيالياً كما مر من تشبيه الشقيق بأعلام الياقوت المنشورة على رماح من زبرجد أو مركباً عقلياً كما فى تشبيه مثل أحبار اليهود بمثل الحمار يحمل أسفاراً .

[تنبيهات] :

(١) يراد بالتفصيل أن ينظر فى الأوصاف واحداً فواحداً ويفصل بعضها من بعض بعد التأمل وينظر فى الشيء الواحد لغير جهة ويقع ذلك على ضروب أشهرها :

(ا) أن يؤخذ بعض ويترك بعض كما فعل أمرؤ القيس فى قوله :

حملت رُدَيْنِيًّا كأن سنانه   سنا لهب لم يتّصل بدُخان (١)

فقد اعتبر فى اللهب الشكل واللون واللمعان ونفى اتصاله بالدخان .

(ب) أن يعتبر الجميع كما فعل الآخر فى قوله وقد تقدم :

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى   كعنقود مُلاّحية حين نورا

فانه قد لاحظ فى الأنجم الشكل والمقدار واللون واجتماعها على مسافة مخصوصة فى القرب ثم نظر إلى مثل ذلك فى العنقود المنور من الملاحية .

وكلما كان التركيب (خيالياً كان أو عقلياً) من أمور أكثر كان التشبيه أبعد لكون تفاصيله أكثر .

(٢) التشبيه البليغ هو البعيد الغريب (٢) لغرابته ولأن الشيء إذا نيل بعد

---

(١) الرديني رمح منسوب لردينة وهى امرأة صناع كانت تجيد صنع الرماح والسنان حديدة الرمح والسنا الضوء والإشراق . (٢) إنما يكون البعيد الغريب حسناً إذا كان سببه لطف المعنى ودقته وترتيب المعانى وبناء ثان منهما على اول لا ان كان سببه سوء ترتيب ●

طول الاشتياق إليه كان نيله أحلى وموقعه من النفس ألطف كما قال الجاحظ يذكر ما فى الفكر والنظر من الفضيلة ، وأين تقع لذة البهيمة بالعلوفة ولذة السبع بلطع [١] الدم وأكل اللحم من سرور الظفر بالأعداء ومن انفتاح باب العلم بعد إدمان قرعه .

(٣) ربما تصرف الفطن الحاذق بصنعة الكلام فى القريب المبتذل لجعله بديعاً نادراً وغريباً لا ترتقى إليه أفكار العامة كأن يشترط فى تمـــام التشبيه وجود وصف لم يكن أو انتفاء وصف قد كان ولو ادعاء ويسمى التشبيه المشروط وذلك على ضروب منها .

(١) أن يكون كقول المتنبي :

لم تلق هذا الوجه شمسُ نهارنا ... إلا بوجه ليس فيه حياءُ (٢)

فتشبيه الحسناء بالشمس مطروق مبتذل يستوى فيه الخاصة والعامة ، لكن حديث الحياء وما فيه من الدقة والخفاء أخرجه من الابتذال إلى الغرابة ، وشبيه به قول أبى نواس :

إن السحـــاب لتستحي إذا نظرت ... إلى نداك فقـــاسته بمـا فيه

حتى تهمّ بإقلاع فيمنعها ... خوف من السخط من إجلال منشيها

(٢) أن يكون كقول الوطـواط :

عزماته مثل النجوم ثواقبا ... لو لم يكن للثاقبات أفول (٣)

فقد شرط لتمام المماثلة بين النجوم وبينه عدم مغيبها ، ونظيره قول البديع الهمذانى .

الألفاظ كما تقدم فى التعقيد اللفظى أو اختلال الانتقال من المذكور إلى المعنى المقصود كما فى التعقيد المعنوى ، وما سيأتى من أطلاق البليغ على ما حذفت أداته فهو طريق لبعض البلغاء وهؤلاء يسمونه مؤكداً على أن معنى البلاغة هنا قد يفسر بمعنى غير الآخر . (١) لحس.

(٢) تلق اما بمعنى تبصر فالتشبيه غير مصرح به وأما من لقيته بمعنى قابلته وعارضته فهو فعل يدل على التشبيه ، وهو تشبيه مقلوب إذ المقصود تشبيه الوجه بالشمس لا العكس .

(٣) العزمات جمع عزمة وهى المرة من العزم والثواقب اللوامع .

يكاد يحكيك صوب الغيث منسكباً　　لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا

(٣) أن يكون كقول ابن بابك :

ألا يا رياض الحزن من أبرق الحمى　　نسيمك مسروق ووصفك منتحل

حكيت أبا سعد فنشرك نشره　　ولكن له صدق الهوى ولك الملل (١)

(٤) أن يجمع بين عدة تشبيهات فيزداد بذلك لطفا وغرابة كقوله :

كأنما يبسم عن لؤلؤ　　أو فضة أو برد أو أقاح

المبحث التاسع في الكلام على أدوات التشبيه

أدوات التشبيه هي الكاف وكأن ومثل ونحوها مما يفيد معنى المماثلة والمشابهة — نحو — فجعلهم كعصف مأكول ، كأنهن الياقوت والمرجان ، إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء — إلى آخر الآية ، ويفرق بين الكاف وكأن بوجوه .

(ا) أن الكاف يليها المشبه به (٢) وكأن يليها المشبه نحو :

الحليم كالجبل في سكونه — كأنك سحبان فصاحة

(ب) أن الكاف تدل دائما على التشبيه وكأن تفيد التشبيه إذا كان خبرها جامدا أو مؤولا به نحو :

وكأن دجلة إذ تلاطم موجها　　ملك يعظم خيفة ويبجل

وتفيد الشك إذا كان خبرها مشتقا نحو :

---

(١) الحزن ما غلظ من الأرض والأبرق والبرقه غلظ فيه حجارة ورمل وطين والجمع برق وأبرق الحمى موضع وانتحل قول غيره ادعاه لنفسه وليس له والنشر الرائحة الذاكية .

(٢) قد يليها غير المشبه به مما له تعلق به إذا كان التشبيه مركبا نحو واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء الآية إذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل تقديره بل المراد تشبيه حالها في نضارتها وبهجتها وما يعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن .

كأنك قائم فيهم خطيبا   وكلهم قيامٌ للصلاة

(ج) التشبيه بكأن أبلغ من التشبيه بالكاف لما فيه من التوكيد لتركبها من الكاف وأن .

وقد ينوب عن الأداة ويغنى عنها فعل من أفعال اليقين (١) أو الرجحان كعلم وظن وحسب ويكون منبئا عن حال التشبيه فى القرب أو البعد ولا يعتبر أداة بل الاداة محذوفة كقوله :

قوم إذا لبسوا الدروع حسبتها   سحبا مزرّدة على أقمار (٢)

المبحث العاشر فى تقسيم التشبيه باعتبار الأداة

ينقسم التشبيه باعتباره الأداة إلى :

(١) مؤكد وهو ما حذفت أداته نحو وهى تمر مر السحاب ، وقوله :

هم البحور عطاءً حين تسألهم   وفى اللقاء إذا تلقاهمُ بُهَم (٣)

ومنه ما أضيف المشبه به إلى المشبه كقوله :

فاضمم مصابيح آراء الرجال إلى   مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح

(٢) مرسل وهو ما ذكرت فيه الأداة نحو :

كأن عيون النرجس الغضّ حولنا   مداهنُ درّ حشوهن عقيقُ

التشبيه البليغ (٤)

هو ما ذكر فيه الطرفان فقط وحذف منه الوجه والأداة ، وسبب تسميته

---

(١) إذا ادعى فيه كمال المشابهة وألفاظ الرجحان ان بعد التشبيه لما فى الحسبان ونحوه من عدم التيقن (٢) الدرع ثوب ينسج من زرد الحديد يلبس فى الحرب وقاية من سلاح العدو والسحب جمع سحابة والمزردة المنسوجة (٣) البهم جمع بهمة وهو الشجاع الذى يستبهم على أقرانه مأتاه (٤) هذه طريقة لبعضهم وتقدم أن بعضهم يسمى التشبيه البعيد الغريب بالبليغ .

بذلك أن حذف الوجه والأداة يوهم اتحاد الطرفين وعدم تفاضلهما فيعلو المشبه إلى مستوى المشبه به وهذه هي المبالغة في قوة التشبيه ، أما ذكر الأداة فيفيد ضعف المشبه وعدم لحاقه بالمشبه به كما أن ذكر الوجه يفيد تقييد التشبيه وحصره في جهة واحدة ، ومن أمثلته ما يأتي :

فالأرض ياقوتة والجو لؤلؤة والنبت فيروزج والماء بلُّور

طلعن بدوراً وانتقبن أهلةً ومِسْن غصوناً والتفتن جآذرا

فاقضوا مآربكم عجالا إنمـــا أعماركم سفر من الأسفار

التشبيه الضمني(١)

هو مالم يصرح فيه بأركان التشبيه على الطريقة المعلومة بل يفهم من معنى الكلام وسياق الحديث كقوله :

علا فما يستقر المال في يده وكيف تمسك ماءً قُنَّةُ الجبل

فإنه قد شبه الممدوح المفهوم من ضمير علا بقنة الجبل ووجه الشبه عدم استقرار شيء فيه والأداة محذوفة ، ونحوه قول المتنبي :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

وقول الطُّغرائي :

بجدى أخيرا ومجـــدى أوَّلا شرَع والشمس رَادَ الضحى كالشمس في الطفَل(٢)

المبحث الحادى عشر في الغرض من التشبيه

الغرض من التشبيه وهو الايضاح والبيـان مع الايجاز والاختصار يعود في الأغلب (في التشبيه غير المقلوب) إلى المشبه لوجوه منها :

(١) سمى ضمنياً لأنه يفهم ضمن القول وسياق الكلام . (٢) شرع : أى سواء . ورأد الضحى : ارتفاعه . والطفل : احمرار الشمس عند الغروب .

• (١) بيان إمكانه إذا كان أمراً غريباً لا يمكن فهمه وتصوره إلا بالمثال كقول البحترى:

دنوتَ تواضعاً وعلوتَ مجداً　　فشأناك انحــدار وارتفاع
كذاك الشمس تبعد أن تسامى　　ويدنو الضوء منها والشعاع

فحين أثبت للممدوح صفتين متناقضتين هما القرب والبعد وكان ذلك غير ممكن فى مجرى العرف والعادة ضرب لذلك المثل بالشمس ليبين إمكان ما قال .

(٢) بيان حاله إذا كان غير معروف الصفة قبل التشبيه كقول النابغة يمدح النعمان :

كأنك شمس والملوك كواكب　　إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فالوجه عظم حال النعمان وصغر حال الملوك الآخرين إذا قيسوا به ، ويكثر استعماله على هذا النحو فى العلوم والفنون للإيضاح والبيان لتقريب الحقائق إلى أذهان المتعلمين كما يقال لهم الأرض كالكرة ، والذئب كالكلب فى الحجم .

(٣) بيان مقدار حاله فى القوة والضعف إذا كان معروف الصفة قبل التشبيه ، فبه يعرف مقدار نصيبه كقول الأعشى :

كأن مشيتها من بيت جارتها　　مرُّ السحابة لا ريثٌ ولا عجلُ(١)

(٤) تقرير حاله فى نفس السامع بإبرازها فيما هى فيه أظهر وأقوى ويكثر فى تشبيه الأمور المعنوية بأخرى تدرك بالحس كقولك للمشتغل بما لا فائدة فيه أنت كالراقم على الماء ، إذ بالتشبيه يظهر أنه قد بلغ من الخيبة أقصى الغاية ، وكقول المتنبى :

من يهن يسهل الهوان عليه　　ما لجرح بميت إيلام(٢)

(١) الريث : البطء (٢) فيه تشبيه ضمنى إذ قد شبه حال من يقبل الهوان بحال الميت بجامع عدم التأثر وذلك مفهوم ضمنا .

وقوله :

إن القلوب إذا تنافر ودها مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

(٥) تزيين المشبه وتحسين حاله ليرغب فيه كقول ابن المعتز يصف الهلال :

أهلا بفطر قد أنار هـــلاله فالآن فاغد على الشراب وبكر

انظر إليه كـزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر(١)

(٦) تشويه المشبه وذمه ليكره ويرغب عنه نحو :

كلف فى شحوب وجهك يحكى نـكتا فوق وجنة برصاء

وقوله فى ذم القصر :

وترى أناملها دبت على أوتارها كخنافس دبّت على أوتار

(٧) استطرافه وجعله مستحدثاً بديعاً إما لابرازه فى صورة ما يمتنع عادة كما يشبه الجمر الموقد ببحر من المسك موجهُ الذهب ، وإما لندور حضور المشبه به فى النفس عند حضور المشبه كقول ابن الرومى فى تشبيه بنفسجة .

ولازوَرْديّة تزهو بزرقتها بين الرياض على حمر اليواقيت

كأنها بين قامات ضُعفن بها أوائلُ النار فى أطراف كبريت (٢)

قال الإمام عبد القاهر فقد أراك شبها لنبات غض يرفّ(٣) وأوراق رطبة من لهب نار فى جسم مستول عليه اليبس ؛ ومبنى الطباع وموضوع الجبلة على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه وخرج من موضع ليس بمعدن له كانت صبابة النفوس به أكثر وكان الشغف به أجدر ، ونحوه قول عدى ابن الرّقاع يصف قرن غزال :

تُزْجى أغنّ كأن إبرة رَوْقه قلم أصاب من الدواة مدَادَها

---

(١) الحمولة : ما يحمل فيه ويوضع والوجه وجود شيء أسود فى داخل شيء أبيض .

(٢) الواو واورب واللازوردية أزهار من البنفسج نسبها للحجر المعروف باللازورد وتزهو فتـكبر وحمر اليواقيت الأزهار والشقائق الحمر والقامات السيقان وضعفن بها أى ضعفن عن حملها . (٣) يهتز .

وقد يعكس التشبيه (فيجعل المشبه مشبهاً به وبالعكس) وعندئذ يجعل الأصل فرعا والفرع أصلا ويشبه الزائد بالناقص للمبالغة وإيهام أن المشبه أقوى وأتم من المشبه به فى وجه الشبه فتعود الفائدة حينئذ إلى المشبه به لا إلى المشبه كقول محمد ابن وُهَيب يمدح المأمون :

وبدا الصباح كأن غرّته وجه الخليفة حين يُمتدح(١)

فقد جعل وجه الخليفة كأنه أعرف وأتم من غرة الصباح فى الاشراق والضياء وقوله :

وأرض كأخلاق الكريم قطعتها وقد كحل الليلُ السماك فأبصرا

وذلك أنه لما رأى استمرار وصف الأخلاق بالضيق وبالسعة تعمد تشبيه الأرض الواسعة بخلق الكريم بادعاء أنه فى السعة أكمل من الأرض المتباعدة الأطراف ، وقوله تعالى حكاية عن مستحلى الربا إنما البيع مثل الربا إذ مقتضى الظاهر أن يقال : إنما الربا مثل البيع لكنهم خالفوا ذلك ذهاباً منهم إلى جعل الربا فى الحل أقوى حالا من البيع ومنه قول البحترى :

فى طلعة البدر شىء من محاسنها وللقضيب نصيبٌ من تثنيها

وقوله فى وصف بركة المتوكل :

كأنها حين لجت فى تدفقها يد الخليفة لمّا سال واديها

وكل هذا إذا أريد إلحاق الناقص فى وجه الشبه حقيقة أو ادعاء بالزائد فيه ، فإن أريد مجرد الجمع بين شيئين فى أمر جاز التشبيه ولكن الأحسن تركه والعدول إلى التشابه ليكون كل من الطرفين مشبها ومشبها به احترازاً من ترجيح أحد المتساويين على الآخر كما فعل أبو إسحاق الصابى فى قوله :

---

(١) فى قوله يمتدح دلالة على اتصاف الممدوح بمعرفة حق المادح وتعظيم شأنه لدى الحاضرين بالاصغاء اليه وعلى كماله فى الكرم من حيث يرتاح لسماع المدائح وتظهر عليه علامات البشر والسرور .

تشابه دمعى إذ جرى ومُدامتى ... فمن مثل مافى الكاس عينى تسكبُ

فوالله ما أدرى أبا الخمر أسبلت ... جفونى أم من عبرتى كنت أشرب(١)

ويجوز التشبيه أيضاً كتشبيههم غرة الفرس بالصبح وعكسه متى أريد ظهور منير فى مظلم أكثر منه من غير قصد إلى المبالغة فى وصف الغرة بالضياء وفرط التلألؤ ونحو ذلك ، وتشبيه الشمس بالمرآة المجلوة أو الدينار الخارج من السكة كما قال ابن المعتز :

وكأن الشمس المنيرة دينا ... ر جلته حدائد الضراب

وعكسه متى أريد استدارة متلألئ متضمن لخصوص فى اللون وإن عظم التفاوت بين نور الشمس ونور المرآة والدينار وبين الجرمين إذ ليس شىء من ذلك بمنظور إليه فى التشبيه .

المبحث الثانى عشر فى أقسام التشبيه باعتبار الغرض

ينقسم التشبيه باعتبار الغرض إلى حسن وقبيح أومقبول ومردود :

(١) فالحسن هو الوافى(٢) بإفادة الغرض المطلوب منه وذلك هو النمط الذى تسمو إليه نفوس البلغاء كقول امرئ القيس يصف فرساً :

على الذَّبل جيَّاش كأن اهتزامه ... إذا جاش فيه حميُه غلىُ مرجَل(٣)

وقول ابن نباتة فى وصف فرس أغر أبلق :

وكأنما لطم الصباحُ جبينَه ... فاقتص منه فخاض فى أحشائه

وقول الآخر :

---

(١) سكب الدمع إرساله وأسبل الدمع والمطر إذا هطل . (٢) وذلك بأن يكون المشبه به أعرف بوجه الشبه إذا كان الغرض بيان حال المشبه أو مقدار الحال ، أو أتم شىء فيه إذا قصد إلحاق الناقص بالكامل ، أو مسلم الحكم معروفاً عند المخاطب إذا كان الغرض بيان إمكان الوجود . (٣) الذبل والذبول : الضمور وقلة اللحم والجياش : من جاشت القدر غلت . والاهتزام : التكسر والحمى . حرارة الغيظ والمرجل : القدر .

نشرت إلىّ غدائراً من شعرها حذر الكواشح والعدو الموبق
فكأننى وكأنها وكأنه صبحان باتا تحت ليل مطبق (١)

(٢) والقبيح هو مالم يف بالغرض لعدم وجود وجه شبه بين المشبه والمشبه به ، أو مع وجوده لكن على بعد وما أحق مثل هذا بالاستكراه والذم ، وأى شىء أولى بنفور الطبع السليم منه ، وذلك كقول أبى نواس يصف الخمر :

وإذا ما الماء واقعها أظهرتْ شكلا من الغزَل
لؤلؤات ينْحدِرن بها كانحدار الذرّ من جَبَل

فهذا تشبيه بعيد ركيك غث اللفظ بشعه فهو قد شبه الحبب بنمل صغار ينحدر من جبل ، وشبيه به قول الفرزدق :

يمشون فى حَلق الحديد كما مشَتْ جُرْب الجمال بها الكُحَيْل المشْعَل (٢)

فقد شبه الرجال فى دروع الزرد بالجمال الجرب ، وذلك من البعد بمكان لأنه إن أراد السواد فلا مقاربة بينهما فيه فإن لون حديد الدروع أبيض وإن أراد شيئاً آخر فليس بواضح مع ما فيه من السخف ، ونحوه قول المتنبى :

وجرى على الوَرَق النجيع القانى فكأنه النارنْج فى الأغصان (٣)

إذ لا مشاكلة بين لون الدم ولون النارنج .

تذييل

وفيه أمران :

(١) التشبيه باعتبار المبالغة أقسام ثلاثة :

---

(١) الكاشح الذى يضمر العداوة والموبق المهلك

(٢) الكحيل القطران تطلى به الإبل والمشعل الكثير . (٣) النجيع الدم الطرى والقانىء الأحمر الشديد الحمرة والنارنج معروف وليس بعربى ، يريد أنه جرت دماء القتلى على ورق الشجر حمراء فصارت كأنها النارنج فى الأغصان .

(ا) أعلاها ما حذف فيه الوجه والأداة نحو محمد أسد .

(ب) المتوسط فى المبالغة وهو ما حذف فيه الوجه أو الأداة نحو على كالبدر أو على بدر فى الحسن والبهاء .

(ج) أدناها ما ذكر فيه الوجه والأداة نحو على كالأسد فى الشجاعة .

ذاك أن القوة إما بعموم وجه الشبه ظاهراً(١) أو بحمل المشبه به على المشبه وإيهام أنه هو فما اشتمل على الوجهين معاً فهو فى غاية القوة وهو القسم الأول وما خلا منهما معا فلا قوة له وهو القسم الثالث وما اشتمل على أحدهما فقط فهو متوسط وهو القسم الثانى .

(٢) اختلف القوم فى التشبيه ، أيعد من المجاز أم لا ، فأهل التحقيق قالوا لا يعد من المجاز لأن المجاز هو استعمال اللفظ فى غير موضوعه مع أن كلا من الطرفين مستعمل فى موضوعه .

وذهب ابن الأثير إلى أنه مجاز وحجته أن مضمر الأداة من التشبيه معدود فى الاستعارة فيجب أن يكون مظهرها كذلك إذ لا فرق بينهما إلا بظهور الأداة ، وظهورها إن لم يزده قوة ودخولا فى المجاز لم يكن مخرجا له عن سننه كذا فى الطراز بتصرف .

أثر التشبيه فى النفس

قال المبرد فى الكامل : التشبيه جار كثيراً فى كلام العرب حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد قال الله عز وجل وله المثل الأعلى فى الزجاجة (كأنها كوكب درى) .

وقال أبو هلال فى الصناعتين : التشبيه يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيدا ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ولم يستغن أحد عنه .

---

(١) إنما قلنا ظاهراً لأن الوجه لا بد أن يكون صفة خاصة قصد اشتراك الطرفين فيها كالشجاعة ونحوها لكن قولك على كالأسد يفيد أن وجه الشبه عام فى أوصاف كثيرة كالشجاعة والمهابة والقوة وكثرة الجرى إلى غير ذلك من أوصاف الأسد.

وسر هذا أن للخيال نصيبا كبيراً فيه فهو يفتن حتى لا يقف عند غاية ، وأنه يعمل عمل السحر فى إيضاح المعانى وجلائها ، فهو ينتقل بالنفس من الشيء الذى تجهله ، إلى شيء قديم الصحبة ، طويل المعرفة ، وغير خاف ما لهذا من كثير الخطر، وعظيم الأثر ، انظر قوله عليه السلام فى ذم من يعلم الخير ولا يعمل به : « مثل الذى يعلم الخير ولا يعمل به مثل السراج يضىء للناس وهو يحترق » .

وإنك لترى فيه تشنيع حال من اتصف به وكأنك تشاهد النار وهى تعلق به وتأخذ منه بالنواصى والأقدام .

وتأمل قول أبى العلاء المعرى :

إن الشبيبة نار إن أردت بها أمرا فبادره إن الدهر مطفيها

تجده جعل عزيمة الشباب الوثابة المتحفزة للعمل كالنار يمتد لهيبها ويشتد أوارها، لكنها لا تلبث حتى تخمد جذوتها ، وينطفىء ذلك اللهب المتقد ، ومن ثم طلب إلى الشاب البدار إلى نيل المآرب وعدم التوانى فى درك المقاصد .

وإلى قول مهيار الديلمى :

وبعض مودات الرجال عقارب لها تحت ظلماء العقوق دبيب

تره صوّر بعض المودات بصورة عقارب تسير فى الظلماء على غير هدى وتنفث سمومها ما استطاعت إلى ذلك سبيلا :

وكلما كان عمل الخيال أكثر كانت صورته أعجب ، والنفس به أطرب ، ولن تجد تلك الروعة وذاك الجمال فى تشبيه المحسوسات بعضها ببعض ، فتشبيه ابن المعتز للشمس بالدرهم المضروب فى قوله :

وكأن الشمس المنيرة دينـــار جلته حدائد الضرّاب

والهلال بالزورق من الفضة التى حولته من عنبر فى قوله :

فانظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

أقل جمالا من ذاك الذى تقدم ، وليس له فى النفس أريحية ، ولا تأخـذها منه

هزة ، والتشبيهات المستعملة فى العلوم والفنون ماهى إلا وسيلة من وسائل الإيضاح لكشف ما يخفى من الحقائق .

قال صاحب الصناعتين : والطريق المسلوكة والمنهج القاصد فى التمثيل عند القدماء والمحدثين — تشبيه الجواد بالبحر والمطر ، والشجاع بالأسد ، والحسن بالشمس والقمر ، والسهم الماضى بالسيف ، والعالى الرتبة بالنجم ، والحليم الرزين بالجبل ، والقاسى بالحديد والصخر ، والبليد بالجماد ، واللئيم بالكلب ، وشهر قوم بخصال محمودة فصاروا فيها أعلاماً فجروا مجرى ما قدمناه كالسموءل(١) فى الوفاء ، وحاتم فى السخاء ، والأحنف(٢) فى الحلم ، وسَحْبان فى البلاغة ، وقسّ(٣) فى الخطابة ، ولقمان(٤) فى الحكمة ، وآخرون بأضدادها فشبه بهم فى حال الذم كباقل(٥) فى العى ، وهبنّقة(٦) فى الحق والكسعىّ(٧) فى الندم ، ومادر(٨) فى البخل .

تدريب أول

بين أركان التشبيه وأقسامه باعتبار كل منها فيما يلى :

(١) تحطمنا الأيام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

(٢) ولم أر مثل هالة فى معَدّ يشابه حسنها إلا الهلالا

(٣) كأن بنى نبهان يوم وفاته نجوم سماء خرّ من بينها البدر

(٤) كأن سهيلا والنجوم وراءه صفوف صلاة قام فيها إمامها

(٥) العلم فى الصدر مثل الشمس فى الفلك والعقل للمرء مثل التاج للملك

(٦) والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

(٧) وترا كضوا خيل الشباب وبادروا أن تسترد فانهن عوار

---

(١) هو ابن حيان اليهودى . (٢) من سادات التابعين . (٣) هو قس بن ساعدة الإيادى خطيب العرب . (٤) هو حكيم اشتهر بأصالة الرأى فى القول والعمل (٥) اشتهر بالعى وعدم الإبانة عن مراده . (٦) هو يزيد بن ثروان من قيس . (٧) هو غامد ابن الحرث . (٨) مخارق الهلالى سقى إبله فبقى فى الحوض قليل فسلح فيه ومدر الحوض به

الإجابة

الرقم	الأداة	أقسامه باعتبارها	المشبه	أقسامه باعتباره	المشبه به	أقسامه باعتباره	الوجه	أقسامه	الغرض
١	كأن	مرسل	ضميرنا	محسوس مفرد	زجاج	مفرد محسوس	سرعة الكسر	مجمل غير تمثيل	بيان حاله
٢	يشابه	»	هالة	محسوس مفرد	الهلال	» »	البهجة والحسن	» »	بيان مقدار حاله
٣	كأن	»	بنو نبهان	محسوس مفرد مقيد	نجوم	محسوس مركب	فقد الاحسن	» »	بيان حاله
٤	كأن	»	سهيلا الخ	محسوس مركب	صفوف	محسوس مركب	تقدم واحد من بين الأشياء	مجمل تمثيل	» »
٥	مثل	مرسل	العلم	مفرد معقول	الشمس	مفرد محسوس	الهداية	مجمل غير تمثيل	بيان حاله
٦	الكاف	»	النفس	مفرد معقول	الطفل	محسوس مفرد مقيد	تحكم العادة	» »	بيان مقدار حاله
٧	محذوفة	مؤكد	الشباب	مفرد معقول	الخيل	مفرد محسوس	السرعة	مجمل غير تمثيل	بيان مقدار حاله

تدريب ثان

(١) وقصائد مثل الرياض أضعتها — فى باخل ضاعت به الاحساب

(٢) انظر إلى حسن هلال بدا — يهتك من أنواره الحندسا(١)

كمنجل قد صيغ من فضة — يحصد من زهر الدجى نرجسا

(٣) والدهر كالبحر لا ينفك ذا كدر — وإنما صفوه بين الورى لمع

(٤) فإذا ركبت فإننى — زيد الفوارس فى الجلاد

وإذا نطقت فإننى — قُسُّ بن ساعدة الايادى(٢)

(٥) والبدر فى أفق السماء كغادة — بيضاء لاحت فى ثياب حداد(٣)

(٦) والليل فى لون الغراب كأنه — هو فى حلوكته وإنْ لم ينْعَب(٤)

(٧) قال على كرم الله وجهه مثل الذى يعلم الخير ولا يعمل به مثل السراج الذى يضىء للناس ويحرق نفسه .

(٨) قال صاحب كليلة ودمنة : الدنيا كالماء المالح كلما ازددت منه شربا ازددت عطشا .

الإجابة

(١) المشبه القصائد . مفرد محسوس . المشبه به . الرياض مفرد محسوس . الأداة مثل . وهو تشبيه مرسل ، الوجه الحسن والجمال . مجمل غير تمثيل . الغرض تزيين المشبه .

(٢) المشبه الهلال مفرد محسوس مقيد ، المشبه به المنجل مفرد محسوس

---

(١) الحندس الليل الشديد الظلمة ويهتك يشق ويمزق والزهر نور كل نبات الواحدة زهرة والنرجس نبات له زهر أبيض مستدير (٢) زيد الفوارس زيد الخيل أحد الصحابة كان له خمس أفراس سماه رسول الله زيد الخير وقس أحد خطباء العرب (٣) الحداد الحزن (٤) النعيب صوت الغراب والحلوكة السواد .

مقيد ، الأداة الكاف . تشبيه مرسل ، الوجه إزالة شيء مظلم . مجمل غير تمثيل تزيين المشبه .

(٣) المشبه الدهر مفرد معقول . المشبه به البحر مفرد محسوس . الأداة الكاف تشبيه مرسل . الوجه الكدر غالبا مجمل غير تمثيل . الغرض بيان حاله .

(٤) المشبه ضمير المتكلم مفرد محسوس ، المشبه به زيد الفوارس مفرد محسوس ، والأداة محذوفة مؤكد ، الوجه الجلاد مفصل غير تمثيل ، الغرض بيان حال المشبه . ومثله البيت الثاني .

(٥) المشبه البدر مفرد مقيد محسوس . المشبه به حسناء فى ثياب حداد مفرد محسوس مقيد ، الأداة الكاف مرسل ، الوجه بياض يعلوه سواد مجمل غير تمثيل ، والغرض بيان مقدار حال المشبه به وهو تشبيه مقلوب .

(٦) المشبه ضمير الليل مفرد محسوس ، المشبه به الغراب مفرد محسوس ، الأداة كأن . مرسل ، الوجه الحلوكة والسواد مفصل غير تمثيل ، الغرض بيان مقدار حاله .

(٧) المشبه الذى يعلم الخير ولا يعمل به مفرد مقيد محسوس ، المشبه به السراج الذى يضيء للناس ويحرق نفسه مفرد مقيد محسوس ، الأداة مثل تشبيه مرسل ، الوجه نفع غيره وحرمان نفسه ، مجمل غير تمثيل ، الغرض تقبيح حال المشبه .

(٨) المشبه الدنيا مفرد محسوس . المشبه به الماء الملح مفرد مقيد محسوس . والأداة الكاف وهو تشبيه مرسل . الوجه عدم الفائدة مجمل غير تمثيل . الغرض تقبيح حال المشبه .

تمرين (١)

بين أركان التشبيه وأقسامه باعتبار كل فيما يلى :

(١) ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب فى الماء جذوة نار

(٢) الشمس من مشرقها قد بدت مُشرقة ليس لها حاجبُ

كأنها بُوتقةٌ أحميت يجول فيها ذهب ذائب

(٣) كأن سماءها لما تجلت خلال نجومها عند الصباح

رياضُ بنفَسج خَضِـــل نداه تفتّحُ فيه أنوار الأقاحى(١)

(٤) قال على كرم الله وجهه إنه لم يبق من الدنيا إلا كإناخة راكب أو صر حالب .

(٥) قال صاحب كليلة ودمنة : من صنع المعروف لعاجل الجزاء فهو كملق الحب للطير لا لينفعها بل ليصيدها .

(٦) فانهض بنار إلى فحم كأنهما في العين ظلم وإنصاف قد اتفقا

(٧) فإن أغش قوما بعده أو أزورهم فكالوحش يدنيها من الأنس المحل(٢)

(٨) إذا أقبلت قيس كأن عيونها حدق الكلاب وأظهرت سيماها(٣)

(٩) بفرع ووجه وقد وردف كليل وبدر وغصن وحقف

تمرين (٢)

(١) قال عليه السلام أمتى كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره .

(٢) ولقد ذكرتك والزمان كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يُعْشَقِ

(٣) فالخمر ياقوتة والكأس لؤلؤة من كف جارية ممشوقة القَدِّ

(٤) كأنَ ثبيراً فى عرانين وبْله كبير أناس فى بجاد مُزمّل(٤)

(٥) إنى وتزيينى بمدحى معشراً كمعلّق دراً على خـــنزير

---

(١) هما لابن المعتز فى وصف سحابة وقبلهما :

وموقرة بثقل الماء جاءت تهادى فوق أعناق الرياح

(٢) الانس محركا من تأنس به جمعه آناس ولغة فى الأنس والمحل الجدب .

(٣) السيما والسيمياء العلامة والهيئة (٤) ثبير جبل وعرانين السحاب أوائل مطره والبجاد كساء مخطط .

(٦) قال صاحب كليلة: صحبة الأشرار تورث الشر كالريح إذا مرت على النتن حملت نتناً، وإذا مرت على الطيب حملت طيباً.

(٧) ومامنع الضغائن مثل ضرب   ترى منه السواعد كالقلينا(١)

(٨) إذا قامت لحاجتها تثنت   كأن عظامها من خيزران

(٩) ثغر وخد ونهد واحمرار يد   كالطلع والورد والرمان والبلح

الباب الثانى

الحقيقة والمجاز. وفيه عشرون مبحثاً وتتمة

المبحث الأول فى أقسام الحقيقة

الحقيقة التى نبحث عنها هنا(٢) ضربان حقيقة من طريق اللغة، وحقيقة من ناحية المعنى والمعقول، بيان هذا أنا إذا وصفنا كلمة مفردة بكونها حقيقة كما إذا أطلقنا السبع على الحيوان المعروف واليد على الجارحة المخصوصة، كان ذلك الإطلاق حكما آتيا من ناحية اللغة ألا ترى أنا نقول إن المتكلم استعمل الكلمة فيما وضعت له ابتداء فى اللغة وإذا وصفنا بالحقيقة الجملة من الكلام كان ذلك الوصف آتيا من جانب المعقول دون اللغة لأن الأوصاف اللاحقة للجمل من حيث إنها جمل لايصح ردها إلى اللغة ولا وجه لنسبتها إلى واضعها لأن التأليف هو إسناد فعل إلى

(١) القلة مضرب الكرة (٢) إما بقية أنواع الحقائق فلايهم البحث عنها علماء الفصاحة وهى:

(٢) الحقيقة العرفية وهى التى نقلت من مسماها اللغوى إلى غيره بعرف الاستعمال وذلك العرف قسمان.

(١) عرف عام كقصر الاسم على بعض مسمياته كلفظ الملك فانها فى الأصل مأخوذة من الألوكة وهى الرسالة ثم اختص بها الجنس المخصوص وهم رسل السماء أعنى الملائكة، وكذا لفظ الجن فانه فى الأصل لكل ما استتر ثم اختص ببعض ما يستتر عن العيون (٢) عرف خاص وهو ماجرى على ألسنة العلماء من اصطلاحات العلوم كالرفع والنصب والإيجاز والاطناب.

(ب) الحقيقة الشرعية وهى اللفظ الذى وضعه الشرع لمعنى غير ماكان يدل عليه لغة، وذلك قسمان: أسماء شرعية لاتفيد مدحاً ولا ذما كالصلاة والزكاة، وأسماء تشعر بالمدح والذم كالمؤمن والفاسق والفاجر والكافر إلى غير ذلك.

اسم أو اسم إلى اسم وذلك شيء يحصل بقصد المتكلم فمثلا كتب لا يصير خبراً عن محمد فى قولك محمد كتب بوضع اللغة بل بمن قصد إثبات الكتابة فعلا له كذا فى أسرار البلاغة بتصرف .

المبحث الثانى فى تعريف الحقيقة

الحقيقة فى اللغة فعيل بمعنى فاعل من حق الشيء إذا ثبت أو بمعنى مفعول من حققت الشيء إذا أثبته ثم نقل إلى الكلمة الثابتة أو المثبتة فى مكانها الأصلى والتاء فيها للنقل من الوصفية إلى الاسمية .

وقد علمت مما سبق أن الحقيقة التى نبحث عنها هنا ضربان حقيقة لغوية وحقيقة عقلية .

(١) فاللغوية هى الكلمة المستعملة فيما وضعت(١) له فى اصطلاح التخاطب ، فخرج بقولنا المستعملة الكلمة قبل الاستعمال فلا تسمى حقيقة ولا مجازاً ، وبقولنا فيما وضعت له الغلط نحو خذ هذا الكتاب مشيراً إلى مسطرة ، والمجاز الذى لم يستعمل فيما وضع له لا فى اصطلاح التخاطب ولا فى غيره كالأسد المستعمل فى الرجل الشجاع ، لأن الاستعارة وإن كانت موضوعة فوضعها تأويلى أى يحتاج إلى قرينة لا تحقيق ، والمفهوم من إطلاق الوضع التحقيق وهو ما كانت الدلالة فيه بنفسه لا بقرينة ، وبقولنا فى اصطلاح التخاطب المجاز المستعمل فيما وضع له فى اصطلاح آخر غير الاصطلاح الذى وقع به التخاطب كالزكاة إذا استعملها الشرعى فى النماء فإنها تكون مجازاً لأنها لفظ استعمل فى غير ما وضع له فى اصطلاح الشرع وهو الجزء المخصوص الذى يؤخذ من المال ويعطى للسائل والمحروم وإن كان مستعملا فيما وضع له فى اصطلاح اللغة فلولا هذا القيد لتناول تعريف الحقيقة هذا المجاز .

---

(١) الوضع تعيين اللفظ للدلالة على معنى بنفسه ، فخرج بقولنا بنفسه المجاز لأن دلالته بالقرينة ودخل المشترك لأنه قد عين للدلالة على كل من المعنيين بنفسه وعدم فهم أحدهما بالتعيين لعارض لا ينافى ذلك فالقرء مثلا عين مرة للدلالة على الطهر بنفسه وأخرى للدلالة على الحيض بنفسه فهو موضوع لكل منهما على وجه الاستقلال .

(٢) والعقلية هى إسناد الفعل أو ما فى معناه إلى ما هو له عند المتكلم فى الظاهر أى إسناد الفعل أو ما فيه معناه وهو المصدر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل والظرف إلى ما هو له عند المتكلم فيما يفهم من ظاهر (١) حاله بألا ينصب قرينة على أنه غير ما هو له فى اعتقاده ، ومعنى كونه له أن حقه أن يسند إليه لأنه وصف له وذلك كإسناد الفعل المبنى للفاعل إلى الفاعل وإسناد الفعل المبنى للمفعول إلى المفعول وستأتى الأمثلة عند ذكر أقسامها .

وأقسامها أربعة :

(١) ما يطابق الواقع والاعتقاد معاً كقول الموحد خلق الله العالم .

(٢) ما يطابق الواقع دون الاعتقاد ولا يكاد يوجد له مثال ومثلوا له بقول المعتزلى لمن لا يعرف حقيقة حاله وهو يخفيها عنه [خلق الله الأفعال كلها] إذ هو لا يعتقد ذلك وإنما يعتقد أن الأفعال الاختيارية مخلوقة بكسب العبد واختياره .

(٣) ما يطابق الاعتقاد دون الواقع كقول الطبعى المنكر لوجود الإله شفى الطبيب المريض ، وعليه قوله تعالى حكاية عن بعض الكفار (وما يهلكنا إلا الدهر) .

(٤) مالا يطابق شيئاً منهما كالأقوال الكاذبة التى يكون المتكلم عالماً بحالها دون المخاطب كما تقول سافر محمد ، وأنت تعلم أنه لم يسافر ، فلو علمه المخاطب كما علمه المتكلم لما تعين كونه حقيقة لجواز(٢) أن يجعل المتكلم علم السامع بأنه لم يسافر قرينة على عدم إرادة ظاهره فلا يكون إسناداً إلى ما هو له عند المتكلم فى الظاهر .

المبحث الثالث فى تعريف المجاز وأقسامه

المجاز مفعل واشتقاقه من الجواز وهو التعدى من قولهم جزت موضع كذا

---

(١) سيأتى ايضاح ذلك فى المجاز . (٢) فيكون مجازا عقلياً إن كان الاسناد إلى محمد للابسة كأن كان محمد سبباً فى سفر المسافر حقيقة ، أو يكون حقيقة عقلية كاذبة إذا كان المتكلم لم يجعل علم السامع قرينة على أنه لم يرد ظاهره .

إذا تعديته ، سمى به المجاز الآتى بيانه لأنهم جازوا به موضعه الأصلى أو جاز هو مكانه الذى وضع فيه أولا .

وفى الاصطلاح قسمان مجاز عقلى ولغوى والأول سنتكلم عنه بعد ، والثانى ضربان مفرد ومركب ، فالمركب سيأتى بيانه .

والمفرد هو الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له فى اصطلاح التخاطب لملاحظة علاقة(١) بين الثانى والأول مع قرينة(٢) تمنع إرادة المعنى الأصلى كالأسد المستعمل فى الشجاع ، والغيث المستعمل فى النبات ، فخرج بقولنا الكلمة المستعملة الكلمة قبل الاستعمال فلا هى حقيقة ولا مجاز ، وبقولنا فى غير ما وضعت له الحقيقة ، وبقولنا فى اصطلاح التخاطب الحقيقة التى لها معنى آخر فى اصطلاح التخاطب كالزكاة إذا استعملها المتكلم باصطلاح اللغة فى النماء فانها يصدق عليها أنها كلمة مستعملة فى غير ماوضعت له لكن باصطلاح آخر وهو اصطلاح الشرع لا اصطلاح المتكلم وهو اللغة ، فلولا هذا القيد لأمكن دخول هذه الحقيقة فى تعريف المجاز ، وبقولنا لملاحظة علاقة وهى المناسبة الخاصة بين المعنى المنقول عنه والمنقول إليه ، الغلط كالكتاب إذا استعمل فى المسطرة غلطا فى نحو قولك خذ الكتاب مشيرا إلى مسطرة فانه ليس فيه علاقة ملحوظة ، وبقولنا مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى الكناية فان قرينتها لا تمنع من إرادة الموضوع له .

وينقسم إلى مجاز مرسل واستعارة لأن العلاقة المصححة للتجوز إن كانت غير المشابهة فمجاز مرسل وإلا فاستعارة .

المبحث الرابع فى المجاز المرسل(٣)

هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة ومناسبة غير

---

(١) هى بفتح العين على الأفصح وسميت كذلك لأن بها يتعلق ويرتبط المعنى الثانى بالأول

(٢) هى ما يفصح عن المراد من اللفظ وسيأتى أنها تارة تكون لفظاً وتارة تكون غيره

(٣) سمى بذلك لإرساله وإطلاقه عن التقييد بعلاقة خاصة .

المشابهة كاليد إذا استعملت فى النعمة ، لما جرت به العادة من صـــدورها عن الجارحة وبواسطتها تصل إلى المقصود بها ، ويجب أن يكون فى الكلام دلالة على ربّ تلك النعمة ومصدرها بنسبتها إليه ومن ثم لا تقول اقتنيت يداً ولا اتسعت اليد فى المدينة كما تقول اقتنيت نعمة وكثرت النعمة فى البلد .

وإنما تقول جلّت يده عندى وكثرت أياديه لدى أو ماشاكل ذلك ، ومن هذا قوله عليه السلام لأزواجه « أسرعكن لحوقا بى أطولكن يدا » إذ المراد بسط اليد بالعطاء والبذل .

ونظير ذلك اليد إذا استعملت فى القدرة لأن أجلى مظاهرها وأحكمها فى اليد ألا ترى أن بها البطش والتشكيل والأخذ والقطع والرفع والوضع إلى غير ذلك من أفاعيلها التى ترشدك إلى وجوه القدرة ومكانها .

ومن هذا النمط الأصبع فى قولهم لراعى الإبل إن له عليها إصبعاً أى أثرا حسناً كما قال الراعى يصف راعياً :

ضعيف العصا بادى العروق ترى له عليها إذا ما أجدب الناس إصبعاً

دلوا على أثر المهارة والحذق بالأصبع من قبل أنهما لا يظهران فى عمل اليد إلا فى حسن تصريف الأصابع وخفة رفعها ووضعها كما يظهر ذلك فى الخط والنقش وغيرهما من دقائق الصناعات .

وعلاقات هذا المجاز كثيرة أشهرها :

(١) السببية وهى كون الشىء المنقول عنه سبباً ومؤثرا فى شىء آخر نحو رعى جوادى المطر أى الكلأ الحادث بالغيث .

(٢) المسببية وهى كون المنقول عنه مسبباً ومتأثرا من شىء آخر نحو أمطرت السماء نباتاً أى ماء به يوجد النبات ، وتناولت كأس الشفاء أى الدواء وعليه قوله تعالى (وينزّل لكم من السماء رزقاً) أى مطرا يسبب الرزق ، وقوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) أى سلاح يحدث القوة والمنعة .

(٣) الكلية وهى كون الشيء متضمناً لشيء آخر ولغيره كالأصابع المستعملة فى الأنامل فى قوله تعالى (يجعلون أصابعهم فى آذانهم) أى رؤوس أناملهم، ونحو شربت ماء النيل أى بعضه والقرينة شربت ، وسكنت مصر أى منزلاً من منازلها والقرينة سكنت .

(٤) الجزئية بمعنى أن الشيء يتضمنه وغيره شيء آخر كإطلاق العين على الربيئة(١) لكونها هى المقصودة فى كون الرجل ربيئة لأن ما عداها لا يغنى شيئاً مع فقدها فصارت كأنها الشخص كله ، ومن هذا قوله تعالى (قم الليل إلا قليلا) أى صل ، وقوله (لا تقم فيه أبدا) أى لا تصل وقولهم قال فلان اليوم كلمة نالت استحسان الجميع أى كلاما مفيدا .

وشروط هذه العلاقة أمران :

(ا) أن يكون الكل مركباً تركيباً حقيقياً .

(ب) أن يستلزم انتفاء الجزء انتفاء الكل عرفاً كما فى إطلاق الرقبة أو الرأس على الانسان دون إطلاق الظفر أو الأذن مثلا ، أو أن يكون زائد الاختصاص بالمعنى المطلوب من الكل كما فى إطلاق اليد على المعطى والعين على الربيئة ، أو أن يكون أشرف أجزائه كما فى إطلاق القافية على القصيدة فى قول معن بن أوس :

أعلمه الرماية كل يوم   فلما استدّ ساعده رمانى
وكم علمته نظم القوافى   فلما قال قافية هجانى(٢)

(٥) الملزومية وهى كون الشيء يجب عند وجوده وجود شيء آخر كما فى إطلاق الشمس على الضوء فى قولك دخلت الشمس من الكوّة والقرينة على ذلك دخلت .

(٦) اللازمية(٣) وهى كون الشيء يلزم وجوده عند وجود شيء آخر كما

---

(١) هو الشخص يطلع على عورات العدو فى مكان عال وهو أيضاً الجاسوس .

(٢) استد من السداد فى الرأى أى استقام .

(٣) المعتبر هنا اللزوم الخاص وهو عدم الانفكاك .

فى إطلاق الحرارة على النـار وإطلاق الضوء على الشمس فى قولك انظر الحرارة أى النار وطلع الضوء أى الشمس والقرينة على ذلك نظر وطلع .

(٧) اعتبار ما كان وهو النظر إلى الشىء بما كان عليه فى الزمن الماضى نحو شربت بنًّا جيداً تريد قهوة بن ، ونحو مشيت اليوم فى شارع بُلاق تريد شارع فؤاد الأول قبل تغيير الاسم ، وعليه قوله تعالى (وآتوا اليتامى أموالهم) سمى الذين أمرنا بايتائهم أموالهم حال البلوغ يتامى لما كانوا عليه من اليتم ، ونحوه (إنه من يأت ربه مجرماً) ، سماه مجرماً باعتبار الدنيا ، والقرينة على ذلك شربت واليوم وآتوا ويأت .

(٨) اعتبار ما سيكون وهو النظر إلى الشىء بما سيكون عليه فى الزمن المستقبل نحو غرست اليوم شجراً وأنت تعنى بذوراً ، وطحنت خبزا أى قمحاً ، وعليه قوله تعالى (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) أى صائرا إلى الكفر والفجور ، وقوله (إنى أرانى أعصر خمرا) أى عنبا يؤول عصيره إلى الخمرية ، والقرينة على ذلك حالية فى الأول ومقالية فى الباقى وهى طحن ويلد وأعصر .

(٩) الحالية وهى كون الشىء حالا فى غيره نحو نزلت بالقوم فأكرمونى أى بدارهم ، وعلى ذلك قوله تعالى (ففى رحمة الله هم فيها خالدون) أى فى الجنة التى هى محل الرحمة والقرينة نزل و (هم فيها خالدون) .

(١٠) المَحلية وهى كون الشىء يحل فيه غيره نحو انصرف الديوان أى عماله وحكمت المحكمة ، أى قضاتها ، وأقرت المدرسة توزيع الجوائز على النابغين أى ناظرها ، والقرينة على ذلك انصرف وحكمت وأقرت ، وقوله تعالى (فليدع ناديه) أى أهل النادى ، وقوله تعالى (بيده الملك) أى القدرة ، وقوله تعالى (لهم قلوب لا يفقهون بها) ، أى عقول وقوله تعالى (يقولون بأفواههم) أى ألسنتهم ، والقرينة انصرف وحكمت ويدعو وبيده ويفقهون ويقولون .

(١١) الآلـيَّة وهى كون الشىء آلة لإيصال أثر شىء إلى آخر نحو يتكلم فلان خمس ألسن أى خمس لغات ، ونحو (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه)

أى بلغة قومه ، (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) أى ذكرا جميلا ، والقرينة يتكلم وأرسلنا واجعل .

(١٢) العموم وهو كون الشيء شاملا لكثيرين كقوله تعالى (أم يحسدون الناس) أى محمدا عليه السلام ، وقوله عز من قائل (الذين قال لهم الناس) يعنى نعيم بن مسعود الأشجعى ، والقرينة على ذلك أن الحسد ما كان إلا له وأن القائل ما كان إلا نعيما .

(١٣) الخصوص كاطلاق اسم الشخص على القبيلة نحو ربيعة ومضر وقريش وتميم .

(١٤) البدلية وهى كون الشيء بدلا وعوضاً من شيء آخر نحو قضيت الدين فى موعده أى أديته ، وفى ملك فلان ألف دينار أى متاع يساوى ألفاً ، ونحو (فاذا قضيتم الصلاة) أى أديتم ، والقرينة فى موعده فى الأول وحالية فى الثانى والثالث.

(١٥) المبدلية أى كون الشيء مبدلا من شيء آخر نحو أكلت دم القتيل أى ديته كما قال عروة الرحال يخاطب امرأته متوعدا :

أكلت دما إن لم أرُعْك بضَرّة   بعيدة مَهْوَى القُرْطِ طيبةِ النَّشر(١)

(١٦) المجاورة وهى كون الشيء يجاور غيره فيطلق عليه اسمه كاطلاق الراوية على القربة(٢) والثياب على النفس فى قول عنترة :

فشككتُ بالرمح الأصم ثيابه   ليس الكريم على القنا بمحرَّم

وقد تكون المجاورة فى الذكر فقط وتسمى المشاكلة نحو اطبخوا لى جبة وقميصاً .

---

(١) راعه خوفه والقرط مايعلق فى شحمة الأذن وبعيدة مهوى القرط كناية عن طول عنقها قاله يتوعد زوجه بالزواج بأخرى حسنة جميلة وقبله :

أما لك عمر إنما أنت حية   إذا هى لم تقتل تعش آخر العمر
ثلاثين حولا لا أرى منك راحة   لهنك فى الدنيا لباقية العمر

(٢) الراوية الدابة التى يستقى عليها .

(١٧) الداليّة وهى كون الشىء يدل على شىء آخر نحو : فهمت الكتاب أى معناه كما قال المتنبى :

فهمتُ الكتاب أبر الكتبْ فسمعا لأمر أمير العربْ

(١٨) المدلولية وهى كون الشىء مدلولا لغـيره نحو قرأت معناه مشفوعاً بتقبيل تريد لفظه .

(١٩) إقامة صيغة مقام أخرى وتسمى هذه العلاقة بالتعلق الاشتقاقى ويندرج تحت هذا أنواع .

(ا) إطلاق المصدر على اسم المفعول نحو (ولا يحيطون بشىء من علمه) أى معلومه .

(ب) اطلاق اسم المفعول على المصدر نحو (بأيكم المفتون) أى الفتنة .

(ح) إطلاق اسم الفاعل على المصدر نحو (ليس لوقعتها كاذبة) أى تكذيب، أو على اسم المفعول نحو (من ماء دافق) أى مدفوق ، (ولا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) أى لا معصوم .

(د) اطلاق اسم المفعول على اسم الفاعل نحو (إنه كان وعده مأتياً) أى آتياً ، (وحجابا مستورا) أى ساترا .

تنبيهات

(١) ليس المقصود من العلاقة إلا بيان الارتباط ، فالفطن اللبيب يعرف ما يناسب كل مقام فيصح أن يعتبر فى إطلاق الدل على المدلول علاقة المجاورة بأن يتخيل أن الدال مجاور للدلول ، أو علاقة الحالية نظرا إلى أن الدال محل للدلول كما يقولون الألفاظ قوالب المعانى ، أو علاقة السببية والمسببية أو نحو ذلك بحسب مايهدى إليه الذوق ويرشد إليه الوجدان الصادق .

(٢) قد يكون اللفظ الواحد صالحاً لأن يكون بالنظر إلى معنى واحد مجازا مرسلا واستعارة باعتبارين . فإذا جاز مراعاة علاقتين أو أكثر فالمعول عليه

هو مالاحظه المتكلم ، فان لم يعرف مقصده صح للمخاطب أن يعتبر ما يشاء ولكن بعد أن ينعم النظر ويرجح أكثرها قوة وأشدها ملاءمة للغرض ، ومن ثمة ترجح علاقة المشابهة على غيرها . والمشابهة الحقيقية على الصورية فمثلا المشفَر إذا أطلق على شفة الإنسان فإن لوحظ فى إطلاقه عليها المشابهة فى الغلظ فهى استعارة ، وإن لوحظ أنه من إطلاق اسم المقيّد على المطلق كان مجازا مرسلا .

(٣) قسم الإمام عبد القاهر هذا المجاز إلى قسمين : خال من الفائدة ومفيد ، فالخالى منها ما استعمل فى شىء بقيد مع كونه موضوعاً فى أصل اللغة لذلك الشىء بقيد آخر من غير قصد التشبيه كالمرْسن الذى أصله للحيوان والشفة التى أصلها للإنسان والجحفلة التى أصل وضعها للفرس إذا استعمل شىء منها فى غير الجنس الذى وضعت له كقول العجاج : وفاحما ومَرْسنا مسرجا يريد أنفا كالسراج ، وقول الآخر :

فبتنا جلوساً لدى مهرنا نُنزّع من شفتيه(١) الصُّفارا(٢)

أما المفيد فما عدا هذا الضرب والاستعارة كما إذا قصد التشبيه فى الأمثلة الماضية كقولهم فى الذم إنه لغليظ الجحافل وغليظ المشافر فانه بمنزلة أن يقال كأن شفتيه فى الغلظ مشفر البعير وعليه قول الفرزدق :

فلو كنتَ ضبّيا عرفت قرابتى ولكن زنْجى غليظ المشافر

يريد ولكنك زنجى كأنه جمل لا يسمو فكره إلى معرفة شرفى .

(٤) يلاحظ مماسبق أن اسم العلاقة يستفاد من وصف الكلمة التى تذكر فى الجملة فان كانت الجزء جعلت العلاقة الجزئية وإن كانت الكل جعلت الكلية وهكذا .

أسرار البلاغة فى المجاز المرسل

المجاز المرسل ضرب من التوسع فى أساليب اللغة وفن من فنون الإيجاز فى القول ، انظر قوله :

---

(١) اسم لإحدى شفتى البعير (٢) الصفار يطلق على ما يبقى فى أصول أسنان الدابة من تبن ونحوه

كفى بالمرء عيباً أن تراه له وجه وليس له لسان

تره قد سلك طريقا أرشد بها السامعين إلى أن من فقد الفصاحة والبيان فكأنه فقد اللسان جملة، وفى هذا من كمال المبالغة ما أنت تشعر به وتتذوقه.

وهكذا تشاهد مثل هذا الخيال الرائع إذا أنت تأملت قوله:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضاباً

فانك لتستبين منه أنه رعى الغيث. وكأن النبات كله ماء، وفى هذا كبير دلالة على أن النبات لا يحيا بدون الماء، وعلى أن عليه حياة الحيوان على وجه الأرض، وأنه بدونه لا يعيش.

تدريب أول

بين المجاز المرسل وعلاقته فيما يلى:

(١) إن العدو وإن تقادم عهده فالحقد باق فى الصدور مغيب

(٢) (فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون).

(٣) وإن حلفت لا ينقض النأى عهدها فليس لمخضوب البنان يمين

(٤) ولم يبق سوى العدوا ن دناهم كما دانوا

(٥) مكثنا فى (النعيم المقيم).

(٦) (والسموات مطويات بيمينه).

(٧) (كتب عليكم القصاص فى القتلى).

(٨) (إنما يأكلون فى بطونهم نارا).

الإجابة

(١) فى الصدور مجاز مرسل مفرد علاقته المحلية لأن الصدور محل القلوب التى تتأثر بالحقد وغيره.

(٢) فى الأنباء مجاز مرسل علاقته التعلق الاشتقاقى إذ الوعيد ليس بالنبأ بل بالمنبأ به أى المخبر به.

(٣) فى كلمة البنان مجاز علاقته الجزئية إذ المراد الكف ، وكذا فى يمين مجاز علاقته السببيه إذ المراد ليس لها وفاء بالمحلوف عليه .

(٤) فى دتـام مجاز مرسل علاقته المسببية إذ المراد جازينام كما فى المثل كاتدين تدان أى كما تفعل تجازى .

(٦) فى كلمة يمينه مجاز مرسل علاقته المحلية إذ المعنى بقوته وقدرته .

(٧) فى كلمة القتلى مجاز مرسل علاقته ما سيكون إذ المراد فيمن سيقتلون .

(٨) فى كلمة ناراً مجاز مرسل علاقته المسببية لأن أكل هذه الأموال يوصل إلى النار .

تدريب ثان

(١) (ذلك بما قدّمت أيديهم) (٢) (فظلّت أعناقهم لها خاضعين)

(٣) ناولنى الطبيب جُرْعة الشفاء (٤) (وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم) .

(٥) بلادى وإن جارت علىّ عزيزة وأهلى وإن ضنّوا علىّ كرام

(٦) لك القلم الأعلى الذى بشباته يصاب من الأمر الكلى والمفاصل(١)

(٧) (وكم من قرية أهلكناها) .

(٨) (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) .

الكلمة	المراد	العلاقة	الكلمة	المراد	العلاقة
أيديهم	قدمواهم	الجزئية	أعناقهم	ظلواهم	الجزئية
جرعة الشفاء	جرعة الدواء	المسببية	الأنهار	مياهها	المحلية
بلادى	أهلها	المحلية	بشباته	ما تكتبه	الآلية
أهلكناها	أردنا إهلاكها	المسببية	فاعتدوا عليه	جازوه	السببية

(١) الشباة حد السيف ونحوه والمراد هنا حد القلم وإصابة الكلى كناية عن إصابة الصواب .

تمرين (١)

بين المجاز المرسل وعلاقته فيما يلي :

(١) تنبت أرض مصر ذهبا . (٢) هذا خلق الله .

(٣) (لا مبدل لكلمات الله) . (٤) حفرنا الماء [البئر]

(٥) قرأت شعر أبي العلاء . (٦) ركبت القطار .

(٧) (ومن الليل فاسجد له) . (٨) يتخرج في المدرسة رجال نافعون

تمرين (٢)

(١) أصدق كلمة قالها لبيد ، ألا كل شيء ما خلا الله باطل .

(٢) إذا الكماة تنحّوا أن يصيبهم ... حدّ الظُّباة وصلناها بأيدينا(١)

(٣) كفى بالمرء عيبا أن تراه ... له وجه وليس له لسان

(٤) أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهمُ ... فطالما استعبد الإنسان إحسان

(٥) ألا لا يجهلنْ أحد علينا ... فنجهلَ فوق جهل الجاهلينا

(٦) وليست أيادى الناس عندى غنيمة ... وربّ يد عندى أشدّ من الأسر

(٧) تسيل على حد الظبات نفوسنا ... وليست على غير الظبات تسيل

(٨) ألما على معن وقولا لقبره ... سقتك الغوادى مربعا بعد مربع(٢)

(٩) قال الحطيئة :

ندمت على لسان كان منى ... فليت بأنه فى جوف عكم

المبحث الخامس فى الاستعارة ومنزلها فى البلاغة

قال الإمام فى أسرار البلاغة ، اعلم أن الاستعارة أمد ميداناً ، وأشد افتناناً ،

---

(١) الظبات : جمع ظبة حد السيف والمراد هنا السيف جميعه .

(٢) الغوادى : جمع غادية السحابة تنشأ غدوة والمربع المطر فى الربيع .

وأوسع سعة وأبعد غورا ، وأذهب نجداً فى الصناعة وغورا(١) من أن تجمع شعبها وشعوبها ، وتحصر فنونها وضروبها ، ومن خصائصها أنها تعطيك الكثير من المعانى حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر وتجنى من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر ، وتجد التشبيهات على الجملة غير معجبة ما لم تكنها ، إن شئت أرتك المعانى التى هى من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون ، وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها الظنون انتهى .

وللاستعارة اطلاقان :

(١) المعنى المصدرى وهو فعل المتكلم أعنى استعمال لفظ المشبه به فى المشبه بقرينة صارفة عن الحقيقة .

وأركانها بهذا المعنى ثلاثة مستعار وهو اللفظ ومستعار منه وهو المشبه به ومستعار له وهو المشبه .

(٢) المعنى الاسمى وهو اللفظ المستعمل فى غير المعنى الموضوع له لمناسبة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة تصرف عن إرادة المعنى الأصلى كقولك رأيت أسداً تعنى رجلا شجاعاً وبحراً تريد جواداً وشمساً تريد إنساناً مضىء الوجه متهللا ، وسللت سيفاً على العدو تقصد رجلا ماضياً فى نصرتك .

فأنت بهذا قد استعرت اسم الأسد للرجل الشجاع فأفدت بهذه الاستعارة المبالغة فى وصفه بالشجاعة وإيقاعك منه فى نفس السامع صورة الأسد فى بطشه وإقدامه وشدته إلى غير ذلك من المعانى المركوزة فى طبيعته الدالة على الجرأة ، وأفدت باستعارة البحر له سعته فى الجود وفيض الكف ، وباستعارة الشمس له إعطاءه ما لها من البهاء والحسن الذى يبهر العيون ويملأ النواظر ، وباستعارة السيف له إعطاءه ماله من الحدة والمضاء .

وهى تشبيه حذف أحد طرفيه وأداته ووجه الشبه ، لكنها أبلغ منه لأننا مهما بالغنا فى التشبيه فلا بد من ذكر الطرفين وهذا اعتراف بتباينهما وأن

(١) الغور الأول القعر والثانى الوادى .

العلاقة بينهما ليست إلا التشابه والتدانى فلا تصل إلى حد الاتحاد إذ جعلت لكل منهما اسماً يمتاز به دليل على عدم امتزاجهما واتحادهما ، بخلاف الاستعارة فإن فيها دعوى الاتحاد والامتزاج وأن المشبه والمشبه به صارا شيئاً واحداً يصدق عليهما لفظ واحد فاذا قلت رأيت بحراً يعطى البائس والمحتاج كنت قد جعلت الجواد والبحر شيئاً واحداً حتى صح أن تسمى أحدهما باسم الآخر ، ولولا ما أقمت من الدليل [القرينة] على ما تريد لما خطر ببال المخاطب غير البحر الذى تعورف بهذا الاسم .

ومن قبل هذا اشترط فيها تناسى التشبيه وادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به فلا يذكر وجه الشبه ولا أداته لا لفظاً ولا تقديراً ، كما لا يجمع فيها بين الطرفين على وجه ينبيء عن التشبيه بأن يكون المشبه به خبرا(١) عن المشبه أو فى حكم الخبر(٢) كما فى بابى كان وإن والمفعول الثانى(٣) فى باب ظن ، أو حالا (٤) أو صفة(٥) أو مضافاً كلجين(٦) الماء أو مصدر مبنيا لنوعه(٧) أو مبينا بالمشبه صريحاً أو ضمنا كقوله(٨) تعالى (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) فقد بين الخيط الأبيض بالفجر صريحاً وفى ضمنه تبيين الخيط الأسود بالليل ، فكل هذا تشبيه محذوف الأداة .

---

(١) كقوله عليه السلام للأنصار أنتم الشعار والناس الدثار . (٢) نحو أن محمدا قذى فى عين إبراهيم وقول البحترى :

بنت بالفضل والعلو فأصبحت سماء وأصبح الناس أرضا

(٣) كقوله عليه السلام « لا تتخذوها كراسى لأحاديثكم فى الطرق والأسواق » .

(٤) كقوله :

بدت قمراً ومالت خوط بان وفاحت عنبراً ورنت غزالا

(٥) كقولك : هذه امرأة قمر . (٦) فى قوله :

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

(٧) نحو (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) (٨) وقول بعضهم :

فما زلت فى ليلين شعر وظلمة وشمسين من خمر ووجه حبيب

وقول شوقى :

ودخلت فى ليلين فرعك والدجى ولثمت كالصبح المنور فاك

قال عبد القاهر فى بيان هذا — إذا دلت القرينة على تشبيه شىء بشىء فهذا على ضربين :

(١) أحدهما أن يسقط ذكر المشبه من البين حتى لا يعلم من ظاهر الحال أنك أردته كقولك عنّت لناظبية وأنت تريد امرأة ، ووردنا بحراً وأنت تريد الممدوح وهذا تقول إنه استعارة ولا تتحاشى البتة .

(٢) أن يكون المشبه مذكوراً أو مقدراً وحينئذ فالمشبه به إن كان خبراً أو فى حكم الخبر فالوجه أن يسمى تشبيهاً ولا يسمى استعارة لأن الاسم إذا وقع هذه المواقع كان الكلام موضوعا لإثبات معناه لما يعتمد عليه أو نفيه عنه فاذا قلت زيد أسد فقد وضعت كلامك فى الظاهر لإثبات معنى الأسد لزيد ، وإذا امتنع إثبات ذلك له على الحقيقة كان لإثبات شبه من الأسد له فيكون اجتلابه لإثبات التشبيه فيكون خليقاً بأن يسمى تشبيهاً إذ كان إنما جاء ليفيده ، بخلاف الحالة الأولى فان الاسم فيها لم يجتلب لإثبات معناه للشىء كما إذا قلت جاءنى أسد ورأيت أسداً فان الكلام فى ذلك موضوع لإثبات المجىء واقعاً من الأسد والرؤية واقعة منك عليه لا لإثبات معنى الأسد لشىء فلم يكن ذكر المشبه به لإثبات التشبيه وصار قصد التشبيه مكنوناً فى الضمير لا يعلم إلا بعد الرجوع إلى شىء من النظر والتأمل .

وإذا افترقت الصورتان هذا الافتراق ناسب أن يفرق بينهما فى الاصطلاح والعبارة بأن نسمى إحداهما تشبيهاً والأخرى استعارة .

ثم قال فان أبيت إلا أن تطلق اسم الاستعارة على هذا القسم ، فان حسن دخول أدوات التشبيه لا يحسن إطلاقه وذلك كأن يكون المشبه به معرفة كقولك زيد الأسد فانه يحسن أن يقال زيد كالأسد ، وإن حسن دخول بعضها دون بعض هان الخطب فى إطلاقه وذلك كأن يكون نكرة غير موصوفة كقولك زيد أسد فانه لا يحسن أن يقال زيد كأسد ويحسن أن يقال كأن زيدا أسد ووجدته أسدا ، وإن لم يحسن دخول شىء منها إلا بتغيير صورة الكلام كان اطلاقه

أقرب لغموض تقدير أداة التشبيه فيه وذلك بأن يكون نكرة موصوفة بما لا يلائم المشبه به كقولك هو بدر يسكن الأرض وهو شمس لا تغيب وكقوله :

شمس تألق والفراق غروبها عنا وبدر والصدود كسوفه

فانه لا يحسن دخول الكاف ونحوه فى شىء من هذه الأمثلة إلا بتغيير صورته كقولك هو كالبدر إلا أنه يسكن الأرض وكالشمس إلا أنه لا تغيب وكالشمس المتألقة إلا أن الفراق غروبها وكالبدر إلا أن الصدود كسوفه انتهى بتصرف واختصار كثير .

والتشبيه الذى يجب تناسيه هو الذى من أجله وقعت الاستعارة لا كل تشبيه فليس بمحظور أن تقول رأيت أسداً فى الحمام مثل الفيل فى الضخامة ، ولا جاورت ليثا كأنه بحر متلاطم الأمواج .

ومن اشتراط ادعاء دخول المشبه فى المشبه به يتضح لك أنه لابد أن يكون المشبه به كلياً كاسم الجنس وعلم الجنس ، فلا تتأتى الاستعارة فى الأعلام الشخصية لعدم تصور الشركة فيها حتى يمكن ادعاء دخول شىء فى حقائقها إلا إذا تضمنت أوصافاً بها يصح أن تعتبر كأنها أجناس كتضمن حاتم الجود ومادر البخل وقُسّ الفصاحة وباقل العىّ والفهاهة فتقول رأيت اليوم حاتماً أو قُساً وتدعى كلية حاتم أو قس ودخول المشبه فى جنس الجواد والفصيح حتى كأن حاتماً موضوع لمن اتصف بالجواد سواء أكان هو ذلك الطائى المشهور أم غيره ، وإن كان إطلاقه على الطائى حقيقة وعلى غيره ادعاء ، وكذا القول فى قس ، وكل ما كان من هذا الضرب فسبيله هذه السبيل .

المبحث السادس فى الاستعارة أمجاز لغوى هى أم مجاز عقلى

يرى الجمهور أن الاستعارة مجاز لغوى وأيده الإمام فى أسرار البلاغة ، وحجتهم على ذلك أنا إذا أجرينا اسم الأسد على الرجل الشجاع فإنا لا ندعى له صورة الأسد وشكله وعبالة عنقه ومخالبه ونحو ذلك من الأوصاف الظاهرة

التى تبدو للعيون وتشاهد بالحواس ، وإنما ندعى له ذلك من أجل اختصاصه بالشجاعة التى هى من أخص أوصاف الأسد وأمكنها .

ومن الجلى الواضح أن اللغة لم تضع الاسم لها وحدها بل لها فى مثل تلك الجثة وهاتيك الصورة والهيئة ولو كانت وضعته للشجاعة وحدها لكان صفة لا اسماً ولكان كل شىء يبلغ فى شجاعته إلى هذا الحد جديراً بهذا الاسم على جهة الحقيقة لا على طريق التشبيه والتأويل .

ويرى آخرون أنها مجاز عقلى بمعنى أن التصرف(١) فيها فى أمر عقلى لا لغوى واختاره الإمام فى دلائل الاعجاز ودليلهم علـى ذلك أنها لا تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله فى جنس المشبه به لأن نقل الاسم وحده لو كان استعارة لكانت الأعلام المنقولة كزيد ويشكر تستحق هذا الاسم ، ولما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة لأنه لا بلاغة فى اطلاق الاسم المجرد عارياً عن معناه .
وإذا كان نقل الاسم تبعاً لنقل المعنى كان مستعملا فيما وضع له ومن ثم صح التعجب فى قول ابن العميد(٢) يصف غلاماً له جميلا :

قامت تظللنى من الشمس ... نفس أعز علىَّ من نفسى
قامت تظللنى ومن عجب ... شمس تظللنى من الشمس

كما صح النهى عنه فى قول الحسن بن طباطبا :

يامن حكى الماء فرطُ رقّته ... وقلبه فى قساوة الحجر
ياليت حظّى كحظّ ثوبك من ... جسمك يا واحداً من البشر
لا تعجبوا من بلى غلالته ... قد زرّ أزاره على القمر(٣)

---

(١) فى هـذا إشارة إلى أنه لا يراد بالعقلى هنا المجاز العقلى الآتى إذ هنا المجاز فى الـكلمة وفيما سيأتى المجاز فى الاسناد ، بل المراد بالعقلى المتصرف فيه هو المعانى العقلية والتصرف فيها جعل بعضها نفس البعض الآخر وإن لم يكن كذلك فى الحقيقة .

(٢) هو أبو الفضل محمد بن الحسين كاتب ديوان الرسائل للملك نوح بن نصر من الدولة البويهية

(٣) البلى من بلى الثوب خلق وقدم والغلالة ثوب صغير صيق الكمين كالقميص وزررت القميص عليه شددت أزراره ، وقد قيل إن هذا تشبيه لا استعارة لأن المشبه •

فلولا أن ابن العميد ادعى لغلامه معنى الشمس الحقيقى لما كان لهذا التعجب وجه إذ ليس ببدع ولا منكر أن يظلل إنسان حسن الوجه إنساناً ويقيه وهج الشمس بشخصه، ولولا أن أبا الحسن جعل صاحبه قمراً حقيقياً لما كان للنهى عن التعجب معنى لأن الكتان إنما يسرع إليه البلى حين يلابس القمر الحقيقى لا إنساناً بلغ الغاية فى الحسن.

وأنت إذا أنعمت النظر رأيت حجة الجمهور دامغة وأنها أحرى بالقبول — بيان هذا أن ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به لا يخرجه عن كونه مستعملا فى غير ما وضع له، وأما صحة التعجب والنهى عنه فلبناء الاستعارة على تناسى التشبيه وادعاء أن المشبه به عين المشبه حتى تتم المبالغة إذ من الواضح أن أسداً فى قولك رأيت أسداً مستعمل فى الشجاع والمعنى الموضوع له الأسد الحقيقى لا الادعائى فكأنك ادعيت أن للأسد صورتين إحداهما متعارفة وهى التى لها الاقدام والبطش فى الهيئة المعروفة للحيوان المعروف، وثانيتهما غير متعارفة وهى التى لها الجرأة والقوة لكن لا مع تلك الصورة بل مع صورة أخرى على النحو الذى ادعاه المتنبى فى عد نفسه وجماعته من جنس الجن وعد جماله من جنس الطير حين يقول:

نحن ركبٌ ملجنّ فى زىّ ناس فوق طير لها شخوصُ الجمال

مستشهداً لدعواه بما يتخيل عرفاً من نحو حكمهم إذا رأوا إنساناً لا يقاومه أحد، إنه ليس بإنسان وإنما هو أسد أو هو أسد فى صورة إنسان.

والقرينة التى تنصب فى الكلام تنفى المتعارف الذى يسبق إلى الفهم وهو المعنى الأول وتعين ما أنت تستعمل له الأسد وهو ثانى المعنيين.

[تنبيه] الفرق بين الاستعارة والكذب من وجهين:

(أ) بناء الدعوى فيها على التأويل أى تأويل دخول المشبه فى جنس المشبه به.

* مذكور وهو الضمير فى غلالته وأزراره، وجواب ذلك أن الذكر على هذا الوجه لا ينافى الاستعارة لأنه لا ينبىء عن التشبيه إذ ليس المشبه به واقعاً خبراً عن المشبه ولا حالا ولا صفة فهو شبيه بقولك سيف محمد فى يد أسد

(ب) نصب القرينة على أن المراد بها خلاف ظاهرها ، أما الكاذب فيتبرأ من التأويل ويركب كل صعب وذلول لترويج ما يدعيه وإيهام أن ليس الحق إلا ما يقول ولا ينصب دليلا على خلاف ما يزعم ، وعلى هذا فليس ببدع أن تقع فى كلام الله تعالى وكلام رسوله .

المبحث السابع : فى قرينة الاستعارة

الاستعارة نوع من المجاز فلا بد لها من قرينة تفصح عن الغرض وترشد إلى المقصود ويمتنع معها إجراء الكلام على حقيقته وهى قسمان :

(١) حالية تفهم من سياق الحديث نحو رأيت قسا يخطب .

(٢) مقالية سواء أكانت معنى(١) واحداً نحو يرمى بالسهام من قولك رأيت أسداً يرمى بالسهام ، أو أكثر نحو :

فإن تعافوا العدل والايمانا فإن فى إيماننا نيرانا(٢)

فكل من العدل والإيمان باعتبار تعلق الإعافة به قرينة على أن الغرض من النيران السيوف إذ هو دليل على أن جواب الشرط محذوف يقدر بنحو تحاربون أو تلجئون إلى الطاعة :

أو معانى ملتئمة مربوطاً بعضها ببعض بحيث تكون كلها قرينة لا كل واحد منها كما فى قول البحترى :

وصاعقة من نصله تنكفى بها على أرؤس الأقران خمس سحائب

فإذا نظرت إلى ما صنع رأيته قد استعار السحائب الخمس لأنامل يمين الممدوح كما هى عادتهم فى تشبيه الجواد بالبحر الخضم طوراً وبالسحاب الهطال طوراً آخر وتحيل لما أراد فذكر أن هناك صاعقة وبين أنها من نصل سيفه ، ثم قال إنها

---

(١) سواء أكان من ملائمات المشبه كما فى التصريحية أم من ملائمات المشبه به كما فى المكنية . (٢) المعنى أنكم إن كرهتم العدل والإنصاف وملتم إلى الجور والخلاف فان فى أيدينا سيوفاً تلمع كشعل النيران نلجئكم بها إلى الطاعة .

على أرؤس الأقران تفتك بهم ثم قال خمس وهى عدد أنامل اليد فاستبان للسامع، من كل هذا غرضه واتضح له مقصده .

المبحث الثامن : فى انقسام الاستعارة إلى عنادية ووفاقية

تنقسم الاستعارة باعتبار الطرفين قسمين :

(١) وفاقية وهى التى يمكن اجتماع طرفيها المستعار منه والمستعار له فى شىء واحد وسميت بذلك لما بين طرفيها من الوفاق .

(٢) عنادية وهى التى لا يمكن اجتماع طرفيها فى شىء واحد ، وسميت بذلك لتعاند الطرفين ، وقد اجتمعتا فى قوله تعالى (أو من كان ميتاً فأحييناه) أى من كان ضالا فهديناه ، استعير الأحياء من معناه الحقيق وهو جعل الشىء حيا للهداية التى هى الدلالة على الطريق الموصل إلى المطلوب، والأحياء والهداية مما يمكن اجتماعهما إذ لا يوصف الميت بالضلال .

ومن العنادية الاستعارة التهكمية والتمليحية(١) وهما ما نزل فيهما التضاد منزلة التناسب لأجل التهكم والاستهزاء أو لأجل الملاحة والظرافة نحو (فبشرهم بعذاب أليم) ، استعيرت البشارة وهى الخبر بما يسر للانذار الذى هو ضدها بادخاله فى جنس البشارة هزؤا وسخرية بهم ، ونظيره كلمة نعاتبه فى قول بشار :

إذ الملك الجبار صعر خده أتينا إليه بالسيوف نعاتبه (٢)

والتحية فى قول عمرو بن معد يكرب (تحية بينهم ضرب وجيع) والثواب فى قولهم ماثوابه إلا السيف ، ومنها أيضاً استعارة اسم الموجود للمعدوم الذى بقيت

---

(١) الفارق بينهما أنه إن كان الغرض الحامل على استعمال اللفظ فى ضد معناه الهزؤ والسخرية بالمقول فيه كانت تهكميه وإن كان الغرض بسط السامعين وإزالة السآمة عنهم بواسطة الاتيان بشىء مستملح مستظرف كانت تمليحية . (٢) صعر خده أماله عن الناس كبرا .

آثاره الجليلة ، أو المعدوم أو لا شيء للوجود إذا لم تنتج منه فائدة ولم يحل منه بطائل من قبل أنه شارك المعدوم فى عدم غنائه ونفعه كما قال أبو تمام :

هب من له شيء يريد حجابه   ما بالُ لا شيءٌ عليه حجاب

المبحث التاسع فى انقسامها باعتبار الجامع إلى داخل وخارج

تنقسم الاستعارة باعتبار الجامع وهو الوجه الذى يقصد اشتراك الطرفين فيه إلى قسمين .

(ا) ما يكون الجامع فيها داخلا فى مفهوم الطرفين كاستعارة النثر لاسقاط المنهزمين وتفريقهم فى قول أبى الطيب :

نثرتَهم فوق الأُحيدب نثرة   كما نثرتْ فوق العَروس الدراهمُ(١)

إذ النثر أن تجمع أشياء فى كف أووعاء ثم يقع فعل تتفرق معه دفعة من غير ترتيب ولا نظام ، وقد استعاره لما يتضمنه ذلك التفرق على الوجه المخصوص وهو ما اتفق من تساقط المنهزمين فى الحرب دفعة بلا ترتيب ولا نظام ، ونسبه إلى الممدوح لأنه سببه .

(ب) مالا يكون داخلا فى مفهوم مهما كقولك وردت بحرا يتهلل وجهه وأنت تريد إنسانا جواداً فالجامع وهو الجود غير داخل فى مفهومهما .

المبحث العاشر فى انقسامها باعتبار الجامع أيضا الى عامية وخاصية

تنقسم الاستعارة باعتبار الجامع إلى :

(ا) عامية مبتذلة لاكتها الألسن لظهور الجامع فيها كقولك رأيت شمساً ووردت بحراً وأنت تعنى إنسانا جميل المحيا وجواد كريما .

---

(١) الأحيدب جبل .

(ب) خاصية غريبة وهي التي لا يظفر بها إلا من ارتفع عن طبقة العامة كقول طُفَيْل الغنوي :

وجعلت كوري فوق ناجية   يقتات شحْمَ سنامها الرحْلُ(١)

انظر تر عجبا ألا تراه قد استعـــار الاقتيات لاذهاب الرحل شحم السنام ، وساعده التوفيق فيما عناه من قبل أن كان الشحم مما يصلح للقوت وأن الرحل أبدا ينتقص منه ويذيبه .

والغرابة على ضروب منها :

(١) أن تكون في الشبه نفسه كما في قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك يصف فرسا له بالأدب :

عودته فيما أزور حبائبي   إهماله وكذاك كل مخاطر
وإذا احتبى قربوسه بعنانه   علك الشكيم إلى انصراف الزائر(٢)

فقد شبه(٣) هيئة وقوع العنان في موقعه من قربوس السرج ممتدا إلى جانبي فم الفرس بهيئة وقوع الثوب في موقعه من ركبتي المحتبي ممتدا إلى جانبي ظهره ثم استعار الاحتباء وهو جمع الرجل ظهره وساقيه بثوب أو غيره لوقوع العنان في قربوس السراج فجاءت الاستعارة غريبة كما ترى لغرابة الشبه .

(٢) أن تحصل بتصرف في الاستعارة العامية كقول ابن المعتز :

سالت عليه شعابُ الحيّ حين دعا   أنصارَهُ بوجوه كالدنانير(٤)

---

(١) الكور : الرحل والناجية الناقة السريعة تنجو براكبها   (٢) القربوس مقدم السرج والعنان سير اللجام الذي تمسك به الدابة والعلك المضغ والشكيم والشكيمة الحديدة المعترضة في فم الفرس وعنى بالزائر نفسه دلالة على كمال تأدب فرسه حيث يقف مكانه وإن طال مكثه .

(٣) ووجه الشبه إحاطة شيء بشيئين ضاما أحدهما إلى الآخر على أن أحدهما أعلى والآخر أسفل ، والتشبيه بين مفردين باعتبار ما تضمنه كل منهما من الهيئة لا أنه واقع بين هيئتين

(٤) يريد أن الممدوح مطاع في حيه إذا دعاهم لبوا نداءه زرافات ووحدانا فهو *

فهذا تشبيه معروف لكنه تصرف فيه بأن أسند الفعل إلى الشعاب دون الأنصار أو وجوههم وعدى الفعل إلى ضمير الممدوح بعلى فأفاد اللطف والغرابة من حيث أبان أن الشعاب امتلأت من الرجال وغصت بها من كل ناحية وجانب .

(٣) أن تحصل بالجمع بين عدة استعارات لالحاق الشكل بالشكل كقول امرىء القيس :

فقلت له لما تمطى بصُلْبه وأردف أعجازا وناء بكلكل

فقد أراد وصف الليل بالطول فاستعار له اسم الصلب وجعله متمطيا لما هو مشاهد من أن كل ذى صلب يزيد طوله شيئا ما عند التمطى ، ثم ثنى واستعار الاعجاز لثقله وبطء سيره وبالغ فى ذلك حتى جعل بعضها يردف بعضا ، ثم ثلث فاستعار الكلكل لمعظم الليل ووسطه أخذا له من كلكل البعير وهو ما يعتمد عليه إذا برك ، وزاده مبالغة بأن جعله ينوء ويثقل لما فى الليل من التعب والنصب على كل قلب ساهر وبذا تم له ما أراد من تصوير الليل بصورة البعير على أبلغ وجه وأدقه .

المبحث الحادى عشر فى انقسامها باعتبار الطرفين والجامع

تنقسم الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع إلى ستة (١) أقسام :

(١) استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسى نحو (وتركنا بعضهم (٢) يومئذ يموج فى بعض) ، استعير الموجان وهو حركة الماء للاضطراب والاختلاط الناشئين عن الحيرة والجامع بينهما الحركة الشديدة والاضطراب .

---

* لا يدعوهم لخطب إلا أتوه وازدحموا عليه حتى تجدهم كالسيول تجىء من هنا وهنالك وتنصب من هذا السبيل وذاك حتى يغص بها الوادى ويطفح منها .

(١) لأن المستعار منه والمستعار له إما حسيان أو عقليان أو المستعار منه حسى والمستعار له عقلى أو بالعكس فتصير أربعة والجامع فى الثلاثة الأخيرة عقلى لا غير لما تقدم فى التشبيه وفى القسم الأول إما حسى أو عقلى أو مختلف فهذه أقسام ستة (٢) الضمير يعود للانس والجن .

(٢) استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي نحو (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) ، فالمستعار منه كشط الجلد وإزالته عن الشاة ونحوها ، والمستعار له إزالة الضوء عن ظلمة الليل وملق ظله وهما حسيان والجامع بينهما ما يعقل من ترتب أمر على آخر كترتب ظهور اللحم على كشط الجلد وإزالته وترتب ظهور الظلمة على كشف الضوء(١) عن مكان الليل وهذا الترتب أمر عقلي .

(٣) استعارة محسوس لمحسوس والجامع مختلف بعضه حسي وبعضه عقلي كما تقول رأيت شمساً وأنت تريد إنساناً كالشمس في حسن الطلعة وهو حسي ونباهة الشأن ورفعة القدر وهي عقلية .

(٤) استعارة معقول لمعقول نحو (من بعثنا من مرقدنا) ، استعير الرقاد وهو النوم للموت والجامع عدم ظهور الفعل والجميع عقلي .

ونظيره (تكاد تميز من الغيظ) ، فقد استعير الغيظ للحالة المتوهمة للنار لارادة الانتقام من العصاه .

(٥) استعارة محسوس لمعقول نحو (فاصدع بما تؤمر) ، فقد استعير صدع الزجاجة وهو كسرها وهذا حسي لتبليغ الرسالة بجامع التأثير (٢) وهما عقليان .

ونحوه (فنبذوه وراء ظهورهم) ، فقد استعير النبذ وهو إلقاء الشيء باليد للأمر المتناسى حاله والجامع عدم العناية فيهما .

(٦) استعارة معقول لمحسوس نحو (إنا لما طغى الماء) ، فقد استعير الطغيان وهو التكبر والعلو لظهور الماء وكثرته والجامع الخروج عن حد الاعتدال والاستعلاء المفرط فالمستعار منه والجامع عقليان .

---

(١) لأن الظلمة هي الأصل والنور طارىء عليها يسترها فعند غروب الشمس يسلخ النهار من الليل وكأنه يشكط ويزال كما يكشط عن الشيء الشيء الطارىء عليه الساتر له .

(٢) التأثير المراد هنا نوع مخصوص لا يعود معه المؤثر فيه إلى حاله الأولى وهو في كسر الزجاجة أقوى وأبين فكأنه قيل وضح الأمر وضوحا لا يزول أثره كما لا يلتئم صدع الزجاجة .

المبحث الثاني عشر في تقسيم الاستعارة الى مصرحة ومكنية

تنقسم الاستعارة باعتبار ذكر المشبه به أو ذكر ما يخصه إلى قسمين :

(١) مصرحة أو مصرح بها أو تصريحية وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به كقول شوقي :

دقات قلب المرء قائلة له ... إن الحياة دقائق وثوان

شبهت الدلالة بالقول بجامع إيضاح المراد وإفهام الغرض في كل منهما واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه واشتق من القول بمعنى الدلالة قائل بمعنى دال على طريق الاستعارة التصريحية والقرينة نسبة القول إلى الدقات ، ونظيره قول الوأواء الدمشقي :

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ... وردا وعضّت على العُنّاب بالبرَد(١)

شبه الدموع باللؤلؤ والعيون بالنرجس والخدود بالورد والأنامل بالعناب والاسنان بالبرد ، وقول الحريري :

فزحزحت شفقا غشّى سنا قمر ... وساقطت لؤلؤا من خاتم عَطر(٢)

فقد شبه الخمار بالشفق لحمرته والوجه بالقمر والكلام باللؤلؤ والفم بالخاتم.

(٢) مكنية وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه(٣) نحو

---

(١) النرجس من الرياحين تشبه به العيون وأصله بصل صغار وورقه شبيه بورق الكرات وله ساق جوفاء ليس عليها ورق وعليها زهر أبيض مستدير في وسط شيء لونه أصفر والعناب شجر حبه كحب الزيتون أحمر اللون حلو (٢) وقبله :

سألتها حين زارت نضو برقعها الـ ... قاني وإيداع سمعي أطيب الخبر

وساقطه الحديث أن يتكلم واحد ويسكت الآخر ثم يتكلم الساكت وهكذا دواليك .

(٣) ذلك اللازم الخاص بالمشبه به إما أن يكون به كمال وجه الشبه كقول الهذلي :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع

(واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) ، شبه الذل بطائر بجامع الخضوع واستعير الطائر للذل ثم حذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الجناح على طريق الاستعارة بالكناية وإثبات الجناح للذل استعارة تخييلية وهى قرينة المكنية ، ويجعل الطائر مستعارا للمخاطب (أى للولد فى معاملة والديه) والأصل واخفض لهما جناحك ذلا . ونحوه قوله تعالى (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) وقول الكميت :

خفضت لهم منى جناحَىْ مودّة   إلى كَنَف عطفاهُ أهلٌ ومرحب

ونحو (ينقضون عهد الله) قال فى الكشاف ساغ استعمال النقض فى إبطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من إثبات الوصلة بين المتعاهدين ، وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ، ونحوه قولك شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس فقد نبهت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر انتهى .

(تنبيه) علمت أن إثبات اللازم كالجناح للذل أو للمخاطب بابن الجانب للوالدين والمأمور أن يذل لهما وإثبات النقض للعهد يسمى استعارة تخييلية وهى قرينة الاستعارة المكنية وسمى ذلك الاثبات استعارة لأجل أن متعلقه وهو الأمر المختص بالمشبه به قد استعير ونقل عما يناسبه واستعمل مع ماشبه بأصله ، وتخييلية لأن متعلقه وهو الأمر المختص بالمشبه به لما نقل عن ملائمه وأثبت للمشبه صار يخيل إلى السامع أن المشبه من جنس المشبه به .

وهو حقيقة لاستعماله فيما وضع له ألا ترى أن الجناح استعمل فى حقيقته

---

* فقد أثبت للمنية الأظفار التى لا يكمل الاغتيال فى السباع بدونها ، وإما به قوام وجه الشبه ووجوده من أصله نحو :

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا   فلسان حالى بالشكاية أنطق

فقد أثبت للحال اللسان الذى به قوام الدلالة فى الانسان المتكلم .

وإنما التجوز فى إثباته للذل فهو مجاز عقلى فى الاثبات كما سيأتى لا مجاز لغوى ، وهكذا يقال فى نظائره .

ومن حيث إنها قرينة المكنية فهى لازمة لهـــا لا تفارقها إذ لا استعارة بدون قرينة ، هذا إذا كان لازم المشبه به واحدا ، فان تعددت اللوازم جعل أقواها وأبينها لزوما قرينة لها وماعداه ترشيحا وتقوية لها كما ستعرف ذلك بعد .

المبحث الثالث عشر فى مذهب السكاكى والخطيب القزوينى فى المكنية

مذهب السكاكى أن المكنية لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به بادعاء أن المشبه عين المشبه به وإنكار أن يكون غيره بقرينة ذكر اللازم فالذل عنده فى المثال السابق مراد به الطائر بادعاء أنه عينه بقرينة إضافة الجناح الذى هو من خواص الطائر ولوازمه إليه ، وليس المراد من الذل عنده مجرد الخضوع حتى يكون مستعملا فى معناه الحقيقى بل الذل المفروض أنه عين الطائر وهو غير الموضوع له ، والجناح استعارة تخييلية بمعنى أن لفظ الجناح استعير عنده لأمر تخيلى وهمى . لأنه لما استعمل الذل فى الخضوع المتحد مع الطائر ادعاء أخذ الوهم يخترع له صورة مثل صورة الجنـــاح واستعار لفظ الجناح لذلك ، ولا يخفى ما فى هذا من التعسف .

وذهب الخطيب إلى أنها التشبيه المضمر فى النفس والاثبات تخييل فأخرجها من المجاز أعنى الكلمة المستعملة الخ إذ التشبيه فعل من أفعال النفس فكل من الجناح والذل مستعمل فى معناه الحقيقى عنده وقال سعد الدين التفتازانى وتفسير الاستعارة بذلك لا مستند له فى كلام السلف ولا هو مبنى على مناسبة لغوية .

المبحث الرابع عشر فى تقسيم الاستعارة التصريحية لدى السكاكى إلى تحقيقية وتخييلية ومحتملة لهما

تنقسم الاستعارة المصرحة عند السكاكى إلى ثلاثة أقسام :

(١) تحقيقية وهى ما كان المستعار له فيها محققا حسا أو عقلا بأن كان اللفظ

منقولا إلى أمر معلوم يمكن الاشارة إليه إشارة حسية أو عقلية فالأول كقول زهير فى معلقته يمدح حصين بن ضمضم :

لدى أسد شاكى السلاح مقذّف له لبد أظفاره لم تقلّم

والثانى نحو (اهدنا الصراط المستقيم) ، فقد استعير فى الأول الأسد للرجل الشجاع وهو محقق حسا وفى الثانى الصراط لملة الاسلام وهى محققة عقلا .

(٢) تخييلية وهى ما كان المستعار له فيها غير محقق لا حسا ولا عقلا بل هو صورة وهمية محضة لا يشوبها شىء من التحقيق نحو قول الهذلى :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

فانه لما شبه المنية بالسبع فى الاغتيال أخذ الوهم يصور المنية بصورة السبع ويخترع لوازمه لها فاخترع لها مثل صورة الأظفار ثم أطلق على هذه الصورة لفظ الأظفار ، فتكون الأظفار عنده تصريحية تخييلية لأن المستعار له الأظفار صورة وهمية شبيهة بصورة الأظفار الحقيقية وقرينتها إضافتها إلى المنية — والتخييلية عنده قد تكون بدون استعارة بالكناية كقولك أظفار المنية الشبيهة بالسبع قتلت فلانا ، فقد صرح بالتشبيه فلا مكنية فى المنية مع كون الاستعارة فى الأظفار تخييلية .

(٣) محتملة للتحقيقية والتخييلية كقول زهير :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعرى أفراس الصبا ورواحله(١)

الصحو خلاف السكر استعاره للسلو استعارة تصريحية تبعية ، وأقصر باطله أى أقلع عنه وامتنع والمراد انتهى ميله ، والتعرية الازالة — يريد أنه ترك ما كان يرتكبه زمن الحب من الجهل والغى وأعرض عن معاودة ما كان منصرف إليه من اللهو فبطلت الآلات التى كان يستعملها .

---

(١) أقصر عن الشىء امتنع عنه مع القدرة عليه وقصر عنه إذا تركه مع عدم القدرة والمراد بالاقصار هنا مطلق الامتناع وباطل القلب ميله إلى الهوى .

فقد شبه الصبا بجهة من جهات المسير كالحج والتجارة قضى منها حاجاته فبطلت آلاته تشبيها مضمرا فى النفس واستعار الجهه للصبا وحذفها ورمز إليها بشىء من لوازمها وهى الافراس والرواحل ، فالجهة هى المكنية عند الجمهور وإثبات الافراس والرواحل لها تخييلية والافراس والرواحل مستعملان فى حقيقتهما عندهم أيضا ، أما عند السكاكى فيجوز أن تكون الأفراس والرواحل استعارة تحقيقية إن أريد بها دواعى النفس وشهواتها والقوى الحاصلة لهـا فى استيفاء اللذات أو أريد بها أسباب اتباع الغى من المال والأعوان لتحقق معناها عقلا إن أريد منها الدواعى أو حسا إن أريد منها الأسباب وعلى هـذا فالمراد بالصبا زمان الشباب ، ويجوز أن تكون تخليلية إن جعلت الأفراس والرواحل مستعارة لأمر وهمى تخيل للصبا من الصبوة وهى الميل إلى الجهل والفتوة .

المبحث الخامس عشر فى انقسامها إلى أصلية وتبعية

تنقسم الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار قسمين :

(١) أصلية وهى ما يكون اللفظ المستعار فيها اسم جنس وهو الذات الصالحة لأن تصدق على كثيرين ولو تأويلا نحو أسد وقتل إذا استعير للشجاع والضرب الشديد ، ونحو حاتم وقس من قولك رأيت اليوم حاتما وسمعت اليوم قسا يخطب ، ومثلهما كل ما شاكلهما من الأعلام التى اشتهرت مسمياتها بوصفية .

وإجراء الاستعارة فى مثل هـذا أن يقال شبه الرجل الشجاع بالأسد بجامع الشجاعة فى كل واستعير لفظ الأسد للشجاع على سبيل الاستعارة التصريحة الأصلية ، وشبه الرجل الكريم بحاتم بجامع الكرم فى كل واستعير لفظ حاتم للكريم استعارة تصريحية أصلية .

(ب) تبعية وهى ما يكون المستعار فيها (١) فعلا (٢) اسما مشتقا (٣) حرفا .

فالأول : نحو عضنا الدهر بنابه فقد شبه وقع المصائب بالعض بجامع الايلام

فى كل واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه واشتق من العض بمعنى الايلام، عض بمعنى آلم على طريق الاستعارة التصريحية التبعية .

هذا إذا كان التجوز فى الفعل باعتبار حدثه ، فان كان باعتبار زمانه كان التغاير بين المصدرين باعتبار القيدين نحو (ونادى أصحاب الجنة) أى ينادى فيقال شبه النداء فى المستقبل بالنداء فى الماضى بجامع تحقق وقوعها ثم استعير لفظ النداء فى الماضى للنداء فى المستقبل واشتق منه نادى بمعنى ينادى على طريق الاستعارة التصريحية التبعية .

والثانى : نحو جليل عملك ناطق بفضلك ، شبهت الدلالة بالنطق بجامع إفهام الغرض فى كل واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه واشتق من النطق بمعنى الدلالة ناطق بمعنى دال على طريق الاستعارة التصريحية التبعية . ونحو (من بعثنا من مرقدنا) فالمرقد مكان الرقاد استعير للقبر بجامع خفاء الأثر فى كل ثم اشتق من الرقاد بمعنى الموت مرقد بمعنى مكان الموت وهو القبر استعارة تصريحية تبعية .

والثالث : نحو (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) ،فقد شبه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب العلة الغائية عليه بجامع مطلق ترتب شىء على شىء فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات التى هى معانى الحروف فاستعيرت اللام الموضوعة لكل جزئى من جزئيات العلة الغائية كالمحبة والتبنى للام التى تدل على العدواة والحزن استعارة تصريحية تبعية . وإلى هذا يشير قول الزمخشرى معنى التعليل فى اللام وارد على طريق المجاز لأنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدو اوحزنا ولكن المحبة والتبنى ، غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم وثمرته شبه بالداعى الذى يفعل الفاعل الفعل لأجله ، ثم قال وهذه اللام -كما حكم الأسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الأسد لمن يشبه الأسد انتهى .

ونحوه قوله عز اسمه (ولأصلبنكم فى جذوع النخل) ، شبه مطلق استعلاء بمطلق ظرفية بجامع التمكن فى كل فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات التى هى معانى

الحروف فاستعير لفظ [فى] الموضوع لجزئى من جزئيات الظرفية لمعنى على الموضوع للاستعلاء على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

ومدار قرينة الاستعارة التبعية فى الأفعال والصفات المشتقة منها على نسبتها إلى الفاعل نحو نطقت الحال بكذا . أو إلى المفعول الأول كقول ابن المعتز :

جمع الحق لنـــا فى إمام   قتل البخل وأحيا السماحا

فالذى دل على استعارة قتل وأحيا إنما هو اسنادهما إلى البخل والسماح إذ لو قال قتل الأعداء وأحيا الأحياء لم يكن هناك سبيل للاستعارة فيهما ، أو إلى المفعول الثانى كقول القطامى :

لم تلق قوماً هم شرٌّ لاخوتهم   منا عشيّة يجرى بالدم الوادى

نقريهم لهذميات نقـــد بهـا   ما كان خاط عليهم كل زراد(١)

فإسناد القرى إلى اللهذميات قرينة على أن نقريهم استعارة أو إلى المفعولين الأول والثانى كقول الحريرى :

وأقرى المسامع إما نطقت   بيانا يقود الحرون الشموسا(٢)

فان تعلق أقرى بكل من المسامع والبيان دليل على أنه استعارة ، أو إلى المجرور نحو (فبشرهم بعذاب أليم) ، فذكر العذاب دليل على أن بشر استعارة تبعية تهكمية

[تنبيهات] أولها كما تكون المصرحة أصلية وتبعية تكون المكنية كذلك(٣)

---

(١) نقريهم من قريت الضيف واللهذم من الا سنة القاطع واللهذميات منسوبة إليها والقد القطع وضمن خاط معنى قد فعداه بعلى وزرد الدرع وسردها نسجها .

(٢) الحرون من الخيل مالا يسهل قياده والشموس منها ما يمنع ظهره من الركوب .

(٣) لكن لا تجرى التبعية بجميع أقسامها فى المكنيه إذ أنها لابد فيها من إثبات لازم المشبه به للمشبه ووضع الفعل واسمه والحرف يقتضى ألا يثبت لمعناها شيء بوجه ما لا بالاسناد إليه ولا بالايقاع عليه ولا الاضافة إليه وعلى هذا فلا تكون إلا فى المشتق نحو بلغنى اراقة الضارب دم الباغى ففى الضارب استعارة مكنية تبعية فقد شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع الايلام فى كل واستعير القتل للضرب الشديد ثم اشتق من القتل قاتل بمعنى ضارب ضرباً شديداً ثم حذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الاراقة .

(ثانيها) إنما سميت الاستعارة فى القسم الثانى تبعية لأنها تابعة لاستعارة أخرى. إذ هى فى المشتقات تابعة لجريانها فى المصدر أولا ، كما أن معانى الحروف جزئية لا تتصور الاستعارة فيها إلا بواسطة كلى مستقل بالمفهومية ليتأتى كونها مشبهاً ومشبهاً بها فلا بد من إجراء التشبيه أولا فى متعلق معانى الحروف ثم تتبعها الاستعارة فى المعانى الجزئية(١) .

(ثالثها) قال السكاكى لولم يجعلوا فى الفعل والحرف استعارة تبعية بل جعلوا فى مدخولها استعارة مكنية بقرينتهما كما فعلوا فى أنشبت المنية أظفارها لكان أقرب للضبط(٢) .

المبحث السادس عشر فى تقسيمها إلى مرشحة ومجردة ومطلقة

تنقسم الاستعارة باعتبار اقترانها بما يلائم المستعار منه أو المستعار له أو عدم اقترانها بما يلائم أحدهما الى ثلاثة أقسام مرشحة ومجردة ومطلقة .

(١) فالمرشحة هى التى تقترن بما يلائم المستعار منه كما تقول رأيت فى الميدان أسدا دامى الأنياب طويل البراثن ، وكما قال كثير عزة :

رمتنى بسهم ريشه الكحل لم يضر ظواهر جلدى وهو للقلب جارح(٣)

---

(١) فإن معنى على فى قولك ركبت على الفرس حالة جزئية بينك أيها الراكب وبين الفرس الذى ركبته لها تعلق بالاستعلاء الكلى بمعنى أن تلك الحالة الجزئية المدلول عليها بعلى استعلاء جزئى مخصوص هو فرد من أفراد مطلق الاستعلاء الشامل لهذا الجزئى وسائر جزئيات الاستعلاء ولا تتأتى الاستعارة فى الجزئى إلا بواسطة كلى ليتأتى ماسبق اشتراطه فى الاستعارة

(٢) فتجرى الاستعارة فى المجرور فنى قوله تعالى (أولئك على هدى من ربهم) يقال شبه الهدى بدابة تركب بجامع التمكن من كل وحذف المشبه به وأشير إليه بشىء من لوازمه وهو على فالإستعارة مكنية أصلية قرينتها على ، وتجرى الاستعارة فى الفعل فى نحو عضنا الدهر بنابه هكذا شبه الدهر بحيوان مفترس بجامع الايلام فى كل واستعير لفظ المشبه به للمشبه وحذف ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو العض على طريق الاستعارة المكنية .

(٣) المعنى أنها رمته بسهم نظرها الفاتك الذى ريشه الكحل فجرحت قلبه ولم تضر ظواهر جلده .

فقد استعار السهم للنظر بجامع التأثير فى كل ثم رشح الاستعارة بذكر الريش الملائم للسهم وكما قال ابن هانىء المغربى :

وجنيتم ثمر الوقائع يانعاً بالنصر من ورق الحديد الأخضر

(٢) والمجردة هى التى تقترن بما يلائم المستعار له كما تقول رأيت أسداً فى حومة الوغى يجدل الأبطال بنصله ويشك الفرسان برمحه وكما قال كثير يمدح عمر ابن عبد العزيز :

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال(١)

فقد استعار الرداء للمعروف لأنه يصون عرضه كما يصون الرداء ما يلقى عليه من مكروه والقرينة تتمة البيت ، ثم وصفه بالغمر الذى هو وصف للمعروف لا الرداء على سبيل التجريد .

(٣) والمطلقة هى التى لم تقترن بصفة معنوية ولا تفريع يلائم أحد الطرفين ، والفرق بينهما أن الملائم إن كان من تتمة الكلام الذى فيه الاستعارة فهو الصفة كما فى قوله تبسم ضاحكا ، وإن كان كلاماً مستقلا جىء به بعد تمام الاستعارة وبنى عليها فهو التفريع نحو (فما ربحت تجارتهم) بعد قوله (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) .

(تنبيهات) أولها أنه اذا اجتمع الترشيح والتجريد كانت الاستعارة فى حكم المطلقة كقول زهير :

لدى أسد شاكى السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم(٢)

(١) الغمر الكثير من غمر الماء غمارة كثر يريد أنه كثير العطاء سخى وغلقت حصلت للموهوب له ويئس من ردها يقال غلق الرهن فى يد المرتهن إذا حصل له ولم يسترجعه الراهن والمعنى أنه إذا ضحك وسر وهب ماله وفرقه وعنى برقاب الأموال أنفسها وعبر عنها بالرقاب كقولهم أعتق رقبة أى عبداً كما عنى بالأموال الابل والماشية أى فهو لا يقتصر على الجود بالعين كما يجود غيره بل يجود بها أنفسها (٢) شاكى أصله شائك دخله القلب المكانى واللبد بوزن عنب جمع لبدة ما تلبد من شعر الأسد على منكبيه .

فشاكى السلاح وهو حاده تجريد لأنه يناسب المشبه وهو الشجاع ، والمقذف إن أريد به المرمى به فى الوقائع والحروب كان تجريدا أيضا ، وإن أريد به المرمى باللحم كناية عن عظم الجثة والضخامة لم يكن لا تجريدا ولا ترشيحا لأنه يلائم كلا منهما ، وله لبد وهى الشعر المتراكم بين كتفى الاسد ترشيح ، وكذلك أظفاره لم تقلم لأن الأسد الحقيقى هو الذى ليس من شأنه تقليم الأظفار ، والقرينة كلمة لدى أو القرينة حالية ولدى تجريد إذ التجريد أو الترشيح إنما يكون بعد تمام الاستعارة بقرينتها ، ولذا لا تسمى قرينة الاستعارة التصريحية تجريدا ولا قرينة المكنية ترشيحا .

(ثانيها) الترشيح أبلغ(١) وأقوى من الاطلاق والتجريد لاشتماله على تقوية المبالغة وكمالها فان المحور الذى يدور عليه الترشيح إنما هو تناسى التشبيه وادعاء أن المشبه هو المشبه به نفسه وكأن الاستعارة غير موجودة ألا ترى أن الناثر أو الشاعر يجد فى إنكارها ويخيل إلى السامع أن الأمر على ما يقول حقيقة ومن ثم وضع أبو تمام كلامه فى علو المنزلة والرقى فى خلال الشرف وضعه فى علو المكان حين يقول :

ويصعد حتى يظن الجهول بأن له حاجــــة فى السما

فلولا أنه قصد تناسى التشبيه وعقد العزيمة على جحده ولم يأل جهدا فى إنكاره فجعله صاعدا فى السماء حيث المسافة المكانية لما كان لهذا الكلام وجه .

ونحوه قول بشار :

أتتنى الشمس زائرة ولم تكُ تبرحُ الفلكا

وقول المتنبى :

كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشموس وليس فيها المشرق

---

(١) الأبلغ فى الحقيقة هو الكلام المشتمل على الترشيح لا الترشيح نفسه .

وقول آخر :

ولم أر قبلى من مشى البدر نحوه ولا رجلا قامت تعانقه الأُسْدُ

ومن هذا ما سبق من التعجب والنهى عنه ، واذا جاز البناء على المشبه به مع الاعتراف بالمشبه (١) فى نحو قول العباس بن الاحنف :

هى الشمس مسكنها فى السماء فعزّ الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعود ولن تستطيع اليك النزولا

فلأن يجوز مع جحده وإنكاره فى الاستعارة أولى .

(ثالثها) المطلقة أبلغ من المجردة لأن التجريد يذكر بالتشبيه فيضعف دعوى الاتحاد .

المبحث السابع عشر فى حسن الاستعارة وقبحها

لاتحسن الاستعارة ولا تقع الموقع الملائم الا اذا حازت الشروط الآتية :

(١) رعاية حسن التشبيه(٢) اذ هو أساسها الذى تبنى عليه ، خلا أنه مما يستملح هنا قوة الشبه بين الطرفين بعكس باب التشبيه ، ومن ثمة تحسن الاستعارة فيما يقوى فيه الشبه بينهما بحيث يصير الفرع كانه الاصل ، ولا يحسن التشبيه ألا ترى أن الرجل يقول اذا فهم مسئلة حصل فى قلبى نور ولا يقول كأن العلم الذى حصل فى قلبى نور ويقول لمن أوقعه فى شبهة أوقعتنى فى ظلمة ولا يقول كأن الشبهة التى أوقعتنى فيها ظلمة .

(٢) غرابة وجه الشبه ولطفه وكثرة التفصيل فيه وبعده من الابتذال وعدم خفائه الى الغاية حتى لا يكون تعمية وألغازا ، ومن ثم لا تحسن استعارة الاسد الإنسان أبخر لخفاء وجه الشبه فى مجرى العادة فى مثل هذا .

---

(١) فان قوله هى الشمس تشبيه وفيه اعتراف بالمشبه ومع ذلك بنى الكلام على المشبه به أعنى الشمس (٢) قال الجرجانى ملاك الاستعارة قرب التشبيه ومناسبة المستعار للمستعار له وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ولا يتبين فى أحدهما إعراض عن الآخر .

(٣) الا يشم منها رائحة التشبيه لفظا ومن ثم ضعفت الاستعارة فى قوله قدزر أزراره على القمر (١) .

(٤) بعدها عن الحقيقة بترشيحها تقوية لدعوى الاتحاد فيها ، ومن أجل هذا قدمت المرشحة على المطلقة والمجردة فى اعتبار البلغاء ، فان خلت الاستعارة مما سبق ذكره انحطت رتبتها واستهجنت كقول أبى نواس .

بح صوت المال مما منك يشكو ويصيحْ

يريد أن المال تظلم من إهانته اياه بتمزيقه بالعطايا وهذا معنى حسن لكن العبارة عنه قبيحة لا تروق فى نظر البلغاء ويأباها ذوو الفطر السليمة (٢) .

وقوله أيضا وهو أسخف من الاول :

ما لرجل المال اضحت تشتكى منك الكلالا

فأين هذا من قول مسلم بن الوليد فى هذا المعنى :

تظلم المال والاعداء من يده لا زال للمال والاعداء ظلاما

وكقول أبى تمام :

بلوناك أما كعب عرضك فى العلا فعال وأما خد مالك أسفل

مراده أن عرضك مصون ومالك مبتذل لكنه قد ساقه سياقا مستكرها وأخرجه مخرجا مستهجنا ، وكقول بشار :

وجذت رقاب الوصل أسياف هجرنا وقدت لرجل البين نعلين من خدي

قال فى معمدة فما أهجن رجل البين وأقبح استعارتها ولو كانت الفصاحة بأسرها فيها ، وكذلك رقابَ الوصل .

---

(١) اذا الضمير فى ازراره لمحبوبه ولم يكن هذا من التشبيه لما تقدم من أن المشبه لم يذكر على وجه ينبي عن التشبيه بأن يكون المشبه به خبرا عنه أو حالا أو صفة بل فيه رائحة الاشعار فقط .

(٢) اذ أى شيء أبعد استعارة من صوت المال فكيف به إذا ع من الشكوى والصياح مع أنه ليس له صوت حين يعطى .

الاستعارة بجميع ضروبها ، وتعدد مذاهبها وشعوبها ، أعلى مرتبة من التشبيه وأقوى فى المبالغة منه ، لما فيها من تناسى التشبيه وادعاء الاتحاد بين المشبه والمشبه به ، كأنهما شىء واحد ، يطلق عليهما لفظ واحد انظر إلى قول المتنبى :

ترنو إلىَّ بعين الظبى مُجْهِشة   وتمسح الطل فوق الورد بالعَنَم(١)

تره وقد تمثلت له محبوبته ظبية تنظر اليه وهى حيرى تمسح طلا فوق خدها بأصابعها وهى كالعنم لينا وحمرة واختبأ عن عينيه مظهر التشبيه ، وظهر له ذلك بمظهر الحقيقة ، ورأيته وقد سما به الخيال فرأى الطل يسقط على الورد — فهل يؤدى التشبيه مثل هذا ؟ وهل تصل فيه المبالغة الى ما تصل اليه الاستعارة ؟ فيه قال تمسح الدموع التى تشبه الطل والخدود التى هى كالورد والأصابع التى تشبه العنم . أتراه يصل الى مثل ما قال ؟ انك لتحس بأن هذا أدنى من المعنى المجازى وأقل منه مبالغة ، فان فى التشبيه جمعا بين المشبه والمشبه به ، وهذا اقرار بأنهما متقاربان وتأمل قول أبى الحسن النهامى :

يا كوكبا ما كان أقصر عمره   وكذاك عمر كواكب الأسحار

يتبين لك فيه صورة النجوم وقد أفلت بعدطلوعها ، وكواكب الأسحار وقد غارت بعد ظهورها .

وقد استعمل العرب الاستعارة فى كلامهم تقريباً للمعنى الى ذهن السامع ، واستثارة لخياله واختلابا للبه ، ليقنع بما يقال له ويلق فى روعه .

تدريب أول

اجعل التشبيهات الآتية استعارة مصرحة أو مكنية مع بيان القرينة .

(١) استذكرت كتاباً كالصديق فى المؤانسة .

---

(١) شجر لين الأغصان تشبه به الأصابع .

(٢) اللسان كالسيف فى الإيذاء .
(٣) انتثرت فى السماء نجوم كالدرر .
(٤) فى البحر سفن كالجبال فى العلو .
(٥) على الأشجار بلابل كالقيان فى حسن الصوت .
(٦) فى الغرفة ثريات كهربائية كالشمس فى الاضاءة .
(٧) الكتاب صديق .
(٨) لفلانة أسنان كالبرد فى البريق واللمعان .
(٩) على كالغيث فى العطاء .
(١٠) هند كالبدر فى الحسن والبهاء .

الإجابة

استعارة تصريحية	القرينة
(١) استذكرت صديقاً مطبوعا	استذكرت
(٢) احذر سيفاً بين فكيك	بين فكيك
(٣) انتثرت درر فى السماء	فى السماء
(٤) رأيت جبالا تمخر فى البحار	تمخر فى البحار
(٥) صدحت قيان على الأشجار	على الأشجار
(٦) فى الغرفة شموس مغلفة بالزجاج	فى الغرفة
(٧) عندى صديق فى القمطر	فى القمطر
(٨) فى فم فلانة برد منضد	فى فم
(٩) رأيت غيثاً يعطى الدراهم والدنانير	يعطى الدراهم
(١٠) طلع علينا بدر بين أترابه	بين أترابه

استعارة مكنية	القرينة
(١) استذكرت كتابا مؤنساً	مؤنساً
(٢) احذر اللسان العضب	العضب

(٣) نثرت نجوم مثقوبات فى السماء — مثقوبات
(٤) رأيت سفنا تتوجها الثلوج — تتوجها الثلوج
(٥) صدحت بلابل تعزف بألحان مطربة — تعزف بألحان
(٦) فى الغرفة ثريات تشرق وتغرب — تشرق وتغرب
(٧) عندى كتاب حميم — حميم
(٨) لفلان أسنان يقدر قيمتها الجوهرى — يقدر قيمتها الجوهرى
(٩) رأيت عليا يعطى رذاذا وثجاجا — رذاذا وثجاجا
(١٠) رأيت هندا تتلألأ بين أترابها — تتلألأ

تدريب ثان

أجر الاستعارة فيما يلى وبين نوعها وقرينتها :

(١) فتى كلما فاضت عيون قبيلة   دما ضحكت عنه الأحاديث والذكر
(٢) (إنا لنراك فى ضلال مبين) .
(٣) إذا انتضل القوم الأحاديث لم يكن   عييا ولا ربا على من يقاعد
(٤) فسمونا والفجر يضحك فى الشرق إلينا مبشراً بالصباح
(٥) لسنا وإن أحسابنا كرمت   يوما على الاحساب نتكل
(٦) سأبكيك للدنيا وللدين إننى   رأيت يد المعروف بعدك شلت

الإجابة

(١) فى فاضت العيون ، وضحكت الأحاديث استعارتان إما تصريحيتان أو مكنيتان فعلى الأول يقال : شبه نزول الماء متدفقاً بفيضان النهر بجامع الكثرة فى كل واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه واشتق من الفيضان بمعنى صب الماء الكثير فاض بمعنى صب على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، ودما تجريد لأنها تناسب العيون ، وشبهت المسرة والابتهاج بالضحك بجامع أريحية النفس فى كل واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه واشتق من الضحك بمعنى السرور ضحك بمعنى سر على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية والقرينة حالية .

وعلى الثاني يقال : شبهت العيون بالأنهار بجامع جريان الماء الكثير من كل واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه وحذف ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو فاض على طريق الاستعارة المكنية الأصلية والقرينة نسبة الفيضان إلى العيون وهي الاستعارة التخييلية ودما تجريد أيضاً ، وشبهت الأحاديث بناس فرحين بجامع الأريحيه والسرور لكل عند حصول ما يسر واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو ضحاك على طريق الاستعارة المكنية الأصلية المطلقة .

(٢) شبه مطلق ارتباط بين متلبس بالضلاله ومتلبس به بمطلق ارتباط بين ظرف ومظروف بجامع التمكن فى كل فسرى التشبيه من الكليين (مطلق الارتباط) إلى الجزئيات (معانى الحروف) فاستعيرت (فى) من الظرفية الحقيقية للظرفية المعنوية على طريق الاستعارة التصريحية التبعية والقرينة على ذلك كلمة الضلال .

(٣) شبهت الأحاديث بالسهام بجامع التأثير ومباراة المتحادثين كما يتبارى الرماة فى كل منهما ثم استعير لفظ السهام للأحاديث وحذف ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو انتضل على سبيل الاستعارة المكنية، وكلمة عيا تجريد لأنها تناسب الأحاديث.

(٤) شبه الفجر بانسان يبتسم فتظهر أسنانه مضيئة لامعة بجامع البريق واللمعان واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم حذفه وأشار اليه بشيء من لوازمه وهو يضحك على طريق الاستعارة بالكناية وإثبات الضحك للفجر استعارة تخييلية.

(٥) فى كلمة على استعارة تصريحية تبعية فقد شبه مطلق ارتباط بين متلبس ومتلبس به بمطلق ارتباط بين مستعل ومستعلى عليه بجامع التمكن والاستقرار فى كل ثم استعيرت على من جزئى من جزئيات الأول لجزئى من جزئيات الثانى على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

(٦) شبه المعروف بإنسان له يد تعطى والجامع البذل والعطاء فى كل منهما لستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم حذفه ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو اليد على سبيل المكنية الأصلية المرشحة بكلمة شاث وإثبات اليد للمعروف استعارة تخييلية .

تمرين (١)

أجر الاستعارة وبين نوعها وقرينتها فيما يلي :

(١) سقاه الردى سيف إذا سل أومضت إليه ثنايا الموت من كل مرقب

(٢) عوى الشعراء بعضهم لبعض على فقد أصابهم انتقام

(٣) هم صلبوا العبدى فى جذع نخلة فلا عطست شيبان إلا بأجدعا[1]

(٤) (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة[2]) .

(٥) (فأنشرنا به بلدة ميتاً[3]) .

(٦) (ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم) .

(٧) والشمس لاتشرب خمر الندى فى الروض إلا بكئوس الشقيق

تمرين (٢)

(١) (إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) .

(٢) (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) .

(٣) من يزرع الشر يحصد فى عواقبه ندامة ولحصد الزرع إبّان

(٤) لايمتطى المجد من لم يركب الخطرا ولا ينال العلا من قدم الحذرا

(٥) وما هى إلا خطرة ثم أقلعت بنا عن شطوط الحى أجنحة السفن

(٦) قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات ووحدانا

(٧) قال على بن أبى طالب : الدنيا من أمسى فيها على جناح أمن ، أصبح فيها على قوادم خوف .

تمرين (٣)

(١) شمس وبدر ولدا كوكبا أقسمت بالله لقد أنجبا

(٢) جاء النسيم إلى الغصون رسولا ومشى يجر على الرياض ذيولا

---

(١) الأجدع : المقطوع الأنف دعا عليهم بالذل والصغار لصلبهم العبدى .

(٢) الاضافة فى آية الليل والنهار للتبيين أى آية هى الليل وآية هى النهار .

(٣) أنشرنا : أحيينا .

(٣) وذى رحم قلمت أظفار ضغنه   بحلمى عنه وهو ليس له حلم

(٤) إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت   له عن عدو فى ثياب صديق

(٥) أتته الخلافة منقادة   إليه تجرر أذيالها

(٦) إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه   فكل رداء يرتديه جميل

(٧) وليلة بت أسقى فى غياهبها   راحا تسل شبابى من يد الهرم

مازلت أشربها حتى نظرت إلى   غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

المبحث الثامن عشر فى المجاز المركب

المجاز المركب هو اللفظ المركب المستعمل قصداً وبالذات فى غير المعنى الذى وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى ، فخرج بقولنا قصداً وبالذات ما إذا تجوز بجزء من أجزاء المركب فإنه قد استعمل مجموعه فى غير ما وضع له وليس ذلك مجازاً مركباً .

وهذا المجاز قسمان :

(ا) ما كانت علاقته غير المشابهة وهو المجاز المرسل المركب وهو أنواع :

(١) المركبات الخبرية المستعملة فى المعانى الانشائية إما للتحسر وإظهار الحزن نحو :

ذهب الشباب فما له من عَوْدة   وأتى المشيبُ فأين منه المهربُ ؟

وإما للدعاء نحو وفقك الله : نجح الله مقاصدنا ، إلى غير ذلك من المقاصد التى يستعمل فيها الخبر ويكون غير مراد به الفائدة ولا لازمها ، والعلاقة فى مثل هذا اللازمية إذ يلزم من الأخبار بذهاب الشىء والمحبوب كالشباب مثلا التحسر عليه وهكذا يقال فى نظائره والقرينة حالية .

(٢) المركبات الانشائية المستعملة فى المعانى الخبرية نحو قوله عليه السلام (من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) بمعنى يتبوأ ، والعلاقة فى نحو هذا السببية لأن إنشاء المتكلم هذه الجملة سبب لأخباره بما تتضمنه ، قال العينى فى شرح البخارى فليتبوأ أمر من التبوأ وهو اتخاذ المباءة والمنزل وظاهره أمر ومعناه خبر

(٣) الجمل الإنشائية فعلية كانت أو اسمية المأتى بها لما يتولد منها من إنكار ونحوه ، والعلاقة فى نحو هذا المجاورة نحو (ألم نربك فينا وليداً) .

(ب) ما كانت علاقته المشابهة بين الهيئة المستعار منها والهيئة المستعار لها بأن تشبه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين و أمور بالأخرى ثم يدعى أن الصورة المشبهة من جنس الصورة المشبه بها فيطلق على الصورة المشبهة اللفظ الدال بالمطابقة على الصورة المشبه بها مبالغة فى التشبيه كما كتب الوليد بن يزيد لما بويع بالخلافة إلى مروان بن محمد حينما بلغه توقفه فى البيعة له . أما بعد : فإنى أراك تقدم رجلا وتؤخر(١) أخرى فإذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام ، فقد شبهت صورة تردده فى المبايعة بصورة تردد من قام ليذهب فى أمر فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلا وتارة لا يريد فيؤخرها مرة أخرى ، وكما يقال لمن يعمل فيما لا يجدى أراك تنفخ فى غير فحم ، وأراك تخط على الماء ، يراد أنه فى عمله كمن يفعل ذلك .

وهذا القسم يسمى استعارة تمثيلية(٢) ، واستعارة على سبيل التمثيل وتمثيلا على سبيل الاستعارة أو تمثيلا فقط ، ويمتاز عنها التشبيه المركب بأن يقال له تشبيه تمثيل أو تشبيه تمثيلى .

وإذا اشتهرت الاستعارة التمثيلية وكثر استعمالها سميت مثلا ولا يغير مطلقاً محافظة على الاستعارة فيخاطب به المفرد والمذكر وفروعها بطريقة واحدة(٣) كقولهم أحشفا وسوء كيلة(٤) يضرب مثلا لمن يظلم من جهتين ، وبيان الاستعارة فى مثل هذا أن يقال شبهت هيئة من يظلم من جهتين بهيئة رجل اشترى من آخر تمراً رديئاً وطفف له فى المكيال بجامع الظلم من جهتين واستعير التركيب الموضوع

---

(١) مفعول تؤخر محذوف أى وتؤخرها أى تلك الرجل المتقدمة ، وقوله أخرى نعت لمرة أى مرة أخرى وإنما لم نجعل أخرى نعتاً للرجل لئلا يفيد الكلام أن الرجل المؤخرة غير المقدمة وليس ذلك صورة التردد كذا فى ابن يعقوب . (٢) وكل استعارة وإن كانت تمثيلا أى تشبيها فقد خص اسم التمثيل بهذه الاستعارة لأنها مثار فرسان البلاغة .

(٣) وذلك معنى قولهم الأمثال لا تغير . (٤) الحشف : الردىء ، والكيلة : هيئة الكيل .

للمشبه به للمشبه استعارة تمثيلية ، وهكذا يقال فى سائر الأمثال النثرية والنظمية نحو: إن البغاث بأرضنا يستنسر(١) ، ما يوم حليمة بسر(٢) .

وقولهم : إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

(تنبيه) هذه الاستعارة أبلغ أنواع المجاز مفردا ومركبا إذ مبناها تشبيه التمثيل وقد عرفت دقة مسلكه من قبل أن وجه الشبه فيه يكون هيئة منتزعة من أشياء متعددة فالاستعارة المبنية عليه تكون أدق أنواع الاستعارات إذ من الصعوبة بمكان أن تعمد إلى صورتين مركبتين من أجزاء عدة فتحاول الربط بينهما وتحصر جهات اتحادهما وتشبه إحداهما بالأخرى فلا يخفى ما أنت محتاج إليه فى المهارة حينئذ ، كما لا ينكر الأثر الذى تراه فى مخاطبك إذا أدليت اليه إلى معرض كلامك بمثل ، فكم تجد لديه من الأريحية وكيف يغنى إيجار المثل عن الشرح والاسهاب ؟ .

تدريب

بين أنواع المجاز المركب فيما يلى :

(١) افعل ما بدا لك — تقوله تهديداً لمخاطبك .

(٢) أنت تصرخ فى واد — تقول ذلك لمن يعمل مالا فائدة فيه .

(٣) لك الحمد والشكر — تقول ذلك بعد الأكل مثلا .

(٤) أهذا الذى أطنبت فى مدحه — تقول ذلك متهكما ؟

(٥) سلام على الدنيا اذا لم يكن بها صديق صدوق يصدق الوعد منصفا

(٦) أخذت من شبابى الأيام وتولى الصبا عليه السلام

(١) يضرب للضعيف يصير قويا . (٢) يضرب لكل أمر متعارف مشهور .

الإجابة

(١) فى هذا المركب مجاز مرسل مركب علاقته المجاورة فقد استعمل الأمر فى التهديد لا فى الطلب .

(٢) فى هذا المركب استعارة تمثيلية فقد شبهت صورة من يعمل ما لا فائدة فيه بصورة من يصرخ فى واد بجامع عدم الفائدة فى كل واستعير المركب الدال على هيئة المشبه به لهيئة المشبه على طريق الاستعارة التمثيلية .

(٣) فى هذا المركب مجاز مرسل علاقته السببية لأنه استعمل الخبر فى الانشاء لارادة الدعاء .

(٤) فى هذا المركب مجاز علاقته المجاورة لأنه استعمل الاستفهام فى التهكم .

(٥) استعمل هـــذا المركب فى إنشاء التحسر والأسف على فقدان الصديق مجازا مرسلا علاقته السببية .

(٦) هذا المركب كسابقه .

تمرين

بين نوع المجاز المركب واذكر علاقته فيما يلى :

(١) ومن قصد البحر استقل السواقيا — يقال لمن يطمح إلى العظيم ولا يرضى بالدون

(٢) تلدغ العقرب وتصىء(١) — « للظالم يشكو كأنه مظلوم

(٣) قد كنت عدتى التى أسطو بها — ويدى إذا اشتد الزمان وساعدى

(٤) ليس التكحل فى العينين كالكحل — يقال لمن يتكلف ما ليس من طبعه

(٥) وليس يصح فى الأذهان شىء — إذا احتاج النهار إلى دليل

(٦) أين الذى الهرمان من بنيانه — ما قومه ما يومه ما المصرع ؟

(١) صأى الفرخ والعقرب صاح وصله مقلوب منه .

المبحث التاسع عشر في المجاز بالحذف[1] أو الزيادة

كما توصف الكلمة بالمجاز لنقلها عن معناها الأصلي كما تقدم ، كذلك توصف بالمجاز بطريق الاشتراك اللفظي إذا تغير حكم إعرابها الأصلي بواسطة حذف لفظ أو زيادته .

فالحذف كقوله تعالى (واسأل القرية) إذا لأصل أهل القرية فالحكم الذى يجب للقرية في الأصل هو الجر لحذف المضاف وأعطى المضاف إليه إعرابه ، ونظيره (وجاء ربك أى أمر ربك) .

والحكم بالحذف يكون لأحد أمرين :

(١) لأمر يرجع إلى غرض(٢) المتكلم نحو سل القرية ألا ترى أنك لو قرأته أو سمعته في غير التنزيل لم تقطع بأن هاهنا محذوفا إذ من المحتمل أن يكون كلام رجل مر على قرية خربت وباد أهلها فأراد أن يقول مذكرا نفسه أو صاحبه على سبيل العظة والاعتبار سل القرية عن أهلها وقل لها ماذا صنعوا كما قال الرقاشي(٣) سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك فان لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا.

(٢) لأن الكلام لا يصح بدون المحذوف كما إذا حذف أحد جزأى الجملة نحو (فصبر جميل) .

---

(١) اطلاق المجاز على هذا النوع من طريق الاشتراك اللفظي ، فلفظ مجاز وضع وضعين أحدهما للكلمة المستعملة في غير ما وضعت له العلاقة وقرينة ، وثانيهما للكلمة التي تغير حكم إعرابها الأصلي بحذف لفظ أو زيادته ، وهذا النوع من المجاز يمكن رده إلى المجاز العقلي أو المجا المرسل

(٢) الجزم بأن المقصود من الآية سؤال أهل القرية للاستشهاد بهم فيجيبون بما يصدق أو يكذب لا سؤالها هي لأن الشاهد لا يكون جادا ، ويحتمل أن تكون القرية مجازا عن أهلها من اطلاق اسم المحل على الحال فلا يكون مما نحن فيه .

(٣) إذ المقصود بسؤالها هنا مخاطبتها للاعتبار كمخاطبة الأطلال للتحزن والتحسر تنزيلا لها منزلة من يجيب لأن حالها يشعر بالجواب وهو أن أهلها كانوا فيها ثم فنوا وحينئذ تكون استعارة بتشبيه الأرض بالعاقل المجيب والقرينة سؤالها .

والزيادة كقوله تعالى (ليس كمثله شيء) أى ليس مثله شيء فإعراب مثله فى الأصل النصب فلما زيدت الكاف سار جرا ، ونحوه (فاضربوا فوق الأعناق) وقول لبيد :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما   ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذرْ

يريد ثم السلام عليكما .

ومما تقدم تعلم أن الحذف والزيادة إذ لم يوجبا تغير الاعراب لا توصف الكلمة من أجلهما بالمجاز نحو (أو كصيب من السماء) إذ الأصل أو كمثل ذوى صيب فحذف ذوى لدلالة يجعلون أصابعهم على هذا المحذوف ، وحذف لفظ مثل لدلالة قوله (كمثل الذى استوقد نارا) عليه ، ونحوه (فبما رحمة من الله لنت لهم) .

المبحث العشرون فى المجاز العقلى أو المجاز الحكمى[1]

هذا ضرب آخر من الاتساع والتجوز غير ما قدمنا لك الكلام عليه ، فان ما مضى كانت تذكر فيه الكلمة ولا يراد معناها ولكن ما هو ردف للمعنى أو شبيه به فالتجوز كان يكون فى اللفظ نفسه .

أما ما هنا فان الكلمة متروكة على ظاهرها ومعناها مقصود فى نفسه ، وإنما التجوز فى حكم يجرى عليها كقولهم نام ليلى وقوله تعالى (فما ربحت تجارتهم) ، ففى هـــذا مجاز لكنه ليس فى ذوات الألفاظ فان الليل والتجارة مستعملان فى حقيقتهما ، بل فى أن جعلتهما فاعلين لنام وربح .

ومن هذا تفهم ما قالوه فى تعريف هذا المجاز بأنه — إسناد الفعل أو ما فى معناه إلى غير ما هو له فى الظاهر من حال المتكلم لملابسة مع قرينة(٢) صارفة

---

(١) البحث عن هذا المجاز من حيث كيفية الدلالة من البيان ، ومن حيث تحصل به المطابقة لمقتضى الحال من المعانى والحق أن ذكره فى المعانى كما فعل القزوينى فى الايضاح كان استطرادا .

(٢) القرينة فى جميع ما سيأتى هى الاستحالة العقلية إلا فى الاسناد إلى السبب الآمر فانها الاستحالة العادية كما فى قوله تعالى (ياهامان ابن لى صرحا) ، والعلاقة هى الملابسة أى مشابهة *

عن أن يكون الاسناد إلى ما هو له ، وماق معنى الفعل هو المصدر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة ، ومعنى كونه غير ماهو له أنه ليس من حقه أن يسند إليه لأنه ليس بوصف له ، ومعنى الملابسة العلاقة .

وهذا التعريف يشمل إسناد الفعل المبنى للفاعل وما فى حكمه كاسم الفاعل إلى غير فاعله كالمفعول والمصدر والزمان والمكان والسبب مما له علاقة بالفاعل — وإسناد الفعل المبنى للمفعول وما فى حكمه كاسم المفعول إلى غير نائب الفاعل مما له علاقة به كالفاعل والمصدر ونحوهما .

وإيضاح هذه العلاقات مما يلى :

(١) إسناد ما بنى للفاعل إلى المفعول نحو عيشة راضية(١) وما دافق ، وقول الحطيئة :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى(٢)

فقد أسند راضية ودافق وطاعم وكاس وهى مبنية للفاعل إلى ضمير العيشة مع أن الراضى صاحبها وكذلك الماء مدفوق والشخص مطعوم مكسوّ .

(٢) إسناد ما بنى للمفعول إلى الفاعل نحو (إنه كان وعدُه مأتيا) ، وسيل مفعَم(٣) لأن الوعد آت والسيل مفعم أى مالىء .

(٣) إسناد الفعل إلى المصدر نحو قول أبى فراس :

---

* الفاعل المجازى كالفاعل الحقيقى فى تعلق الفعل بكل منهما وإن اختلفت جهة التعلق فتعلقه بالفاعل الحقيقى تعلق صدوره منه وبالفاعل المجازى من جهة وقوعه عليه أو فيه إلى غير ذلك من العلاقات .

(١) أصل الكلام رضى المرء عيشته فأسند الفعل للمفعول من غير أن يبنى له فصار رضيت العيشة ثم أخذ من الفعل المبنى للفاعل اسم فاعل وأسند إلى ضمير العيشة فـآل الأمر إلى أن صار المفعول فاعلا وهكذا يقال فى نظائره . (٢) يجوز أن يكون الطاعم من طعم اللازم بمعنى أكل والكاسى من كسا اللازم كذلك بمعنى اكتسى ولبس فيكون الاسناد فيهما حقيقياً

(٣) أفعم الاناء : ملأه .

سيذكرني قومي إذا جد جدهم　　وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

فقد أسند الجد إلى الجد أي الاجتهاد وهو ليس بفاعل له بل فاعله الجاد ، فأصله جد الجاد جدا أي اجتهد اجتهاداً ، فحذف الفاعل الأصلي وهو الجاد وأسند الفعل إلى الجد .

(٤) الاسناد إلى الزمان نحو نهاره صائم وليله قائم ، وقوله :

هي الأمور كما شاهدتها دول　　من سره زمن ساءته أزمان

فقد أسند الصوم إلى النهار والقيام إلى الليل والاساءة والسرور إلى الزمان وكل هذه أزمنة للأفعال لا واقعة منها .

(٥) الاسناد إلى المكان نحو (وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم) ، فقد أسند الجرى إلى الأنهار وهي أمكنة للمياه وليست هي الجارية بل الجارى ماؤها ، ونحوه بيت ساكن .

(٦) الاسناد إلى السبب نحو :

إني لمن معشر أفنى أوائلهم　　قيل الكماة ألا أين المحامونا ؟

فقد نسب الافناء إلى قول الشجعان هل من مدافع ، وليس ذلك القول بفاعل ولا بمؤثر وإنما هو سبب فقط .

وقد يجيء(١) هذا المجاز في النسبة الاضافية بأن يضاف إلى ملابس ما هو له نحو جرى الأنهار ، ومكر الليل ، وغراب البين ، فنسبة الجرى إلى الأنهار مجاز علاقته المكانية والمكر إلى الليل مجاز علاقته الزمانية ، والبين إلى الغراب مجاز علاقته السببية على النحو الذي يزعمون قال شاعرهم :

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة　　ولا ناعب إلا ببين غرابها

---

(١) أي فالتعريف المتقدم غير جامع لكل أنواع المجاز إلا أن تراد بالاسناد مطلق النسبة - سواء كانت تامة كالاسنادية أو غير تامة كالاضافية والايقاعية .

كما قد يجى فى النسبة الايقاعية بأن يوقع الفعل على ملابس ما هو له كقوله تعالى (وأطيعوا أمرى) ، وكما جاء فى جميع ما مضى فى الاثبات فقد جاء أيضا فى النفى كقوله عز وعلا (فما ربحت تجارتهم) أى خسرت(١) ، ونحو ما نام ليلى أى سهر ونحو [تجرى الرياح بمالا تشتهى السفن] أى بما تكره .

[أقسامه باعتبار الطرفين] طرفا هذا المجاز وهما المسند إليه والمسند إما .

(١) حقيقتان . نحو [وشيب أيام الفراق مفارقى] .

(٢) وإما مجازان نحو أحيا الأرض شباب الزمان ، إذ المراد باحياء الأرض إحداث النضارة والخضرة فيها مما ينتج عن تهييج القوى المنمية فيها ، كما أن المراد من شباب(٢) الزمان ابتداء حرارته وازدياد قواه .

(٣) وإما مختلفان نحو أهلك الناس الدينار والدرهم ، فقد جعلت الفتنة إهلا كا ثم أثبت الاهلاك فعلا للدينار والدرهم ، ونحو قول أبى الطيب :

وتحيى له المال الصوارم والقنا ويقتل ما تحيى التبسم والجدا

فقد جعل الزيادة والوفور حياة للمال وتفريقه فى العطاء قتلا له ثم أثبت الاحياء فعلا للصوارم والقتل فعلا للتبسم مع أن كلا منهما لا يصح منه الفعل .

وقد وقع هذا المجاز فى التنزيل نحو (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) ، فقد نسبت الزيادة إلى الآيات لكونها سببا . ونحو (يذبح أبناءهم) نسب الذبح إلى فرعون لأنه الآمر به والسبب فيه ، ونحو (يوما يجعل الولدان شيبا) ، فقد أسند الفعل إلى الظرف لوقوعه فيه .

(قرينته) قرينة هذا المجاز إما لفظية كقول أبى النجم العجلى :

مـيز عنه قنزعا عن قنزع جذب الليالى أبطئى أو أسرعى(٣)

---

(١) أى إذا قصد إثبات النفى لانفى الاثبات .

(٢) أصل الشباب كون الحيوان فى زمن قوته . (٣) ميز : فصل . وعنه . أى عن رأسه والقنزع : الشعر المجتمع فى نواحى الرأس وجذب الليالى : مضيها وتعاقبها وأبطئى أو أسرعى : حال من الليالى على تقدير القول .

فقد استدللنا على أن إسناد مز إلى جذب الليالى مجاز بقوله بعده :

أفناه قيل الله للشمس اطلعى حتى إذا واراك أفق فارجعى

فانه يدل على أن ذلك فعل الله وأنه هو المفنى فيكون إسناده إلى جذب الليالى من الاسناد إلى الزمان .

وإما غير لفظية كاستحالة صدور المسند من المسند إليه أو قيامه به عقلا نحو محبتك جاءت بى إليك ، أو عادة نحو بنى الوزير القصر ، وكصدور الكلام من الموحد كما فى إسناد الاشابة والافناء الى كر الغداة فى قول الصلتان العبدى :

أشاب الصغير وأفنى الكبير كر الغداة ومر العشى
اذا ليلة هرمت يومها أتى بعد ذلك يوم فتى

(تنبيهات) الأول قال عبد القاهر هذا الضرب من المجاز على حدته كنز من كنوز البلاغة ومادة الشاعر المفلق والكاتب البليغ فى الابداع والاحسان والاتساع فى طرق البيان ولا يغرنك من أمره أنك ترى الرجل يقول أتى بى الشوق إلى لقائك ، وسار بى الحنين إلى رؤيتك ، وأقدمنى بلدك حق لى على إنسان ، وأشباه ذلك مما تجده لشهرته يجرى مجرى الحقيقة ، فليس هو كذلك بل يدق ويلطف حتى يأتيك بالبدعة لم تعرفها والنادرة تأنق لها .

(الثانى) قال الامام أيضا ، واعلم أنه ليس بواجب فى هذا المجاز أن يكون للفعل فاعل فى التقدير إذا أنت نقلت الفعل إليه عدت به إلى الحقيقه مثل أن تقول فى ربحت تجارتهم ربحوا فى تجارتهم ، فان ذلك لا يأتى فى كل شىء ألا ترى أنه لا يمكنك أن تثبت للفعل فى قولك أقدمنى بلدك حق لى على إنسان فاعلا سوى الحق ، وكذلك لا تستطيع فى قول أبى نواس :

يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا

وقول ابن البواب :

وصيرنى هواك وبى لحينى يضرب المثل

أن تزعم أن ليزيد فاعلا قد نقل عنه الفعل لجعل للوجه ، ولا لصيرنى فاعلا

غير الهوى ، فالاعتبار إذا بأن يكون المعنى الذى يرجع إليه الفعل موجودا فى الكلام على حقيقته — معنى ذلك أن القدوم فى المثال المتقدم موجود على الحقيقة، وكذلك الزيادة والصيرورة موجودتان على الحقيقة ، واذا كان معنى اللفظ موجودا على الحقيقة لم يكن المجاز فيه نفسه بل لا محالة فى الحكم(١) .

(الثالث) هذا المجاز كما يجرى فى الخبر كما سلف يجرى فى الانشاء كقوله تعالى (وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا) وقوله (فأوقدلى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا) وقوله (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) وقوله (أصلاتك تأمرك) فان البناء والايقاد فعل العملة وهامان سبب آمر وهكذا يقال فيما بعده .

(الرابع) أنكر السكاكى هذا المجاز وقال الذى عندى نظمه فى سلك الاستعارة بالكناية بجعل الربيع مثلا فى قولك أنبت الربيع البقل استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيق بواسطة المبالغة فى التشبيه وجعل نسبة الانبات اليه قرينة الاستعارة على ماسبق لك فى بيان مذهبه فى الاستعارة بالكناية وقد رد هذا بأنه يستلزم ألا تصح الاضافة فى نحو فما ربحت تجارتهم لبطلان اضافة الشىء الى نفسه ، وألا يكون الأمر بالبناء لهامان فى قوله يا هامان ابن لى صرحا ، لأن المراد به حينئذ العملة أنفسهم وأن يتوقف جواز التركيب فى نحو أنبت الربيع البقل على السمع لأن أسماء الله تعالى توقيفية ، وكل هذه اللوازم منتفية فتنتفى ملزوماتها(٢) .

تنبيهات

(١) المجازات اللغوية المفردة يجب اقرارها حيث وردت ولا يجوز تعديها

---

(١) اعترض على هذا فخر الدين الرازى فى نهاية الايجاز بأنه لا بد أن يكون للفعل فاعل حقيقة لامتناع صدور الفعل لا عن فاعل فاما ظاهر نحو فما ربحت تجارتهم واما خفى كهذه الأمثلة والفاعل الله تعالى وتبعه السكاكى فى هذا ولكن الحق ماذكره عبد القاهر لأن تقدير الفاعل الموجد وهو الله تعالى فى مثل هذه الأفعال تقدير لما لا يقصد فى الاستعمال ولا يتعلق به الغرض فى التركيب إذ الفاعل من قام به الفعل ولا يقال إنه تعالى قام به السرور وغيره مماذكر فالخلاصة أنه ليس المراد نفى الفاعل رأسا بل نفى فاعل أسند إليه الفعل قبل اسناده إلى الفاعل المجازى .

(٢) وهى كون مثل هذا استعارة بالكناية .

إلا باذن وتوقيف من اللغة فاذا استعير لفظ الأسد للشجاع لما يربطها من معنى الشجاعة يجب إقراره ولا يجوز تعديته واستعارته للرجل الأبخر لعلاقة المشابهة بينهما ، ولفظ نخلة اذا استعير للرجل الطويل بجامع الطول فى كل لا يصح أن نعديه ونطلقه على الحبل من أجل طوله .

أما المجازات العقلية فيجوز تعديها الى غير محالها التى وردت فيها فكما ورد قوله تعالى (أخذت الارض زخرفها) قيل تكاثرت أشواقى وأسقمنى فقدك وأحيانى مشاهدتك إلى غير ذلك مما لا يكاد يضبط فى الرسائل والمواعظ والخطب كما قال ابن نباتة الخطيب : إنما الموت حسام أزهق النفوس ذبابه(١) كذا فى الطراز .

(٢) المجاز خلاف الأصل فلا يصار إليه إلا لباعث يرجع إما إلى اللفظ وإما إلى المعنى وإما إليهما جميعاً .

(ا) فمما يرجع إلى اللفظ أن يكون المجاز أخف على اللسان من الحقيقة كما نشعر بذلك فى مثل لفظ الخنفقيق [الداهية] ، أو يكون صالحا للقافية أو السجع وهى لا تصلح لذلك ، أو يكون مألوف الاستعمال والحقيقة غريبة وحشية .

(ب) ومما يرجع إلى المعنى قصد التعظيم كما تقول سلام على المجلس الكريم عادلا الى المجاز تعظيما لمخاطب وتشريفاً له عن أن يخاطب بلقبه ، أو المبالغة مع الايجاز كما تقول رأيت أسداً شاكى السلاح فيكون أقوى وآكد من قولك رأيت شجاعا كما تبين لك ذلك فيما سلف .

(ج) ومما يرجع اليهما تحسين اللفظ ودقة المعنى من أجل أن الشىء اذا عرف من بعض الوجوه دون بعض تاقت النفس إلى تحصيل ما ليس بمعلوم لها وذلك لا يتسنى إلا عند التعبير بالمجاز ، أما عند التعبير بالحقيقة فيحصل العلم به من جميع الوجوه ، لا جرم كان التعبير بالمجاز أقرب إلى تحسين الكلام وتجميله .

أسرار البلاغة فى المجاز العقلى

المجاز العقلى ضرب من التوسع فى أساليب اللغة ، وفن من فنون الايجاز

---

(١) الذباب طرف السيف الذى يضرب به .

فى القول ، ألا ترى أن اسناد الفعل إلى سببه وجعله الفاعل المؤثر دليل على ما كان لهذا الأثر من شديد الصلة فى صدور الفعل ، وكأنه هو الذى صدر منه ، انظر الى قول ابن الرومى :

أرى الشعر يحيي الناس والمجد بالذى تبقيه أرواح له عطرات
فما المجد لولا الشعر إلا معاهد وما الناس إلا أعظم نخرات

تره قد جعل حياة الناس ومآثرهم رهينة الشعر بما ينشر من فضائلهم ، ويذكره من جليل إحسانهم ، وعظيم إنعامهم فيبقى على كر الغداه ومر العشى :

وكذلك تجد ما فى نسبة الحادث إلى زمانه أو مكانه من دلالة على التعميم والشمول ، فإن الفعل إذا أريد بيان شموله وأنه يعم كل من يكنه المكان أو يحيط به الزمان نسب الى المكان أو الزمان ، تأمل قوله تعالى على لسان زكريا عليه السلام (انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً) تره أراد أن يجعل الشيب قد عم رأسه حتى صار كأنه نار ، أضاف الاشتعال الى الرأس لا الى الشعر مع أن المقصود هو بيان ابيضاض الشعر :

وانظر الى طرفة بن العبد تره قد نسب ابداء المجهول الى الأيام وهى لا تظهره بل يظهر فيها ، ويستبين من أمره ما كان خفيا ، فى قوله :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وقد جعل ذلك شيمة الزمان ، وطبيعة الحدثان ، فى كل عصر وأوان ، ولا تجد ذلك المعنى مستبيناً اذا أنت قد قلت : سيبدو على صفحات الزمان ما كان أمره خفيا ، وما لم تجده من الشئون جلياً .

تدريب أول

بين المجاز العقلى واذكر علاقته فيما يلى :

(١) أهلكنا الليل والنهار معاً والدهر يغدو مصمما جذعا(١)

(١) المصمم من الابل الصابر على السير أو الماضى فيه والجذع الشاب الحدث .

(٢) ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبـــار من لم تزود
(٣) ولمـا رأيت الخيل تترى أثائجا علمت بأن اليوم أحمس فاجر(١)
(٤) وكل امرىء يولى الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب
(٥) محا البين ما أبقت عيون المهامنى فشبت ولم أقض اللبانة من سنى
(٦) سل الجيزة الفيحاء عن هرمى مصر لعلك تدرى بعض ما لم تكن تدرى

الاجابة

(١) إسناد الاهلاك إلى الليل والنهار مجاز عقلى علاقته الزمانية لأن الفاعل هو الله وهذان زمنان له .

(٢) الأيام لا تظهر مجهولا بل يظهر ذلك فيها فهو مجاز عقلى علاقته الزمانية

(٣) وصف اليوم بالفجور مجاز علاقته الزمانية لأن الفجور صفة لما يقع فيه

(٤) العز ينبته فى المـكان ولا ينبته المـكان فهو مجاز عقلى علاقته المـكانية

(٥) إسناد المحو إلى البين مجاز عقلى علاقته السببية لأن البين لا يمحو شيئا بل هو سبب فيه .

(٦) الجيزة لا تسأل بل يسأل أهلها فوقوع السؤال على الجيزة مجاز عقلى فى النسبة الايقاعية والعلاقة المـكانية — ويصح أن يكون فى هذا مجاز بالحذف ، أو مجاز مرسل .

تدريب ثان

بين المجاز العقلى واذكر علاقته فيما يلى :

(١) الدهر يفترس الرجال فلا تـكن عن تطيشهم المناصب والرتب
(٢) إن البلية من تمل كلامه فانقع فؤادك من حديث الوامق(٢)

---

(١) تترى تتتابع والاثائج الصائحات والاحمس الصلب الشديد والفاجر المنبعث فى المعاصى .
(٢) تقع بالصراب استشفى منه وكذا بالخبر

(٣) نعم المعين على المروءة للفتى ... مال يصون عن التبذل نفسه
(٤) ملكنا فكان العفو مناسجية ... فلما ملكتم سال بالدم أبطح
(٥) (أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء).
(٦) (وجعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابامستوراً).

الإجابة

(١) فى اسناد يفترس إلى ضمير الدهر مجاز عقلى علاقته الزمانية، وفى اسناد تطيش الى المناصب والرتب مجاز عقلى علاقته السببية.
(٢) فى اسناد الوامق الى المفعول مجاز علاقته المفعولية، اذ المراد سر نفسك بمحادثة الموموق أى المحبوب.
(٣) فى اسناد الاعانة والصيانة الى المال مجاز عقلى علاقته السببية.
(٤) فى اسناد سال الى الأبطح مجاز عقلى علاقته المكانية اذ الدم سال فيه لا منه
(٥) فى اسناد الفاعل وهو آمن الى المفعول وهو الحرم مجاز عقلى علاقته المفعولية
(٦) فى اسناد المفعول وهو مستور الى الفاعل وهو الحجاب مجاز عقلى علاقته الفاعلية.

تمرين (١)

بين المجاز العقلى واذكر علاقته فيما يلى:

(١) لقد لمتنا يا أم غيلان فى السرى ... ونمت وما ليل المطى بنائم
(٢) الدهر لازم بين فرقتنا ... وكذاك فرق بيننا الدهر
(٣) وكذاك سر المرء ان لم يطوه ... نشرته ألسنة تزيد وتكذب
(٤) ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى ... عدوا له ما من صداقته بد
(٥) والهم يخترم الجسيم نحافة ... ويشيب ناصية الصبي ويهرم
(٦) يومان يوم مقامات وأندية ... ويوم سير الى الأعداء تأويب

تمرين (٢)

بين المجاز العقلى واذكر علاقته فيما يلى :

(١) (لا عاصم اليوم من أمر الله) (٢) هذا يوم عصيب
(٣) منزل عامر بنعم الله (٤) ذاك مشرب عذب
(٥) هذا مركب فاره (٦) (أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا)
(٧) سار بى الحنين إلى لقائك (٨) هذا منزل ساكن .
(٩) قال تعالى (من ماء دافق (١٠) تنام وما ليل المضيم بنائم

الباب الثالث

الكناية : وفيه أربعة مباحث وخاتمة

المبحث الأول : فى تعريفها

الكناية لغة أن تتكلم بشىء وتريد غيره ، وقد كنوت بكذا عن كذا أو كنيت إذا تركت التصريح به أنشد الجوهرى :

وإنى لأكنو عن قذور بغيرها وأعرب أحياناً بها وأصارح

وفى الاصطلاح تطلق على معنيين :

(١) المعنى المصدرى الذى هو فعل المتكلم أعنى ذكر اللفظ الذى يراد به لازم معناه مع جواز ارادته(١) معه .

(٢) اللفظ المستعمل فيما وضع (٢) له لكن لا ليكون مقصوداً بالذات بل

---

(١) أى مع جواز إرادة المعنى الحقيقى مع اللازم كما ستعلم بعد .

(٢) عرفها بعضهم بأنها اللفظ المستعمل فى غير ماوضع له لملاحظة علاقة مع جواز ارادته

لينتقل منه الى لازمه المقصـود لمـا بينهما من العلاقة واللزوم العرفى ، وعلى هـذا التعريف فهى حقيقة لاستعمال اللفظ فيما وضع له لـكن لا لذاته بل لينتقل منه الى لازمه فمعناه مراد لغيره مع استعمال اللفظ فيما وضع له . واللازم مراد لذاته لا مع استعمال اللفظ فيه فهو مناط الاثبات والنفى والصدق والـكذب (١) .

تفسير هذا أن العرب تلفظ أحياناً بلفظ لا تريد منه معناه الذى يدل عليه بالوضع بل تريد منه ماهو لازم له فى الوجود بحيث إذا تحقق الأول تحقق الثانى عرفاً وعادة فتقول فلان رحب الصدر وتقصد أنه حليم من قبل أن الحليم يكون ذا أناة وتؤدة ولا يجد الغضب اليه سبيلا لمـا فى صدره من السعة لاحتمال كثير من الحفائظ والأضغان ، كما يحتمل الصندوق الواسع كثيراً من المتاع والماعون ، وتقول فلانة نؤوم الضحى وتقصد أنها مترفة مخدومة لها من يـكفيها أمرها من الخدم والحشم ، فهم يقومون بتدبير شئون المنزل وقضاء الحاج البيتية فلا تحتاج الى القيام مبكرة من النوم ، فأولئك قد كفوها مئونة التعب والنصب .

(الفرق بينها وبين المجاز) مما سلف تعلم الفرق بين الـكناية والمجاز هو أن الأولى لا يمتنع معها إرادة المعنى الأصلى فيسوغ فى المثالين المتقدمين أن تريد أنه واسع الصدر حقيقة وأنها تنام حقاً الى وقت الضحى ، وقـد تمتنع إرادة المعنى الأصلى فيها أحياناً لخصوص الموضوع نحو (الرحمن على العرش استوى) كناية عن الاستيلاء والملك ، (والسموات مطويات بيمينه) كناية عن قوة التمـكن وتمام القدرة ، إلى غير ذلك (٢) .

---

* معه ،وعلى هذا فهى واسطة بين الحقيقة والمجاز فليست حقيقة لعدم استعمالها فى الموضوع له وإن جاز ارادته إذ مجرد جواز إرادته لا يوجب كون اللفظ مستعملا فيه ، ولا مجازاً لجواز إرادة الموضوع له واختار السيد هـذا حيث قال الأولى أن يقتصر فى الـكناية على جواز إرادة أصل المعنى لعدم وجوب القرينة المانعة من إرادته فى الـكناية بخلاف المجاز فان القرينة المانعة فيه واجبه .

(١) فقولك فلان طويل النجاد تريد طول القامة يكون الـكلام صحيحاً وإن لم يكن له نجاد قط بل قد يستحيل المعنى الحقيقى كما سيأتى .

(٢) فهذان ونحوهما كنايات من غير لزوم كذب لأن استعمال اللفظ فى معناه الحقيقى وطلب دلالته عليه إنما هو لقصد الانتقال منه إلى لازمه المراد .

أما قرينة المجاز فتمنع من إرادة المعنى الأصلى فلا يسوغ إرادة الأسد المفترس في قولك رأيت أسداً فى الميدان يضرب يميناً وشمالا .

المبحث الثانى : فى أقسامها من حيث المكنى عنه

تنقسم الكناية من حيث المكنى عنه إلى ثلاثة أقسام :

(١) كناية يطلب بها صفة من الصفات كالجود والكرم ودماثة الأخلاق الى غير ذلك ، وهى ضربان .

(أ) قريبة وهى ماينتقل منهاالى المطلوب بها بلا واسطة سواء أكانت واضحة كقولهم كناية عن طويل القامة طويل النجاد(١) ، وقول الحماسى :

أبت الروادفُ والثُّدى لقُمْصها   مسَّ البطون وأن تمسَّ ظهوراً(٢)

كنى عن كبر الاعجاز ونهود الثدى بارتفاع القميص عن أن يمس بطناً أوظهراً وهذا من بديع الكناية ، أم خفية يتوقف الانتقال منها الى اللازم على التأمل وإعمال الروية كقولهم كناية عن الأبله هو عريض القفا اذ يزعمون أن عرض القفا وعظم الرأس اذا أفرطا دلا على الغباوة أو ما ترى الى قول طرفة :

أنا الرجل الضَّرْب الذى تعرفونه   خَشاش كرأس الحية المتوقِّد(٣)

(ب) بعيدة وهى ما ينتقل منها الى المطلوب بها بواسطة كقولهم فى الكناية عن المضياف هو كثير الرماد، فانه ينتقل الذهن من كثرة الرماد الى كثرة الطبائخ ومنها الى كثرة الرماد ومنها الى كثرة الضيفان ثم الى المضيافية وهى المقصودة ، ونظيره قول الآخر :

وما يك فىَّ من عيب فانّى   جبان الكلب مهزول الفصيل

---

(١) النجاد : حمائل السيف وقد اشتُهر استعمال طويل النجادفى طويل القامة فيفهم منه ذلك بلا تكلف . (٢) الروادف واحدها رادفة وهى الكفل والعجز ، والثدى جمع ثدى وإباء الروادف لقمصها مس الظهور كناية عن كبرها وضمور خصرها ، وكذا إباء الثدى لها مس البطون (٣) رجل ضرب خفيف اللحم وخشاش بالفتح وقد يكسر ماض فى الأمور. وقد شبه تيقظهُ وذكاءه بتوقد رأس الحية .

فان الذهن ينتقل من جبن الكلب عن الهرير فى وجه من يقصد داراً هو مقيم على حراستها والعس دونها مع أن ذلك ليس من طبعه ، الى أنه قد دام زجره وتأديبه حتى تغير عن مجرى عادته ، ثم الى استمرار موجب نباحه وهو اتصال مشاهدته وجوها إثر وجوه ، ومن ذا الى كونه ملجأ للقاصى وللدانى ، ومن ذا الى أنه مشهور بحسن قرى الأضياف .

وكذا ينتقل من هزال الفصيل الى فقد الأم ، ومن ذا الى قوة الداعى الى نحرها مع كمال عنايتهم بالنوق خصوصاً المتالى(١) منها ومن هذا الى صرفها الى الطبائخ ومن ذا الى أنه مضياف .

(٢) كناية يطلب بها موصوف نحو قولك كناية عن الأسد قتلت ملك الوحوش ، وشرطها الاختصاص بالمكنى عنه ليحصل الانتقال منها اليه ، وهى ضربان :

(أ) ما هى معنى واحد بأن يتفق فى صفة اختصاصها بموصوف معين فتذكر تلك الصفة ليتوصل بها الى ذلك الموصوف كجامع الاضغان كناية عن القلوب فى قوله :

الضاربين بكل أبيض مخذم والطاعنين مجامع الأضغان (٢)

ونحوه قول البحترى فى قصيدته التى وصف فيها قتله للذئب :

فأتبعتها أخــرى فأضللتُ نَصْلها بحيث يكون اللبُّ والرُّعْبُ والحقدُ(٣)

فنى الشطر الثانى ثلاث كنايات كل منها مستقل بإفادة الغرض لا كناية واحدة فقوله بحيث يكون اللب ، الرعب ، الحقد ، ثلاثتها عن كناية القلب اذ هو محل العقل والخوف والضغينة :

(ب) ما هى مجموع معان بأن تؤخذ صفة فتضم الى صفة ثانية ثم ثالثة

---

(١) المتالى من أتلت الناقة إذا تلاها ولدها (٢) الضاربين منصوب على المدح وكذا الطاعنين والأبيض السيف والمخذم القاطع والاضغان جمع ضغن وهو الحقد .

(٣) ضمير أتبعتها يعود إلى الطعنه والنصل حديدة السيف .

فتكون جملتها مما يختص بالموصوف ، فمتى ذكرت توصل بها اليه كقولهم كناية عن الإنسان انه حي مستوى القامة عريض الأظفار ، فمجموع هذه الأوصاف الثلاثة هو المختص بالإنسان لا كل واحد(١) منها .

(٣) كناية يطلب بها نسبة(٢) أى ثبوت أمر لأمر أو نفيه عنه كما يقولون المجد بين ثوبيه ، والكرم بين برديه(٣) فهم لم يصرحوا بثبوت المجد والكرم له بل كنوا عن ذلك بكونهما بين بُرْدَيه وبين ثوبيه ، وكقول زياد الأعجم في مدح عبد الله بن الحشْرج وكان أمير نيْسابور .

انَّ السماحة والمُروءة والنـدّى في قُبَّة ضُربت على ابن الحشْرَج(٤)

فانه أراد أن يثبت هـذا الصفات خلالا للمدوح لكنه لم يصرح بذلك فيقول انها لمجموعة فيه أو مقصورة عليه أو نحو ذلك بل عـدل الى ما أنت تراه لجعلها في قبة مضروبة عليه ليمكنه أن يثبتها للممدوح بطريق الكناية ، لأنه اذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه فقـد أثبت له ، ومثل هذا وان كان في حلة أبدع ووشى أغرب قول حسان :

بنى المجد بيتا فاستقرت عماده علينا فأعيا الناس أن يتحولا

وقول أبي نواس .

فما جازه جوده ولا حل دونه ولكن يصيِّر الجود حيث يصير

وقول الآخر : وحيثما يك أمر صالح تكن

ففي كل هذا توصل الى اثبات الصفة للمدوح باثباتها في المكان الذى يحل فيه ولزومها بلزومه حيثما كان ، وعلى هذا المسلك يحمل قولهم : مثلك لا يبخل قال

---

(١) ويسمى هذا خاصة مركبة . (٢) ضابطها أن يصرح بالصفة ويقصد باثباتها لشيء له صلة بالموصوف وارتباط به الكناية عن إثباتها للمراد وهو الموصوف بها بخلاف كناية الصفة فانه لا يصرح فيها بالصفة المراده . (٣) هما الأزار والرداء وهما الثوبان .

(٤) المروءة كمال الرجولة والسماحه بذل المال قليلا أو كثيراً والندى بذل الأموال الكثيرة لاكتساب عظيم المحامد والقبة ما تكون فوق الخيمة يتخذها الرؤساء .

فى الكشاف نفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته ، قصدوا المبالغة فى ذلك فسلكوا به طريق الكناية لأنهم اذا نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ، ونظيره قولك للعربى العرب لا تخفر الذمم فانه أبلغ من قولك أنت لا تخفر انتهى(١) .

المبحث الثالث : فى أقسامها من حيث الوسائط

تنقسم الكناية باعتبار الوسائط إلى أقسام أربعة :

(١) تعريض(٢) وهو خلاف التصريح واصطلاحا ما أشير به إلى غير المعنى بدلالة السياق كما تقول المسلم من سلم المسلمون من لسانه ، فالمعنى الأصلى انحصار الاسلام فيمن سلم الناس من يده ولسانه ، والمعنى الكنائى اللازم للمعنى الأصلى انتفاء الإسلام عن المؤذى مطلقاً وهو المعنى المقصود من اللفظ ويشير بسياقه إلى نفى الإسلام عن المؤذى الذى تكلمت عنده .

ومن لطيف ذلك ما كتبه عمرو بن مسعدة وزير المأمون الى المأمون يوصيه على بعض أصحابه أما بعد فقد استشفع بى فلان الى أمير المؤمنين ليتطول(٣) فى إلحاقه بنظرائه ، فأعلمته بأن أمير المؤمنين لم يجعلنى فى مراتب المستشفعين ، وفى ابتدائه بذلك بعد عن طاعته فرقع المأمون فى كتابه قد عرفنا نصيحتك له وتعريضك لنفسك وأجبناك اليهما .

(٢) تلويح وهو لغة أن تشير إلى غيرك من بعد واصطلاحا كناية كثرت فيها

---

(١) زاد بعضهم قسماً رابعاً وهو أن يكون المطلوب بالكناية الصفة والنسبة معاً نحو كثر الرماد فى ساحة على ، والحق أن هذا ليس كناية واحدة بل كنايتان الأولى المطلوب بها صفة وهى كثرة الرماد كناية عن المضيافية والثانية نسبة المضيافية إلى على بجعلها فى ساحته ليضيفها ثباتها له . (٢) قد يكون التعريض كناية كما فى هذا المثال وقد يكون مجازا كقولك تعريضاً بقوم أنا لست طامعاً فى عيونهم أى لست مؤذياً لهم تعريضاً بأن هؤلاء فعلوا ذلك وقد يكون حقيقة كقول الحجاج يخاطب أهل العراق ويعرض بالولاة قبله :

لست براعى ابل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم

(٣) يتطول أى يتكرم من الطول وهو الفضل والزيادة .

الوسائط بين اللازم والملزم نحو أولئك قوم يوقدون نارهم فى الوادى ، كناية عن بخلهم فقد انتقل من الايقاد فى الوادى المنخفض ، إلى إخفاء النيران ومن هذا إلى عدم رغبتهم فى اهتداء ضيوفهم إليها ، ومن ذا إلى بخلهم ، ونحوه ما تقدم من قولهم هو جبان الكلب ومهزول الفصيل .

(٣) رمز وهو لغة أن تشير إلى قريب منك خفية بشفة أو حاجب كما قال :

رمزت إلىّ مخافة من بعلها   من غير أن تبدى هناك كلامها

واصطلاحا هو كناية قلت وسائطها مع خفاء اللزوم نحو هو غليظ الكبد كناية عن القسوة ، إذ ذلك تتوقف على معرفة ما كان يعتقده العرب من أن الكبد موضع الاحساس والتأثر فيلزم من رقته اللين ومن غلظه القسوة ، ونحوه ما سبق

(٤) إيماء وإشارة وهى كناية قلت وسائطها مع وضوح الدلالة كقول أبى تمام يصف إبله ما دحا أبا سعيد(١) .

أبين فما يزرن سوى كريم   وحسبك أن يزرن أبا سعيد

وقول البحترى يمدح آل طلحة :

أو ما رأيت المجد ألقى رحله   فى آل طلحة ثم لم يتحول

ومن لطيف ذلك وعجيبه قول بعضهم فى رثاء البرامكة :

سألت الندى والجود مالى أراكما   تبدلتما ذلا بعــز مؤبد
وما بال ركن المجد أمسى مهدما   فقالا اصبنا بابن يحيى محمد
فقلت فهلا مُتما عند موته   فقد كنتما عبديه فى كل مَشهد
فقالا أقمنا كى نعزّى بفقده   مسافة يوم ثم نتلوه فى غد

المبحث الرابع : فى حسن الكناية وقبحها

الكناية تكون حسنة إن جمعت بين الفائدة ولطف الإشارة كما تقدم لك من

---

(١) هو أبو سعيد بن يوسف الثغرى .

الأمثلة ، وقبيحة إذا خلت مما ذكر كقول الشريف الرضي يرثى امرأة (إن لم تكن نصلا فغمد نصال) فهذا من ردىء الكنايات وسخيفها إذ هذا لا يفيد ما قصده من المعنى بل ربما جر إلى ما يقبح من تهمتها بالريبة ، ونحوه قول أبي الطيب :

إنى على شغفى بما فى خُمْرها ... لأعف عما فى سراويلاتها

قال ابن الأثير فهذه كناية عن النزاهة والعفة إلا أن الفجور أحسن منها ، وما ذاك إلا من سوء تأليفها وقبح تركيبها ، وقد أجاد الشريف فيما زلت فيه قدم أبي الطيب لجاء به على وصف حسن وقالب عجيب حيث قال :

أحن إلى مايضمن الخمر والحلى ... وأصدف عما فى ضمان المآزر

وقريب من بيت المتنبي قول الآخر :

وما نلت منها محرما غير أننى ... إذا هى بالت بلت حيث تبول

خاتمـــة

اتفقت كلمة البلغاء على :

(١) أن المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتصريح لأن الانتقال فيهما من الملزوم إلى اللازم فهو كدعوى الشيء ببينة .

(٢) وعلى أن الاستعارة أبلغ من التشبيه ومن المجاز المرسل لما فيها من دعوى الاتحاد ، وأن أبلغ أنواعها الاستعارة التمثيلية ثم المكنية لاشتمالها على المجاز العقلي الذى هو قرينتها .

(٣) وعلى أن الاستعارة سواء أكانت تمثيلية أم مكنية أم غيرهما أبلغ من الكناية لأنها كالجامعة بين كناية واستعارة .

وليس معنى الأبلغية فى كلا من هذه الأمور يفيد زيادة فى المعنى نفسه لا يفيدها خلافه بل المراد زيادة التأكيد فى الاثبات ، قال عبد القاهر فليست فضيلة قولنا رأيت أسداً على قولنا رأيت رجلا لا يتميز عن الأسد فى جراءته وشجاعته أن الأول أفاد زيادة فى مساواته للأسد فى الشجاعة لم يفدها الثانى بل هى أن الأول

أفاد تأكيداً لإثبات تلك المساواة له لم يفده الثانى ، وسر هذه المزية والفخامة أنك إذا قلت رأيت أسداً كنت قد تلطفت لما أردت اثباته له من فرط الشجاعة حتى جعلتها كالشىء الذى يجب له الثبوت والحصول وكالأمر الذى نصب له دليل يقطع بوجوده ، وذلك أنه إذا كان أسداً فواجب أن تكون له تلك الشجاعة العظيمة ، وكالمستحيل أو الممتنع أن يعرى عنها ، وإذا صرحت بالتشبيه فقلت رأيت رجلا كالأسد كنت قد أثبتها اثبات الشىء يترجح بين أن يكون وألا يكون ولم يكن من حديث الوجوب فى شىء .

وليست فضيلة قولنا جم الرماد على قولنا كثير القرى أن الأول أفاد زيادة لقراه لم يفدها الثانى بل هى أن الأول أفاد تأكيدا لإثبات كثرة القرى له لم يفده الثانى ، وذلك أن كل عاقل يعلم أن إثبات الصفة باثبات دليلها آكد وأبلغ فى الدعوة من أن تجىء إليها فتثبتها هكذا ساذجا غفلا ، وذلك أنك لا تدعى دليل الصفة إلا والأمر ظاهر معروف وبحيث لا يشك فيه ولا يظن بالمخبر التجوز والغلط ، كذا فى دلائل الاعجاز مع اختصار .

أسرار البلاغة فى الكناية

الكناية فن من التعبير توخاه العرب استكثاراً للألفاظ التى تؤدى ما يقصد من المعانى ، وبها يتنوقون فى الأساليب ، ويزينون ضروب التعبير ، ويكثرن من وجوه الدلالة .

انظر إلى امرىء القيس تجده كنى عن المرأة ببيضة الخدر فى قوله :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها   تمتعت من لهو بها غير معجل

وإلى حميد بن ثور تره كنى عنها بالسرحة فى قوله :

أبى الله إلا أن سرحة مالك   على كل أفنان العضاه(١) تروق

فياطيب رياها وبرد ظلالها   إذا حان من حامى النهار وديق ٢)

(١) شجر عظيم شائك   (٢) شدة الحر فى الهاجرة .

وإلى النبي عليه السلام وقد كنى عنها بالقارورة في قوله لأنجشة وهو يحدو بنسائه (رفقا بالقوارير) وبها ينصبون الدليل على كل قضية ، ويقيمون البرهان على كل مدعى ، انظر إلى المتنبي وهو يذكر وقيعة سيف الدولة بأعدائه :

فمساهم وبُسْطُهم حرير وصبَّحهم وبُسْطُهم تراب

تجده قد أراد أن يبين أنه قهرهم وأذلهم بعد أن كانوا أعزة ، لكنه تلطف في التعبير ونصب الدليل على صحة دعواه ، فأشار إلى عزتهم أولا بافتراشهم بسط الحرير ، ثم إلى ذلتهم بعد بافتراشهم بسط التراب .

وتأمل قول أبي تمام يمدح أبا سعيد بن يوسف الثغرى ويذكر كرمه :

أبين فما يزرن سوى كريم وحسبك أن يزرن أبا سعيد

تره قد أبان كرم أبي سعيد بغاية الوضوح ، من حيث أبان أن إبله أبت إلا أن تزور الكرماء ، ويكفيها أن تزور من بينهم أبا سعيد .

وليس بالخفي ما للكناية من فضيلة في إلباس المعقول ثوب المحسوس ، أتراك تشاهد لطف التعبير ، ودقة التصوير ، إذا تأملت الكناية بحمالة الحطب عن النمامة التي تفسد ذات البين وتهيج الشر في قوله تعالى يصف امرأة أبي لهب (وامرأته حمالة الحطب) فانك وأنت تقرؤها يخيل إليك أنها ممسكة حطبها بيديها ، ومشعلة نارا لتوقد العداوة والبغضاء بين قوم ، وتؤلب بعضهم على بعض .

إلى ما فيها من حيلة بترك بعض الألفاظ إلى ما هو أجمل في القول وآنس للنفس ، ألا ترى إليهم وهم يكنون عن الموت بقولهم [فلان قد استوفى أكله] أو بقولهم [لحق باللطيف الخبير] وعن الصحراء بالمفازة وهي مهلكة .

إلى ما فيها من حسن التلطف في اطراح الألفاظ المستهجنة كما جاء في القرآن الكريم من الكنايات التي تتعلق بالنساء كالنهي عن أخذ المهور مع ذكر السبب في قوله تعالى : (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض) وقوله : (فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ في الحج) .

الى أنها قد تكون طريقا من طرق الايجاز والاختصار كقوله تعالى كناية عن كثير من الأفعال (ولبئس ما كانوا يفعلون) وقولهم كناية عن الجامع لكل شيء (هو سفينة نوح) .

وانك لترى فيها من العجب العجاب ومن غريب الصنعة ، ومن بديع السحر اذا كانت فى باب الصناعات الخسيسة والأشياء الحقيرة بذكر منافعها كما قيل لحائك ما صناعتك ؟ قال زينة الأحياء وجهاز الموتى ، وقال ابن باقلانى — بائع فول —

أنا ابن الذى لا ينزلُ الدهرَ قدْرُه ... وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس أفواجا إلى ضوء ناره ... فنهم قيام حوله وقعود

نموذج أول

بين الكناية وأنواعها باعتبار المكنى عنه وباعتبار الوسائط فيما يلى :

(١) وان حلفت لا ينقض النأىُ عهدها ... فليس لمخضوب البنان يمين

(٢) قال الحجاج ان أمير المؤمنين نثر كنانته عودا عودا فوجدنى أمرها عودا وأصلبها مكسرا فرماكم بى - والله لأحزمنكم حزم السلمة ، ولأضربنكم ضرب غرائب الابل .

(٣) ولا زال بيت الملك فوقك عاليا ... تشيد أطناب له وعمود
(٤) تقول التى من بيتها خف محملى ... عزيز علينا أن نراك تسير
(٥) أفاضل الناس أغراض لذا الزمن ... يخلو من الهم أخلاهم من الفطن
(٦) يبيت بمنجاة من اللوم بيتها ... اذا ما بيوت بالملامة حلت

الاجابة

(١) فى مخضوب البنان كناية عن موصوف وهى المرأة ، إذ هذه من صفاتها الخاصة بها ، من نوع الايماء لأن الذهن ينتقل إلى ذلك بلا واسطة .

(٢) فى هذه العبارة كنايات ثلاث (ا) فى قوله نثر كنانته إلى قوله فرماكم بى كناية عن صفة هى البحث والتفتيش عن الأصلح حتى عثر عليه وهى من نوع التلويح لأن الذهن ينتقل من نثر الكنانة إلى البحث والتفتيش عن أصلح سهامها ومن ذا إلى العثور على ذلك الأصلح ، ومن ذا إلى اختياره من بينها ثم إرساله اليهم لتدبير شئونهم (ب) وفى قوله لاحزمنكم حزم السلمة كناية عن صفة هى الضغط عليهم والبطش بهم من نوع الايماء (ج) وفى قوله لأضربنكم الخ كناية عن صفة هى القسوة فى معاملتهم والتنكيل بهم وهى من نوع الايماء .

(٣) فى هذا البيت كناية عن نسبة هى اتصافه بالملك ، لأنّ الذهن ينتقل من ملازمته بيت الملك وحلوله فى ذلك المكان إلى كونه ملكا وهى من نوع الايماء

(٤) كنى أبو نواس بقوله من بيتها خف الخ عن موصوف وهى امرأته لأن الراحلة إنما تخف من بيت صاحبها فى العادة ، فهى كناية عن موصوف من نوع الايماء لعدم الوسائط .

(٥) فى قوله اخلاهم من الفطن كناية عن موصوف وهم الجهال وهى من نوع الايماء

(٦) فى هذا البيت كناية عن نسبة هى إثبات النزاهة لها ونفى الفجور عنها ذاك أنه نبه بنفى اللوم عن بيتها على انتفاء انواع الفجور عنها ومن ذا إلى براءتها من كل ما يشينها ، وهى من نوع الايماء .

نموذج ثان

بين أنواع الكناية من حيث المكنى عنه ومن حيث الوسائط .

(١) قال زياد بن أبيه وإنى لاقسم بالله لآخذنّ الولى بالمولى والمقيم بالظاعن والمطيع بالعاصى ، حتى يلقى الرجل قاتل أبيه فيقول (انج سعد فقد هلك سعيد)(١) أو تستقيم لى قناتكم (٢).

---

(١) مثل أصله أسعد أم سعيد يضرب للفشل او الظفر بالبغيه .

(٢) القناة الرمح والعصا المستوية

(٢) ﴿ وحملناه على ذات ألواح ودسر تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر(١) ﴾

(٣) وأقبلت يوم جد البين فى حلل سود تعضّ بنان النادم الحصر(٢)

(٤) أريد بسطة كف أستعين بها على قضاء حقوق للعُلا قبلى

(٥) لا أمتع العوذ بالفصال ولا أبتاع إلا قريبة الأجل(٣)

(٦) فصبحهم وبسطهُم حريرٌ ومسّاهم وبسطهم تراب

الاجابة

(١) فى هذه المقالة كنايات عدة فقد كنى بقوله انج سعد الخ عن الفرار والهرب ، وهى من نوع التلويح لكثرة الوسائط فيها إذ ينتقل الذهن من قولهم هذا الى السبب الباعث على ذلك وهو الخوف من الفتك بهم ، ومن ذا الى أخذ عدتهم للهرب تباعدا عن التنكيل بهم ، الى الهرب وهو المراد ، وكنى باستقامة القناة عن حسن سيرهم واعتدالهم فى أمورهم ، وهى كناية عن صفة من نوع الرمز.

(٢) كنى الله تعالى بذات الألواح والدسر عن السفينة ، اذ ذاك وصف خاص بها فهى كناية عن موصوف من نوع الإيماء وكنى بقوله تجرى بأعيننا عن شمول لطفه وعنايته بها ، وهى كناية عن صفة من نوع التلويح لوجود الوسائط إذ ينتقل الذهن من النظر اليها ، الى مراقبتها ، ومن ذا الى الاهتمام بها ، ومنه الى العناية بها .

(٣) كنى بعض بنان الندم عن الأسف على فوات المرغوب فيه ، فهو كناية عن صفة من نوع الإيماء .

(٤) كنى ببسطة الكف عن الغنى ، فهو كناية عن صفة من نوع الإيماء اذ ينتقل الذهن من بسطة الكف ، الى ملئها بالمال ، الى الغنى .

(٥) فى هذا البيت كنايتان عن صفتين من نوع التلويح الأولى كناية عن

(١) الدسر جمع دسار وأصله خيط من ليف تشد به ألواح السفينة . (٢) الحصر البخيل
(٣) العوذ جمع عائذ الحديثة النتاج من الظباء والابل والفصال جمع فصيل ولد الناقة .

نحو الفصال والثانية كناية عن أنه مضياف ، ذاك أن الذهن ينتقل من عدم امتاعها الى أنه لا يبق لها فصالها لتأنس بها ويحصل لها الفرح الطبيعي بالنظر اليها ، ومن ذا الى نحرها ، وكذا ينتقل من قرب أجلها إلى نحرها ، ومن ذا الى أنه مضياف .

(٦) فى هذا البيت كنايتان عن صفتين وهما العز والذل من نوع التلويح اذ كنى بكون بسطهم حريراً عن عزهم اذ ينتقل الذهن من احرازهم الرياش والأثاث الفاخر الى غناهم ومن ذا الى كونهم أعزاء ، وكنى بكون بسطهم ترابا عن ذلهم ، اذ ينتقل الذهن من افتراش التراب الى ضياع ما يملكون ومن ذا الى كونهم أذلاء .

تمرين (١)

بين الكناية باعتبار المكنى عنه وباعتبار الوسائط فيما يلى :

(١) بيض صنائعنا سود وقائعنا   خضر مرابعنا حمر مواضينا(١)

(٢) أبيني أفى يمنى يديك جعلتنى   فأفرح أم صيرتنى فى شمالك(٢)

(٣) (أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين(٣)) .

(٤) (ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم) .

(٥) روى أن امرأة وقفت على قيس بن سعد فقالت أشكو اليك قلة الفأر فى بيتى ، فقال ما أحسن ماورت عن حاجتها — املئوا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً.

(٦) ومن دعا الناس الى ذمه   ذموه بالحق وبالباطل

(٧) تشتكى ما اشتكيت من ألم الشو   ق اليها والشوق حيث النحول

تمرين (٢)

(١) قوم ترى أرماحهم يوم الوغى   مشغوفة بمواطن الكتمان

(٢) وان ذكر المجد ألفيته   تأزر بالمجد ثم ارتدى

---

(١) الصنائع جمع صنيعة وهى الاحسان والمرابع جمع مربع الموضع يتربعون فيه زمن الربيع والمواضى السيوف . (٢) فان الشىء النفيس يحتفظ به فى اليد اليمنى عادة والذى لا يؤبه له يوضع فى اليسرى . (٣) ينشأ يربى والخصام الجدل .

(٣) ولست بخالع درعى وسيفى   الى أن يخلع الليل النهار

(٤) (سنشد عضدك بأخيك) .

(٥) تعرضت عجوز لسليمان بن عبدالملك فقالت ياأمير المؤمنين مشت جرذان بيتى على العصى ، فقال لها ألطفت فى السؤال ، لا جرم لأردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبا .

(٦) اللابس المجد لم تنسج غلائله   الا يد الصانعين السيف والقلم

(٧) ولما سقط فى أيديهم .

نموذج عام فى البيان

(١) جاء فى بعض الجرائد أن ظفر الزعيم زغلول باشا فى الانتخابات يسيل له لعاب الساسة الغربيين ، فجميع الروابى التى نشهدها فى جميع الأقطار لا تبلغ سفح هذا الجبل .

(٢)وان حلفت لا ينقض النأى عهدها   فليس لمخضوب البنان يمين

الإجابة

(١) فى جملة يسيل الخ كناية عن صفة هى الشوق اليه من نوع التلويح اذ ينتقل الذهن من سيل اللعاب الى الشىء ، الى شهوته وميل النفس اليه ومحبتها له . وفى الروابى استعارة تصريحية أصلية مجردة فقد شبه الزعماء بالروابى بجامع العظم وجلالة القدر فى كل والقرينة حالية — وفى قوله تبلغ سفح هذا الجبل استعارة تصريحية مرشحة بكلمة سفح والقرينة حالية .

(٢) فى نقض النأى مجاز عقلى علاقته السببية لأن البعد سبب النقض وخلف العهد ، وفى العهد استعارة بالكناية حيث شبه العهد بالحبل بجامع أن كلا يفيد الربط واستعير لفظ المشبه به للمشبه ثم حذف لفظ المشبه به ورمز اليه بشىء من لوازمه وهو النقض على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية ، وإثبات النقض للعهداستعارة تخييلية وهى قرينة المكنية — وفى البنان مجاز مرسل علاقته الجزئية لأن

التي تخضب هي الكف كلها — وفي يمين مجاز مرسل علاقته السببية اذ المراد وفاء باليمين وإنفاذ لما حلفت عليه — وفي مخضوب البنان كناية عن موصوف وهي المرأة من نوع الايماء والإشارة ، والشطر الثاني كله استعارة تمثيلية لأنه جار مجرى المثل .

مزايا دراسة البيان في صوغ مختلف الأساليب

رأيت فيما سلف ألواناً مختلفة من التعبير ، وضروباً متنوعة من البيان ، يستطيع المتكلم أن يجعلها قبلة أنظاره إذا أراد صياغة المعاني في القوالب التي يراها أليق بغرضه ، وأبلغ لمقصده ، ويحوك بها ما شاء أن يحوكه من شريف المعاني التي تجيش بخاطره ، وتعلق بصدره ، فاذا طرق باب المديح وأراد وصف ممدوحه بالكرم والجود أمكن أن ينحو نحو مسلم بن الوليد حين مدح زيد ابن مسلم الحنفي من وائل فقال :

ولو أن في كبد السماء فضيلة لسما لها زيدُ الجوادُ فنالا
يا زيد آل يزيد ذكرك سؤدد باق وقربك يطرد الإمحال
نفحات كفك يا ذؤابة وائل تركت عليك الراغبين عيالا

فيؤدي المعنى على حقيقته دون مبالغة ولا إغراق ، أوحين يمدح جعفر ابن يحي البرمكي فيقول :

تداعت خطوب الدهر عن جار جعفر وأمسك أنفاس الرغائب سائله
هو البحر يغشى سرة الأرض سيبه وتدرك أطراف البلاد سواحله
فلو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

فهو قد شبهه بالبحر اللجي يعم فيضه الآفاق ، وتدرك سواحله أطراف البلاد .
أو نحو أبي نواس وهو يمدح الخطيب :

أنت الخطيب وهذه مصر فتدفقا فكلاكما بحر
ويحق لي إذ صرت بينكما ألا يحل بساحتي فقر

فجعله كالبحر المتدفق الذي اذا حل ببلدة عمها الخصب ، وفارقها الجدب .

أو نحو قول البحترى يمدح يوسف بن محمد :

أدارَهُم الأولى بداره جُلجُل سقاكِ الحيا روحاته وبواكرُهْ
وجاءك يحكى يوسف بن محمد فروتك رياه وجادك ماطرُهْ

إذ لم يشأ إلا أن يجعل الغيث يشبهه فى فيضه، وبالغ فى التشبيه ، وافتن فى الأسلوب ، وعكس ما ألفه الناس من تشبيه الجواد بالغيث والبحر .

ثم انظر الى قول الآخر :

إذ ما رأيت البحر يبسط كفه فلا تخش إقلالا من الدهر أو عدما

فقد لجأ فى وصف ممدوحه بالكرم الى الاستعارة المصرحة وهى كما تعلم أبلغ من التشبيه وأعلى كعباً لما فيها من دعوى الاتحاد بين المشبه والمشبه به . وقول أبى العتاهية:

للجود باب فى الأنام ولم تزل يمناك مفتاحا لذاك الباب

فقد جعل للجود باباً مفتاحه فى يد الممدوح اليمنى ، على سبيل الاستعارة المكنية

وقول المتنبى فى مدح كافور :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا

فصور لك ما يلقاه قاصدو ممدوحه من الغنى والثروة ، وأن من أمه لا يبغى سواه ، كما أن من قصد البحر تأبى همته أن ينظر الى الجداول والغدران .

وهذه استعارة تمثيلية لها أثرها من البهجة والجمال الذى تحس به وتتذوقه .

وقول أبى نواس فى الفضل بن الربيع :

وكلت بالدهر عينا غير غافلة من جود كفك تأسو كل ما جرحا

فأضاف الجود الى الكف ، والجود ينسب عادة الى الممدوح من قبيل اضافة ما للكل الى الجزء على سبيل المجاز المرسل . وقول مسلم :

تظلم المال والأعداء فى يده لا زال للمال والأعداء ظلاما

اذ كنى عن كثرة عطاياه وقتاله للأعداء وافنائه اياهم بالتظلم من يده .

وللكناية أثرها البعيد فى تثبيت المعنى فى النفس ، وحسن تصويرها له ، فهى تهش له وترتاح .

فهأنت ذا قد رأيت فى وصف الجود ضروبا وألواناً مختلفة من التعبير ، وفنوناً شتى من القول ، وهكذا ينفسح مجال الكلام أمام البيغ وتتشعب طرقه فى أى معنى من المعانى التى يقصد القول فيها ، ولكن بعضها كما رأيت أبلغ من بعض بالنظر الى مقتضيات الأحوال ، فما يصلح لمقام لا يصلح مثله لآخر ، وهذا هو سر البلاغة ، فقد يكون المقام داعيا إلى التشبيه لا الاستعارة ، وقد يكون الانسب العكس ، فقد يكون المقام يدعو الى الكناية .

فتلك الصور المختلفة ، والأساليب المتنوعة هى موضوع علم البيان الذى درست مسائله ، فاذا أنت جعلتها رائدك فى صوغ المعانى هدتك الصراط المستقيم وبلغت بك الغاية التى تسعى اليها .

ولكن دراسة العلم وحدها ، والوقوف على شواهد يسيرة من كلام الفصحاء والبلغاء لا يبلغان بك إلى المقصد ، كما لو درست قواعد الحساب مثلا وحللت مسائل قليلة لكل قاعدة ، فان هذا لا يكسبك الملكة التى بها تستطيع أن تحل كثيراً من المسائل ، بل لا بد للملكة من التمرين وممارسة حل كثير من المسائل المختلفة حتى تتكون لديك . فبلاغة القول ورشاقة التعبير ورصانته وإصابة المرمى من نفس السامع تحتاج إلى ادمان القراءة فى كتب الأدب والوقوف على متنوع الأساليب من أقوال الكتاب والشعراء والخطباء وحفظ ما يمكنك حفظه من منثورهم ومنظومهم .

ولا نرى كاتباً بليغاً ولا شاعراً مجيداً الا جال فى مختلف الأساليب الشعرية والنثرية جولة صادقة ، وروى من عذبها وغاص فى بحارها ، واستخرج من دررها

فعليك أيها القارىء من الإكثار من القراءة فيما خلفه لنا العرب من تراث أدبى من النظيم والنثير فى مختلف العصور ، فانك ان فعلت ذلك ظفرت بملكة مواتية وحظ من الأدب عظيم .

علم البديع

البديع لغة الجديد المخترع لا على مثال سابق ولا احتذاء متقدم ، تقول بدع الشيءُ وأبدعه فهو مبدع وفى التنزيل قل ما كنت بدعا من الرسل .

واصطلاحا علم تعرف به الوجوه والمزايا التى تكسب الكلام حسنا وقبولا بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال التى يورد فيها ووضوح الدلالة على ماعرفت فى العلمين السالفين(١) .

[واضعه] أول من دون قواعده ووضع أصوله عبد الله بن المعتز العباسى المتوفى ٢٧٤ هـ فقد استقصى ما فى الشعر من المحسنات وألف كتابا ترجمه باسم [البديع] ذكر فيه سبعة عشر نوعا وقال ماجمع قبلى فنون البديع أحد ولاسبقنى إلى تأليفه مؤلف ، ومن رأى إضافة شيء من المحاسن اليه فله اختياره ـ ثم ألف معاصره جعفر بن قدامه كتابا سماه [نقد قدامه] ذكر فيه ثلاثة عشر نوعا زيادة على ما أملاه ابن المعتز ـــ ثم جاءت التآليف تترى فألف فيه أبو هلال العسكرى وجمع سبعة وثلاثين نوعا ثم ابن رشيق القيروانى فجمع مثلها فى كتاب العمدة ثم جاء شرف الدين التيفاشى فبلغ بها السبعين ، ثم ألفت البديعيات فألف زكى الدين بن أبى الاصبع بديعيته وأوصل الأنواع إلى التسعين ثم جاء بعده صفى الدين الحلى فأوصلها إلى مائة وأربعين ونظم قصيدة ميمية فى مدح النبى عليه السلام وذكر اسم كل نوع فى بيت ، ومن بعده جاء عز الدين الموصلى فذكر مثل ماذكره سالفه مع زيادة يسيرة من ابتكاره ـــ وهكذا ارتقت التآليف صعدا وزيدت الأنواع .

(١) أى فالمستفاد من علم البديع الحسن العرضى والمستفاد من العلمين السالفين الحسن الذاتى .

. وكثرت البديعات فى هذا العلم كبديعية ابن حجة الحموى وقد شرحها فى كتاب سماه [خزانة الأدب] وبديعية عبد الغنى النابلسى وقد جاوز بها المائة والستين نوعا .

أقسام المحسنات

تنقسم المحسنات إلى قسمين :

(١) محسنات معنوية وهى التى يكون التحسين بها راجعا إلى المعنى أولا وبالذات وإن كان بعضها قد يفيد تحسين(١) اللفظ أيضا كالطباق بين يسر ويعلن فى قوله تعالى (يعلم مايسرون ومايعلنون) ، وعلامتها أنه لو غير اللفظ بمايرادفه ، فقيل مثله (يعلم ما يخفون وما يظهرون) لم يتغير الحسن المذكور .

(٢) محسنات لفظية وهى التى يكون التحسين بها راجعاً إلى اللفظ أصالة وإن حسنت المعنى أحيانا تبعا كالجناس فى قوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) ، فالساعة الأولى يوم القيامة والساعة الثانية واحدة الساعات الزمانية — وعلامتها أنه لو غير اللفظ الثانى إلى مايرادفه زال ذلك الحسن فلو قيل ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا إلا قليلا لضاع ذلك الحسن .

المحسنات المعنوية

المحسنات المعنوية كثيرة لكنا رأينا ألا نذكر منها إلا ما اشتهر أمره وأهم الناثر والشاعر علمه :

الطباق — المطابقة — التكافؤ — التضاد

هو لغة الجمع بين الشيئين ، واصطلاحا الجمع بين معنيين متقابلين سواء أكان ذلك التقابل تقابل التضاد أو الايجاب والسلب أو العدم والملكة أو التضايف أو ما أشبه ذلك ، وسواء كان ذلك المعنى حقيقيا أو مجازيا(٢) .

---

(١) كما سيأتى فى العكس فى قولهم عادات السادات سادات العادات فان فى اللفظ شبه الجناس اللفظى لاختلاف المعنى ففيه التحسين اللفظى والغرض الأصلى الاخبار بعكس الاضافة مع وجود الصحة . (٢) مثاله أو من كان ميتا فأحييناه .

وهى تنقسم أولا إلى :

(١) مطابقة بلفظين من نوع واحد سواء أكانا اسمين نحو (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود) ، أم فعلين نحو (تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء ، وقوله عليه السلام للأنصار « إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع » ، أم حرفين نحو (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت)(١) ، وقول القائل.

ركبنا فى الهوى خطرا فاما لنا ما قد ركبنا أو علينا

(١) مطابقة بلفظين من نوعين نحو وأحيي الموتى باذن الله ؛ وقوله :

قد كان يدعى لابس الصبر حازما فأصبح يدعى حازما حين يجزع

والتقابل إما ظاهر كما سبق وإما خفى نحو أشداء على الكفار رحماء بينهم ، فان الرحمة تستلزم اللين المقابل للشدة ، وقول أبى تمام :

مها الوحش الا أن هاتا أوانس قنى الخط الا أن تلك ذوابل

لما فى هاتا من القرب وتلك من البعد .

ثانيا إلى :

(١) طباق الايجاب كما سلف لك من الأمثلة .

(٢) طباق السلب وهو أن يجمع بين فعلى مصدر واحد مثبت ومنفى أو أمر ونهى كقوله تعالى (ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) ، وقوله (فلا تخشوا الناس واخشون) .

ومن الطباق ما سماه بعضهم التدبيج من دبج الأرض زينها ، واصطلاحا أن يذكر فى معنى كالمدح وغيره ألوان لقصد الكناية أو التورية .

فتدبيج الكناية كقول أبى تمام يرثى أبا نهشل محمد بن حميد :

---

(١) لأن فى اللام معنى المنفعة وفى على معنى المضرة لأن اللام تشعر بالملكية المؤذنة بالانتفاع وعلى تشعر بالعلو الدال على التحمل المؤذن بالتضرر .

تردّى ثياب الموت حُمْرا فما أتى ... لها الليل الا وهى من سُنْدُس خُضْرُ(١)

فقد كنى عن القتل بلبس الثياب الحمر وعن دخول الجنة بخضر السندس إذ هو من شعار أهلها وجمع بين الحمرة والخضرة على سبيل الطباق .

وتدبيج التورية كقول الحريرى فمذ ازور المحبوب الأصفر ، واغبر العيش الأخضر ، اسودّ يومى الأبيض ، وابيض فودى الأسود ، حتى رثى لى العدو الازرق فياحبذا الموت الأحمر ، فالمعنى القريب للمحبوب الأصفر إنسان ذو صفرة والبعيد الذهب وهو المراد هنا فيكون تورية ، وأما بقية العبارة فكناية(٢) ويلحق بالطباق شيئان أحدهما ما يسمى ايهام التضاد وهو الجمع بين معنيين غير متقابلين معبراً عنهما بلفظين متقابلين كقول دعبل الخزاعى :

لا تعجبي ياسلمُ من رجل ... ضحك المشيب برأسه فبكى

فإن ضحك بمعنى ظهر وبكى بمعناه الحقيق .

وثانيهما الجمع بين معنيين يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعلق كالسببية واللزوم كقوله تعالى : (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) فإن ابتغاء الفضل يستلزم الحركة المضادة للسكون(٣) .

المقـــابلة

ومن الطباق نوع يخص باسم المقابلة وهى أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على سبيل الترتيب .

فمقابلة اثنين باثنين كقوله عليه السلام لأم المؤمنين عائشة «عليك بالرفق ياعائشة

---

(١) يريد أنه ارتدى الثياب الملطخة بالدم حين قتل فما أرخى الليل سدوله الا وقد صارت من السندس الأخضر . (٢) اخضرار العيش كناية عن طيبه ونعومته والاغبرار عن ضيقه او نقصانه وازور بعد وأعرض وأسود كناية عن الحزن وأبيض الفود كناية عن الضعف من كثرة الأحزان والفودان شعرا جانبي الرأس مما يلى الأذنين .

(٣) وإنما عدل عن الحركة إلى ابتغاء الفضل من قبل ان الحركة ضربان حركة لمصلحة وحركة لمفسدة والمراد الأولى لا الثانية .

فإنه ما كان فى شىء إلا زانه ولا نزع من شىء إلا شانه » ، وقول النابغة الجعدى:

فتى تم فيـــه ما يسر صديقه على أن فيه ما يسوء الأعاديا

ومقابلة ثلاثة بثلاثة كقوله تعالى (يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) ، وقول المتنبى :

فلا الجود يفنى المال والجدّ مقبل ولا البخل يبقى المال والجَدُّ مُدْبِر

ومقابلة أربعة بأربعة نحو : (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) ، وتتضح لك مقابلة اتقى باستغنى إذا علمت أن المراد بالاستغناء الزهد فيما عند الله كأنه استغنى عنه فلم يتق أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة فلم يتق .

ومقابلة خمسة بخمسة (١) كقول أبى الطيب :

أزورهم وسواد الليل يشفع لى وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

ومقابلة ستة بستة كقول الآخر(٢) :

على رأس عبد تاج عز يزينه وفى رجل حر قيد ذل يشينه

مراعاة النظير — التناسب — الائتلاف

هى أن يجمع فى الكلام بين أمرين أو أمور متناسبة لا بالتضاد ، وبالقيد الأخير يخرج الطباق .

فالجمع بين أمرين كقوله تعالى (الشمس والقمر بحُسْبان) .

وبين ثلاثة كقول البحترى يصف إبلا بالانضاء والهُزال :

كالقسىّ المعطّفات بل الاسهـــم مـــبْريّةً بل الأوتار

فقد اختار تشبيهها بالقسى دون العراجين والأطناب(٣) مثلا من أجل أنه

(١) كذا ذكر الواحدى فى شرحه لديوان أبي الطيب ، قال فى الايضاح وفيه نظر لأن لى وبى صلتان ليشفع ويغرى فيها من تمامها بخلاف اللام وعلى فى قوله تعالى (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) . (٢) نسبه بعض الحواشى لعنترة .

(٣) العراجين جمع عرجون الكباسة والأطناب جمع طنب حبل الخيمة ونحوها .

أراد تشبيهها بالاسهم والأوتار فيحصل بذكرها معها ملاءمة لا تحصل بدونها :

وبين أربعة كقول بعضهم للوزير المهلبي أنت أيها الوزير إسماعيليُّ الوعد، شُعَيبيُّ التوفيق، يوسفيُّ العفو، محمدى الخلق .

وبين أكثر من أربعة كقول ابن رشيق :

أصح وأقوى ماسمعناه فى الندى ... من الخبر المأثور منذ قديم

أحاديث ترويها السيول عن الحيا ... عن البحر عن جُودِ الأمير تميم

فقد لاءم بين الصحة والقوة والسماع والخبر والأحاديث والرواية . ثم بين السيل والحيا أى المطر والبحر وكف تميم وبذا صار الكلام ملتئم النسج محكم التأليف والحوك ، مع ما أدخله فى البيت الثانى من حسن الصنعة إذ أتى بصحة الترتيب فى العنعنة إذ جعل الرواية لصاغر عن كابر كما يقع فى سند الاحاديث ألا ترى أن السيول أصلها المطر وهو أصله البحر وهو أصله كف الممدوح على حسب ما ادعاه مبالغة فى المدح .

تشابه الأطراف

من مراعاة النظير ما يسمى تشابه الأطراف ، وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله فى المعنى كقوله تعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) فإن اللطف يناسب ما لا يدرك بالبصر ، والخبرة تناسب من يدرك شيئاً ، لأن الخبير من له علم بالخفيات ، ومن جملة الخفيات بل الظواهر الأبصار فيدركها .

ويلحق بها ما يسمى إيهام التناسب ، وهو الجمع بين معنيين غير متناسبين بلفظين يكون لهما معنيان متناسبان وان لم يكونا مقصودين هنا كقوله تعالى (الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان) ، فالنجم هنا النبات الذى لا ساق له كالبقول وهو ان لم يكن مناسبا للشمس والقمر يوهم نجم السماء وهو مناسب لهما .

الارصاد — التسهيم

الارصاد لغة نصب الرقيب فى الطريق والتسهيم جعل البرد ذا خطوط كأنها فيه سهام واصطلاحا أن يجعل قبل آخر الفقرة أو البيت ما يفهمهما عندمعرفة الروى(١) كقوله تعالى (ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى إلا الكفور) ، وقول البحترى :

أحلت دمى من غير جرم وحرّمت ... بلا سبب يوم اللقاء كلامى

فليس الذى حللتـه بمحـلل ... وليس الذى حرمتـه بحـرام

فالسامع إذا وقف على قوله وهل يجازى بعد الاحاطة بما تقدم علم أنه ليس (إلا الكفور) والحاذق بمعانى الشعر وتأليفه يعلم بعد أن عرف البيت الأول وصدر الثانى فى بيتى البحترى أن ليس عجزه إلا ما قاله .

المشاكلة(٢)

هى لغة المماثلة واصطلاحا ذكر الشىء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقاً أو تقديراً ، فالأول كقوله عز وعلا (وجزاء سيئة سيئة مثلها) ، إذ الجزاء على السيئة ليس بسيئة فى الحقيقة لكنه سمى سيئة للمشاكلة اللفظية ، وقول عليه السلام «إن الله لا يمل حتى تملوا(٣) » فقد وضع لا يمل موضع لا يقطع عنكم ثوابه ، وقول أبى الرقعمق وقد تظرف ما شاء .

---

(١) الروى الحرف الذى يبنى عليه أواخر الأبيات أو الفقر ويجب تكرره فى كل منهما وقيدنا بقولنا إذا عرف الروى لأن من الارصاد مالا يعرف به العجز لعدم معرفة الروى كقوله تعالى (وما كان الناس إلا أمة واحدة) إلى آخرها فلو لم يعرف أن حرف الروى نون فربما توهم أن العجز فيما فيه اختلفوا أو اختلفوا فيه .

(٢) هى مجاز لغوى علاقته المجاورة وهى الوقوع فى الصحبة ، وقيل ليست حقيقة ولا مجازاً أما الأول فظاهر وأما الثانى فلأن علاقة المجاورة المعتبرة فى المجاز إنما هى المجاورة بين مدلول اللفظ المتجوز به ومدلول اللفظ المتجوز عنه لتقارنهما فى الخيال وليست كذلك المشاكلة إذ ليس فيها إلا مجرد ذكر المصاحب بلفظ غيره لاصطحابهما فى الذكر .

(٣) المعنى إن الله لا يقطع عنكم نعمه وفضله حتى تملوا عن مسألته .

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه قلت اطبخوا لى جبة وقميصاً(١)

فقد عبر عن خياطة الجبة بالطبخ لوقوعه فى صحبة طبخ الطعام .

والثانى كقوله تعالى (صبغةَ الله) ، وهو مصدر مؤكد لآمنا بالله والمعنى تطهير الله لأن الايمان يطهر النفوس ، وأصل ذلك أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون إنه تطهير لهم ، فعبر عن الإيمان بالله بصبغة الله للمشاكلة بهذه القرينة الحالية(٢) .

المزاوجــــة

هى لغة مصدر زاوج بين الشيئين قرن بينهما ، واصطلاحا أن يجمع بين الشرط والجزاء فى ترتب لازم من اللوازم عليهما معاً نحو :

إذا ما بدت فازداد منها جمالها نظرت لها فازداد منى غرامها

فقد زواج بين معنيين هما بدوها وظهورها ونظره لها فى الشرط والجزاء فى أن رتب عليهما لزوم شىء وهو ازدياد الجمال وازدياد الغرام . ونحوه قول البحترى :

إذا ما نهى الناهى تلج بى الهــــوى أصاخ إلى الواشى فلج به الهجر(٣)

فقد جمع بين الشرط والجزاء فى لزوم شىء وهو لجاج الهوى ولجاج الهجر ، ولا يخفى ما فى ترتب لجاج الهوى على النهى من المبالغة فى الحب لاقتضائه أن ذكرها ولو على وجه العتب يزيد حبها ويثيره كما قال :

---

(١) اقترح من اقترحت عليه شيئاً إذا سألته إياه من غير روية وطلبته على سبيل التكليف والتحكم ونجد من الاجادة وهى تحسين الشىء .

(٢) فان الصبغ ليس بمذكور فى كلام الله ولا فى كلام النصارى لكن لما كان غمسهم أولادهم فى الماء الأصفر يستحق أن يسمى صبغاً وإن لم يتكلموا بذلك حين الغمس وكانت الآية نازلة فى سياق ذلك الفعل صار كأن لفظ الصبغ مذكور إذ أن المسلمين أمروا أن يقولوا صبغنا الله تعالى بالإيمان صبغة ولم نصبغ صبغتكم .

(٣) اللجاج كثرة الكلام والخصومة والمراد هنا اللزوم والاصاخة الاستماع وهو من باب القلب اذ المراد فلججت فى الهوى ولجت فى الهجر .

أجد الملامة في هواك لذيذةً   حبًّا لذكرك فليلمني اللّوم

وما في ترتب لزوم الهجران على وشي الواشي من المبالغة في كون حبه على شفا جُرُف إذ يزيله مطلق الوشاية فكيف يكون لو سمع أو رأى عيبا كما قال الآخر:

ولا خير في وُدّ ضعيف تزيله   هواتف وهم كلما عرضت جفا

العكس — التبديل

هو أن تقدم في الكلام جزءا ثم تعكس فتقدم ما أخرت وتؤخر ما قدمت وهو على وجوه منها.

(١) أن يقع بين أحد طرفي جملة وما أضيف اليه ذلك الطرف نحو قولهم عادات السادات سادات العادات (١) فالعادات أحد طرفي الكلام والسادات مضاف إلى ذلك الطرف وقد وقع العكس بينهما بأن قدم أولا العادات على السادات ثم السادات على العادات.

ونحوه قول بعضهم لآخر لم لا تفهم ما يقال فأجاب لأنك لم تقل ما يفهم، وقول متصدق لأسرف في الخير ردا على من اتهمه بالتبذير وقال له لا خير في السرف، وقول المتنبي:

أرى كل ذي ملك اليك مصيره   كأنك بحر والملوك جداول

إذا أمطرت منهم ومنك سحابة   فوابلهم طَلٌّ وطلُّك وابلُ

(٢) أن يقع بين متعلق فعلين في جملتين نحو يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، وقول الحماسي:

رمى الحدْثانُ نسوة آل حرب   بأمر قد سمَدْنَ له سُمودا (٢)

---

(١) أي أن العادة التي تصدر من سيد الناس هي العادة الحسنى التي تستحق أن تسمى سيدة العادات. (٢) الحدثان نوائب الدهر ومصائبه وسمدها وغفل.

فرد شعورهن السود بيضـــا   ورد وجوههن البيض سودا

(٣) أن يقع بين لفظين فى طرفى جملتين نحو ما عليك من حسابهم من شىء. وما من حسابك عليهم من شىء ، وقول الحسن البصرى إن من خوّفك حتى تلقى الامن خير ممن آمنك حتى تلقى الخوف ، وقول المتنبي :

فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله   ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

الرجوع

هو رجوع المتكلم إلى الكلام السابق بنقضه وإبطاله لنكتة كالتحسر والتحزن. فى قول زهير :

قف بالديار التى لم يعفها القدم   بلى وغيّرها الأرواح والديَمُ(١)

فانه حين وقف على الديار دَهش(٢) وذهل فأخبر بما هو غير حاصل فقال لم يعفها القدم ثم ثاب إليه رشده فتدارك كلامه وقال بلى وغيرها الأرواح والديم ». ونحوه قول الحماسى :

أليس قليلا نظرةٌ إن نظرتُها   إليك وكلاَّ ليس منك قليل(٣)

التورية(٤) — الايهام — التخيير

هى لغة مصدر ورّى الخبر إذا ستره وأظهر غيره ، واصطلاحا أن يذكر المتكلم لفظا له معنيان أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية ، ويريد المعنى البعيد ويورى عنه بالمعنى القريب فيتوهم

---

(١) عفاه أبلاه والأرواح الرياح والديم جمع ديمة وهى المطر وجلة وغيرها عطف على محذوف دل عليه بلى أى بلى عفاها القدم وغيرها . (٢) أى ظن الشىء واقعا وليس هو كذلك ثم عاد إلى ابطاله بعد أن أفاق فأخبر بالحقيقة مع التأسف على فوات ماأرغب فيه والتحسر على ما رأى (٣) الاستفهام للتقرير بما بعد النفى وكلا حرف ردع وزجر والمعنى أليس قليلا نظرة منك إذا حصلت لى ولكن لا قليل منك (٤) الفرق بينها وبين المجاز والكناية أنه لايعتبر بين معنى التورية لزوم وانتقال من أحدهما إلى الآخر ولا علاقة بينهما كذلك بخلافهما ـ

السامع لأول وهلة أنه يريده وهو ليس بمراد ، ومن ثم سميت إيهاما كقول الصلاح الصفدى :

وصاحب لما أتاه الغنى ... تاه ونفس المرء طماحه

وقيل هل أبصرتَ منه يدا ... تشكرها قلت ولا راحه

فللراحة معنيان قريب وهو الكف وهو المتبادر بقرينة ذكر اليد ، وبعيد مراد وهو ضد التعب ، ونحوه قول الآخر :

أيها المعرض عنّا ... حَسْبك الله تعالى

وقول الباخرزى صاحب دمية القصر :

ياخالق حاتت الورى ... لما طغى الماءُ على جاريه

وعبدك الآن طغى ماؤه ... فى الصلب فاحمله على جاريه

وهى ثلاثة أضرب :

(١) مجرده وهى التى لم يذكر فيها لازم من لوازم المعنى القريب نحو قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى)(١) ، للاستواء معنيان أحدهما الاستقرار فى المكان وهو المعنى القريب المورى به الذى هو غير مقصود لأن الحق تعالى منزه عن ذلك ، والثانى الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المقصود الذى ورى عنه بالقريب المذكور(٢)

وقول أبى بكر وقد سئل عن النبى عليه السلام حين الهجرة فقيل له من هذا؟ فقال (هاديهدينى) أراد أبو بكر هاديا يهدينى إلى الإسلام لكنه ورى عنه بهادى الطريق وهو الدليل فى السفر .

---

(١) قال الزمخشرى ولا ترى بابا فى البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ولا أعون على تعاطى تأويل المتشبهات من كلام الله وكلام رسوله وكلام صحابته رضى الله عنهم أجمعين منه .

(٢) والتحقيق أن ذلك استعارة تمثيلية بأن شبهت الهيئة الحاصلة من تصرف المولى فى الممكنات بالايجاد والاعدام بالهيئة الحاصلة من استقرار الملك على عرشه بجامع أن كلا ينبىء عن الملك التام واستعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية ، وقال السكاكى أكثر متشابهات القرآن تورية .

(٢) مرشحه وهى التى يذكر فيها لازم المورّى به وهو المعنى القريب وهى قسمان

(أ) قسم يذكر فيه الترشيح قبلها كقوله تعالى (والسماء بنيناها) بأيد ، فاليد هنا القدرة وهى المعنى البعيد وقد قرنت بالبناء الذى يناسب المعنى القريب وهو الجارحة ، ونحو قوله .

حملناهُم طرًّا على الدُّهْم بعدما خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

فالمعنى القريب للدهم الخيول السود وهو ليس بمراد والمعنى البعيد القيود من الحديد وهو المراد ورشح التورية بذكر حملناهم المناسب للمعنى القريب

(ب) قسم يذكر بعدها كقوله :

أقلعتُ عن رَشف الطّلا واللثْم فى خـــد الحبْب

وقلت هـــذى راحـة تـسوق للقلب التعَبْ(١)

فالمعنى القريب للراحـة ضـد التعب وليس بمراد ، والآخر بمعنى الخمر وهـو المراد ورشحه بذكر التعب بعده .

(٣) مبينة وهى ما قرنت بما يلائم المعنى البعيد كقول ابن سناء الملك :

أما والله لولا خوف سخْطك لهـان علىّ ما ألـقى برهْطكْ

ملـكت الخافقين فتهت عُجْبا وليس هما سوى قلبى وقرْطك

فالمعنى القريب للخافقين المشرق والمغرب وذا ليس بمراد ، والمعنى البعيد المراد القلب والقرط وقد بينه الشاعر بالنص عليه .

الاستخـــدام

هو ذكر اللفظ بمعنى وإعادة ضمير أو إشارة عليه بمعنى آخر ، أو إعادة ضميرين عليه تريد بثانيهما غير ما تريد بأولهما ، فالأول كقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، فالمراد بالشهر الهلال وبضميره الزمان المعلوم ، وقول ابن معتوق الموسوى المتوفى سنة ١٠٢٥ هـ

(١) الطلا ما طبخ من عصير العنب والحبب الفقاقيع التى تعلو فى الـكأس .

تالله ما ذكر العقيق وأهله إلا وأجراه الغرام بمحجرى

إذ المراد بالعقيق الوادى الذى بظاهر المدينة ببلاد الحجاز ، وبالضمير الذى يعود إليه الدم الأحمر الشبيه بالعقيق .

والثانى كقوله :

رأى العيق فأجرى ذاك ناظره متيم لج فى الأشواق خاله

فقد أراد بالعقيق أولا المكان ثم أعاد اسم الإشارة اليه بمعنى الدم :

والثالث كقول شوقى يخاطب الإله جل وعلا :

العقل أنت عقلتَه وسرحتَه . وأحرتَ فيك دليله وأرحته

آتيته الحجر الأصم ونحته والنجمُ يعبد فوقه أو تحته(١)

فالنجم يطلق على مالاساق له من النبات وعلى الكوكب وقد أعاد إليه الضمير الأول فى فوقه بمعناه الأول وفى تحته بمعناه الثانى ، ونحوه قول البحترى :

فسقى الغضا والساكنيه وإن همو شبوه بين جوانح وقلوب(٢)

فقدأرادبضميرالغضا فىقوله والساكنيه المكان وفىقولهشبوه أىأوقدوه الشجر:

اللف والنشر

هو ذكر متعدد مفصل أو مجمل ثم ذكر ما لكل من آحاده بلا تعيين اتكالا على أن السامع يرد إلى كل ما يليق به لوضوح الحال(٣) .

(١) فالمفصل قسمان :

(أ) إما مرتب كقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ، فقد جُمع بين الليل والنهار بواو العطف ثم أضيف إلى

(١) أحرته أى بالشك وأرحته أى باليقين ومفعول يعبد محذوف أى يعبدك .

(٢) الغضا شجر شديد الاشتعال من أشجار البادية تمكث به النار وقتا طويلا ، يريد الدعاء له ويطلب لأحبابه النازلين به السقيا وإن أحرقوا قلبه بنار الجوى (٣) اما لقرينة لفظية أو معنوية فالأولى كما تقول رأيت شخصين ضاحكا وعابسة فتأنيث عابسة دل على أن الشخص العابس هى المرأة والضاحك هو الرجل والثانية كما تقول لقيت الصاحب والعدو فأكرمت وأهنت .

كل ما يليق به فأضيف السكون إلى الليل لأن فيه النوم والراحة ، وابتغاء الرزق إلى النهار لما فيه من الكد والعمل ، وقول ابن َحيـّوس :

فعْلَ المدام ولونُها ومذاقها ... فى مقلتيه ووجنتيه وريقه

(ب) وإما بعكس ترتيب اللف كقول ابن حيوس أيضا :

كيف أسلو وأنت حـِقف وغصن ... وغزال لحظا وقـدّاً وردْفا

فاللحظ للغزال والقد للغصن والردف للحقف وهو الرمل المتراكم .

(٢) والمجمل كقوله تعالى (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى) فضمير قالوا لليهود والنصارى على سبيل اللف(١) ثم أضيف ما لكل إليه بعدُ ، إذ التقدير وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا(٢) ، ونحوه قوله عليه السلام فان المرء بين يومين يوم قد مضى أحصى فيه عمله فخُتِم عليه ، ويوم قد بقى لا يدرى لعله لا يصل اليه

الجمع

هو أن يجمع بين شيئين مختلفين أو أكثر فى حكم واحد كقوله تعالى (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان) ، وقول أبى العتاهية :

إنّ الشباب والفراغ والجِدَهْ ... مفسدة للمرء أىُّ مفسده(٣)

وقول ابن الرومى :

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم ... فى الحادثات إذا دَجَوْن نجوم

التفريق

هو أن يعمد المتكلم إلى نوعين مندرجين تحت جنس واحد فيوقع بينهما

---

(١) لف بين قولى الفريقين فلم يبين مقول كل فريق ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله لما علم من تعادى الفريقين (٢) فلف بين القولين إجمالا لعدم الالتباس للعلم بتضليل كل فريق صاحبه واعتقاده أنه لا يدخل الجنة إلا هو .

(٣) الجدة الاستغناء يقال وجد فى المال وجدا بتثليث الواو وجدة أيضا .

تباينا فى المدح أو الذم أو غيرهما كقول الوطواط فى المدح :

ما نوال الغمام وقت ربيع كنوال الأمير يوم سخاء
فنوال الأمير بَدْرة عين وذوال الغمام قطرة ماء (١)

وقول صفى الدين الحلىّ :

فجود كفيه لم تقلع سحائبه عن العباد وجود السُّحْب لم يدُم (٢)

التقسيم

هو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل اليه على التعيين ، وبقيد التعيين يخرج اللف فانه لا تعيين فيه بل الأمر موكول إلى السامع ، وذلك كقوله تعالى (كذبت ثمود وعاد بالقارعة ، فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية) . وقول أبي تمام :

فما هو إلا الوحى أو حدّ مرهَف تميل ظُباه أخدعَىْ كل مائل
فهذا دواء الداء من كل عالم وهذا دواء الداء من كل جاهل (٣)

وللتقسيم إطلاقان آخران :

(١) ذكر أحوال الشيء مضافاً إلى كل حال ما يليق بها كقول على كرم الله وجهه [أحسن إلى من شئت تكن أسيره ، واستغن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج إلى من شئت تكن أسيره] وقول أبي الطيب :

سأطلب حقى بالقنا ومشايخ كأنهمو من طول ما التثموا مُرْدُ
ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دُعوا كثير إذا شَدُّوا قليل إذا عُدُّوا

وقوله أيضاً :

---

(١) البدرة كيس فيه عشرة آلاف درهم (٢) أقلعت السحابة ذهبت . (٣) الوحى الاشارة والمرهف السيف والظبا حد السيف والاخدعان عرقان فى صفحتى العنق .

بدت قمرا ومالت خُوطَ بانٍ   وفاحت عنبرا ورنت غزالا (١)

(٢) استيفاء أقسام الشىء كقوله عليه السلام هل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت.

وقول أبي تمام :

إن يعلموا الخير يخفوه وإن علموا   شرا أذاعوا وإن لم يعلموا كذبوا

وقول نُصَيْب :

فقال فريق القوم لا وفريقهم   نعم وفريق وأيمن الله ما ندْرى

الجمع مع التفريق

هو أن يجمع بين شيئين فى معنى ويفرق بين جهتى الادخال كقوله تعالى. (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة).

وقول رشيد الدين الوَطواط :

فوجهك كالنار فى ضوئها   وقلبيَ كالنَّار فى حرها

فقد شبه وجه الحبيب وقلبه هو بالنار ثم فرق بين وجهى المشابهة بأن جعله فى الوجه الضوء واللمعان وفى القلب الحرارة والاحتراق، وقول البحترى :

ولما التقينا والنّقا موعد لنا   تعجّب رائى الدر منا ولاقطهْ

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها   ومن لؤلؤ عند الحديث تساقُطهْ

الجمع مع التقسيم

هو جمع أمور متعددة تحت حكم واحد ثم تقسيمها، أو تقسيمها ثم جمعها، فالأول كقول المتنبي يمدح سيف الدولة حين غزا خَرْشنة بأرض الروم ولم يفتحها:

حتى أقام على أرباض خرشنة   تشقى به الروم والصُّلبان والبِيَع

(١) الخوط الغصن الناعم لسنته والبان شجر سبط القوام لين ورقه كورق الصفصاف الواحدة بانة ورنا نظر.

للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا   والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا(١)

فقد جمع فى البيت الأول شقاء المقيمين بنواحى تلك البلدة بما يلحقهم من الاهانة ثم فصله فى البيت الثانى — والثانى كقول حسان :

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم   أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

سجية تلك منهم غير محدثة   إن الخلائق فاعلم شرها البدع

قسم فى البيت الأول صفات الممدوحين قسمين ضر الأعداء ونفع الأولياء ثم جمعها فى البيت الثانى بقوله سجية تلك — ثم أشار إلى أن شر الأخلاق ما كان مستحدثاً مبتدعا لا ما كان غريزة وجبلة .

الجمع مع التفريق والتقسيم

هذا النوع جامع الأنواع الثلاثة المتقدمة وقد مثلوا له بقوله تعالى (يوم يأتى لا تكلم نفس الا بإذنه فنهم شقى وسعيد ، فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك إن ربك فعال لما يريد ، وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ(٢)) فالجمع فى قوله : يوم يأتى لا تكلم نفس لأن النفس متعددة فى المعنى اذ هى نكرة فى سياق النفى تعم ، والتفريق فى قوله فنهم شقى وسعيد ، والتقسيم فى قوله (فأما الذين شقوا وأما الذين سعدوا) .

ومن هذا النوع أيضاً قول ابن شرف القيروانى :

لمختلفى الحاجات جمع ببابه   فهذا له فن وهذا له فن

فللخامل العليا وللمعدم الغنى   وللمذنب العتبى وللخائف الأمن

(١) خرشنة بلد بديار بكر وأرباض البلد ماحولها (الضواحى) وحق متعلق بما قبلها وهو قوله :

قاد المقانب أقصى شربها نهل   مع الشكيم وأدنى سيرها سرع

وبعدها : الدهر معتذر والسيف منتظر   وأرضهم لك مصطاف ومرتبع

(٢) الزفير إخراج النفس بشدة والشهيق رده وعطاء مصدر مؤكد أى أعطوا عطاء والجملة حالية والمجذوذ المقطوع ويوم منصوب بإضمار اذكر ومنهم أى من أهل الموقف وخالدين فيها كناية عن التأبيد .

التجريد

هو لغة إزالة الشيء عن غيره ، واصطلاحا هو أن ينتزع من أمر ذى صفة أو أكثر أمر آخر أو أكثر مثله فيها ، لإفادة المبالغة بادعاء كمال الصفة فى ذلك الأمر حتى كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة مبلغاً يصح أن ينتزع منه موصوف آخر متصف بتلك الصفة ، فهى فيه كأنها تفيض بمثالاتها لقوتها كما يفيض الماء عن ماء البحر .

وهو أقسام :

(١) ما يكون بمن التجريدية كقولهم لى من فلان صديق حميم أى بلغ فلان من الصداقة حدا صح معه أن يستخلص منه صديق آخر مثله فيها .

(٢) ما يكون بالباء التجريدة الداخلة على المنتزع منه نحو لئن سألت فلاناً لتسألن به البحر ، فقد بالغ فى اتصافه بالسماحة حتى انتزع منه بحرا فيها .

(٣) ما يكون بدخول باء المعية على المنتزع كقوله :

وشوهاء تَعْدُو بى إلى صارخ الوغى بِمُسْتَلئِم مثل الفَنيق المُرَحَّلِ(١)

يريد أنها تعدو بى ومعى من نفسى لكمال استعدادها للحرب مستلئم أى لابس لامة

(٤) ما يكون بدخول (فى) على المنتزع منه نحو قوله تعالى (لهم فيها دار الخلد) فان جهنم هى دار الخلد ، لكنه انتزع منها داراً أخرى وجعلها معدة فى جهنم لأجل الكفار تهويلا لأمرها ومبالغة فى اتصافها بالشدة .

(٥) ما يكون بدون توسط حرف نحو قول قتادة بن مَسْلَمَة الحنفى :

فلئن بقيت لأرحلنّ بغزوة تحوى الغنائم أو يموت كريم(٢)

---

(١) وشوهاء أى فرس قبيحة المنظر لسعة أشداقها وهذا مما يستحسن فى الخيل وتعدو تسرع إلى صارخ الوغى أى الصارخ فى مكان الحرب والمستلئم اللابس اللامة وهى الدرع والفنيق الفحل المكرم والمرحل من رحل البعير أشخصه وأزعجه من مكانه وشبه الفرس به فى القوة والعلو وعدم استطاعة مصادمتها . (٢) أو بمعنى إلا فينصب الفعل بعدها وكون هذا البيت فيه التفات من التكلم إلى الغيبة لا ينافى التجريد لأن المراد بالاتحاد فى الالتفات الاتحاد فى الواقع والمراد بالتعدد فى التجريد التعدد بحسب الاعتبار .

يعنى بالكريم نفسه وقد انتزع من نفسه كريما للمبالغة فى كرمه .

(٦) ما يكون بطريق الكناية نحو قول الأعشى :

يا خير من يركب المطى ولا   يشرب كأساً بكف من بخلا

يريد أنه يشرب الكأس بكف الجواد فقد انتزع من المخاطب وهو الممدوح جوادا يشرب هو أى الممدوح بكفه على سبيل الكناية(١) لأنه إذا نفى عنه الشرب بكف البخيل فقد أثبت له الشرب بكف الكريم ، ومن البين أنه يشرب غالباً بكف نفسه فهو حينئذ ذلك الكريم .

(٧) ما يكون بمخاطبة الإنسان نفسه فينتزع الإنسان من نفسه شخصاً آخر مثله فى الصفة التى سبق لها الكلام ويخاطبه كقول الأعشى :

ودع هريرة أن الركبَ مرتَحل   وهل تُطيق وداَعاً أيها الرجّل

تنبيهان :

الأول — قال أبو على الفارسى فى سر تسمية هذا النوع بهذا الاسم أن العرب تعتقد أن فى الإنسان معنى كامناً فيه كأنه حقيقته ومحصوله فتخرج ذلك المعنى إلى ألفاظها مجرداً عن الإنسان كأنه غيره وهو هو بعينه كقولهم لئن لقيت فلاناً لتلقين به الأسد ولئن سألته لتسألن منه البحر وهو عينه الأسد والبحر لا أن هناك شيئاً منفصلا عنه أو متميزاً منه — ثم قال وعلى هذا النمط كون الإنسان يخاطب نفسه حتى كأنه يقاول غيره كما فعل الأعشى فى قوله ودع هريرة إن الركب مرتحل .

الثانى — لهذا الضرب من الكلام فائدتان :

إحداهما التمكن من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره لأنه موجه خطابه إلى غيره فيكون أعذر وأبرأ من العهدة فيما يقول .

ثانيتهما طلب التوسع فى الكلام وذا من مزايا اللغة العربية .

---

(١) حيث أطلق اسم الملزوم الذى هو نفى الضرب بكف البخيل على اللازم وهو الضرب بكف الكريم يعنى نفسه .

هى ادعاء (١) بلوغ وصف فى الشدة أو فى الضعف حدا مستحيلا أو بعيداً

[آراء العلماء فيها] للعلماء فى المبالغة ثلاثة آراء :

(١) الرفض مطلقاً وحجتهم أن خير الكلام ما خرج مخرج الحق وجاء على منهاج الصدق من غير إفراط ولا تفريط كما قال حسان :

وإنما الشعر لبُّ المرء يعرضه على المجالس إنْ كيْسا وإنْ حُمُقا
فإن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا

(٢) القبول مطلقاً وحجة أولئك أن خير الشعر أكذبه وأفضل الكلام ما بولغ فيه .

(٣) التوسط بين الأمرين فتقبل مع الحسْن إذا جرت على منهج الاعتدال ، وهذا رأى جمهرة العلماء ، ودليل ذلك وقوعها فى التنزيل على ضروب مختلفة ، وتردّ اذا جاءت على جهة الاغراق والغلو ويذم مستعملها كما درج على ذلك أبو نواس وابن هانىء الأندلسى والمتنبى وأبو العلاء وغيرهم .

أقسامها :

أقسام المبالغة ثلاثة(٢) تبليغ وإغراق وغلو لأن المدّعى للوصف من الشدة أو الضعف إما أن يكون ممكنا فى نفسه أولا الثانى الغلو ، والأول إما أن يكون ممكناً فى العادة أولا ، الأول التبليغ ، والثانى الإغراق :

(١) فالتبليغ(٣) ما يكون المدّعى فيه ممكنا عقلا وعادة كقول امرىء القيس :

فعادى عَداء بين ثور ونعجة دِرَاكاً فلم ينضح بماء فيُغْسل(٤)

فقد وصف هنا الفرس بأنه أدرك ثوراً وبقرة وحشيتين فى مضمار واحد ولم

---

(١) إنما يدعى ذلك خوفاً من أن يظن أن ذلك الوصف غير متناه فى الشدة أو الضعف بل هو متوسط أو دون المتوسط . (٢) انحصارها فى هذه الأقسام بالاستقراء وبالعقل

(٣) التبليغ والإغراق مقبولان فى صنعة البديع لعدم ظهور الكذب بهما الموجب لردها وكذا بعض أنواع الغلو . (٤) عادى عداء والى موالاة بين الصيدين يصرع أحدهما إثر الآخر ودراكا متتابعا والنضح الرشح .

يعرق وذلك مما لا يمتنع عقلا ولا عادة ، ونظيره قول المتنبي :

وأصرع أيَّ الوحش قفّيتُه به وأنزل عنه مثلَه حين أركبُ

فقد مدحه أولا بأنه يلحق كل وحش ولم يستثن شيئاً ثم عقبه بمدح أعظم ومبالغة أكثر في الشطر الثاني من أجل أنه أفاد به وفرة جريه وشدة صلابته .

(٢) والإغراق ما يكون المدعى فيه ممكناً عقلا لا عادة ، وهذا على ضربين

(ا) وهو أجلهما إلى حسن الاصغاء أن يقترن به ما يقربه من نحو لو ولولا وكاد وكأن وإذ ذاك يظهر حسنه ويبهر شكله كقول امرىء القيس في وصف محبوبته :

من القاصرات الطَّرْف لو دب مُحْوِلٌ من الذر فوق الإتب منها لأثرا(١)

فقد وصفها بالرقة ونعومة الجسم ، وقرب الدعوى بلفظ لو حتى جعل السامع يصغى الى ما يقول ، ونحوه قول المتنبي :

كفى بجسمي نحولا أنني رجل لولا مخاطبتي إياك لم ترني

(ب) أن يجيء مجرداً عما ذكر كقول عمرو بن الأيهم التغلبي :

ونكرم جارنا ما دام فينا ونتبعه الكرامة حيث مالا

فقد ادعى أنه يتبع جاره الكرامة حيث سار ، وهذا ليس بجائز في شرعة العادة وإن أجازه العقل .

(٣) والغلو ما يكون المدعى فيه غير ممكن لا عادة ولا عقلا ، وهذا مسرح الشعراء المفلقين في مدحهم وهجومهم ، وهو على قسمين مقبول ومردود .

فالمقبول أنواع :

(ا) أن يقترن به ما يقربه إلى الإمكان كلفظ يكاد في قول ابن حمديس :

ويكاد يخرج سرعة من ظله لو كان يرغب في فراق رفيق(٢)

وأجمل منه قوله تعالى (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) .

---

(١) المحول ما أتى عليه الحول والاتب درع المرأة وما قصر من الثياب وقميص بلا كمين

(٢) يصف فرساً بسرعة الجري .

(ب) أن يتضمن نوعا حسناً من تخييل الصحة كقول أبي الطيب :

عقدت سنابكُها عليها عثيَرًا لو تبتغى عَنَقًا عليه لأمكنا (١)

فقد ادعى تراكم الغبار المرتفع من سنابك الخيل فوق رءوسها بحيث صار أرضا يمكن السير عليها وهذا وإن كان غير ممكن يخيِّل الى الوهم من ادعاء كثرته وكونه كالجبال صحته ، وقد اجتمع السبب الأول والثانى فى قول القاضى الأرّجانى يصف طول الليل :

يُخيِّلُ لى أنْ سُمِّرَ الشهبُ فى الدّجى وشدّت بأهدابى إليهن أجفانى(٢)

(ح) أن يخرج مخرج الخلاعة والهزل كقوله :

أسكر بالأمس إن عزمت على الشـــرب غدا إن ذا من العجب

فلا شك أن سكره على هذه الصفة محال لكن حسنه الهزل لمجرد سرور المجالس ومضاحكته ، والمردود ما جرد من الاعتبارات المتقدمة كقول أبى نواس يمدح هرون الرشيد :

وأخفتَ أهل الشرك حتى إنّه لتخافك النُّطَفُ التى لم تُخلق

وقول أبى الطيب :

كأنى دحوت الأرض من خبرتى بها كأنى بنى الاسكندر السدَّ من عزمى

شبه نفسه بالخالق جل وعلا فى دحوه الأرض ثم فجأة نزل إلى الحضيض فشبه نفسه بالاسكندر .

المذهب الكلامى (٣)

هو أن يأتى البليغ على صحة دعواه وإبطال دعوى خصمه بحجة عقلية قاطعة تصح نسبتها إلى علم الكلام .

---

(١) السنابك حوافر الخيل والمثير الغبار والعنق السير السريع وضميرعليها يعود إلى الخيل.

(٢) أى يوقع فى خيالى أن الشهب محكمة بالمسامير لا تزول عن مكانها وأن أجفان عينى قد شدت بأهدابها إلى الشهب لطول ذلك الليل وهذا تخييل حسن ويزيده حسناً لفظ يخيل.

(٣) هذه التسمية تنسب للجاحظ.

ولم يستشهد على هذا النوع بأعظم من شواهد القرآن ، فمن لطيف ذلك قوله تعالى : (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا(١)) ، إذ تمام الدليل لكنهما لم تفسدا فليس فيهما آلهة غير الله .

وقوله عز وعلا حكاية عن إبراهيم عليه السلام (فلما أفل قال لا أحب الآفلين) ؛ لأن تحليل القياس القمر آفل وربي ليس بآفل فالقمر ليس بربي ، وقوله عليه السلام : [لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا] . إذ تمام الدليل لكنكم ضحكتم كثيرا وبكيتم قليلا فلم تعلموا ما أعلم ، ويرى أن أبا دلف العجلي قصده شاعر تميمي فقال له ممن أنت فقال من تميم فقال أبو دلف :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سُبل الهداية ضلّت

فقال له التميمي بتلك الهداية جئت إليك فأفحمه(٢) .

حسن التعليل

هو أن يدعي شاعر أو ناثر لشيء علة(٣) مناسبة غير العلة الحقيقية على جهة الاستظراف وذلك لإيهام تحقيقه وتقريره من قبل أن الشيء معللا آكد في النفس من إثباته مجردا عن التعليل .

وأقسامه أربعة لأن الوصف إما ثابت قصد بيان علته أو غير ثابت أريد إثباته ، والثابت إما ألا يظهر له علة في العادة أو يظهر له علة غير المذكورة ، وغير الثابت إما ممكن أو غير ممكن .

(١) فالأول كقول أبي تمام :

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي

فقد جعل علة حرمان الكريم من الغنى هي العلة التي من أجلها حرم المكان

(١) المراد بالفساد خروجهما من النظام الذي هما عليه . (٢) أي بقياس حملي يفيد أن المجيء إليه ضلال ، لكن القياس الشرطي أوضح دلالة في هذا الباب وأعذب في الذوق وأسهل في التركيب . (٣) على شريطة أن تكون العلة مناسبة ولها اعتبار لطيف مشتمل على دقة في النظر ولا يدركها إلا من له تصرف في دقائق المعاني .

العالى السيل ، فكما أن العلو هو السبب فى حرمان المكان العالى كذلك علو قدر الكريم هو المانع له من الغنى الذى هو كالسيل فى حاجة الخلق إليه .

ومما جاء بديعا نادرا من هذا الضرب قول أبى هلال العسكرى :

زعم البنفسجُ أنه كعذاره حسنا فسلّوا من قفاه لسانه

لخروج ورقة البنفسج إلى الخلف مما لا تظهر علته لكنه جعلها الافتراء على المحبوب .

(٢) والثانى كقول المتنبى :

مابه قتل أعاديه ولكن يتقى إخلاف ماترجو الذئاب

جرت العادة بأن الملوك إنما يقتلون أعداءهم ليسلموا من أذاهم وضرهم ، لكن أبا الطيب اخترع سبباً غريبا وتخيل أن الباعث له على قتل الأعادى لم يكن إلا محبته لإجابة من يطلب الاحسان ، فهو قد فتك بهم لعلمه علم اليقين بأنه إذا غدا للحرب رجت الذئاب والوحوش الضوارى أن يتسع عليها رزقها(١) وتنال من لحوم أعدائه القتلى فما أراد أن يخيب لها مطلباً ، ، ومن لطيف هذا النوع قول ابن المعتز :

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم من كثرة القتل نالها الوصَبُ

حمرتها من دماء من قد قتلتْ والدمُ فى النّصْل شاهدٌ عجبُ

(٣) والثالث كقول مسلم بن الوليد :

ياواشياً حسُنَتْ فينا إساءته نجّى حذارُك إنسانى من الغَرق

فإن استحسان إساءة الواشى ممكن لكنه لما كان مخالفا لماعليه الناس(٢) احتاج

---

(١) وفى هذا كمال المبالغة فى وصفه بالجود كما أن فيه دلالة على نهاية الشجاعة حتى ظهر ذلك للحيوان الأعجم ويستفاد من ذلك ضمناً أنه ليس من المسرفين فى القتل تشفياً وانتقاما .

(٢) سواء أكان الشاعر أم غيره بحسب العادة ، كما أن من غلبه البكاء لا يبالى بمن حضر واشيا كان أو غير واش ، وفى التعبير بالغرق تجوز لطيف إذ الواقع أنه ليس هناك إلا عدم ظهور إنسان العين .

إلى تعقيبه بذكر سببه وهو حذره من الواشى ، ولأجل ذلك امتنع من البكاء فسلم إنسان عينه من الغرق فى الدموع .

(٤) والرابع كمعنى بيت فارسى ترجمته .

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته لما رأيتَ عليها عقْد منتَطق(١)

فنية الجوزاء خدمة الممدوح صفة غير ممكنة قصد إثباتها وجعل الدليل على ذلك شدها النطاق .

ومما يلحق بحسن التعليل وليس(٢) منه ما بنى على الشك كقول أبى تمام :

رُبًى شفعتْ ريحُ الصّبا لرياضها إلى المُزن حتى جادها وهو هامع
كأن السحاب الغر غيبن تحتها حبيبا فما ترقا لهن مدامع(٣)

فقد علل على سبيل الشك نزول المطر من السحاب بأنها غيبت حبيباً تحت تلك الربى فهى تبكى عليه .

التفـــريع

هو أن يثبت حكم لشىء بينه(٤) وبين أمر آخر نسبة وتعلق بعد أن يثبت ذلك الحكم لمنسوب آخر لذلك الأمر ، فلابد إذا من متعلقين أى شيئين منسوبين لأمر واحد كغلام محمد وأبيه بالنسبة إلى محمد ، فمحمد أمر واحد له متعلقان أى منسوبان له أحدهما غلامه والآخر أبوه ولابد من حكم واحد يثبت لأحد

---

(١) النطاق والمنطقة ما يشد به فى الوسط وقد يكون مرصعا بالجواهر كالعقد ومنتطق أى منتطق به أى هو مشدود فى وسطها كالنطاق ، ولو هنا ليست لامتناع الجواب لامتناع الشرط بل للاستدلال بانتفاء الجزاء على انتفاء الشرط فالشاعر ادعى أن الجوزاء قصدها خدمة الممدوح بدليل أنها لو لم يكن قصدها ذلك لما كانت منتطقة لكن كونها غير منتطقة باطل بالمشاهدة فبطل المقدم وثبت نقيضه وهو المطلوب .

(٢) لأن فى حسن التعليل ادعاء تحقق العلة والشك ينافيه . (٣) الربا جمع ربوة وهى التل المرتفع وشفعت أى تشفعت والمزن جمع مزنة السحابة البيضاء والهامع المنصب بكثرة والغر جمع الأغر والمراد السحاب الغزيرة الماء وضمير تحتها للربى ورقأ الدمع سكن .

(٤) أى بين ذلك الشىء .

المتعلقين وهما الغلام والأب بعد إثباته للآخر كأن يقال غلام محمد فرح ففرح أبوه ، فالفرح حكم أثبت لمتعلق محمد وهما غلامه وأبوه وإثباته للثاني على وجه(١) يشعر بتفريعه عن الأول ، وعليه قول الكميت، يمدح آل البيت :

أحلامكم لسَقام الجهل شافيةٌ كما دماؤكم تشفى من الكَلَب(٢)

فقد فرع من وصفهم بشفاء أحلامهم لسقام الجهل وصفهم بشفاء دمائهم من داء الكلب .

تأكيد المدح بما يشبه الذم

هو على ضروب ثلاثة :

(١) وهو أبلغها أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها وذلك هو الغاية القصوى فى المدح كقول النابغة الذبيانى :

ولا عيب فيهم غيرأن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب(٣)

فقد أثبت لهم شيئاً من العيوب بتقدير عد فلول السيف من المعايب ، وهذا محال لأن ذلك دليل كال الشجاعة وفرط الحمية فكأنه فى المعنى تعليق على المحال كما قالوا فى الأمثال حتى يبيض القار ، وحتى يلج الجمل فى سم الخياط ، وفى هذا الأسلوب تأكيد من وجهين :

(ا) أنه كدعوى أقيم عليها البرهان إذ كأنه استدل على نفى العيب عنهم بتعليق وجوده على وجود ما لا يكون ومالا يتحقق بحال .

(ب) أن الأصل فى الاستثناء الاتصـــال فاذا تلفظ المتكلم بغير أو إلا

---

(١) فخرج نحو قولنا غلام محمد فرح أيضا لعدم التفريع .

(٢) الكلب داء معروف فى الكلاب ويحدث للانسان من عض الكلب شبه جنون . والعرب تعتقد أنه لا دواء له أنجع من شرب دم الملوك كما قال الحماسي :

بناة مكارم وأساة كلم دماؤكم من الكلب الشفاء

وما إما كافة فدماؤكم مبتدأ وتشفى خبره ، وإما زائدة فدماؤكم مجرورة بالكاف .

(٣) الفلول جمع فل بفتح الفاء وهو الكسر يصيب السيف فى حده والقراع المقارعة والمضاربة والكتائب جمع كتيبة وهى الجيش أو القطعة منه .

أو نحوهما - دار فى خلد السامع قبل النطق بما يذكر بعدها أن الآتى مستثنى من المدح السابق وأنه يراد به إثبات شيء من الذم وهذا ذم ، فإذا أتت بعدها صفة مدح تأكد المدح لكونه(١) مدحاً على مدح فى أبهى قالب وآنق منظر .

ونظيره قول ابن الرومى :

وما تعتريها آفة بشرية   من النوم إلا أنها تتخثر
كذلك أنفاس الرياض بسحرة   تطيب وأنفاس الرياض تغير

وقوله تعالى : (لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاماً سلاماً) .

(٢) أن يثبت لشيء صفة مدح وتعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له كقوله عليه السلام أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش(٢) .

وقول النابغة الجعدى :

فتى كملت أخلاقه غير أنه   جواد فما يبقى من المال باقيا

وهذا الضرب يفيد التأكيد من الوجه الثانى(٣) فقط ، ومن ثم كان الضرب الأول أبلغ وأجل .

(٣) أن يؤتى بالاستثناء المفرغ كقوله تعالى (وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا) ، إذ المعنى وما تعيب منا إلا أس المناقب ودعائم المفاخر كلها وهو الإيمان بآيات الله .

ويجرى الاستدراك فى هذا الباب مجرى الاستثناء كقول البديع الهمذانى :

هو البدر إلا أنه البحر زاخرا   سوى أنه الضرغام لكنه الوبل

فإن قوله الا وسوى استثناء مثل بيد أنى من قريش وقوله لكنه استدراك يفيد فائدة الاستثناء اذ الا فى باب الاستثناء المنقطع بمعنى لكن .

---

(١) وللاشعار بأنه لم يجد صفة ذم يستثنيها فاضطر إلى استثناء صفة المدح وتحويل الاستثناء من متصل إلى منقطع .

(٢) بيد كغير لفظاً ومعنى فتكون كأداة استثناء وتستعمل أحيانا حرف تعليل بمعنى من أجل .

(٣) لأن أصل الاستثناء فى هذا الضرب أن يكون منقطعا وهو باق على حاله لم يقدر متصلا .

تأكيد الذم بما يشبه المدح

وهو ضربان :

(١) أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها فيها كما تقول فلان لا خير فيه الا أنه يتصدق بما يسرقه(١) .

(٢) أن يثبت للشيء صفة ذم وتعقب بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى له كما تقول فلان حسود إلا أنه نمام ، وبيان افادة الضربين للتوكيد على تفاوت فيهما نفهم قياسا على ما عرفت فى النوع السالف ، كما أن الاستدراك كالاستثناء(٢) .

الاستتباع

هو المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر كقول المتنبي :

نهبت من الأعمار ما لو حويته لهنئت الدنيا بأنك خالد

فقد مدحه ببلوغه الغاية فى الشجاعة اذ كثر قتلاه بحيث لو ورث أعمارهم لخلد فى الدنيا ، على أسلوب استتبع مدحه بكونه سبباً لصلاح الدنيا ونظامها من قبل أنه جعل الدنيا مهنأة بخلوده ولا تهنأ الا بما فيه صلاحها :

وفى البيت وجهان آخران من المدح أحدهما أنه نهب الأعمار دون الأموال ، ثانيهما أنه لم يكن ظالما فى قتل أى أحد من مقتوليه لأنه لم يقصد بذا إلا صلاح الدنيا وأهلها فهم مسرورون ببقائه .

الادماج

هو لغة الادخال فيقال أدمج الشيء فى ثوب إذا لفه فيه ، واصطلاحا أن يجعل المتكلم الكلام الذى سيق لمعنى من مدح أو غيره(٣) متضمنا معنى آخر

---

(١) أى انتفت عنه صفات الخير إلا هذه الصفة إن كانت خيراً لكنها ليست خيراً فلا خير فيه أصلا وهذا كالنوع الأول من تأكيد المدح بما يشبه الذم .

(٢) إذ الاستثناء المنقطع كالاستدراك كقولك فلان بخيل لكنه كاذب .

(٣) فهو أعم من الاستتباع لاختصاصه بالمدح .

كقول أبي الطيب

أقلب فيه أجفاني كأني أعدُّ به على الدهر الذنوبا(١)

فقد ساق الكلام أصالة لبيان طول الليل وأدمج في ذلك على جهة الاستتباع الشكاية من الدهر ، ونحوه قول ابن المعتز في وصف نبات يسمى الخيرى :

قد نقض العاشقون ما صنع الهجـــر بألوانهم على ورقه

فإن الغرض وصف الخيرى بصفة لكنه أدمج الغزل في الوصف ، وفيه وجه ثان من الحسن وهو إيهام الجمع بين متنافيين وهما الايجاز والاطناب ، أما الأول فمن جهة الإدماج وأما الثاني فلأن الغرض الوصف بالصفرة واللفظ زائد عليه لفائدة .

التوجيه — الابهام

هو إيراد الكلام محتملا معنيين على السواء(٢) كهجاء ومديح ليبلغ القائل غرضه الذي يريده بما لا يمسك عليه كما روى أن محمد بن حزم هنأ الحسن بن سهل بتزويج بنته بوران للخليفة المأمون مع من هنأه فأثابهم وحرمه فكتب إليه إن أنت تماديت في حرماني قلت فيك شعراً لا يعرف أمدح هو أم ذم فاستحضره وسأله فأقر فقال الحسن لا أعطيك أو تفعل فقال :

بارك الله للحسن ولبوران في الختن(٣)

يا إمام الهدى ظفر ت ولكن ببنت من

فلا يدرى ببنت من في العظمة وعلو الشأن أم في الدناءة والخسة ، فاستحسن الحسن منه ذلك وقال له أمن مبتكراتك هذا فقال لا بل نقلته من شعر بشار بن برد وكان كثير العبث بهذا النوع ، ومن أحاديثه في ذلك أنه خاط قباء عند خياط

(١) ضمير فيه لليل أى لتقليب أجفاني في الليل كأني أعد بها على الدهر ذنوبه .

(٢) فان كان أحدهما ظاهرا والثاني خفيا والمراد هو الخفي كان تورية .

(٣) الختن كل من كان قبل المرأة مثل الأب والأخ .

أعور يسمى زيدا(١) فقال له الخياط مازحا لا خيطنه فلا تدرى أهو جبة أم قباء فقال بشار اذا أنظم فيك شعرا لا يعلم من سمعه أدعوت لك أم دعوت عليك فلما خاطه له كما أخبره قبل قال فيه بشار .

خاط لى زيد قباءٌ ليت عينيه سواءٌ
قل لمن يعرف هذا أمديح أم هجاء(٢)

قال السكاكى ومن هذا النوع متشابهات القرآن باعتبار: أى وهو احتمالها وجهين وإن كانت تفارقه باعتبار آخر وهو عدم تساوى الاحتمالين لأن أحد المعنيين فى المتشابهات قريب والآخر بعيد كما تقدم من عد المتشابه من التورية .

الهزل الذى يراد به الجد(٣)

هو أن يقصد المتكلم مدح إنسان أو ذمه فيخرج ذلك المقصد مخرج الهزل والمجون كقول أبى نواس :

إذا ما تميمى أتاك مفاخرا فقل عدّ عن ذا كيف أكلك للضب(٤)

أى تباعد عن هذا التفاخر وخبرنى كيف تأكل الضب ، ولا مفاخرة مع من يأكله لأن أشراف الناس تعافه ، ونظيره قول ابن نباتة :

سلبت محاسنك الغزال صفاته حتى تحير كل ظبي فيكا
لك جيده ولحاظه ونفاره وكذا نظير قرونه لأبيكا

تجاهل العارف

هو سوق المعلوم مساق غيره(٥) لنكتة .

---

(١) قال فى خزانة الأدب أغلب الناس يسمون الخياط عمرا لكن صاحب التحبير روى أنه زيد (٢) هذان البيتان من مجزوء الرمل (٣) الفرق بينه وبين التهكم ان التهكم ظاهره جد وباطنه هزل وهذا بعكسه ، وهزليته باعتبار أصل استعماله وجديته باعتباره وعليه الآن (٤) عد أمر من عدى يعدى أى جاوز يجاوز أى عد بنفسك عن هذه المفاخر واتركها وحدثنا على أى حال تأكل الضب والقصد من ذلك التقريع .

(٥) والغرض من ذلك المبالغة فى افادة المعنى المراد من ذم أو مدح أو نحو ذلك .

(١) كالتوبيخ فى قول ليلى بنت طريف ترثى أخاها الوليد حين قتله يزيد ابن مزيد الشيبانى فى عهد هرون الرشيد :

أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف

(٢) وكالمبالغة فى المدح فى قول البحترى :

ألمع برق سرى أمضوء مصباح أم ابتسامتها بالمنظر الضاحى(١)

(٣) وكالمبالغة فى الذم كقول زهير :

وما أدرى وسوف إخال أدرى أقوم آل حصن أو نساء

(٤) وكالتدله فى الحب كقول الحسين بن عبد الله الغريبى :

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاى منكن أم ليلى من البشر(٢)

(٥) وكالتحقير فى قوله تعالى حكاية عن الكفار (هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفى خلق جديد)(٣) .

(٦) وكالتعريض(٤) فى قوله تعالى (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) .

(٧) وكالإيناس لأن المقام مقام هيبة ورهبة كقوله تعالى (وما تلك بيمينك يا موسى) .

القول بالموجب

هو نوعان :

(١) أحدهما أن تقع صفة فى كلام غيرك كناية عن شىء أثبت له حكم فثبت

---

(١) المنظر الوجه والضاحى الظاهر (٢) القاع المستوى من الأرض (٣) كأنهم لم يعرفوا منه الا أنه رجل ما .

(٤) وفى مجىء هذا اللفظ على الابهام فائدة أخرى وهى أنه يبعث المشركين على التأمل فى حال أنفسهم وحال النبى والمؤمنين حتى إذا انسوا النظر علموا أنهم على ضلالة فبعثهم ذلك على الاسلام .

أنت فى كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم لذلك الغير أو نفيه عنه نحو (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) ، فالأعز صفة وقعت فى كلام المنافقين كناية عن فريقهم والأذل كناية عن المؤمنين ، وقد أثبتوا لفريقهم حكما هو إخراج المؤمنين من المدينة عند رجوعهم إليها فرد الله تعالى عليهم باثبات صفة العزة لغيرهم من غير تعرض لثبوت حكم الاخراج أو انتفائه .

(٢) الاسلوب الحكيم وقد تقدم وهو حمل لفظ وقع فى كلام غيرك على خلاف مراده مما يحتمله ذلك اللفظ بذكر متعلقه كالبيت الثالث(١) من قوله :

وإخوان حسبتهمو دروعا ... فكانوها ولكن للأعادى
وخلتهمو سهاما صائبات ... فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب ... لقد صدقوا ولكن من ودادى

الاطراد

هو أن يذكر اسم الممدوح واسم من يمكن من آبائه على ترتيب الولادة ازدياد إبانة وتوضيحا على ترتيب صحيح ونسق مستقيم من غير تكلف ولا تعسف فيكون كالماء الجارى رقة وانسجاما كقوله .

إن يقتلوك فقد ثللت عروشهم ... بعتيبة بن الحارث بن شهاب(٢)

وقول دريد بن الصمة :

قتلنا بعبد الله خير لداته ... ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب(٣)

وقد روى أن عبد الملك بن مروان لما سمعه قال لولا القافية لبلغ به آدم ، ومن ذلك قول النبي عليه السلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم .

---

(١) أما البيتان قبله فليسا منه لكنهما قريبان منه إذ فيهما ذكر صفة كانت على وجه فاذا هى على خلافة (٢) ثل العروش كناية عن ذهاب العز وتضعضع الحال .
(٣) اللدة والترب والند نظيرك فى السن .

أما ذكر الامهات والجدات فليس محمودا عند البلغاء لما فيه من إنزال قدر. الممدوح ولهذا عيب على أبي نواس قوله يمدح محمدا الامين .

أصبحت يا بن زبيدة بنة جعفر   أملا لعقد حباله استحكام

تدريب أول

بين نوع المحسنات المعنوية فيما يلى :

(١) ومولع بفخاخ يمدها وشباك   قالت لى العين ماذا يصيد قلت كراكى .

(٢) لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة   لقد سرنى أن قد خطرت ببالكا

(٣) وللغزالة شيء من تلفته   ونورها من ضيا خديه مكتسب

(٤) الدهر يصمت وهو أبلغ ناطق   من موجز ندس ومن ثرثار

(٥) ليس به عيب سوى أنه   لا تقع العين على شبهه

(٦) وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار

(٧) رأى جسدى والدمع والقلب والحشا   فأضنى وأفنى واستمال وتيما

(٨) آراؤه وعطاياه ونعمته   وعفوه رحمة للناس كلهم .

(٩) ياقوم كم من عاتق عانس   ممدوحة الأوصاف فى الأنديه

قتلتها لا أتقى وارثا   يطلب منى قودا أوديه

الاجابة

(١) فى هذا البيت توريه فى لفظ كراكى إذ المعنى القريب له (جمع كركى) وهو الطائر المعروف وهو ليس بمراد والمعنى البعيد والمراد من الكرى هو النوم .

(٢) فى هذا البيت طباق بين ساء وسر .

(٣) فيه استخدام ذكر لفظ الغزالة بمعنى الحيوان المعروف وأعاد إليه الضمير بمعنى الشمس .

(٤) فيه طباق بين يصمت وناطق وبين موجز وثرثار .

(٥) فيه تأكيد المدح بما يشبه الذم من الضرب الأول

(٦) في الآية تورية لذكر جرحتم إذلها معنيان قريب من جرحه جرحًا شق بعض بدنه وليس ذا بمراد وبعيد هو المراد وهو اكتسبتم الذنوب من جرح الرجل اكتسب فهو جارح وهي مجردة لعدم ذكر لازم المعنى القريب .

(٧) فيه لف ونشر مرتب إذ ذكر أربعة أشياء ثم أتى بما يقابلها على الترتيب

(٨) فيه جمع إذا جمع بين أشياء وأعطاها حكما واحدا .

(٩) في البيتين تورية اذ من يسمع الدائق والعانس والقتل يفهم منها المعنى القريب وهو البكر والموت لكنه أراد منها المعنى البعيد وهو الخمر والمزج بالماء .

تدريب ثان

بين نوع المحسن المعنوى فيما يلى :

(١) وقد أطفئوا شمس النهار وأوقدوا   نجوم العوالى فى سماء عجاج

(٢) فوا عجبا كيف اتفقنا فناصح   وفىّ ومطوىّ على الغل غادر

(٣) كأن الثريا علقت فى جبينه   وفى خده الشعرى وفى وجهه البدر

(٤) أبكيكما دمعا ولو أنى على   قدر الجوى أبكى بكيتكما دما

(٥) مَن مبلغٌ أفناء يعرب كلها   أنى بنيت الجار قبل المنزل

(٦) إن الليالى للأنام مناهل   تُطوى وتنشر دونها الاعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة   وطوالهن مع السرور قصار

(٧) فأف لهذا الدهر لا بل لأهله :

(٨) فيها كشىء لم يكن أو كنازح   به الدار أو من غيبته المقابر

الاجابه

(١) فيه طباق بين أطفئوا وأوقدوا .

(٢) فيه مقابلة بين ناصح وفى وبين مطوى على الغل غادر اذ الغل ضد النصح والغدر ضد الوفاء

(٣) فيه مراعاة النظير لجمعه أشيـــاء متناسبه لا على جهة التضاد وهى الثريا والشعر والبدر .

(٤) فيه أرصاد لأنه جعل قبل العجز من البيت مايدل عليه إذا عرف الروى

(٥) فيه مشاكله فقد عبر عن اختيار الجار بالبناء مشاكلة لبناء الدار .

(٦) فيه العكس فقد قدم فى الـكلام جزءاً ثم أخر ما قدم فى البيت الثانى

(٧) فيه الرجوع فقد نقض ما قاله أولا .

(٨) فيه تقسيم باستيفاء أقسام الشىء لأن الغائب لا يخلو من هذه الثلاثة .

تدريب ثالث

(١) إن تلقنى لاترى غيرى بناظرة　　تنس السلاح وتعرف جبهة الأسد

(٢) لاخيل عندك تهديها ولامال　　فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

(٣) وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه .

(٤) قال الشيرازى فى شرح المفتاح العثير الغبار ولا تمتح فيه العين :

(٥) أياظبية الوعساء بين جلاجل　　وبين النقـا آأنت أم أم سالم

(٦) أودع رجل بعض القضاة أموالا فادعى ضياعها فقال ابن دويدة المغربى يخاطبه :

إن قال قد ضاعت فيصدق إنها　　ضاعت ولـكن منك يعنى لو تعى

أو قال قد وقعت فيصدقُ إنها　　وقعت ولـكن منه أحسن موقع

(٧) إذا حتربت يوما ففاضت دماؤها　　تذكرت القربى ففاضت دموعها

(٨) فتى قسم الأيام بين ســـيوفه　　وبين طريفات المـكارم والتلدْ

فسوّد يوما بالعجاج وبالردى　　وبـيّض يوما بالفضائل والمجـــد

الإجابة

(١) فيه تجريد جاء على طريق الـكناية فقد كنى بالأسد عن نفسه .

(٢) فيه تجريد فقد جرد من نفسه شخصا ثم خاطبه .

(٣) فيه المذهب الكلامى إذ التقدير والاعادة أهون من البدء والأهون أدخل فى الامكان من البدء فالإعادة أدخل فى الامكان من البدء وهو المطلوب .

(٤) فى قوله ولا تفتح فيه العين تورية فالمعنى القريب النهى عن فتح العين وهى الجارحة وليس بمراد والبعيد النهى عن فتح العين فى اللفظ لئلا يلزم التحريف

(٥) فيه تجاهل العارف بسوق المعلوم مساق المجهول .

(٦) فيه القول بالموجب اذ هو قد حمل لفظى ضاعت ووقعت الواقعين فى كلام القاضى إلى معنى آخر مراد يحتمله اللفظ .

(٧) فيه المزاوجه فقد زواج بين احتربت وتذكرت الواقعتين فى الشرط والجزاء ورتب على كل منهما أمرا وهو فيضان الدماء وفيضان الدموع .

(٨) فيه جمع وتقسيم لأنه جمع أيام الممدوح فى الحرب والعطاء ثم قسم ذلك

تمرين (١)

بين نوع المحسن المعنوى فيما يلى :

(١) مامضى فات والمؤمل غيب ... ولك الساعة التى أنت فيها

(٢) يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

(٣) أسكر سكرى من المدام إذا ... مر بفكرى خيال مبسمه

(٤) بدائع الحسن فيه مفترقه ... وأعين الناس فيه متفقه

سهام ألحاظه مفوقه ... فكل من رام لحظه رشقه

(٥) أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد ... وأنت امرؤ يرجو شبابك وائل

(٦) فارقنى من أحب واحزنى ... واحزنى من حب من فارقنى

(٧) قالوا حبيبك محموم فقلت لهم ... أنا الذى كنت فى حمائه السبب

عانقته ولهيب النار فى كبدى ... يوما فأثر فيه ذلك اللهب

(٨) أنت بدر حسنا وشمس علوا ... وحسام عزا وبحر نوالا

تمرين (٢)

(١) فثوبى مثل شعرى مثل نحرى بياض فى بياض فى بياض
(٢) ولا عيب فيكم غير أن ضيوفكم تعاب بنسيان الاحبة والوطن
(٣) تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك .
(٤) أبادهم فلبيت المال ما جمعوا والروح للسيف والاجساد للرخم
(٥) إن ترد خبر حالهم عن يقين فالقهم فى منازل أو نزال
تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر الاكناف حمر النصال
(٦) فيا له من عمل صالح يرفعه الله إلى أسفل
(٧) أهدى لمجلسه الكريم وإنما أهدى له ما حزت من نعمائه
كالبحر يمطره السحاب وماله فضل عليه لأنه من مائه
(٨) فلان لا خير فيه إلا أنه ذو وجهين .

تمرين (٣)

(١) يا سادة ابعدهم أصبحت صبا وصبا
لجين دمعى كم جرى لطيب عيش ذهبا
(٢) زيادة المرء فى دنياه نقصان وربحه غير فعل الخير خسران
(٣) إذا صدق الجد افترى العم للفتى مكارم لا تخفى وإن كذب الخال
(٤) وما طيب الرياض لها ولكن كساها دفنهم فى الترب طيبا
(٥) ولا عيب فيهم غير أن ذوى الندى خساس إذا قيسوا بهم ولئام
(٦) بكت فقدك الدنيا قديما بدمعها فكان بها فى سالف الدهر طوفان
(٧) الأرض طرس والرياض سطوره والزهر شكل بينها وحروف
(٨) والطل فى سلك الغصون كلؤلؤ رطب يصافحه النسيم فيسقط
والطير يقرأ والغدير صحيفة والريح تكتب والغمام ينقط

(٩) قال الحطيئة :

ندمت على لسان كاد منى فليت بأنه فى جوف علم

المحسنات اللفظية

الجناس — التجنيس — أقسامه — فائدته

هو لغة مصدر جانس الشىء الشىء شاكله واتحد معه فى الجنس .

واصطلاحا تشابه الكلمتين فى اللفظ(١) مع اختلاف فى المعنى وينقسم قسمين:

(١) تام وهو ما اتفق فيه اللفظان فى أربعة أشياء (١) هيئة الحروف أى حركاتها وسكناتها (٢) عددها (٣) نوعها (٤) ترتيبها .

وهو إما مماثل أو مستوف .

(ا) فالمماثل هو ما كان اللفظان فيه من نوع واحد اسمين أو فعلين أو حرفين كقوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) ، فالساعة الأولى يوم القيامة والثانية واحدة الساعات ، وقول محمود سامى البارودى :

تحمَّلتُ خوف المن كل رزيئة وحملُ رزايا الدهر أحلى من المن

فالمن الأول تعداد الصنائع والنعم نحو أعطيتك كذا وأحسنت اليك بكذا ، والمن الثانى العسل .

(ب) والمستوفى ما كان اللفظان فيه من نوعين كاسم وفعل كقول أبى تمام :

مامات من كرم الزمان فانه يحيا لدى يحيى بن عبد الله

(٢) مركب وغير مركب .

(ا) فغير المركب كالأمثلة التى فرطت .

(ب) والمركب ما كان أحد ركنيه لفظا مركبا ويسمى جناس التركيب وينقسم إلى قسمين مركب من كلمتين تامتين ويسمى بالملفوف كقول القاضى الفاضل

---

(١) فيخرج التشابه فى المعنى نحو أسد وسبع أو فى مجرد العدد نحو ضرب وعلم أو فى مجرد الوزن ضرب وقتل .

عضنا الدهر بنابه ليت ما حل بنابهْ
لا يوالى الدهر إلا خاملا ليس بنابهْ

ومركب من كلمة وبعض كلمة ويسمى مرفوا كقول الحريرى:

والمكرُ مَهْما استطعت لا تأته لتقتنى السودد والمكرمه

وقوله أيضا:

فلاتله عن تذكار ذنبك وابكه بدمع يحاكى المزن حال مَصَابه
ومثلو لعينيك الحمام ووقعه وروعة ملقاه ومطعم صابه

(٣) متشابه ومفروق لأنه إن توافقت المركبة من كلمتين مع غير المركبة فى الخط لقب بالمتشابه كقول بعض البلغاء يا مغرور أمسك، وقس يومك بامسك، وان لم تتفقا فيه لقب بالمفروق نحو:

لا تعرضن على الرواة قصيدة ما لم تبالغ قبلُ فى تهذيبها
فتى عرضت الشعر غير مهذب عدوه منك وساوسا تهذى بها

وغير التام ما اختلف فيه اللفظان فى واحد من الأربعة المتقدمة.

(١) فان اختلفا فى هيئة الحروف.

سمى جناسا محرفا والاختلاف قد يكون فى الحركة فقط كقولهم لا تنال الغرر(١) الا بركوب الغرر وقد يكون فى الحركة والسكون كقولهم البدعة شرك الشرك وقول الحريرى:

فقلت للائمى أقصر فانى سأختار المَقام على المُقام

(٢) وان اختلفا فى العدد سمى ناقصا ويكون ذلك على وجهين.

(ا) ماكان بزيادة حرف إما فى الأول كقوله تعالى (والتفت الساق بالساق

(١) الغرر بالضم جمع أغر وهو الحسن من كل شىء وبالفتح التعرض للتهلكة.

إلى ربك يومئذ المساق) ويسمى مردوفا ، وإما فى الوسط كقولهم جدى جهدى(١) ويسمى مكتنفا ، وإما فى الآخر ويسمى مطرفا كقول أبى تمام :

يمدون من أيد عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواضب (٢)

(ب) ما كان بزيادة أكثر من حرف ويسمى مذيلا كقول الخنساء :

(٣) وإن اختلفا فى نوع الحروف اشترط ألا يكون الاختلاف بأكثر من حرف ، وذلك على وجهين .

(ا) أن يكون هو وما يقابله فى الطرف الآخر متقاربى المخرج ويسمى مضارعا والاختلاف إما فى الأول كقول الحريرى بينى وبين كنى ليل دامس وطريق طامس(٣) ،أو فى الوسط كقولهم البرايا اهداف البلايا، أو فى الآخر كقول الحريرى لهم فى السير جرى السيل والى الخير جرى الخيل .

(ب) أن يكونا غير متقاربى المخرج ويسمى لاحقا، والاختلاف إما فى الأول نحو (ويل لكل همزة لمزة) (٤) ، أو فى الوسط نحو (فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر) أو فى الآخر كقول البحترى :

ألما فات من تلاق تلاف أم لشاك من الصبابة شاف

(٤) وإن اختلفا فى ترتيب الحروف سمى جناس القلب ، وهو ضربان .

(ا) قلب الكل كقولهم حسامه فتح لأوليائه حتف لأعدائه .

(ب) قلب البعض كقوله عليه السلام (اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا) ، وقول بعضهم رحم الله امرأ أمسك ما بين فكيه ، واطلق ما بين كفيه .

(تنبيهات)

(الأول) إذا وقع أحـــد المتجانسين جناس القلب فى أول البيت

---

(١) الجد الغنى والحظ والجهد التعب (٢) العواصى جمع عاصية من عصاه يعصوه ضربه بالعصا وعواصم من عصمه إذا حفظه وقواض حاكمات بالقتل وقواضب قاطعات . (٣) السكن البيت ودامس مظلم وطامس بعيد (٤) الهمزة من يعيبك فى الغيب واللمزة من يعيبك فى وجهك.

والآخر فى آخره سمى مقلوبا مجنحا (١) كقول ابن نُباتة المصرى :

ساق يرينى قلبُه قسوة   وكل ساق قلبه قاسى

(الثانى) إذا ولى أحد المتجانسين الآخر سمى مزدوجا ومكرراً ومردداً كما فى الحديث (المؤمنون هينون لينون)، وكقولهم من طلب شيئا وجدّ وجد وقول البستى:

أبا العباس لا تحسب لشينى   بأنى من حُلا الأشعار عار

(الثالث) من التجنيس نوع يسمى تجنيس الإشارة وهو ألا يذكر أحد المتجانسين فى الكلام ولكن يشار إليه بما يدل عليه نحو :

حلقت لحية موسى باسمه   وبهرون إذا ما قُلبا

فلا شك أنك إذا ما قلبت هرون من آخره إلى أوله يصير (نوره) لكنه لم يذكرها بلفظها بل أشار إليها بقوله وبهرون إذا ما قلبا .

(الرابع) يلحق بالتجنيس شيئان :

(ا) أن يجمع اللفظين الاشتقاق كقوله تعالى (فأقم وجهك للدين القيّم) .
وقول أبى تمام فيادمع أنجدنى على ساكنى نجد .

(ب) أن تجمع اللفظين المشابهة وهى ما يشبه (٢) الاشتقاق وليس باشتقاق كقوله تعالى (وجنى الجنتين دان) وقول البحترى :

إذا ما رياح جودك هبّت   صار قول العذول فيها هباء

(حسن التجنيس وفائدته) قال فى أسرار البلاغة لا يحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنيهما من العقل موقعا حميدا ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً أتراك استضعفت تجنيس أبى تمام فى قوله :

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت   فيه الظنون أمذهب أم مُذْهَب

واستحسنت تجنيس القائل (حتى نجا من خوفه وما نجا (٣)) وقول المحدث

(١) لأن اللفظين بمنزلة جناحين من البيت (٢) لتوافق اللفظين فى جميع الحروف أو جلها فيتبادر إلى الفكر أنهما يرجعان إلى أصل واحد وليساكذلك فى الحقيقة .

(٣) نجا الأولى أحدث والثانية خلص .

ناظراه فيما جنى ناظراه   أودعانى أمت بما أودعانى

لأمر يرجع إلى اللفظ أم لأنك رأيت الفـــائدة ضعفت فى الأول وقويت فى الثانى ورأيتك لم يزدك بمذهب ومذهب على أن أسمعك حروفاً مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها إلا مجهولة منكرة ، ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها، فبهذه السريرة صار التجنيس وخصوصا المستوفى منه المتفق فى الصورة من حلى الشعر ومذكوراً فى أقسام البديع اه .

وقال ابن رشيق فى العمدة التجنيس من أنواع الفراغ وقلة الفائدة ومما لا يشك فى تكلفه وقد أكثر منه الساقة المتعقبون فى نظمهم ونثرهم حتى برد ورك اه .

وقال ابن حجة الحموى فى خزانة الأدب أما الجناس فانه غير مذهبى ومذهب من نسجت على منواله من أهل الأدب .

رد العجز على الصدر ـــ التصدير

هو فى النثر جعل أحد اللفظين المكررين (١) أو المتجانسين (٢) أو الملحقين (٣) بهما اشتقاقا أو شبه اشتقاق فى أول الفقرة والآخر فى آخرها فالمكرران نحو (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) ، والمتجانسان نحو سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل ، والملحقان بهما اشتقاقا (استغفروا ربكم إنه كان غفّـارا) وشبه اشتقاق نحو قال إنى لعملكم من القالين .

وفى النظم أن يكون أحدهما فى آخر البيت والآخر فى صدر المصراع الأول أو فى حشوه أو فى آخره أو فى صدر المصراع الثانى (٤) ، فالأول نحو :

تمنت سُليمى أن أموت صبابة   وأهون شىء عندنا ما تمنت

(١) أى المتفقين فى اللفظ والمعنى .   (٢) أى المتفقين فى اللفظ دون المعنى .

(٣) أى اللذين يجمعهما الاشتقاق أو شبهه .

(٤) فالأقسام ستة عشر حاصلة من ضرب أربعة فى أربعة .

والثانى كقول الصِّمَّة بن عبد الله القُشَيرى :

أقول لصاحبي والعيسُ تهوى بنا بين المُنيفة فالضِّمار
تمتَّعْ من شميم عَرار نجد فما بعد العشيَّة من عرار (١)

والثالث كقول أبي تمام :

ومن كان بالبيض الكواعب مُغْرَماً فمازلت بالبيض القواضب مُغرَما (٢)

والرابع كقول ذى الرمة :

وإن لم يكن إلا معرَّج ساعة قليلا فانى نافع لى قليلها (٣)

والخامس كقول القاضى الأرّجانى :

دعانى من ملامكما سفاها فداعى الشوق قبلكما دعانى

والسادس كقول الثعالبي :

وإذا البلابل أفصحت بلغاتها فانف البلابل باحتساء بلابل (٤)

والسابع كقول الحريرى:

فمشغوف بآيات المثانى ومفتون برنَّات المثانى (٥)

والثامن كقول القاضى الأرّجانى :

أمَّلتهم ثم تأملتهم فلاح لى أنْ ليس فيهم فلاح (٦)

---

(١) العيس الإبل يخالط بياضها شقرة وتهوى تنحدر والمنيفة والضمار موضعان والعرار وردة صفراء طيبة الرائحة ومن زائدة وما بعدها مبتدأ والظرف قبله خبر وما مهملة .

(٢) الكواعب جمع كاعب وهى الجارية حين يبدو ثديها للنهود والقواضب السيوف القواطع

(٣) اسم يكون يعود إلى الإلمام الذى يفهم من البيت السابق والمعرج من التعريج وهو الاقامة

(٤) البلابل الأولى جمع بلبل والثانية جمع بلبال وهو الحزن والبلابل الثالثة جمع بلبلة بالضم إبريق الخمر . (٥) المثانى القرآن ورنات المثاني أى نغمات أوتار المزامير التى ضم طاق منها إلى طاق . (٦) لاح ظهر والفلاح الفوز والبيت من السريع وعروضه مطوية مكسوفة وضربه موقوف .

والتاسع كقول البحترى :

ضرائبُ أبدعتهــا فى السماح فلسنا نرى لك فيهــا ضريبا(١)

والعاشر كقول أبى العلاء :

لو اختصرتم من الإحسان زرتكم والعذب يُهجر للإفراط فى الخَصَر(٢)

والحادى عشر كقول ابن عيينة المهلبى :

فدع الوعيدَ فما وعيدك ضائرى أطنينُ أجنحة الذباب يَضيــر

والثانى عشر كقول أبى تمام فى مرثية محمد بن نهشل حين استُشهد :

وقد كانت البيض القواضب فى الوغى بواتر وهى الآن من بعده بُتر(٣)

تنبيـــه

تركنا المثل الأربعة الباقية الملحقة بالتجانس التى يجمعها الاشتقاق الاكبر لقلة استعمالها .

السجع ــ شروط حسنه ــ حكمه ــ أقسامه

هو فى المنثور بازاء التصريع الآتى بيانه فى المنظوم ، وهو لغة من قولهم سجعت الناقة إذا مدت حنينها على جهة واحدة ، واصطلاحا أن تتواطأ الفاصلتان فى النثر على حرف واحد .

شروط حسنه

لا يحسن السجع كل الحسن إلا إذا استوفى أربعة أشياء :

---

(١) الضرائب جمع ضريبة وهى ماطبع عليه الإنسان والضريب المثل وأصله المثل فى ضراب القداح ثم أطلق على كل مثيل . (٢) الخصر البرودة .

(٣) بواتر جمع باتر والبتر جمع أبتر أى مقطوع وقبل البيت :

ثوى فى الثرى من كان يحيا به الورى ويغمر صرف الدهر نائله الغمر

(ا) أن تكون المفردات رشيقة أنيقة خفيفة على السمع .

(ب) أن تكون الألفاظ خدم المعانى إذ هى تابعة لها فإذا رأيت السجع لا يدين لك إلا بزيادة فى اللفظ أو نقصان فيه فاعلم أنه من المتكلف الممقوت .

(ح) أن تكون المعانى الحاصلة عند التركيب مألوفة غير مستنكرة .

(د) أن تدل كل واحدة من السجعتين على معنى يغاير ما دلت عليه الأخرى حتى لا يكون السجع تكراراً بلا فائدة .

ومتى استوفى هذه الشروط كان حلية ظاهرة فى الكلام ، ومن ثم لا تجد لبليغ كلاماً يخلو منه كما لا تخلو منه سورة وإن قصرت بل ربما وقع فى أوساط الآيات كقوله تعالى (لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ، ونطبع على قلوبهم) .

أقسامه :

هو على ثلاثة أضرب مرصع ومتواز ومطرّف :

(١) فالمرصع ما اتفقت ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها فى الوزن والتقفية كقول الحريرى فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه ، وقول أبى الفتح البستى ليكن إقدامك توكلا ، وإحجامك تأملا .

(٢) والمتوازى ما اتفق فيه الفقرتان فى الكلمتين الأخيرتين نحو قوله تعالى (والمرسلات عُرْفا ، فالعاصفات عصفا (١)) ، وقوله (فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة) .

(٣) والمطرف ما اختلفت فاصلتاه فى الوزن واتفقتا فى الحرف الأخير نحو (ما لكم لا ترجون لله وقاراً ، وقد خلقكم أطواراً) وقوله جنابه محط الرحال ، ومخيّم الآمال ، وأيضاً السجع إما قصير نحو (والمراسلات عرفا ، فالعاصفات عصْفا) وإما متوسط نحو (اقتربت الساعة وانشق القمر — وإن يروا آية

---

(١) المرسلات الرياح وعرفا متتابعة والعاصفة والريح الشديدة .

يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) ، وإما طويل نحو (إذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور ، وإذ يريكموهم إذا التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضىَ الله أمراً كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور) .

تنبيهات :

(الأول) : أحسن السجع ما تساوت قرائنه كقوله تعالى (فى سدْر مخضود ، وطلح منضود (١) وظل ممدود) ثم ما طالت قرينته الثانية كقوله تعالى (والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى) ، أو الثالثة نحو (خذوه ، فغلوه ، ثم الجحيم صّلوّه) ، فلايحسن أن تكون القرينة الثانية أقصر من الأولى كثيراً لأن السجع إذا استوفى أمده فى الأولى بطولها وجاءت الثانية أقصر منها كثيراً يكون كالشىء المبتور ، يؤيد ذلك الذوق السليم .

(الثانى) الأسجاع مبنية على سكون أواخرها، لأن المزاوجة بين الفقر فى جميع للصور لا تتم إلا بالوقف ألا ترى أنك لو وصلت قولهم ما أبعد ما فات، وما أقرب ما هو آت ، لم يكن بد من إعطاء أواخر القرائن ما يستلزمه حكم الإعراب فتختلف أواخرها ويفوت السجع .

(الثالث) يقال للجزء الواحد من السجع سجعة وجمعها سجعات ، وفقرة وجمعها فقر وفقَرات وفقْرات ، وقرينة لمقارنة أختها وتجمع على قرائن ، وللحرف الأخير منها حرف الروى أو الفاصلة .

(الرابع) ربما غيرت الكلمة عن موضوعها فى تصريف اللغة طلبا للسجع والمزاوجة بين الكلمة وأخواتها ألا ترى قوله عليه السلام فى تعويذه لابن ابنته

---

(١) السدر شجر النبق الواحدة سدرة والمخضود المقطوع الشوك والطلح الموز هـ.ا والمنضود الموضوع بعضه فوق بعض .

أعيذه من الهامة والسامة ، والعين اللامّة ، وأصلها الملمة لأنها من ألم فعبر عنها باللامة لموافقة ماقبلها وقوله للنساء انصرفن مأزورات غير مأجورات ، والأصل موزورات أخذاً من الوزر لكنه قال ذلك لمكان مأجورات .

(الخامس) يرى بعض العلماء ومنهم الباقلانى وابن الأثير كراهة إطلاق السجع على القرآن الكريم لأنه نوع من الكلام يعتمد الصنعة وقلما يخلو من التكلف والتعسف ، إلى أنه مأخوذ من سجع الحمام وهو هديره ، وإنما يقال فى مثل ذلك فواصل أخذاً من قوله تعالى (كتاب فصلت آياته) .

(السادس) يرى بعضهم أن السجع غير مختص بالنثر بل يكون فى النظم كقول أبى تمام يمدح أبا العباس نصر بن بسام :

تجلى به رشدى وأثرت به يدى وفاض به ثمدى وأورى به زندى (١)

وقول الخنساء :

حامى الحقيقة محمود الخليقة مهـدى الطريقة نفاع وضرار
جوّاب قاصية جزّار ناصية عقّاد ألوية للخيل جرّار

وقول الآخر :

ومكارم أوليتهـا متورعا وجرائم ألغيتها متبرعا

ومنه على هذا الرأى التشطير ، وهو أن يجعل فى كل من شطرى البيت سجعتان على روى مخالف لروى سجعتى الشطر الآخر كقول أبى تمام :

تدبير معتصم بالله منتقم لله مرتغب فى الله مرتقب(٢)

فالشطر الأول محتو على سجعتين مبنيتين على الميم والثانى محتو على سجعتين مبنيتين على الباء :

---

(١) قبله سأحمد نصراً ماحييت وإننى لأعلم أن قد جل نصر عن الحمـد
وأثرت صارت ذات ثروة والثمد الماء القليل وأورى صار ذا ورى أى نار .

(٢) مرتغب أى راغب ومرتقب منتظر ثوابه .

الموازنة

هي أن تكون الفاصلتان(١) متساويتين في الوزن دون التقفية كقوله تعالى: (ونمارق مصفوفة ، وزرابي مبثوثة (٢) .

فإن كان ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن خص باسم المماثلة فالأول كقول البحتري يمدح الفتح بن خاقان ويذكر مبارزته للأسد :

فأحجم لما لم يجد فيك مطمعاً وأقدم لما لم يجد عنك مهرباً

والثاني كقوله تعالى : (وآتيناهما الكتاب المستبين ، وهديناهما الصراط المستقيم) وقول أبي تمام من قصيدة يمدح بها الوزير محمد بن عبد الملك الزيات

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس قنا الخط إلا أن تلك ذوابل(٣)

القلب

هو أن يكون الكلام بحيث لو عكس وبدىء بحرفه الأخير إلى الأول لم يتغير الكلام عما كان عليه . ويجرى ذلك في النثر والنظم كقوله تعالى (وربَّك فكبر)، وقول عماد الدين الكاتب للقاضي الفاضل ، سر فلا كبا بك الفرس ، وقول القاضي الأرجاني :

مودته تدوم لكل هول وهل كلٌّ مودته تدوم(٤)

وقد يكون في المصراع الواحد نحو أرانا الإله هلالا أنارا .

---

(١) أي الكلمتان الأخيرتان من الفقرتين كما في الآية أو المصراعين كقوله :

هو الشمس قدرا والملوك كواكب هو البحر جوداً والكرام جداول

(٢) إذ الأولى على الفاء والثانية على الثاء ولا عبرة بتاء التأنيث كما بين في علم القافية .

(٣) منها الوحش أي كمها الوحش في سعة الأعين وسوادها وقنا الخط أي كقنا الخط في الاستقامة .

(٤) وقبله : أحب المرء ظاهره جميل لصاحبه وباطنه سليم

التشريع

هو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى إذا وقفت على كل واحدة منهما ، وإنما يقع ذلك ممن كان ضليعاً متمكنا من صناعة النظم بارعا مقتدراً كقول بعضهم :

اسلم ودمت على الحوادث مارسا   ركنا ثبير أو هضاب حراء

ونل المراد ممكّنا منه على   رغم الدهور وفز بطول بقاء

فيمكن أن يذكرا على قافية أخرى وضرب آخر بأن يقال:

اسلم ودمت على الحوا   دث مارسا ركنا ثبير

ونل المراد ممكننا   منه على رغم الدهـــور

لزوم مالا يلزم ـــ الالزام ـــ التشـديد ـــ الأعنـات

هو أن يلتزم قبل الروى فى الشعر أو الفاصلة فى النـثر شيء (١) يتم السجع بدونه كقوله تعالى (فإذا هم مبصرون) وإخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون وقول الشاعر (٢) :

سأشكر عمرا إن تراخت منيتى   أيادى لم تُمنن وإن هى جلّت

---

(١) أى لو جعلت القوافى أو الفواصل أسجاعا لم يحتــج إلى الاتيــان بذلك الشيء وهــذا الشيء أحد أمور ثلاثة حرف وحركة معاً كما فى الآية والايات بعدها ، وحرف فقط كالقمر ومستمر فى قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر. وحركة فقط كقول ابن الرومى :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها   يـكون بكاء الطفل ساعة يولد

وإلا فما يبكيه منها وإنها   لأوســع مما كان فيه وأرغد

والمراد أن يكون ذلك فى بيتين أو أكثر أو فاصلتين أو أكثر وإلا ففى كل بيت أو فاصلة يجيء قبل الروى أو ما فى معناه ما ليس بلازم فى السجع كقوله .

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فقد جاء قبل اللام ميم مفتوحه وهو ليس بلازم فى السجع .

(٢) هو عبد الله بن الزبير بفتح الزاى الأسدى فى مدح عمر بن عثمان بن عفان .

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت

تتمة

قال عبد القاهر لايحسن هذا النوع (المحسن اللفظى) إلا إذا كانت الألفاظ تابعة للمعانى فإن المعانى إذا أرسلت على سجيتها وتركت وما تريد طلبت لأنفسها الألفاظ ولم تكتس إلا ما يليق بها فان كان خلاف ذلك كان كما قال أبو الطيب :

إذا لم تشاهد غير حسن شياتها وأعضائها فالحسن عنك مغيّب

وقد يقع فى كلام بعض المتأخرين ما حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع إلى ماله اسم فى البديع ، على أنه نسى أنه يتكلم ليفهم ويقول ليبين ويخيل إليه أنه إذا جمع عدة من أقسام البديع فى بيت فلاضير أن يقع ماعناه فى عمياء وأن يجعل السامع يتخبط خبط عشواء .

السرقات الشعرية وما يتصل بها

إذا توافق الشاعران على اللفظ والمعنى أو المعنى وحده ، فإن لم يعلم أخذ الثانى من الأول جاز أن يكون من قبيل اتفاق القرائح وتوارد الأفكار من غير قصد إلى سرقة وأخذ ، ويسمى ذلك مواردة. ويرشد إلى ذلك ابن ميادة لما أنشد ابن الاعرابى قوله لنفسه :

مفيد ومتلاف إذا ما أتيته تهلّل واهتزّ اهتزاز المهنّد

قيل له أين يذهب بك ، هذا للحطيئة قال الآن علمت أنى شاعر إذ وافقته على قوله ولم أسمعه إلا الساعة .

ولذا لاينبغى لأحد أن يحكم على شاعر بالسرقة مالم يعلم جليّة أمره بأن يتيقن أنه كان يحفظ قول من سبقه حينما نظم أو بان يخبر عن نفسه بأنه أخذ ممن تقدمه ،

فان لم يعرف ذلك فالواجب أن يقال قال فلان كذا وقد سبقه اليه فلان فقال كذا حتى يتباعد عن دعوى العلم بالغيب ويسلم من انتقاص غيره ويكون صادقا فيما حكم وقال .

واعلم أن اتفاق القائلين ان كان فى الغرض كالوصف بالشجاعة والسخاء والذكاء ، أو فى وجه الدلالة على الغرض كوصف الرجل حال الحرب بالابتسام وسكون الجوارح وقلة الفكر ، ووصف الجواد بالتهلل عند ورود العفاة والارتياح لرؤيتهم - لا يعد هذا سرقة ولا استعانة لأن تلك أمور اشتركت فيها العقول وتقررت بحكم العادات واستوى فيها الفصيح والأعجم ، كقولهم فى الغزل إن الطيف يجود بما يبخل به صاحبه ، وفى المدح ان الممدوح يجود ابتداء من غير مسئلة ، وفى الرثاء أن هذا الرزء أول حادث وان هذا الذاهب لم يكن واحداً وإنما كان قبيلة ، إلى أشباه ذلك مما يجرى هذا المجرى .

أما إذا احتاج المعنى الى كد الفكر فذاك هو الذى يدعى فيه الاختصاص والسبق لأنه لا يصل الى مثله كل أحد فهو جدير بالتفاضل بين القائلين فيقال ان أحدهما يفضل الآخر وأن الثانى زاد على الأول أو نقص كما فعل أبو تمام فابتدع معنى جديداً ، ذاك أنه حين أنشد احمد بن المعتصم قصيدته السينية التى مطلعها :

ما فى وقوفك ساعة من باس تقضى حقوق الأربع الادراس

حتى انتهى الى قوله :

اقدام عمرو فى سماحة حاتم فى حلم أحنفَ فى ذكاء اياس

قال الحكيم الكندى وأىّ فخر فى تشبيه ابن أمير المؤمنين بأجلاف العرب ، فأطرق أبو تمام ثم أنشد :

لا تنكروا ضربى له مَن دُونه مثلا شَرودا فى الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلا من المشكاة والنبراس

فهذا معنى ابتكره ولم يتقدمه أحد به فمن أتى بعده بهذا المعنى أو بجزء منه عد سارقا له .

وهذه السرقات وإن تعددت فنونها وكثرت مذاهبها لا تخرج عن ثمانية أنواع وهي :

(١) النسخ — الانتحال ، وهو سرقة مذمومة ، وحقيقته أن يأخذ أحد الشاعرين معنى صاحبه ولفظه كله أو أكثره فهو اذاً على قسمين :

(ا) أن يأخذ لفظ الأول ومعناه ولا يخالفه إلا بروى القصيدة كقول امرىء القيس :

وقوفا بهـا صحبي عليّ مطيهم يقولون لا تهلك أسىً وتحمّل

أخذه طرفة وأجراه على منواله الأول فقال :

وقوفا بهـا صحبي على مطيهم يقولون لاتهلك أسىً وتجلَّد

(ب) أن يأخذ المعنى وأكثر اللفظ كقول الابيرد اليربوعي :

فتى يشترى حسن الثناء بماله اذا السنة الشهباء أعوزها القطر

وقول أبي نواس :

فتى يشترى حسن الثناء بماله ويعلم أن الدائرات تدور

(٢) المسخ أو الاغارة وهو أن يأخذ الشاعر بعض اللفظ أو يغير بعض النظم وهو ثلاثة أضرب :

(ا) أن يكون الثانى أبلغ من الأول لاختصاصه بحسن السبك أو جودة الاختصار أو الايضاح أو زيادة المعنى وهو مقبول ممدوح كقوله :

خلقنا لهم فى كل عين وحاجب بسُمر القنا والبيض عينا وحاجبا

مع قول ابن نُباتة وهو بعده :

خلقنا بأطراف القنا فى ظهورهم عيونا لها وقع السيوف حواجب

فقد زاد هذا معنى لم يطرقه الأول وهو الاشارة الى انهزامهم .

(ب) أن يكون الثانى دون الأول فى البلاغة وهذا خليق بالرد كقول أبي تمام

هيهـــات لايأتى الزمان بمثله   إن الزمان بمثله لبخيـــل

مع قول أبى الطيب وقد أخذ عنه وقصر عن الغاية التى وصل إليها سابقه .

أعدى الزمانَ سخاؤه فسخا به   ولقد يكون به الزمان بخيلا (١)

إذ قوله يكون بلفظ المضارع لم يقع موقعه ، إذ المعنى على المضى لكن الوزن ألجأه إلى ذلك .

(حـ) أن يكون الثانى مثل الأول وحينئذ يكون بعيداً من الذم والفضل للسابق كقول أبى تمام :

لو حار مرتاد المنيـــة لم يجد   إلا الفراق على النفوس دليلا (٢)

مع قول أبى الطيب :

لولا مفارقة الأحباب ما وجدتْ   لها المنايا إلى أرواحنا سُبُلا

(٢) السلخ والالمام وهو أخذ المعنى وحده وينقسم ثلاثة أقسام أيضاً :

(ا) أن يكون الثانى ممتازاً بحسن سبكه وبلاغته ورسانته كقول البحترى .

تصد حياء أن تراك بأوجه   أتى الذنب عاصيها فليم مُطيعها

مع قول أبى الطيب وهو أحسن منه سبكا .

وجُرْم جره سفهـــاء قوم   وحلّ بغير جارمه العـــذاب

وكأنه اقتبسه من قوله تعالى (أتهلكنا بما فعله السفهاء منا) .

(ب) أن يكون الثانى دون الأول كقول بعض الأعراب .

وريحها أطيب من طيبها   والطيب فيـه المسك والعنبر

مع قول بشار وقد أخذ منه وقصر عنه فى المعنى حيث يقول :

---

(١) المعنى أن الزمان سخا به على وكان بخيلا به فلما أعداه سخاؤه أسعدنى بضمى إليه وهدايتى له . (٢) حار تحير فى التوصل إلى إهلاك النفوس ومرتاد المنية الاضافة فيه للبيان أى مرتاد هو المنية والمعنى لو تحيرت المنية لم تجد لها طريقاً يوصلها لذلك إلا فراق الأحبة .

وإذا أدنيت منها بصلا غلب المسك على ريح البصل

(ح) أن يتساوى الأول والثانى كقول بعضهم يذكر ابنا له قد مات:

الصبر يحمد فى المواطن كلها إلا عليـك فانه مذموم

مع قول أبى تمام بعده:

وقد كان يدعى لابس الصبر حازما فأصبح يُدعى حازما حين يجزع

وهذه الأنواع الثلاثة من الأخذ الظاهر.

أما غير الظاهر فهو ذو شعب كثيرة أهمها:

(٤) التشابه وهو أن يتشابه معنى الأول والثانى كقول الطرماح بن حكيم الطائى:

لقد زاد حبا لنفسى أننى بغيض إلى كل امرىء غير طائل

مع قول المتنبى.

وإذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل

فان ذم الناقص أبا الطيب كبغض من هو غير طائل الطرماح، وشهادة ذم الناقص أبا الطيب كزيادة حب الطرماح لنفسه.

وليس بضائر فى التشابه اختلاف الغرضين كأن يكون أحدهما نسيبا والآخر مديحا أو هجاء أو افتخارا فان الحاذق من يتحيل فى اخفاء مأخذه بتغيير لفظه والعدول عن الوزن والقافية.

(٥) النقل وهو أن ينقل معنى الأول إلى غير محله كقول البحترى:

سُلبوا فأشرقت الدماء عليهم محمرّة فكأنهم لم يُسْلَبوا (١)

نقله المتنبى إلى السيف فقال:

---

(١) يريد أنهم سلبوا ثيابهم فكانت الدماء الملابسة لاشراق الشمس بمنزلة الثياب لهم.

يبس النّجيعُ عليه وهو مجرَّد عن غمْده فكأنما هو مُغْمَد (١)

(٦) أن يكون معنى الثانى أشمل من معنى الأول كقول جرير :

إذا غضبتْ عليك بنو تميم وجدتُ الناس كلَّهمُ غضابا

أخذه أبو نواس وعمم فيه فقال يستعطف الرشيد لما سجن الفضل البرمكى :

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

(٧) القلب وهو أن يكون معنى الثانى نقيض معنى الأول كقول أبى الشيص

أجد الملامة فى هواك لذيذَة حبّاً لذكرك فليلمنى اللّوم

قلبه أبو الطيب فقال :

أأحبه وأحب فيه ملامَّة إنّ الملامة فيه من أعدائه (٢)

فأبو الشيص صرح بحب الملامة من حيث اشتمال اللوم على ذكر المحبوب وهذا محبوب له ، والمتنبى صرح بكراهتها لصدورها من أعدائه وكل ما يصدر من العدو فهو مبغوض فكل منهما نحا منحى غير الآخر .

(٨) أن يؤخذ بعض المعنى ويضاف إليه زيادة تحسنه كقول الأفوْه الأوْدى .

وترى الطـير على آثارنا رأى عين ثقةً أنْ ستُمار

مع قول أبى تمام :

لقد ظَلّلت عقبان أعلامه ضحىً بعقْبان طير فى الدماء نواهل (٣)

فقد أفاد الأفوه بقوله رأى عين قربها لأنها إذا بعدت تخيلت ولم تر ، وهذا

(١) النجيع الدم المائل إلى السواد يريد أن الدم اليابس صار بمنزلة الغمد له .

(٢) الاستفهام فيه للانكار وجملة وأحب فيه ملامة حالية والانكار راجع للجمع بين محبته ومحبة الملامة فيه .

(٣) إضافة عقبان إلى الأعلام من إضافة المشبه به للمشبه أى الأعلام التى هى كالعقبان فى تلونها وفخامتها لأن الأعلام بمعنى الرايات فيها ألوان مختلفة كالعقبان . وقوله بعقبان طير متعلق بظللت أى أنها لزمت فوق الأعلام وألقت ظلها عليها والنواهل من نهل إذا روى .

القريب إنما كان لتوقعها الفريسة ، وبقوله ثقة أن ستمار تأكيدها بما هي طامحة إليه .

أما أبو تمام فلم يحم حول هذا ولكنه زاد عليه قوله إلا أنها لم تقاتل ، وقوله في الدماء نواهل ، ثم باقامتها مع الرايات حتى كأنها من الجيش ، ومن أجل هذا حسن أن يقول إلا أنها لم تقاتل ، وهذه الزيادة أكسبت كلامه حسنا وطلاوة وإن كان قد ترك بعض ما ألم به الأفوه .

تنبيـــه :

الأنواعَ التي ليس الأخذ فيها ظاهرا مقبولة كلها ، بل منها مايدق فيه الصنع ويخفى فيه مكان الأخذ حتى يخرج بحسن التصرف وجودة السبك من حيز الأخذ والاتباع ، إلى أن يكون أشبه بالاختراع والابتداع

أما مايتصل بالسرقات الشعرية فهو الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح

(١) الاقتباس ـ أن يضمن المتكلم منثوره شيئا من القرآن أو الحديث تفخيما لشأنه وتزيينا لسبكه على وجه لايشعر (١) بأنه منه كقول ابن نُباته الخطيب .

فيا أيها الغفلة المطرقون ، أما أنتم بهذا الحديث مصدقون ، مالكم لاتشفقون ، فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ، وقول الحريري ، أنا أنبئكم بتأويله ، وأميز صحيح القول من عليله .

وقول الحماسي :

إذا رمت عنها سلوةً قال شافع ... من الحب ميعاد السلو المقابرُ
ستبقى لها في مضمر القلب والحشا ... سريرةُ حبّ (يوم تبلى السرائر)

وقول أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني :

---

(١) أما اذا قال في أثناء الكلام قال الله تعالى كذا أو قال النبي عليه السلام كذا فلا يسمى اقتباساً .

لآل فريغون فى المكرمات يد أولا واعتذار أخيرا

إذا ما حلت بمغناهم (رأيت نعيما وملكا كبيرا)

وقول الحريرى وكتمان الفقر زهاده وانتظار الفرج بالصبر عباده، فقوله انتظار الفرج بالصبر عبادة لفظ الحديث، وقول الصاحب بن عبّاد :

قال لى إنّ رقيبى سيء الخُلق فداره

قلت دعنى ، وجهك الجنة حفت بالمكاره ،

اقتبسه من الحديث حُفّت الجنة بالمكاره وحُفّت النار بالشهوات

والاقتباس ضربان ،

(ا) مالا ينقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه الأصلى إلى معنى آخر كما تقدم من الأمثلة .

(ب) ما نقل فيه المقتبس عن معناه الاصلى كقول ابن الرومى :

لئن أخطأتُ فى مدحك ما أخطأتَ فى منعى

لقد أنزلت حاجاتى (بواد غير ذى زرع)

فهو مقتبس من قوله تعالى (ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم) فمعناه فى القرآن واد لا ماء فيه ولا نبات نقله ابن الرومى إلى رجل لا خير فيه ولا نفع ، ولا بأس بتغيير يسير فى اللفظ المقتبس للوزن أو غيره كقول بعض المغاربة عند وفاة بعض أصحابه :

قد كان ما خفت أن يكونا إنا إلى الله راجعونا

تتمـــة

الاقتباس على ثلاثة أقسام :

(ا) مستحسن وهو ما كان فى الخطب والمواعظ

(ب) مباح ما كان فى الغزل والرسائل والقصص

(حـ) مردود ما كان فى الهزل كقول القائل :

أوحى إلى عشّاقه (هيهات هيهات لما توعدون)

وردفه ينطق من خلفه (لمثل هذا فليعمل العاملون)

(٢) التضمين (١) وهو أن يضمن الشاعر كلامه شعرا من شعر غيره مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورا لدى نقاد الشعر وذوى اللسن كقول الحريرى يحكى ماقاله الغلام الذى عرضه أبوزيد للبيع .

على أنى سأنشد عند بيعى (أضاعونى وأىّ فتى أضاعوا)

المصراع الأخير للعرجى وأصله :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر (٢)

أما تضمينه بلا تنبيه عليه لشهرته فكقوله :

قد قلت لما أطلعت وجناتُه حول الشقيق الغض روضة آس

أعذاره السارى العجول ترفّق ما فى وقوفك ساعة من باس (٣)

المصراع الأخير مطلع قصيدة مشهورة لأبى تمام :

ما فى وقوفك ساعة من بأس نقضى حقوق الاربعُ الادراس

وأحسن التضمين أن يزيد المضمن فى كلامه نكتة لاتوجد فى الأصل كالتورية والتشبيه فى قوله :

إذا الوهم أبدى لى لماها وثغرها تذكرت ما بين العُذيب وبارق

---

(١) تضمين البيت فا زاد استعانة وتضمين المصراع فا دونه يسمى رفوا وإيداعا.

(٢) الكريهة الحرب والسداد بكسر السين سد الثغر بالخيل والرجال والثغر الموضع الذى يخشى منه العدو ، والاستفهام أى أضاعونى وأنا أكمل الفتيان فى وقت الحاجة لسداد الثغر .

(٣) أطلعت أبدت الشقيق ورد أحمر استعاره للخد والغض الطرى والهمزة للنداء والآس الريحان وأراد به العذار وترفق بمعنى اتئد.

ويُذكرنى من قدها ومدامعى مجرّ عوالينا ومجرى السوابق (١)

المصراعان الأخيران مطلع قصيدة لأبى الطيب :

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجرى السوابق (٢)

يريد المتنبى أنهم كانوا نزولا بين هذين الموضعين يجرون الرماح عند مطاردة الفرسان ويسابقون على الخيل أما الآخر فأراد بالعذيب تصغير عذب وعنى به شفة الحبيبة وببارق ثغرها أى ثغرها الشبيه بالبرق وبما بينهما ريقها ، وهذه تورية بديعة نادرة فى بابها ، وشبه تبختر قدها بتمايل الرماح وتتابع دموعه بجريان الخيل السوابق .

(٣) العقد هو نظم المنثور لا على جهة الاقتباس (٣) ومن شرطه أن يؤخذ المنثور بجملة لفظه أو بمعظمه فيزيد الناظم فيه وينقص ليدخل فى وزن الشعر ، فعقد القرآن كقوله :

أنلنى بالذى استقرضت خطا وأشهد معشرا قد شاهدوه

فان الله خلاق البرايا عنت لجلال هيبته الوجوه

يقول (إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه)

وعقد الحديث كقوله :

إن القلوب لأجناد مجنّدةٌ بالاذن من ربها تهوَى وتأتلف

فما تعارف منها فهو مؤتلف وما تناكر منها فهو مختلف

عقد لقوله عليه السلام الأرواح جنود مجندة ماتعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .

---

(١) اللمى سمرة الشفتين ويذكر من الأذكار ومجر وهى رءوس الرماح مفعول ثان وفاعله يعود إلى الوهم (٢) بين ظرف لتذكر وما زائدة ومجر وما عطف عليه مفعول التذكر أوما بين مفعول تذكر ومجر بدل منه .

(٣) فان كان النثر قرآنا أو حديثا وأريد نظمه فلابد أن يغير فيه تغييرا كثيرا أو يشير إلى أنه من القرآن أو الحديث وإن كان غيرهما فنظمهما عقد كيفما اتفق إذ لا مدخل فيه للاقتباس .

(٤) الحل وهو نثر النظم وشرط قبوله أمران :

ا ــ أن يكون سبكه جيدا لا ينقص عن سبك أصله .

ب ــ أن يكون حسن الموقع مستقراً فى محله غير قلق ولا ناب كقول بعضهم فى وصف السيف أورثه عشق الرقاب نحو لا فبكى والدمع مطر تزيد به الخدود محولا ، حل قول أبى الطيب :

فى الخد إن عزم الخليط رحيلا مطر تزيد به الخدود محولا (١)

وقول بعض المغاربة فانه قُبحت فَعْلاته ، وحنظلت نخلاته ، لم يزل سوء الظن الظن يقتاده ويصدّق توهمه الذى يعتاده (٢) . حل قول أبى الطيب (٣) :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدّق ما يعتاده من توهم

(٥) التلميح هو أن يشير الناثر أو الناظم فى قرينة سجع أو بيت شعر إلى قصة معلومة أو نكتة مشهورة أو بيت حفظ لتواتره أو مثل رائع أو حكمة مستملحة ، وأحسنه وأبلغه ما حصل به زيادة فى المعنى المقصود كقول بعضهم فى مليح اسمه بدر :

يا بدر أهلك جاروا وعلموك التجرى وقبحوا لك وصلى

وحسّنوا لك هجرى فليفعلوا ما أرادوا فانهم أهل بدر

إشارة إلى قوله عليه السلام لعمر حينما سأل قتل حاطب (٤) بن أبى بلْتعة وكان ممن شهد بدرا لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال (اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم) .

---

(١) الخليط من يخالطك وأراد به الحبيب ومحول الخدود ذهاب نضارتها.

(٢) الفعلات الأفعال وحنظلت نخلاته أى ثمار نخلاته أى صارت كالحنظل فى المرارة والمراد بها نتائج أفكاره ويقتاده يقوده ، يصف شخصا يسيء الظن بالناس قياسا لغيره على نفسه . (٣) قاله يشكو سيف الدولة واسماعه لقول أعدائه .

(٤) لأنه أرسل خطابا مع امرأة لأهل مكة سرا يخبرهم بعزم النبى عليه السلام وأصحابه على فتحها ليكون له يد عندهم فعلم النبى ذلك بالوحى .

وقول الحريرى بتُّ بليلة نابغية ، أومأ به إلى قول النابغة :

فبتّ كأنى ساورتنى ضئيلة   من الرقش فى أنيابها السمُّ ناقع

وقول آخر :

لعمرو مع الرّمضاء والنار تلتظى   أرق وأحفى منك فى ساحة الكرب (١)

إشارة إلى البيت المشهور :

المستجير بعمرو عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار (٢)

وقد وقع هذا النوع كثيراً فى القرآن الكريم كقوله تعالى (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت) يشير إلى المثل أرق من نسج العنكبوت وأضعف من بيتها .

خاتمـــة

ينبغى للمتكلم أن يتأنق فى ثلاثة مواضع : الابتداء ، التخلص ، الانتهاء .

(١) فالابتداء هو أن يجعل المتكلم مبدأ كلامه حسن الرصف عذب اللفظ ، صحيح المعنى ، فاذا اشتمل على إشارة إلى المقصود ، سمى براعة استهلال .

قال ابن رشيق فى العمدة إن حسن الافتتاح داعية الانشراح ومطية النجاح كما جاء فى الخبر الشعر قفل أوله مفتاحه ، فعلى الشاعر أن يجوّد ابتداء شعره فإنه أول ما يقرع السمع وبه يستدل على ما عنده .

وليتجنب (ألا وخليلىّ وقد) فلا يستكثر منها فى ابتدائه فانها من علامات الضعف والتكلان إلا للقدماء وليجعله حلوا سهلا وفخما جزلا — انتهى .

ومن جيد الابتداءات قول امرىء القيس :

---

(١) الرمضاء الأرض الحارة ترمض وتحترق فيها القدم وجملة تلتظى حال وأرق خبر المبتدأ وأحفى من حفى عليه تلطف .

(٢) عمرو هو قاتل كليب وقد طلب منه ماء حين أجهز عليه وطلب إغاثته فامتنع .

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل　　بسقط اللوى بين الدّخول فحومل(١)

فقد وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل فى مصراع واحد.

وقول النابغة الجعدى :

كلينى لهم يا أميمة ناصب　　وليل أقاسيه بطىء الكواكب

وقد فضلوا بيت النابغة على البيت الأول لأن الشطر الثانى منه كثير الألفاظ قليل المعنى غريب اللفظ .

وقد كان أبو تمام فى الموضع الذى لا يجارى فى فخم ابتداءاته لما لها من الروعة والجلال كقوله يهنىء المعتصم بفتح عمّوريّة مع أن المنجمين كانوا قد زعموا أنها لا تفتح فى ذلك الوقت :

السيف أصدق أنباء من الكتب　　فى حده الحدّ بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف فى　　متونهن جلاء الشك والرّيب

ومن جيد الابتداءات المشتملة على براعة الاستهلال قول حافظ ابراهيم فى تحية عام هجرى :

أطل على الأكوان والخلق تنظر　　هلال رآه المسلمون فكبروا

وقول احمد شوقى فى رثاء اسماعيل صبرى :

أجلّ وإن طال الزمان موافى　　أخلى يديك من الخليل الوافى

وقوله أيضا فى فوز الأتراك على اليونان :

الله أكبر كم فى الفتح من عجب　　يا خالد الترك جدد خالد العرب

وربما خان الحظ بعض الشعراء المفلقين وأوقعهم نحس الطالع فى مهواة سحيقة لا قرار لها إما من غفلة أو غلظة فى الطبع أو استغراق فى الصنعة وشغل هاجس بالعمل يذهب مع حسن القول أين ذهب ، واعتبر ذلك بما أنشده ذو الرمة حين

---

(١) السقط منقطع الرمل حيث يدق واللوى رمل معوج ملتو والدخول وحومل موضعان .

دخل على هشام بن عبد الملك بن مروان من قوله :

ما بال عينك منها الماء مُنْسَكِب كأنه من كُلَى مفْرِيَّة سَرِبُ

وكان به رمش فهى تدمع أبداً فظن أنه عرض به فقال بل عينك وأمر بإخراجه ، وقيل إنه لما بنى المعتصم قصره بميدان بغداد وجمع عظماء دولته وجلس فيه فى يوم حفل أنشده إسحاق الموصلى :

يا دار غيَّرك البلى ومحاك يا ليت شعرى ما الذى أبلاك

فتطير المعتصم بهذا الابتداء وأمر بهدم القصر .

فعلى الحاذق الفطن أن ينظر فى أحوال المخاطبين ويختار للأوقات ما يشاكلها فيقصد ما يحبون ويتجنب ما يكرهون سماعه .

(٢) التخلص — الخروج ، هو أن ينتقل الشاعر من فن إلى آخر بأحسن أسلوب مع لطف تخيل وحسن تخلص بحيث لا يشعر السامع بالانتقال لشدة الالتئام كأنهما أفرغا فى قالب واحد ، وذلك يحرك من نشاط السامعين ويعين على إصغائهم ، وأحسنه ما تهيأ للناظم فى بيت واحد كقول مسلم بن الوليد يمدح يحي البرمكى :

أجدَّك ما تدرين أنْ ربَّ ليلة كأن دجاها من قرونك ينشر

سريتُ بها حتى تجلت بغرّة كغرة يحي حين يذكر جعفر(٢)

ويليه ما جاء فى بيتين كقول المتنبى يمدح المغيث بن على العجلى :

مرّت بنا بين ترْبيها فقلت لها من أين جانس هذا الشادن العربا

فاستضحكت ثم قالت كالمغيث يرى ليث الشرى وهو من عجل إذا انتسبا(٣)

---

(١) الكلى جمع كلية بضم الكاف والفرية المخروزة والسرب الجارى .

(٢) أجدك بكسر الجيم وفتحها لا يتكلم به إلا مضافا والمعنى أبجد منك هذا فنصبه على طرح الباء فاذا سبق بالواو قيل وجدك فهو مفتوح الجيم ليس غير (٣) الترب واللدة المساوى فى السن والشادن الظبى إذا شدن قرنه وقوى واستضحكت ضحكت والشرى مأسدة مشهورة

وأكثر الناس ولوعا بهذا النوع أبو الطيب ، ولأجله يسقط سقوطا قبيحاً كقوله :

ها فانظرى أو فظنى بى ترى حرقا   من لم يذق طرفا منها فقد وألا
عل الأمير يرى ذلى فيشفع لى   إلى التى تركتنى فى الهوى مثلا(١)

فقد تمنى أن يكون الأمير قواداً له .

والمتأخرون كلهم على الجملة قلما يفوتهم سلوك هذه الطريق .

أما العرب فما كانوا يذهبون هذا المذهب فى الخروج من المديح بل يقولون عند فراغهم من نعت الابل وذكر القفار وما هم بسبيله ، دع ذا ، وعد عن ذا ، ثم يأخذون فيما يريدون ، ويسمى هذا اقتضابا كقوله :

فدع ذا وسل الهم عنك بجسرة   ذمول إذا صام النهار وهجرا(٢)

أو يأتون بأن المشددة إبتداء للكلام الذى يقصدونه ، وكثيراً ما كان البحترى يسلك هذه الطريقة كقوله :

لولا الرجاء لمت من ألم النوى   لكن قلبى بالرجاء موكل
إن الرعية لم تزل فى سيرة   عمرية مذ ساسها المتوكل

ومن الاقتضاب ما هو شبيه بالتخلص كما يقول القائل بعد حمد الله أما بعد فكذا ، وكقوله تعالى (هذا وإن للطاغين لشر مآب) أى هذا كما ذكر ، وقول المؤلف هذا باب هذا فصل .

(٣) الانتهاء ـــ الاختتام ، هو أن يختم المتكلم كلامه بأحسن الخواتم إذ هى آخر ما يبقى منه فى الأسماع وربما حفظت من بين سائر الكلام لقرب العهد بها ، فوجب أن تكون غاية فى الجودة وألا يكون سبيل للزيادة عليها ، ولا لأن يؤتى

---

(١) الحرق جمع حرقة مايجده الانسان من لذعة حب أوحزن ووأل نجا .

(٢) الجسرة الطويلة الضخمة من النوق والذمول التى تسير ذميلا أى حثيثا وصار النهار قائم الظهيرة واعتدل .

بعدها بأحسن منها فى رشاقتها وحلاوتها وقوتها وجزالتها مع تضمنها معنى تاماً يؤذن السامع بأنه الغاية والمقصد والنهاية فإن دل على ما يشعر بالانتهاء سمى براعة مقطع ، ولقد ختم الله تعالى كل سورة من سور القرآن الكريم بأحسن ختام وأتمها بما يطابق مقصدها من أدعية أو وعد أو وعيد أو موعظة أو تحميد إلى غير ذلك من الخواتم الرائعة ، وقد أجاد سلوك هذا الطريق المتأخرون كأبى نواس وأبى تمام والبحترى ولاسيما المتنبى فإنه أتى فيه بالعجب العجاب . فمن ذلك قول أبى نواس فى المأمون :

فبقيت للعلم الذى تهدى له ... وتقاعست عن يومك الأيام

فانظر كيف تضمنت هذه الخاتمة الدعاء بالبقاء مع المدح والاعظام ، وقول أبى تمام :

فما من ندى إلا إليك محله ... ولا رفعة إلا إليك تسير

وقول ثالث :

فلا حطت لك الهيجاء سرجا ... ولا ذاقت لك الدنيا فراقا

وقول الارّجانى :

بقيت ولا أبقى لك الدهر كاشحا ... فإنك فى هذا الزمان فريد

وقول ابن حجة فى بديعيته :

عليك سلام نشره كلما بدا ... به يتغالى الطيب والمسك يختم

* * *

تدريب أول

بين نوع المحسن اللفظى فيما يلى :

(١) حدق الآجال آجال ... والهوى للمرء قتال

(٢) وسميته يحيى ليحيا فلم يكن ... إلى رد أمر الله فيه سبيل

(٣) قد بلينا فى عصرنا بأناس يظلمون الأنام ظلما عمّا
يأكلون التراث أكلا لما ويحبون المال حبا جما

(٤) اللهم اعط منفقاً خلفا ، وأعط ممسكا تلفا

(٥) أشكو وأشكر فعله فاعجب لشاك منه شاكر

(٦) قابل بشكرك من قلت عطيته فى الناس أو كثرت واستبق إيناسا
ولا تنم ساخطا منهم على أحد (لا يشكر الله من لا يشكر الناسا)

(٧) يسار من سجيتها المنايا ويمنى من عطيتها اليسار

(٨) لحوض عدلك عذب مغدق خصر
وروض فضلك رحب مونق خضر

الاجابة

(١) فى هذا البيت جناس تام مماثل بين الآجال وآجال إذ الأولى جمع إجل بكسر الهمزة وهو القطيع من بقر الوحش والثانى جمع أجل وهو أمد العمر .

(٢) فيه جناس تام مستوف بين يحي ويحيا.

(٣) فيه اقتباس من قوله تعالى (وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما) .

(٤) فيه سجع مرصع لأن إحدى الفقرتين كالثانية فى الوزن والتقفية .

(٥) فيه جناس ناقص لاختلافهما فى العدد .

(٦) فيه اقتباس من الحديث الشريف (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) .

(٧) فيه رد العجز على الصدر لوجود أحد اللفظين المتفقين لفظا ومعنى فى آخر البيت والآخر فى صدر المصراع الثانى .

(٨) فيه سجع مرصع لاتفاق كل لفظ من صدره مع نظيره من العجز وزنا ورويا .

تدريب ثان

(١) كن كيف شئت عن الهوى لا أنتهى حتى تعود لى الحياة وأنت هى

(٢) وإنه على ذلك لشهيد ، وإنه لحب الخير لشديد :

(٣) يعشى عن المجد الغبى ولن ترى فى سؤدد أربا لغير أريب

(٤) سل سبيلا فيها إلى راحة النفس براح كأنها سلسبيل

(٥) فى الحديث اللهم إنى أدرأ بك فى نحورهم وأعوذ بك من شرورهم :

(٦) ليتهم سموه باسم سوى ذا إنما التشريع دين قويم

(٧) وما اشتار العسل ، من اختار الكسل .

(٨) فلو كانت الأخلاق تحوى وراثة ولو كانت الآراء لا تتشعب

لأصبح كل الناس قد ضمهم هوى كما أن كل الناس قد ضمهم أب

ولكنها الأقدار كل ميسر لما هو مخلوق له ومقرب

الاجابة

(١) فيه جناس تام مفروق لتشابه الركنين لفظا لا خطا .

(٢) فيه جناس مضارع لاختلافهما فى نوع الحرف مع تقارب المخرج .

(٣) فيه ما يلحق بالجناس لأنه يجمع اللفظين وهما أرب وأريب الاشتقاق .

(٤) فيه رد العجز على الصدر لأن أحد اللفظين المتجانسين فى آخر المصراع الأول والآخر فى صدره .

(٥) فيه سجع متواز لأن الفقرتين اتفقتا فى الكلمتين الأخيرتين .

(٦) فيه تشريع لأن البيت مبنى على قافيتين إذ يمكن أن يسقط منه شىء فيصير

ليتهم سموه باسم إنما التشريع دين

فينقلب من المديد الى الرمل

(٧) فيه لزوم ما لا يلزم لأن قبل الفاصلة حركة وحرفا ليسا لازمين .

(٨) فيه اقتباس من الحديث « اعملوا كل ميسر لما خلق له »

تمرين (١)

(١) بقيت لنا تجود مدى الليالى فإنك ما بَقيت لنا بقينا

(٢) سل طائراً صدّع الفؤاد بسحرة أتراه غرَّد صادعا أم صادحا

(٣) واستجب فى الهوى دعائى إنى لم أك بالدعاء رب شقيا

(٤) حىّ عُمراً بابالخَيف من حىّ ليلى واقرعينى السلام هندا وليلى

(٥) لا كان إنسان تيمم قاصداً صيدالمها فاصطاده إنسانها

(٦) رمانى زمانى فلم يرعَو لعالى المنار وغالى المنال

(٧) وهن العظم بالبعاد فهب لى ربّ باللطف من لدنك وليّا

(٨) ودارهم ما دمت فى دارهم ، وحيّهم ما دمت فى حيّهم .

(٩) له مبسم كالبرق ضياء ولمعا ، وأعين يخيّل لى من سحرهم أنها تسعى .

(١٠) كنت أطمع فى تجريبك ، ومطايا الجهل تجرى بك .

تمرين (٢)

(١) دعت النوى بفراقهم فتشتتوا وقضى الزمان بينهم فتبدَّدوا

وهو ذميم الحالتين فما به شىء سوى جود بن ارتقَ يحمد

(٢) فلم تضع الاعادى قدر شانى ولا قالوا فلان قد رشانى

(٣) وإن أقمر على رَق أنامله أقر بالرق كتّاب الأنام له

(٤) قال الخطيب ابن نباتة يذكر أهوال يوم القيامة ، هنالك يرفع الحجاب ـ

ويوضع الكتاب . ويجمع من وجب له الثواب ، وحق عليه العقاب ، فيضرب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب .

(٥) قال الشافعي رضي الله عنه :

عمدة الخير عندنا كلمات ... أربع قالهن خير البريه
اتق المشبهات وازهد ودع ما ... ليس يعنيك واعملنّ بنيه

(٦) قال ابن المعتز :

أترى الجيرة الذين تداعوا ... عند سير الحبيب وقت الزوال
علموا أنني مقيم وقلبي ... راحل فيهم أمام الجمال
مثل صاع العزيز في أرحل القو ... م ولا يعلمون ما في الرحال

(٧) قال المتنبي في مطلع قصيدة :

أتراها لكثرة العشاق ... تحسب الدمع خلقة في المآقي

(٨) خليليّ مالي لا أرى غير شاعر ... فكم منهم الدعوى ومني القصائد
فلا تعجبا إنّ السيوف كثيرة ... ولكن سيف الدولة اليوم واحد

(٩) وإني جدير إذ بلغتك بالمنى ... وأنت بما أملت فيك جدير
فان تولني منك الجميل فأهله ... وإلاّ فإني عاذر وشكور

(١٠) فهمت كتابك ياسيدي ... فهمت ولا عجب أن أهيما

قد رأينا القطع الآتية تشتمل على فرائد من البلاغة ،
فأحببنا وضعها لتكون نماذج فى التطبيق على الفنون الثلاثة

قال عبد الله باشا فكرى المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ ينصح ابنه :

إذا نام غرٌّ فى دجى الليل فاسهر　　وقم للمعالى والعوالى وشمر
وسارع إلى ما رمت ما دمت قادرا　　عليه وإن لم تبصر النجح فاصبر
وأكثر من الشورى فانك إن تصب　　تجد مادحا أو تخطىء الرأى تعذر

وقالت عائشة التيمورية المتوفاة سنة ١٣٢٠ هـ

بيد العفاف أصون عز حجابى　　وبعصمتى أسمو على أترابى
وبفكرة وقادة وقريحة　　نقادة قد كُمّلت آدابى
ما ضرنى أدبى وحسن تعلمى　　إلا بكونى زهرة الألباب

وقال صفى الدين الحلى المتوفى سنة ٧٤٠ هـ فى وصف حديقة :

وأطلق الطير فيها سجع منطقه　　ما بين مختلف منه ومتفق
والظل يسرق بين الدوح خطوته　　وللمياه دبيب غير مسترق
وقد بدا الورد مفترّا مباسمُه　　والنرجس الغض فيها شاخص الحدق
والسحب تبكى وثغر البرق مبتسم　　والطير تسجع من تيه ومن أنق
فالطير فى طرب والسحب فى حَرَب　　والماء فى هرب والغصن فى قلق

وقال فى الفخر والحماسة :

سل الرماح العوالى عن معالينا　　واستشهد البيض هل خاب الرجا فينا
لقد سعينا فلم تضعف عزائمنا　　عما نروم ولا خابت مساعينا

قوم إذا استخصموا كانوا فراعنة يوما وإن حكموا كانوا موازينا
إنا لقوم أبت أخلاقنا شرفا أن نبتدى بالأذى من ليس يؤذينا
بيض صنائعنا سود وقائعنا خضر مرابعنا حمر مواضينا

وقال محمد بن الطيب المغربي فى وصف الربيع :

ورد الربيع فمرحبا بوروده وبنُور بهجته ونَوْر وروده
وبحسن منظره وطيب نسيمه وأنيق مَبسمه ووشى بروده
والغصن قد كسى الغلائل بعد ما أخذت يدا كانون فى تجريده
والورد فى أعلى الغصون كأنه ملك تحفّ به سَراة جنوده

ومن لامية العجم للطغرائى المتوفى سنة ٥١٥ هـ

حب السلامة يثنى عزم صاحبه عن المعالى ويغرى المرء بالكسل
فإن جنحت إليه فاتخذ نفقا فى الأرض أوسلما فى الجو فاعتزل
أبى الله أن أسمو بغير فضائلى إذا ما سما بالمال غير مسوّد
وإن كرمت قبلى أوائل أسرتى فانى بحمد الله مبدأ سوددى
إذا شرفت نفس الفتى زاد قدره على كل أسنى منه ذكراً وأمجد

* * *

يقول مؤلفه عفا الله عنه ، فرغت من تهذيب هذا الكتاب وتنقيحه بعد وضعه وترتيبه لتسع خلون من شوال سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وألف هجرية بمدينة الخرطوم حاضرة الديار السودانية والحمد لله أولا وآخراً .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(تم)

فهرس كتاب علوم البلاغة

الموضوع	الصفحة
الباب السادس — التعريف	
المبحث الأول : فى الفرق بين النكرة والمعرفة والداعى إلى التعريف	١١٧
« الثانى : فى تعريف المسند اليه بالاضمار	١١٧
« الثالث : فى تعريف المسند اليه بالعلمية	١١٩
« الرابع : « « « « باسم الاشارة	١٢٠
« الخامس : « « « « بالموصولية	١٢٢
« السادس : « « « « باللام	١٢٤
« السابع : « « « « بالاضافة	١٢٦
« الثامن : « « المسند	١٢٧
تدريب وتمرين	
الباب السابع — التنكير	١٣١
نماذج وتمارين	
الباب الثامن — التقييد	
المبحث الأول : فى فوائد التقييد	١٣٥
« الثانى : فى التقييد بالمفاعيل ونحوها	١٣٥
« الثالث : فى التقييد بالتوابع	١٣٥
« الرابع : « « بضمير الفصل	١٣٨
« الخامس : « « بالشرط	١٣٩

الموضوع	الصفحة
الباب التاسع — الخروج عن مقتضى الظاهر	١٤٤
تدريب وتمرين	
الباب العاشر — القصر	
المبحث الأول : فى تعريف القصر لغة واصطلاحا	١٥٤
« الثانى : فى طرقه	١٥٤
« الثالث : فى تقسيمه باعتبار الواقع والحقيقة	١٦٠
« الرابع : « « « حال المقصور	١٦٠
« الخامس : « « « « المخاطب	١٦١
« السادس : « مواقع القصر	١٦٢
تداريب وتمارين	
الباب الحادى عشر — الفصل والوصل	
تمهيد فى دقة مسلكه وعظيم خطره	١٦٧
المبحث الأول : فى وصل المفردات وفصلها	١٦٨
« الثانى : فى وصل الجمل	١٦٩
« الثالث : فى الجامع	١٧٠
« الرابع : فى محسنات الوصل	١٧٢
« الخامس : فى الفصل	١٧٣
تتمــــة	١٧٨
تداريب وتمارين	

الصفحة	الموضوع
	الباب الثانى عشر — الايجاز والاطناب والمساواه
١٨٧	المبحث الأول : فى دقة مسلكها واختلاف الأئمة فى تعريفها
١٨٨	« الثانى : فى الايجاز
١٩٥	« الثالث : فى المساواة
١٩٦	« الرابع : فى الاطناب
٢٠٤	« الخامس : الايجاز افضل أم الأطناب
٢٠٦	أسرار البلاغة فى الايجاز والأطناب
	تمارين ونماذج عامة على المعانى
	علم البيان
٢١٥	الدلالة
٢١٧	ابواب الفن
	الباب الاول — التشبيه
٢١٨	المبحث الأول : فى شرح حقيقته وبيان جليل فائدته
٢٢٠	« الثانى : فى الطرفين
٢٢٥	« الثالث : تقسيم التشبيه باعتبار الطرفين إلى ملفوف ومفروق
٢٢٥	« الرابع : فى تقسيم التشبيه باعتبار الطرفين الى تشبيه تسوية وتشبيه جمع
٢٢٦	« الخامس : فى وجه الشبه
٢٣٢	« السادس : فى تقسيم التشبيه باعتبار الوجه الى تمثيل وغيره
٢٣٤	« السابع : فى تقسيم التشبيه باعتبار الوجه الى مجمل ومفصل

المطبعة العربية

تليفون ٢٥٦٣٨